



إهدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي - الجزائر



عندما يزهر الجهاد

سيرة الأديب المجاهد الأستاذ محمد العالـج الصديق

تقديم

أ.د. حمزة بوخزنة

تأليف

د. جمال الدين بونقاب



إهدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي - الجزائر



عندما يزهر الجهاد

سيرة الأديب المجاهد الأستاذ محمد الصالح الصديق



تقديم

أ.د. حمزة بوخزنة

تأليف

د. جمال الدين بونقاب

سناحي

للنشر
والطباعة
والتوزيع



مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية

Laboratory of Algerian scientists contributions to enrich the Islamic studies

كلية العلوم الإسلامية – جامعة الوادي

Faculty of Islamic Sciences - University of El Oued - Algeria

مخبر بحث معتمد من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

تحت رقم (70). بتاريخ: 2015/02/21. الرمز: E0780400

الموقع الإلكتروني: <https://faculty.univ-eloued.dz/faculty/isi/laboratory/6>

□ الطبعة الأولى: 1447هـ / 2025م

□ الإيداع القانوني: نوفمبر 2025

□ ISBN : 978-9969-608-47-2

□ عدد الصفحات: 400.

□ المقاس: 16.5 × 24 سم.

محفوظة
جميع الحقوق

□ التنفيذ الطباعي:

ولاية الوادي . الجزائر

☎ 032 14 93 39

☎ 0557 97 44 43

✉ imp.alwady@gmail.com



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

البطولة هي أن يسير القوم كلُّهم في
طريقهم إلى القمّة، غير هيّابين إذا ما
تراكمت جثثهم على طريق الحياة،
لتطأها الأجيال الصاعدة، سلماً نحو
المجد.

[محمد الصالح الصديق، أنيس المجالس، ص 29]



إهداء

إلى والديّ الكريمين،

وزوجتي الحبيبة،

وأبنائي وبناتي

وإلى رجال الإصلاح الخالدين منهم والثابتين،

أهدي هذا الجهد.



تقديم

" رأيته... ولكنني لم أره.... ثم رأيته فأدركت من هو البشير الإبراهيمي "

لعلني استوحي هذه المقالة التي ذكرت في مقابلة مع العلامة محمد الصالح الصديق معبرًا بها عن مكانة الإمام محمد البشير الإبراهيمي في نفسه، إذ أراها تنطبق بحق عليه أيضا، فالمطلع على مسيرة هذا الرجل الحافلة بالعطاء والتّميز والتّبوغ يُدرك حقيقة ما عرف عنه من أوصاف شتى؛ فهو " عميد وشيخ الكتاب الجزائريين المعاصرين " وهو " سبويه القرن العشرين والأديب النحرير " وهو " الرجل الثقة والمجاهد المرشد في ثورة التحرير الجزائرية " وهو " المفكر المصلح والدبلوماسي الحكيم " .

كل هذه الصفات وغيرها ما هي إلا نتاج بذرة صالحة أزهى معها العلم وأرّفى ظلاله على المجتمع الجزائري خاصة والإسلامي والدولي عامة لذياع صيت هذا العَلم وشهرته في مختلف الأوساط، فخلفت لنا هذه البذرة مع مرور الوقت زادا ثريًا ومتنوعا في شتى المعارف والعلوم، يستولي على الفكر ويسرق قلب كل شغوف بالعلم للاطلاع عليه، ينمّ عن وعاء عقلي متميّز وفكر إصلاحى رشيد وثقافة واسعة المدارك، سقلتها التجارب والمحن والظروف والمكابدة والإيمان الراسخ بحقيقة الإنسان وقيمة وقيم وجوده التي أدركها المجاهد العلامة محمد الصالح الصديق في نفسه ودافع عليها ورسخها، فكان من كان على قدر شخصه وعلمه في ذاته، وعلو همته فيما تقلد

من مناصب، وأهمية ما انتج من أعمال وتآليف، حتى لأنّي أتمثل فيه بصدق كل كلمة خطها الشاعر عواد المهداوي:

كُنْ يَا صَدِيقِي فِي الْحَيَاةِ مُبَادِرًا
وَانْتُرْكَ لَهَا أَثْرًا جَمِيلًا أَيْنَمَا
ضَعَّ بَصْمَةً لَكَ فِي سِجْلِ الْمَجْدِ، إِنَّ
انْتُرْ بُدُورَ الْخَيْرِ وَاسْقِ رِيَاضَهُ
سِرِّيَا أُخِيَّ عَلَى خُطَى الْعُظَمَاءِ، إِذْ
كُنْ وَاحِدًا مِنْ هَوَلاءِ الْعُرِّ وَاشْ
كُنْ عَالِمًا أَوْ دَاعِيًا وَمُعَلِّمًا
ارْسُمْ لِلْأَجْيَالِ الطَّرِيقَ وَكُنْ لَهَا
وَانْهَضْ لِرِفْعَةِ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ كِي
قَدْ كَانَ قَبْلَكَ قَادَةٌ عَاشُوا لَهَا
كَمْ عَالِمٍ وَمُجَاهِدٍ تَرَكُوا لَنَا
فَاعْمَلْ إِذَا مَا رُمْتَ ذِكْرًا طَيِّبًا
فَاللَّهُ يَكْتُبُ لِلْوَرَى أَثْرَهُمْ

وَاسْطَعْ بِهَا .. قَمْرًا بَهِيًّا نِيرًا
مَرَّتْ خُطَاكَ وَكُنْ مَنَارًا لِلْوَرَى
أَحْبَبْتَ أَنْ يَبْقَى صَدَاكَ مُؤَثَّرًا
حَتَّى تَرَى نَوْرَ الْخَمَائِلِ أَزْهَرًا
خَطُّوا لَنَا دَرْبًا جَنِيًّا مُثْمَرًا
مَخَّ فِي ذُرَا الْعَلْيَاءِ نَجْمًا مُبْهِرًا
وَمَنَارَةً لِلْعَامِلِينَ وَمَنْبَرًا
نَبْرَاسَ عَزْمٍ كِي تَسِيرَ إِلَى الذُّرَى
تَنْفَكَ مِنْ قَيْدِ الْعِدَا وَتُحَرَّرَا
وَمَضُوا وَلَكِنْ ذِكْرُهُمْ فِيهَا سَرَى
بَصْمَاتِهِمْ حَتَّى وَهَمَّ تَحْتَ الثَّرَى!
بَعْدَ الْمَمَاتِ إِذَا رَحَلْتَ فَتُذَكَّرَا
وَيُثَيَّبُ مَنْ فِي غَيْرِهِ قَدْ أَثَّرَا

وقد أجمّل الشيخ محمد الصالح الصديق وسطرّ فحوى ما في هذه الأبيات، مؤكداً على فاعليّة الإنسان في الحياة، وما يجب عليه أن يقدم من التّضحية في سبيل غيره لبلوغ المجد، في قوله: "البطولة هي أن يسير القوم كلّهم في طريق القمّة، غير هيّابين إذا ما تراكمت جثثهم على طريق الحياة، لتطأها الأجيال الصّاعدة، سلّمًا نحو المجد". (أنيس المجالس، ص 29).

والذي يشد رحال فكره ويجول ببصره في فصول هذا المجهود العلمي المبارك الذي وضعه الدكتور جمال بونقاب بين يدي القراء، يرى فيه بحق مسيرة حافلة بالعطاء والتّضحية الفكرية والرّوحية والجسدية، قدّمها هذا العالم الموسوعي والمفكر المصلح والسّياسي المحنّك، تنتقل بنا من آفاق التنظير البحتّ والعبارات المرصوفة إلى أرضيّة تطبيقية وممارسة فعلية عالج من خلالها العلامة مختلف القضايا التي مسّت واقعا أو قد تمسّ استشرافا حياة النّاس، كان الهدف منها التغيير والرّقي بوجهات نظرهم وأفكارهم السّاذجة وتحرير عقولهم من براثن الجهل والتخلف والركود لغد أفضل، وبحثا عن حياة أكثر عزة وكرامة وشموخ.

وهذا الكتاب - المتميّز حقيقة أسلوبا وعرضا ومادّة - يكشف لنا صورة متكاملة ومفصّلة عن حياة الشيخ محمد الصالح الصديق التي جابها بين كفاح السّلاح والسّنان وكفاح الأقلام واللّسان، ويبرز أيضا ما تناز به كتابات الشيخ من سلاسة في العرض وعمق في الطرح وسلامة في التوجه والقصد، حملت في جملتها مشروعا نهضويا فكريا معاصرا يحمل بصمة الشّيخ الخاصة، ويبرز أبعادها الاصلاحية الواعية والواعدة لشباب الوطن الجزائري وللأمة

الإسلامية جمعاء.

وفي الأخير أسأل الله العليّ القدير أن يرفع مقام العلامة المجاهد محمد الصالح الصديق في عليين، وأن يجزيه عن أمته خير الجزاء على جهاده وجُهدِهِ، وأسأل الله أيضا لصاحب هذا المنجز العلمي المتميز الدكتور جمال بونقاب التوفيق والسداد والثبوة. والله ولي التوفيق.

مدير المخبر
أ.د/ حمزة بوخرنة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد المصطفى الأمين، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته، إلى يوم الدين، أما بعد.

فالأستاذ محمد الصالح الصديق مجاهد جزائري ودبلوماسي وكاتب وإعلامي وصحفي ومؤلف. ولد بمنطقة القبائل ونشأ فيها وتعلم في زواياها، والتحق بالزيتونة لاستكمال دراسته وتخرج فيها بشهادة التحصيل، وإثر عودته أشرف على الزاوية اليلولية إدارةً وتدریساً وتوجيهاً، واستغل بعدها عن محط أنظار الاستعمار فعمل من خلالها على تنمية الحس الوطني. انخرط في الثورة المجيدة من أول يوم فيها، ثم توجه إلى تونس من قبل قيادة الثورة، وعمل هناك محرراً بصحيفة "المقاومة"، ثم كلف بمهمة الإرشاد الديني والتوجيه السياسي في الكتبية المرابطة بصحراء فزان الليبية، ثم أمر بالاستقرار في ليبيا للعمل في إدارة البعثة الجزائرية بطرابلس الغرب والإشراف على إذاعة "صوت الجزائر" بها، فظل كذلك يُعد التعليق السياسي ويكتب في الصحف الليبية ويسهم في تأطير اللقاءات الدبلوماسية إلى غاية الاستقلال. بعدها، عاد إلى البلاد ممثلاً للجزائر في مختلف المحافل الوطنية والدولية داخل الجزائر وخارجها، وليستكمل مجدداً معركة الجهاد الثقافي، فانخرط في العمل الإعلامي الوطني بشُعبه المختلفة الإذاعية والتلفزية والصحفية، قبل أن يتفرغ تماماً للكتابة المستقلة ليغدو ظاهرة تأليفية متفردة.

لقد وجدت في نفسي رغبة ملحة في الكتابة عن الأستاذ محمد الصالح الصديق، إعجاباً بشخصه وكتابته الموسوعية وثرائه المعرفي المميز واتساع نطاق بحثه وكتابته وتفكيره واهتمامه؛ فهو أديب وصحفي ومهتم بالتاريخ الوطني ومناضل سياسي وكاتب فكرٍ ومفسر للقرآن وصانع تراجم، ولا أدلّ على ذلك من مؤلفاته التي بأيدي الناس. واعترافاً بمقامه، ووفاءً بحقه كذلك اخترت الكتابة عن جهاده وجهوده، وتتبع مسار حياته وإنجازاته وإسهاماته، على نمط الترجمة العامة التي

تعنى بالبحث والدراسة، وتنطوي على التحليل والتوجيه، وذلك باعتبار الأستاذ أحد أبرز النماذج الجزائرية المعاصرة، المثقفة ثقافة موسوعية وأصيلة ببعديها العربي والإسلامي؛ ولم يكن تحصيل الأستاذ لتلك الثقافة مجرد انسياق وراء رغبة عابرة استدعاها مجال التأليف، بل إنها كانت ثقافة محفزة على الانخراط في العمل الفكري والدعوي والسياسي، وثقافة فاعلة في التعاطي مع أحداث عصره؛ وهو ما تشهد به سيرته الحافلة بالمواقف المشرفة والمؤلفات الكثيرة المتنوعة. وتتصل أهمية الموضوع بأهمية الفترة الزمنية التي عاشها الأستاذ فقد غطى تقريبا بكتابات وفكره أهم المراحل التاريخية والثقافية للجزائر المعاصرة؛ إذ شمل ذلك جزائر النهضة والثورة والاستقلال والانفتاح. هذا، فضلاً عن أن في دعوة الأستاذ وفكره ومنهجه تقاطعاً مع المشروع الفكري والثقافي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

ولجميع ما مرّ ذكره، جعلت الكتاب تحت عنوان "عندما يُزهر الجهاد.. سيرة المجاهد الأديب الأستاذ محمد الصالح الصديق".

ومن المناسب المتحتم قوله في هذا السياق، هو أن أعلام كل أمة هم حملة فكرها وبنية نهضتها وصنّاع تاريخها، ولهذا فإن أسوأ ما يمكن أن يقابل به أولئك الأعلام من عدم الوفاء ليس هو النسيان فحسب، بل هو التغاضي عن إبراز مآثرهم الجليلة، والاستعفاء من الدلالة على جهودهم العظيمة في الدفاع عن مقومات الشخصية الوطنية، وثوابت الأمة العربية والإسلامية.

لقد ألفت حول الأستاذ كتب عديدة، تنوعت نواحي التركيز فيها على محطات مختلفة من حياة المترجم؛ ففيما ركز إسماعيل ميرة على الجانب الثوري في كتابه "محمد الصالح الصديق بين صرير الأقلام وقعقة السلاح" (2008م)، جاء كتاب مراد عمرون "محمد الصالح الصديق من وحي الصورة" (2017م) باللغة الفرنسية مطابقاً للعنوان، فإنه تمثل في عرض نحو أربعمئة صورة لها علاقة بالسيرة الحافلة للأستاذ والتعليق عليها بما توحى به كل منها، كما كتب عنه الباحث نبيل صابري في

"محمد الصالح الصديقي شيخ الكتاب الجزائريين" (2021م) بما يشبه التلخيص الأدبي وبقلم رشيق لمذكرات الأستاذ "رحلتي مع الزمان".

ومع ذلك، ورغبة في التوسع والاستزادة، رأيت أن أتعامل في كتابي بالدرجة الأولى مع المصادر الأساسية للمترجم. ويمكن تقسيم المراجع والمصادر التي استعنت بها إلى مجموعتين؛ مجموعة تتعلق بعصر الأستاذ وبيئته، وأخرى تتعلق بسيرته وإنجازاته وجهوده، وتفصيلها على ما يلي:

المجموعة الأولى:

1. المقابلات: أهم مصدر حظيت بالتعامل معه وتوظيفه هو المقابلات العديدة التي أجريتها (حضورياً وهاتفياً) مع الأستاذ نفسه -حفظه الله-، ورغم أني أعددت لتلك المقابلات بما من شأنه أن يضعني في الجوارح لسيرة الأستاذ عند محاورته، إلا أنه كان يفتح منافذ لا حصر لها، وقد فسرت ذلك بسببين؛ أحدهما: ورود بعض التفاصيل التي وفقني الله تعالى في الاهتداء لطرحها، فربما لم تكن قد عرضت عليه من قبل، ولعل اشتهاً الأستاذ كذلك بكونه مجاهداً وإعلامياً قد منع من انصراف الأذهان إلى غير تلك الوظائف والمهام التي تركز السؤال عنها. والسبب الآخر، هو ازدحام الأحداث والمواقف وكثرتها وتوزُّعها على حياة طويلة حافلة. وقد قدّمت هذا المصدر على غيره، إذ لا شيء أصدق من حديث المرء عن نفسه وعمله ونضاله، خصوصاً إذا كان شخصية مهمة عرفت بالصدق والنزاهة والموضوعية.

2. مذكرات الأستاذ: وكذا بعض الفصول المطولة التي صدر بها بعض كتبه، وضمّنها الحديث عن سيرته. أما مذكراته الأكثر استيعاباً فهي "رحلتي مع الزمان" (2010م) الواقعة في جزئين، وهي التي كان عليها جل الاعتماد في هذا البحث، قبل الحصول على تفاصيل إضافية -وإن كانت قليلة جداً- في مذكراته الموسومة بـ "شريط الذكريات" (2016م) المتكونة من أربعة أجزاء، وفي مذكراته الأخيرة "مدارس لولاها ما كنت" (2017م).

3. مقالات الأستاذ: يشكل هذا القسم من المصادر أهمية بالغة من حيث رصدُه لأحداث ومواقف في فترة زمنية معينة ومهمة من تاريخ المترجم وتاريخ الجزائر؛ ذلك أنها كانت الوسيلة الأمثل آنذاك للتعبير عن الآراء واتخاذ المواقف فضلاً عن إظهار سعة الاطلاع وعمق القراءة وتنوع الثقافة، وإعطاء تصور عن مدى توافر كتابة الأستاذ في فتراته المختلفة على السمت العامة للمقال. ولقد تيسر الاطلاع على مقالات الأستاذ المنشورة في الصحف الوطنية؛ ك"البصائر" و"المنار" الجزائرية و"العصر"، وفي بعض الصحف الأجنبية ك"الفكر" التونسية و"الآداب" اللبنانية. ولقد أسهم الأستاذ بنفسه في حفظ مقالاته من الضياع، فشر ما حفظ منها في العديد من كتبه المختلفة الأغراض، وقد كان الاعتماد عليها والنقل منها باعتبارها مجاميع مقالات.

4. الأرشيف: وهذا القسم لا يقل أهمية عما سبق من المصادر، لاعتبار وثوقيته العالية، ويتضمن الأرشيف المشار إليه كلاً من التقارير الإدارية وهي وثائق أرشيفية محررة من طرف الجهات الرسمية سواء في المرحلة الاستعمارية أو في مرحلة ما بعد الاستقلال، والمخطوطات وتكتسي أهمية بالغة هي الأخرى. وتفصيل الأرشيف الذي اعتمده كما يلي:

- التقارير الإدارية: وهي كما سبق على نوعين؛ أحدهما تقارير سرية حررت من طرف أعوان الإدارة الاستعمارية بالمنطقة سواء أكانوا فرنسيين أو جزائريين (قائد الدوّار)، وكان موضوعها جمع معلومات حول الأستاذ في الفترة التي تولى فيها الإشراف على الزاوية اليلولية. والنوع الآخر من الوثائق الإدارية هو الشهادات والتصاريح التي تثبت انخراط الأستاذ في الثورة سواء بصفته إعلامياً أو مسؤولاً عن الإعلام بإدارة البعثة بليبيا أو مناضلاً في منطقة فزان كمرشد سياسي وموجه أخلاقي، وجميعها محرر من قبل قيادة الثورة وفروعها.

- المخطوطات: وهي عبارة عن رسائل وردت إلى الأستاذ في مناسبات ولأغراض مختلفة، فمنها المراسلات الإخوانية، ومنها التقارير بشأن ما صدر

للأستاذ من أعمال.

5. الأعمال النقدية: التي قدمت قراءة لأعمال الأستاذ الفكرية والأدبية، وقد تولى الأستاذ بنفسه جمعها، وجعلها القسم الثاني من كتابه أضواء كاشفة على محطات بارزة من حياة الأديب الأستاذ محمد الصالح الصديقي"، وهذا القسم عبارة عن أربعة وعشرين مقالاً تعريفياً ونقدياً لبعض مؤلفات الأستاذ.

المجموعة الثانية:

- "أعلام من زواوة" للكاتب أحمد ساحي - رحمه الله-، وهو مصدر مهم في التأريخ لأبرز الزوايا والمعاهد الدينية في منطقة القبائل؛ كزاوية اليلولي وسيدي منصور والإدريسي.

- "تاريخ الجزائر الثقافي" للدكتور أبي القاسم سعد الله - رحمه الله-، وهي موسوعة ثرية لا غنى عنها للباحث والدارس.

- "التعليم القومي والشخصية الوطنية 1931-1956م"، للدكتور رابح تركي - رحمه الله-، أفدت من هذا الكتاب كثيرا في توصيف الوضع العام للجزائر (اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً) قبيل وإبان الاحتلال الفرنسي.

- "الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل (1920-1945م)" للمؤلف يسلي مقران، وهو في الأصل رسالة ماجستير (1988م) في التاريخ أشرف عليها د. أبو القاسم سعد الله - رحمه الله-، وهذه الدراسة هي الأولى أكاديمياً في بابها.

- Hanoteau. A, Letournoux. A, *la Kabylie et les coutumes kabyles*, Paris, 1893.

يقع الكتاب في ثلاثة أجزاء، وهو عبارة عن دراسة استغرقت أربع سنوات من البحث والجمع. وتتلخص الدراسة إلى التفريق بين العرف والشريعة، بإيلاء الاهتمام للأول باعتباره قائماً على التوافق العام، وهو ما يسمح بالتصرف فيه على نحو يساعد على اعتناق القبائل للمسيحية إذا ما حُضِرَوا لذلك.

- RINN Louis, *Marabouts et Khouan (Étude sur l'islam en Algérie)*,
Alger, Adolphe Jourdan Libraire-éditeur, 1884

يقع الكتاب في 566 صفحة، ولا أعلم إن كان قد ترجم إلى اللغة العربية حتى الآن رغم أهميته، بالنظر إلى كونه أول مصدر في الحديث عن الطرائق الصوفية في الجزائر وتعدادها والتعريف بها وبأصولها، بالإضافة إلى الفصول التي تناول فيها المؤلف تاريخ التصوف عبر التاريخ الإسلامي (مؤرخاً لتطوراته بالتاريخين الهجري والميلادي)، والتعريف ببعض المصطلحات كالكُطْب والولي والشيخ والمقدم والنقيب والمريد وغيرها.

- "السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل وموقف السكان منها (1871-1914م)", للباحث سعدي مزيان، وهي أطروحة دكتوراه في التاريخ، غير منشورة، جامعة الجزائر، 2008-2009م. استفدت منها في توصيف الحالة الدينية والثقافية والاقتصادية في منطقة القبائل فيما بعد الاحتلال وأثناء المقاومة الشعبية، وقد عاد الباحث هو الآخر إلى الدراسات التي قام بها هانوتو وغيره.

فضلاً عن مراجع أخرى في التاريخ السياسي والحركة الوطنية والثقافية التي محل ذكرها فهرس المصادر والمراجع آخر البحث.

وقبل الختام، أرجو أن أكون قد وفقت لما سعت إليه من الإسهام في التعريف بجهود الأستاذ محمد الصالح الصديق في خدمة الإسلام العظيم والوطن العزيز واللغة العربية الشريفة. كما أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، ويوفق لما بعده من الخير بالتيسير والإعانة.

والحمد لله رب العالمين.



الفصل الأول

محمد الصالح الصديق – عصره وحياته



تمثل مختلف البيئات السياسية والاجتماعية والثقافية وغيرها، أهم الروافد التي تعين على تناول سير الأعلام وتفسير مواقفهم، بما تنطوي عليه تلك البيئات من أحداث بارزة ومواقف مهيبية وشخصيات مؤثرة؛ من شأنها أن تسهم إلى حد كبير في تكوين أولئك الأعلام.

وستحاول هذه الدراسة إلقاء الضوء على العصر والبيئة اللذين وجد فيهما مترجمنا؛ أي في منطقة القبائل في الفترة ما بين نهاية الحرب العالمية الأولى وثورة التحرير المباركة التي توجت بالاستقلال (الفترة الممتدة ما بين: 1918-1954م)، ومحاولة تتبع ملامح السياسة العامة للاستعمار الفرنسي في المنطقة؛ متمثلة في التفجير والتجهيل والفرنسة والتنصير، وستتطرق إليها ضمن محاور شاملة (سياسية واجتماعية وثقافية)، لنقف على مدى إسهام كل ذلك في تكوين شخصية الأستاذ لاحقاً.

المبحث الأول: عصره

المطلب الأول- الوضع السياسي

لقد كان ظهور المقاومات الشعبية بمنطقة القبائل، وإسهامها في التصدي للغزو الاستعماري، حافزاً كبيراً أمام الإدارة الفرنسية، وذريعة قوية لإعداد السياسة التي تمكنها من إخضاع السكان الذين صمدوا أمام ذلك الغزو إلى غاية 1857م، ثم المواصلة إلى غاية مقاومة الحداد والمقراني سنة 1871م، التي كانت آخر أمل يمكن أن يحظى به الجزائريون في صد العدوان الفرنسي، ولكن فشل¹ تلك المقاومة بالإضافة إلى سقوط نابليون الثالث قد تسببا في تغير "السياسة القبائلية"، وإنهاء نظام المكاتب العربية (الإسلامية)، والانتقال بقبائل المنطقة إلى نظام مدني اقتضى تقسيماً إدارياً جديداً لتراب منطقة القبائل الكبرى.

¹ . LAIDANI Amar, *Le droit Kabyle coutumier pendant la colonisation française*, thèse en cotutelle Doctorat en droit, Université Laval, Québec-Canada, 2020, p. 196.

عندما ولد الأستاذ سنة 1925م، كانت قد انقضت سبع سنوات فقط على نهاية الحرب العالمية الأولى (1914-1918م)، وكانت نتائجها الوخيمة على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي قد أَلقت بظلال قاتمة على رقعتهما الحربية الواسعة. فبالرغم من أن الاحتلال الفرنسي كان قد أحكم قبضته على الجزائر منذ ما يزيد عن ثلثي القرن، فإنه قد أمعن في وطأته العسكرية وتعسفه السياسي، تبعاً لنتائج الحرب العامة من جهة، وتبعاً لنمو الوعي السياسي والفكري بظهور النخب الجزائرية المثقفة على اختلاف أطرافها ونزعاتها من جهة أخرى كما سيأتي الإشارة إليه. على أن ذلك التعسف لم يكن وليد الفشل الذي منيت به فرنسا في الحرب العامة فحسب، بل إنه كان مواصلة للعمل الممنهج في محو الكيان الجزائري فيما يشبه عملية "الانتقام" من الشغب والتمرد اللذين أحدثتهما المقاومات الشعبية المشار إليها آنفاً. وفيما يلي مزيد إيضاح للوضع السياسي الذي حكم منطقة القبائل، وذلك من ناحيتين: الأولى تتبّع موجز للمراحل التاريخية التي مرت بها الحركة الوطنية والوعي السياسي في الجزائر عامة (وفي منطقة القبائل تحديداً) إلى غاية تفجير الثورة التحريرية، والناحية الثانية هي الخصوصيات الوهمية التي تذرّع بها الاستعمار لتمكين تواجده بالمنطقة.

أولاً- فترات تاريخية حاسمة:

إن أهمية هذه المرحلة محل الدراسة (1918- 1954م) تكمن في اعتبارها مرحلة تطور هام للحركة السياسية الجزائرية تمهيدا للثورة المسلحة، وقد اشتد فيها الصراع بين الحركات الوطنية والاستعمار الذي كان يعمل على محو الشخصية الجزائرية بجميع مكوناتها وأبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية¹. ويمكن تقسيم المرحلة المذكورة إلى أربع فترات أساسية؛ وهي: فترة التكوين

¹. مقران يسلي، الحركة الدينية في منطقة القبائل، دار الأمل للنشر والتوزيع، تيزي وزو-الجزائر، د.ط، 2016م، ص 15.

السياسي، وفترة النهضة، وفترة تطور الحركة الوطنية،¹ وفترة الانتقال إلى المواجهة المسلحة؛ بيانها كما يلي:

1. فترة التكوين السياسي والوعي الوطني (1920-1939م): أول ما ميز هذه الفترة هو ظهور الحركة السياسية للأمير خالد²، وصدور جريدة "الإقدام"³ الناطقة باللغتين العربية والفرنسية، ولكن كانت⁴ حركة الأمير خالد قصيرة المدى، ولم تتخذ بعداً سياسياً واضحاً كالمناداة بالاستقلال وشمول الدعوة للقطر كله، وعندما خلفهم نجم إفريقية الشمالية لم يستطع في بداية الأمر أن يكون منظمة سياسية وطنية بالمعنى المتعارف عليه، فقد ظهر النجم في فرنسا لا في الجزائر، وكان منظمة عمالية أكثر منها منظمة شاملة لكل قطاعات المجتمع، ومن جهة ثالثة كان النجم منظمة شمال إفريقية لا منظمة جزائرية وطنية.

وعلى الرغم من السياسة الجائرة للاستعمار، فإن الحركة الوطنية اكتسبت صلابة على مر السنين، وعاشت تجارب مختلفة ونضجت وسط محاولات الفشل المتلاحق، وانتشر الوعي الوطني لدى مختلف الطبقات، وبرزت على المسرح عناصر جديدة لم

¹. استفدت هذا التقسيم من المرجع السابق، ينظر: ص 15، وأضفت إليها بعد التعديل فترة رابعة ليست في بحثه.

². الأمير خالد (1875-1936م): ضابط، صحفي، من رجال السياسة، ولد في دمشق حيث استقرت أسرة جده الأمير عبد القادر، وأصدر سنة 1920م جريدة "الإقدام"، ينظر: نويهض، عادل، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت-لبنان، ط2، 1400هـ-1980م، ص 100.

³. جريدة الإقدام: صدرت في فيفري سنة 1919م، واشترك في تأسيسها الأمير خالد في إطار توحيد القوى في سبيل الدفاع عن الحقوق السياسية والاقتصادية لمسلمي شمال إفريقيا. وهي أول جريدة عربية تصدر في الجزائر بروح وطنية خالصة؛ برفضها للتجنس، ومطالبتها بتمثيل الأهالي الجزائريين بالبرلمان الفرنسي، ومقاومتها للنزعة العنصرية للمعمرين، وتنديدها بالعائلات البرجوازية الجزائرية المتفرنسة المحتمية بالإدارة الفرنسية. ينظر: الصحف العربية الجزائرية (من 1847 إلى 1939): ناصر، محمد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 1980، ص 48. وأبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 1998م، 251/5.

⁴. سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، 117/3.

تكن واضحة خلال العقود السابقة، وتشكلت هيئات وأحزاب جديدة؛¹ فإن الجزائر لم تعرف الأحزاب السياسية على الحقيقة إلا على هذا العهد؛ أي في الثلاثينات، أما ما عرف من هيئات وجمعيات وحركات فقد كان يغلب عليها الطابع الاجتماعي والثقافي.² ومن أبرز تلك القوى:

أ- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: لقد كان مجرد تأسيس جمعية العلماء سنة 1931م بمثابة سطعة الأمل بعد ظلام اليأس، فقد تقبل الرأي العام تأسيس الجمعية بغبطة، واستبشر بها الوطنيون لأنها ولدت بعد الاحتفال المؤي بالاحتلال.³ ومن ثم، اعتبرت أكبر علامة للتحدي وردّ الفعل لكل محاولات الغزو الفكري، التي كانت الحكومة الاستعمارية تمارسها في الجزائر، وتلتقي هذه الجمعية في أهدافها البعيدة مع الأحزاب السياسية الجزائرية من الناحية السياسية؛ فهي تلتقي مع حزب النجم الإفريقي وحزب الشعب في الدعوة إلى تحرير الجزائر من نطاق الحضارة العربية الإسلامية.⁴ وإن كانت كما يرى بعض المفكرين أكثر جرأة من حركة حزب النجم مثلاً، فقد بدأت المواقف السياسية للجمعية مبكراً، حيث قام قادة الجمعية سنة 1932م بحركة نشيطة تدعو إلى مقاطعة البضائع اليهودية، ومحاربة فكرة إعطاء الجنسية الجماعية للجزائريين، كما جاء في عدد جويلية من سنة 1935م من جريدة الشهاب.⁵

ويرى الدكتور سعد الله أن معظم الكتاب رغم أنهم متفقون على أن العلماء كانوا بعيدين عن السياسة، فإنهم متفقون أيضاً على أن هدف العلماء البعيد كان سياسياً

1. المرجع السابق، 37/3.

2. سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، 117/3. وينظر، بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر، مرجع سابق، ص 230.

3. سعد الله، الحركة الوطنية، مرجع سابق، 84/3.

4. مقران، الحركة الدينية والإصلاحية، مرجع سابق، ص 31.

5. بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر، مرجع سابق، ص 251-252.

سواء أرادوا ذلك صراحة أو لم يريدوه. وقد خضع العلماء خلال الثلاثينات والأربعينات إلى نفس المعاملة التي خضع لها السياسيون من جانب الإدارة الفرنسية التي اعتبرتهم خطراً على الوجود الفرنسي كما اعتبرت أولئك، وزجت بزعمائهم في السجون ووجهت إليهم مختلف الاتهامات، وحكمت عليهم أحكاماً قاسية، وكانت مشاركة العلماء في المؤتمر الإسلامي الجزائري سنة 1936م، قد جلبت عليهم نقد الخصوم والإدارة معاً، بدعوى أنهم قد "انحرفوا عن هدفهم الديني"؛ كأن الدين عند هؤلاء هو العبادات فقط.¹

ب- حزب الشعب: ولد في 11 مارس سنة 1937م، وكانت أهدافه لا تختلف في جوهرها عن أهداف النجم بعيدة المدى: إنشاء حكومة وطنية، وبرلمان، واحترام الأمة الجزائرية، واحترام العربية والإسلام.² وأنشأ الحزب أول جريدة له بالعربية في الجزائر بعنوان "الشعب"، يديرها مصالي وترأس تحريرها مفدي زكريا ثم محمد قناش. ولم تكد الحرب العالمية الثانية تقوم سنة 1939م، حتى تعرض الحزب للحل، وقادته للسجن، وصحفه للمنع.³ بعد خروجه من السجن، أعاد مصالي الحاج بعث الحزب مجدداً تحت اسم "حركة انتصار الحريات الديمقراطية" التي اكتسبت قوة شعبية وإن لم تمنعها من التصدع، وهو تصدع ضرب الحزب بسبب استمرار الخلاف بين رئيس الحزب مصالي وبين اللجنة المركزية التي اتهمته بالحكم الفردي وعدم احترامه لقوانين الحزب الذي أسسه بنفسه.⁴ وإذا كان العلماء المصلحون هم الذين أعدوا الجزائر للانفجار على أعدائها، فإن حزب الشعب الجزائري هو الذي عمل على توعية الشعب وتوحيده حول أهداف وطنية معينة،

1. سعد الله، الحركة الوطنية، مرجع سابق، 87/3.

2. المرجع السابق، 144/3.

3. المرجع نفسه، 147/3.

4. عبد الله شريط و محمد الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، مكتبة البعث، الجزائر، ط1، 1965م، ص 227.

ساعدت فيما بعد على تكوين روح المقاومة الوطنية والمطالبة بحقوق الجزائريين المشروعة¹. فقد قام بدور كبير في كشف السياسة الاستعمارية التي تهدف إلى إدماج الشعب الجزائري في المجتمع الفرنسي؛ وبهذا يعتبر الأول في طرح موضوع استقلال الجزائر.

ج- حركة أحباب البيان والحرية: وتقوم سياسة هذه الحركة على نظرية المطالبة بالإصلاحات في الإطار الفرنسي، واستعمال هذه المطالب كأداة لتحقيق غيرها.²

د- ويمكن أن يضاف إلى هذه الحركات الوطنية حركة الحزب الشيوعي الجزائري، الذي كان العامل الأساسي في ضعف مذهبه هو مطالبته بالإدماج من ناحية، وحرصه على جمع أنصاره من بين الفرنسيين والجزائريين معاً، وهذا ما كان صعب التحقيق.³

2. تطور الحركة الوطنية (1939-1945م): تتميز هذه المرحلة بتطور النشاط السياسي للأحزاب والحركة الوطنية، تمهيداً لثورة أول نوفمبر المباركة، وقد لعبت دوراً هاماً في طرح القضية الجزائرية، وإبراز حقوقها على المستوى الوطني والدولي. كما تعتبر المرحلة بمثابة بعث وطني عام، ويقظة قومية شاملة؛ ففيها تكونت معظم الحركات الوطنية، واتسعت شعلة النضال السياسي بتوحيد الصف في بداية الأمر، وواصلت الحركات والأحزاب السياسية نشاطها، ووقعت حوادث كثيرة جعلت هذه الفترة تتميز عن سابقتها بمعطيات جديدة إثر اندلاع الحرب العالمية الثانية، وما ترتب عنها من حوادث ونشاط سياسي.⁴

وكان من النتائج الخطيرة التي آلت إليها الحركة السياسية في الجزائر بعد اندلاع

1. دبوز، محمد علي، نهضة الجزائر، 103/2 بواسطة: يسلي، الحركة الدينية والإصلاحية، مرجع سابق، ص 32.

2. الجزائر في مرآة التاريخ، مرجع سابق، ص 227.

3. الجزائر في مرآة التاريخ، مرجع سابق، ص 227.

4. يسلي، الحركات الدينية والإصلاحية، مرجع سابق، ص 36.

الحرب العالمية الثانية، توقف نشاط الحركة الوطنية، ومما يدل على ذلك أن زعماء حزب الشعب الجديد كانوا في السجون، وصدر قرار بحل حزبهم على غرار الحزب الشيوعي.¹

3. من النضال السياسي إلى المواجهة العسكرية (1945-1954م): مع استمرار الخلافات الدفينة التي ضربت "حركة انتصار الحريات الديمقراطية" والتي لم يعلم بها سوى الأقلية من المناضلين، حتى أعلن عنها رسمياً في شهر جويلية سنة 1954م، وبعد هذا الحدث الهام بنحو ثلاثة أشهر، اندلعت الثورة التحريرية في أول نوفمبر، وكان من أسباب التعجيل باندلاعها هو اقتناع الطليعة الثورية بأن الثورة هي السبيل الوحيد للحرية، وأنها أيضاً هي السبيل للوحدة الوطنية، وإقامتها على أسس ثورية نضالية تتجاوز الأشخاص، وتدخل بتاريخ الجزائر في أهم منعرج من تاريخها الحديث.²

ثانياً- المشروع القبائلي:

تكمن أهمية منطقة القبائل، ومدى جدوى دراستها، في الكشف عن المخطط الاستعماري في الجزائر، في جملة من "الخصوصيات" الوهمية التي اصطنعها الاستعمار، فقد استحدث المستشرقون الاستعماريون في نهاية القرن التاسع عشر "أساطير قبائلية"، نزوعاً إلى "تبشير" المنطقة. وأرسلت بعثات للتفرقة بين الأهالي أنفسهم. كما أسست الإدارة بمعوية الجيش في نفس الفترة مدارس فرنسية عديدة، وقد ولجها كثير من القبائل كي يصبحوا معلمين.³ وارتكزت الإدارة الاستعمارية على تلك "الأساطير" لشرعنة تواجدها بالمنطقة وتطبيق سياساتها الاستعمارية بها؛ وهي ما

¹. المرجع السابق، ص 37.

². الجزائر في مرآة التاريخ، مرجع سابق، ص 228.

³. *Les Kabyles dans la guerre d'Algérie*, entretien avec Benjamin Stora, les collections de l'histoire, N° 78, janvier-mars 2018, p. 73.

كانت تعرف بـ "سياسة الأعراق" و "الأسطورة القبائلية"، ومن تلك الخصوصيات:

1. العامل الجغرافي: منطقة القبائل إقليم جغرافي محدود، يقع بين سلسلة من الجبال، ولقد تسبب هذا الموقع فعلاً في عزل المنطقة عن المحيط الخارجي للمكون الوطني الجزائري.

2. العامل التاريخي: أصالة الامتداد التاريخي لسكان منطقة القبائل -من وجهة نظر البحوث الإثنوغرافية- يقتضي وجوب التفرد عن الشعوب الغازية من عرب وأتراك، وضرورة الانكفاء إلى البحث عن معزلات الانتماء إلى شعوب البحر الأبيض المتوسط أياً كان أصلها رومانياً أم جرمانياً أم فينيقياً أم غيره.

3. العامل اللغوي: اختلاف اللغة أو اللهجة المحلية "الأمازيغية" عن باقي اللهجات المحلية التي كانت تؤدي عموماً باللغة العربية. شكل هذا العامل والذي يليه أهم المرتكزات الثقافية التي اعتمدت لتجسيد المخطط الاستعماري بمنطقة القبائل. ولقد حظي هذان العاملان باهتمام بالغ، تُرجم إلى دراسات وبحوث علمية وميدانية مستفيضة ألّبت في كثير من الأحيان لباس البحث الاستشراقي المحايد.

4. العامل الديني: وفيه تم استدعاء الموقف القديم من الفتح الإسلامي؛ فتستجج الأبحاث الفرنسية المغرضة أن إسلام البربر سطحي وفاتر لأنه فرض عليهم بقوة السيف، وهم يبدون استعداداً للرجوع إلى دين الأجداد "المسيحية"، وساعد على ذلك إيمانهم بتفوق الحضارة الأوربية ممثلة في فرنسا، حتى إن القراء ليس دستوراً معتبراً عندهم ولا قانوناً حاكماً عليهم، فهم يحتكمون إلى العرف ويستلهمون منه في وضع قوانينهم.¹

5. العامل الاجتماعي: استقلالية العادات والتقاليد المحلية المبنية على الشريعة

¹. ينظر: سعيد مزيان، السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل وموقف السكان منها، رسالة دكتوراه في التاريخ، غير منشورة، جامعة الجزائر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، الجزائر، 2008-2009م، ص 151.

والعرف ونظام "ثامعاث".

ومهما كان الأمر، فإن تلك العوامل أو "الخصوصيات" وإن كانت وهمية ومصطنعة، فقد ارتكزت عليها الإدارة الفرنسية في تجسيد مخططاتها الاستعماري، الذي بدا عالي الدقة وعميق الأبعاد.

وبالرغم من كل تلك الجهود التي بذلتها الإدارة الفرنسية لتحقيق الغايات المذكورة فإن النتائج المحققة كانت هزيلة؛ إذ أظهر السكان استماتة قوية في مواجهة المشاريع الفرنسية، فتمسكوا بعاداتهم وتقاليدهم ودينهم ورفضوا كل الإغراءات.¹

المطلب الثاني- الوضع الاقتصادي والاجتماعي

في هذه المرحلة (1918-1954م) كان الوضع الاقتصادي للمجتمع الجزائري متدهوراً بشكل وصفت معه الجزائر بأنها "مملكة البؤس"، ومرد ذلك الاختلال إلى استحواذ الاستعمار الفرنسي على معظم مصادر الثروة القومية في شتى الميادين. إن تلك المأساة تعود بالأساس إلى انتزاع الأراضي الزراعية من سكان الريف ومصادرتها بطريقة عدوانية ومنحها للمستوطنين وهم الأوروبيون الوافدون على الجزائر، ولم يقتصر الأمر على الأراضي الزراعية فحسب بل لقد تعداه إلى مصادرة الأملاك العقارية أيضاً؛ إذ تم إخراجها من أيدي الجزائريين بطرق مختلفة كالمصادرة والهدم. وكان الهدف من وراء جميع ذلك هو تدمير الكيان الاقتصادي للجزائري، حتى لا يسهم في النهوض بالكيان السياسي الذي سبق القضاء عليه باحتلال سنة 1830م.²

وقد ترتب على خروج الملكية الزراعية من أيدي الجزائريين جملة مظاهر اجتماعية

¹. ينظر: محمد سعيد لعربي، عازقة عبر التاريخ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د. ط، 2017م، ص 223.

². ينظر: رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية (1931-1956)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د. ط، 1975م، ص 82-83، 86.

سيئة الآثار وشديدة الوطأة على المجتمع الجزائري؛ من ذلك الفقر والبطالة، وانتشار الاضطرابات الأمنية، وانعدام الحقوق والحريات، وتنامي موجات الهجرة، واتساع نطاق الطبقة، الخ. ويمكن التعرض لتلك المظاهر بشيء من البيان الموجز على النحو التالي:

أولاً- الفقر والبطالة: فقد بلغت نسبة العاطلين عن العمل من الجزائريين قبل اندلاع الثورة عام 1954م 91٪، وإلى جانب هذا العدد كان هناك 90٪ يعملون بصورة متقطعة¹؛ إذ كان الجزائريون مجبرين على العمل بأجور زهيدة تقرب من السُّخرة وتثير الاشمئزاز والسخرية، ولم يكن آنذاك ما يحمي العامل من غائلة العجز والمرض والشيخوخة، فلا تأمينات اجتماعيات أو صحية ولا مستودعات للطعام ولا مساكن للعمال، ما يمثل صورة حية لانعدام "الخدمات العامة". وغاية ما هنالك مساكن متهاككة، وقليل من الخبز والتين وعشر ساعات من العمل كل يوم.² وقد لخص ذلك المفكر الفرنسي الشهير سارتر بقوله: إن غالبية الجزائريين يعيشون عيشة ضنكاً، وفي فقر مدقع³.

لقد خلقت الأزمة الفلاحية بؤساً مروعا بين الأهالي، وظهرت المجاعة في عدة دواوير، ورغم ذلك كان تقرير الحكومة سنة 1920م متفائلاً: "إن الجزائر لم تعان قط نقصاً في المواد الغذائية الضرورية للسكان". ولقد أمعنت الإدارة الاستعمارية - علاوة على نفي التقرير ظهور المجاعة- في تجاهل الوضع المزري للأهالي بنصح "الذين أنهكتهم الفاقة باستئناف العمل وبالتخلي عن عادات الخمول والكسل التي كرسها فيهم زيادة الأجور والمنح العائلية والأسعار المرتفعة التي بلغت محاصيل الأرض خلال الحرب"⁴.

¹. المرجع السابق، ص 85.

². ينظر: جون بول سارتر، عارنا في الجزائر، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، د.ط، د.ت، ص 16.

³. سارتر، عارنا في الجزائر، مرجع سابق، ص 04.

⁴. محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1939م، ترجمة: احمد بن البار، دار الأمة، الجزائر، ط1، 2008م، 25/1.

ثانياً- غياب الأمن: ولم يقف الأمر عند هذا الحد، إذ تعداه إلى التسبب في انتشار الفوضى والاضطرابات الأمنية، وهي نتيجة حتمية توقعها بعض الشهود الفرنسيين من "غير المنحازين"؛ فقد كتب النائب الفرنسي فيني دوكتون: "إن المجاعة التي توقعتها قبل بضعة أشهر.. ها هي تعيث في البلاد. لقد فاقت بشاعتها كل ما كنت قد صرحت به، فغياب الأمن مسيطر حقيقة، فلنتظر اعتداءات لا عد لها ولا حصر".¹

ثالثاً- انعدام الحقوق والحريات: وأما فيما يتعلق بالحريات العامة أيضاً، فإن سياسية الإدارة الفرنسية كانت هي نفسها من حيث التصييق والتقييد، وكانت تلك السياسة على حد سواء في كل من حق التجمع والعبادة والتنقل والتعليم، ويمكن أن نجتزئ هنا بالإشارة إلى نوعين من تلك الحقوق وهما حق التجمع وحق التعليم. ففي حق التجمع مثلاً، كان إقامة الزردة أو الاجتماع بمناسبة الحج يفتقر في كل مرة إلى طلب تصريح، وفي حالة المخالفة كانت تسلط أقصى العقوبات.²

وبالنسبة لحق التعليم، فإن تلك الحرية الممنوحة للمواطنين الفرنسيين ولا سيما للجمعيات الدينية المسيحية لم تكن متوافرة للمسلمين؛ لأن الإدارة الفرنسية كانت تبحث عن هدف مزدوج وهو محاربة مدارس اللغة العربية التي هي وعاء الإسلام والوطنية، ومنعها من منافسة المدارس الفرنسية، مما تسبب في تدهور التعليم التقليدي الذي كانت التقارير والشهادات تشير إلى أهميته البالغة، وكان من بين الأسباب المؤثرة في ذلك التدهور: مصادرة أملاك الحبوس، والحرب، وهجرة المعلمين، والرخصة الإدارية الإجبارية لكل عملية فتح مدرسة.³

رابعاً- الهجرة: لقد فرض ذلك الوضع الاقتصادي البائس على سكان الأرياف

¹. قداش، تاريخ الحركة الوطنية، مرجع سابق، 27/1.

². ينظر: المرجع نفسه، 37/1.

³. المرجع نفسه، 40-39/1.

مغادرة قراهم في موجات من الهجرة إما إلى المدن الكبرى بحثاً عن العمل تحت ظروف قاسية تنعدم فيها أدنى مواصفات العيش الكريم، وإما الهجرة إلى خارج الوطن -إلى فرنسا غالباً- للعمل في المناجم وغيرها من الأعمال المرهقة¹. لقد اضطرت للهجرة أعداد كبيرة من الشباب الذين لا تتجاوز أعمارهم سن الثلاثين (بلغ تعدادهم حتى سنة 1951م نصف مليون مهاجر) بعد أن أرغم أهاليهم على دفع ضرائب وهمية أو بيع أثاث منازلهم في سوق المزايمة!²

ومن المؤكد أن أبلغ من يؤسف لهجرته هم العلماء والمصلحون و"المثقفون" الذين تظماً لغيابهم العقول وتجذب لرحيلهم القلوب، ولقد شهدت الساحة الثقافية في الجزائر بعامة ارتحال عدد معتبر من العلماء وفي طليعتهم رواد الإصلاح، أما في منطقة زواوة "القبائل" فقد ابتليت هي الأخرى -على غرار باقي مناطق الوطن- بتلك المحنة الأليمة؛ وإن اختلفت دوافع علمائها؛ بين راغب في الاستزادة من العلم كالعلامة الشرفاوي الرفاعي والعلامة المولود الحافظي³ الأزهريين، وبين راغب في تحسين موقعه الاجتماعي⁴ كالشيخ محمد السعيد بن زكري الجنادي⁵ والشيخ أبي يعلى

1. ينظر: التعليم القومي والشخصية الوطنية، مرجع سابق، ص 86.

2. أحمد بن عمر، "الحالة الاقتصادية في الجزائر"، المنار، العدد 04، 21 ماي 1951م، ص 04.

3. المولود الحافظي (1880-1948م): كاتب صحفي، من الفقهاء، تعلم بقريته "بوقاعة" بسطيف، ثم انتقل إلى الأزهر، بدأ نشاطه الصحفي سنة 1925م، كان من الأعضاء المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين، ثم انسحب منها وأسس "جمعية علماء السنة" سنة 1932م، عرف ببراعته في علم الفلك، ترك مقالات كثيرة في العلم والاجتماع. ينظر: نويهض، معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 118.

4. كان الشيخ أبو يعلى الزواوي (ت: 1952م) قد استعان بصديقه الشيخ السعيد بن زكري للحصول على وظيفة فحصل بمساعدة صديقه على وظيفة رسمية تتمثل في كاتب لدى القنصلية الفرنسية بدمشق، وكانت إدارة الاحتلال قد أضافت إلى مهام الموظف الجديد مهمة متابعة أوضاع الجالية الجزائرية هناك، غير أن الشيخ أبا يعلى = كان قد انثنى عن المهمة بفضل احتكاكه برواد الإصلاح الاجتماعي والسياسي في بلاد الشام والجالية الجزائرية فيها، مما جعله يميل كل الميل إلى القضية الوطنية الجزائرية، ويخدم الإصلاح بالجزائر فور عودته إليها. انظر: الأفكار الإصلاحية في كتابات الشيخ أبي يعلى الزواوي، محمد أرزقي فراد، دار الأمة، الجزائر، ص 42.

5. محمد السعيد بن زكري (1851-1914م): درس بزواوية الشيخ عبد الرحمن اليلوي، وتولى الإمامة بمسجد

الزواوي¹، وبين من دفعه الاضطهاد² والتضييق على دعوته وجهاده كمتربجنا الأستاذ محمد الصالح الصديق الزيتوني والشيخ باعزيز بن عمر³، وغيرهم.

ولا شك⁴ أن ذلك قد أثر سلباً على الفكر الإصلاحية، الذي كان في حاجة إلى تضافر جهود هؤلاء لمحاربة الجمود والتحجر، وتمهيد الطريق للحركة الإصلاحية التي كانت تبحث لها عن موقع في أعماق المجتمع. ورغم بقاء بعض العلماء في موطنهم؛ كمن اعتمدت عليهم الحركة الإصلاحية في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أمثال الشيخ السعيد اليجري⁵ ناحية عزازقة، وعودة البعض

"سيدي رمضان" بالعاصمة، كما درّس بالمدرسة الثعلبية، وتولى منصب مفتي المالكية سنة 1908 م، اشتهر بكتابه "أوضح الدلائل في وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل" الذي طبع بمطبعة فونتانا سنة 1903 م. ينظر: عويمر، مولود، رجل الإصلاح الشيخ محمد السعيد بن زكري، موقع: الإذاعة الجزائرية، تاريخ الزيارة: 2023/08/28م، على الساعة: 14.00. الرابط: <http://my.radioalgerie.dz/ar/node/1032>

1. الزواوي أبو يعلى (1866-1952م): محمد السعيد، كاتب وصحفي إسلامي، خطيب، له اشتغال بالفقه والتاريخ، من أبرز أعضاء جمعية العلماء الجزائرية، ولي الإمامة في جامع "سيدي رمضان"، ترك عدة مؤلفات. ينظر: نويض، معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 164.

2. كانت رحلته الأولى طوعية إلى تونس للدراسة بجامع الزيتونة، غير أنه ابتلى بالهجرة إلى تونس مجدداً وذلك سنة 1956م، استجابة لأمر قادة ثورة التحرير، ومع أن الزاوية والمتنسين إليها وسكان القرية افتقدوا الخدمات العلمية والتربوية للأستاذ إلا أنه أفاد من جهة أخرى الثورة المجيدة.

3. باعزيز بن عمر (1906-1977م): هو عبد العزيز بعزي، انتقل إلى زاوية الشيخ اليلوي، ثم إلى قسنطينة حيث لازم ابن باديس حتى وفاته، وكان أحد المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين والناشطين فيها، كما اشتهر بالكتابة في صحف الجمعية تحت اسم "الفتى الزواوي". ترك بعض المؤلفات وكثيراً من المقالات (تقدر بـ 500 مقالة). ينظر ترجمته في: الصديق، محمد الصالح، أعلام من المغرب العربي (الأعمال الكاملة، المجلد 30)، دار هومة، الجزائر، د. ط، 2014م، ص 576-578.

4. فراد، الأفكار الإصلاحية في كتابات الشيخ أبي يعلى الزواوي، مرجع سابق، ص 27.

5. السعيد اليجري (1873-1951م): هو سعيد علي (وهو لقبه العائلي) اليجري نسبة إلى عرش بني يجر، التحق بالزاوية اليلوية طالباً. قضى في مهنة التدريس نحواً من ثلاث وخمسين (53) سنة، جال خلالها في حوالي اثنتي عشرة زاوية. وكان من المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ثم انسحب منها لينضم إلى جمعية علماء السنة التي أسسها شيخه الحافظي. كانت له مراسلات مع طائفة من العلماء. كتب في جريدة "النجاح" التي كانت تصدر بقسنطينة. ترجمه الأستاذ في: أعلام من المغرب العربي، مرجع سابق، ص 323-332.

الآخر من المشرق كالشيخ الشرفاوي الأنف الذكر، فإن حجم التخلف والجمود كان أكبر من أن تقضي عليه جهود هؤلاء الأفراد القلائل.

خامساً- الطبقة: تسبب الوضع الاقتصادي المزري كذلك في تكريس طبقة حادة بين مجموعتين؛ الأولى هي الجالية الأوربية الوافدة على الجزائر، التي كانت تتسم بالانغلاق على نفسها والتعصب والعنصرية ضد الجزائريين. أما المجموعة الثانية فكانت تمثل الشعب الجزائري الذي يحتل المركز الأدنى من السلم الاجتماعي، ويعيش على هامش الحياة؛ باعتباره مجموعة خاضعة للاحتلال من جهة، ومكروهة من الجالية الأوربية من جهة أخرى. وقد لخصت المنظمات الدولية الوضع الاقتصادي والاجتماعي للجزائريين آنذاك بقولها إن "مستوى المعيشة في الجزائر بالنسبة للجزائريين يعتبر أحط مستوى في العالم كله".¹

المطلب الثالث- الوضع الديني والثقافي

لم يكن الوضع الثقافي في الجزائر إبان هذه الفترة (1918-1954م) بأسعد حظاً من بقية الأوضاع السالفة الذكر (السياسية والاقتصادية والاجتماعية). بل لقد تبين منذ الوهلة الأولى أن الاستعمار الفرنسي يكاد أن يكون ثقافياً بالأساس، وأن الوجه السياسي والعسكري له لم يكن سوى وسيلة لتثبيت الثقافة الفرنسية الدخيلة لغاً وفكراً محل الثقافة الجزائرية الأصيلة بأبعادها المغاربية والعربية والإسلامية. وحتى نقف على صورة إجمالية لتلك الفترة يحسن بنا هنا أن نعرض للحالة الثقافية في الجزائر قبل الاحتلال وأثناءه:

أولاً- الوضع الثقافي قبل الاحتلال: لم تكن الأمية هي السمة الغالبة على الجزائريين قبل الاحتلال (1830م)، بل كان الوضع الثقافي والتعليمي يشهد في هذه الفترة ازدهاراً ملحوظاً كالذي كان في العالم الإسلامي. وعرفت الجزائر على

¹. ينظر: رابع، التعليم القومي والشخصية الوطنية، مرجع سابق، ص 89.

ذلك العهد مراكز ثقافية في عدة مدن كانت بمثابة المنارات الهادية؛ كالجزائر وبجاية وتيزي وزو ووهران وقسنطينة ومازونة وعنابة وتلمسان. وقد توافرت تلك المدن على مراكز ثقافية وتعليمية مختلفة كالمدارس والمعاهد والمساجد. والجدير بالذكر أن تلك المؤسسات لم تكن تحظى بأي نفقات ولا ميزانيات مخصصة من قبل الدولة بل كان الأمر يعود إلى الأوقاف.

ومما يدل على الوضعية الحسنة للثقافة في الجزائر آنذاك انتشار المؤسسات الثقافية وارتفاع مستوى التعليم بحيث لم يختلف عما كان عليه في المدارس الفرنسية وذلك باعتراف دوماس¹ وذكر غيره أن سكان الجزائر قد يكونون أكثر ثقافة من سكان فرنسا، كما ذكر آخر أن نسبة الأمية في الجزائر كانت في عام 1830م أقل منها في فرنسا.²

ثانياً- الوضع الثقافي أثناء الاحتلال: أيقنت الإدارة الاستعمارية أن سياسة "التفكير" التي اعتمدها لم تبد كافية إلى حد ما في إذلال الجزائريين، فأضافت إليها بالموازاة سياسة "التجهيل" و"التنصير"، ليقينها بأن العلم والثقافة أعظم الوسائل لمقاومة الاحتلال. لقد مورس تضييق كبير على التعليم العربي الذي لم يعد يحتفظ به سوى بعض المساجد والزوايا وفي نطاق محدود يتمثل في تعليم القرآن وشيء من مبادئ اللغة العربية تعليماً تقليدياً ورغم ذلك كانت الحكومة الفرنسية تتوجس خوفاً منه. وبالحدوث عن النمط العصري للتعليم، نجد أن أول مدرسة عصرية في القطر الجزائري كانت قد تأسست بمدينة تبسة سنة 1913م، غير أن الاستعمار الفرنسي لم يلبث أن قاوم مؤسسيها وأغلق

¹. تورين، إيفون، المجاهبات الثقافية في الجزائر المستعمرة من 1830-1880، تقديم: الشيخ بوعمران، السنة الأولى، العدد: 06، جانفي 1972 م، ص 117. حصرت إيفون تورين الصراع القائم بين الاستعمار والأهالي، وفي ثلاثة ميادين فقط: المدرسة والطب والدين، وأهملت الجيش والإدارة. مع العلم أن هذين الميدانين هما الرمز الواقعي والحقيقي للاستعمار. وينظر: سياتي، محفوظ، الأمة الجزائرية نشأتها وتطورها، ترجمة: محمد الصغير بناني وعبد العزيز بوشعيب، منشورات دحلح، د. ط، د.ت، ص 201.

². الإبراهيمي، أحمد طالب، من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية، ترجمة: د. حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د. ط، د.ت، ص 73.

أبوابها وعدّ ذلك اعتداء صريحاً على نفوذه¹.

وبعد الحرب العالمية الأولى، لوحظ في الجزائر نهضة ثقافية كان الأمير خالد رائدها، وأنشئت صحف ومجلات، ونشرت دواوين شعرية ومحاولات أدبية، وبرزت أسماء لامعة كالطيب العقبي والسعيد الزاهري وأبي اليقظان ومحمد العيد ومفدي زكريا، الخ. وبدأت النهضة تنتظم وأنشئت المطابع، ورأت النور مدارس ومعاهد ونوادٍ مؤلها الوجهاء ودعمتها الجماهير الشعبية². ولكنها ظلت على كل حال ثقافة نخبوية حتى هذه اللحظة.

غير أن الخبث الاستعماري نزع في بعض مراحل - عملاً بسياسة التجهيل - إلى تجريد الجزائريين من كل ثقافة ولغة ولو كانت ثقافة المستعمر ولغته؛ ثم إن نشر الثقافة الفرنسية لم يتم إلا نادراً، لأنهم كانوا يظنون أن هذه الثقافة الفرنسية كانت تمثل خطراً على الاستعمار. لقد مارسوا في الحقيقة سياسة التضييل كانوا يجبرون الجزائريين على ترك ثقافتهم، وفي نفس الوقت يمنعونهم من الوصول إلى ثقافة القوة الاستعمارية، كما هو الشأن بالنسبة للأوروبيين³. فقد كان المسؤولون الفرنسيون يعلمون أن الجزائري قد يطوّع تلك اللغة لصالحه وكان المعمّرون يرون بأن "العربي من جنس بشري منحط لا يقبل الثقافة والتعلم"⁴؛ وقد عبّر عن تلك النظرة سارتر قائلاً: "ولكننا على كل حال، أردنا أن نجعل من "إخواننا المسلمين" شعباً من الأميين. ويبلغ عدد الجزائريين الأميين اليوم 80 في المائة، وقد يهون الأمر لو أننا لم نحرم عليهم إلا استعمال لغتنا، ولكن الواقع أن من متطلبات النظام الاستعماري محاولة سد طريق التاريخ على المستعمرين"⁵.

1. ينظر: الإبراهيمي، من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية، المرجع السابق، ص 75.

2. ينظر: قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، 1/284.

3. مهساس، أحمد، الحقائق الاستعمارية والمقاومة، دار المعرفة، الجزائر، د.ط، 2007م، ص 26-27.

4. الجزائر في مرآة التاريخ، مرجع سابق، ص 219.

5. سارتر، جون بول عارنا في الجزائر، مرجع سابق، ص 18.

وإجمالاً وبعبارة موجزة؛ فقد كان غزواً ثقافياً بكل أبعاده ومظاهره ووسائله، ويمكن توصيف ذلك الغزو الثقافي في الجزائر في الفترة محل الدراسة (1918-1954) فيما يلي:

1. **التنصير:** بعد أن تمكن الاستعمار الفرنسي من احتلال الجزائر عسكرياً، سعى إلى تفكيك المجتمع بطرق شتى؛ منها زرع سياسة "فرق تسد"، مع تركيز جهوده على بلاد الزواوة ذات اللسان الأمازيغي، وزعم الفرنسيون ذوو التأثير على اختلاف مواقعهم، ممن آمن بمشروع "الشعب القبائلي"¹ أن سكان زواوة يشكلون شعباً بربرياً متميزاً، يختلف عن الشعب العربي كل الاختلاف، بل إن بينهما عداوة مستحكمة كما قال دوماس (*Daumas*)، بل إنهم ادّعوا زوراً أن إسلام القبائل سطحي وفاتر، يخفي العقيدة المسيحية المتجذرة في دواخل مجتمعه، وأنهم من أصول أوروبية جرمانية،² فهم لذلك أقرب إلى الحضارة الفرنسية. ومنه، فقد نصحت مبكراً وسريعاً فكرة تنصير سكان القبائل على يد الأسقف لافيغري (*Lavigerie*)، بمعية إيميل ماسكراي (*Masqueray*) وذلك من خلال:

- استغلال الكوارث الطبيعية، وما ينجر عنها من جفاف ومجاعة وانتشار أوبئة لتقديم المساعدات الخدمائية والغذائية والطبية من قبل "الآباء البيض"³.

1. **الأسطورة القبائلية:** (*Le Mythe Kabyle*) مشروع أطلقه غلاة الاستعمار من ضباط وسياسيين وإداريين، أمثال دوماس وساباتيني وتوكفيل والجنرال ديفي والدكتور ورنبي والجنرال هانوتو والكاردينال لافيغري وبوميل ورينو، ويتمثل المشروع في السعي لاستغلال خصوصيات منطقة القبائل (زواوة) ذات الأصل الأمازيغي، لترسيخ تمايزها ولتيسير عملية إدماجها في الحضارة الفرنسية. ينظر: فراد، محمد أرزقي، شارل روبر أجرون مؤرخ تحدى الإيديولوجية الاستعمارية (الحلقة الثانية)، موقع الشروق اليومي، تاريخ التصفح: 2023/07/31م، على الساعة 10:58. الرابط: <https://echoroukonline.com>

2. ينظر: أجرون، شارل روبر، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة: عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت-باريس، ط1، 1982م، ص 108.

3. **الآباء البيض** (*Les Pères Blancs*): ويعرفون لدى العامة بـ "البباصة"، وهم فرقة من رجال الدين المسيحيين وقفوا حياتهم على تنصير المسلمين، وقد أسس الفرقة الكاردينال لافيغري في النصف الثاني من القرن

- غلق الزوايا، وتعويضها بمدارس فرنسية بشكل مكثف.

- تعطيل العمل بالشريعة الإسلامية، وتشجيع العرف المحلي كتمهيد لتكريس

القوانين الفرنسية.¹

2. الاستيلاء على الأوقاف الإسلامية: باعتبارها الرافد الأهم للإنفاق على مراكز

التعليم والثقافة وتسيير الشؤون الاجتماعية.

3. العبث بالتراث الإسلامي: وتحلّي ذلك في مظهرين؛ أحدهما نهب التراث الثقافي

العربي والإسلامي الذي عثر عليه الاحتلال -منذ لحظاته الأولى- في المكتبات

الجزائرية في مختلف جهات القطر، ومن ذلك المخطوطات والكتب والوثائق المهمة

(عقود، شهادات، مراسلات، الخ). وممن سعوا في ذلك سعياً حثيثاً على اختلاف

أغراضهم فهاجرت الكتب في حقائبهم إلى فرنسا ضباط جيش الاحتلال ورجال

الدين المسيحيون والمترجمون والمستشرقون واللصوص أيضاً، ولقد كان لبعضهم

تجارة رابحة في بيع تلك المنهوبات النفيسة، والتي كانت تؤول في الغالب إلى

المكتبات العمومية والمتاحف الأوروبية أو إلى المكتبات الخاصة، وكان ذلك يتم عن

طريق البيع أو التبادل أو يقدّم على شكل هدايا.²

أما المظهر الآخر الذي تجلّى فيه العبث بالتراث -وهو أسوأ من سابقه- فهو

الإحراق والإتلاف، وكانت الحرب التي تقع في الأرياف وما يتصل بتلك الحرب

من مدهامات كثيراً ما تطال الزوايا باعتبارها مظنة التوفر على كتب العلماء ومؤلفاتهم

19 م لذات الهدف، إلا أنها منيت بفشل ذريع. ينظر: فراد، محمد أرزقي، بلاد زواوة، من خلال نصوص الحركة الإصلاحية (1925-1956م)، دار الأمة، الجزائر، د.ط، 2016م، ص 156، 160 (هامش).

1. فراد، محمد أرزقي، إضاءات في تاريخ الجزائر، دار الأمة، الجزائر، د.ط، 2014م، ص 116-117.

2. ينظر: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، 330/5. عقد الدكتور سعد الله في كتابه المذكور

(325/5 وما بعدها) فصلاً ضافياً عنوان له بـ "المكتبات" وتحدث في الست عشرة صفحة الأولى منه القصة

الكاملة -بحسب اطلاعه- للآرث الثقافي للجزائريين ممثلاً في الحالة المادية والتاريخية للكتب والمخطوطات،

ومصيرها منذ البدايات الأولى للاحتلال.

التي كانت وقفا على الطلبة وأهل العلم، فتمتد إليها الأيدي بالسلب والنهب والإتلاف، وقد كان جنود الاحتلال يعتقدون جهلاً بأن كل كتاب باللغة العربية يعتبر قرآناً، كما كان قادة الاحتلال كذلك يقومون بتلك الحملات تطهيراً لتلك الزوايا مما يُعتقد احتمال احتوائها على مراسلات الثوار والمجاهدين، وذلك إما بدافع الشك أو عن طريق الوشاية.¹

كما طال الحرق أيضاً مكتبات الكثير من الطلبة؛ فقد ذكر الشيخ مكّي نعماني في بعض أوراقه التي كتبها عن شيخه الشرفاوي أن الاستعمار قد هدم منزله وأحرق مكتبته. وحدث مثل ذلك لمكتبات طلبة آخرين مثل أحمد قادري ومولود إيمون، وذكر الشيخ الطاهر آيت علجت أنه كان بحوزته رسالة الشرفاوي في موضوع "الريبية"، لكنها أتلقت ضمن ما أتلّف في مكتبته التي أحرقت أثناء الثورة.² ولقد مثل الأستاذ لهذه الظاهرة المؤسفة بحادثة إحراق الجنود الفرنسيين مكتبة خاله الشيخ الطاهر الإفليسي (ت: 1956م) إثر اغتياله، وكان ضمن تلك الكتب كتاب للأستاذ كان يعدّه للطبع؛ وهو الأجزاء الثلاثة المتبقية من "أدباء التحصيل" بعد أن وفق لطباعة الجزء الأول منه سنة 1951م.³ ونقل الأستاذ الذي أسهم في إثراء مكتبة الزاوية اليلولية في الفترة التي كان فيها مدرساً ومديراً عن "شاهد عيان أن النار قد ظلت أياماً وهي تلتهم المكتبة العامرة بالمعهد التي كانت تحتوي كنوزاً من العلم والمعرفة لا تعوض"⁴.

1. للتوسع في موضوع الجريمة الثقافية الفرنسية في الجزائر، وحال المخطوطات التي نجت من تلك الجريمة، ينظر: فراد، محمد أرزقي، إضاءات في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 59-75.

2. سعيد بورنان، الشيخ الرزقي الشرفاوي الأزهري حياته وجهاده الفكري (1877-1944م)، رسالة دكتوراه، قسم العلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، 2018-2019م، ص 12.

3. محمد الصالح الصديقي، الشهيد الشيخ محمد الطاهر حفيد الشيخ الشريف الإفليسي، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2017م، ص 125.

4. محمد الصالح الصديقي، الشيخ الرزقي الشرفاوي، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 1998م، ص 44.

4. مصادرة مراكز الثقافة العربية والإسلامية: إذ كان الاحتلال يدرك جيدا أنها مراكز إشعاع وتنوير، ومن تلك المراكز التي كانت قائمة قبل الاحتلال ثم طالها عبث الاحتلال الفرنسي المدارس والزوايا والمساجد وال النوادي؛ فقد حوّل بعضها إلى معاهد للثقافة والتعليم الفرنسيين، وبعضها إلى مراكز دينية مسيحية تبشيرية¹، بل إن بعضها حوّل -من باب الاستفزاز لمشاعر المسلمين- إلى إسطبلات ومخازن لعلف الدواب².

5. الفرنسة: وهي عملية "فرنسة" شاملة لكل مكونات الثقافة الجزائرية بإحلال الثقافة الفرنسية محلها؛ أي إن سياسة الفرنسة تلك لم تقتصر على مجال التعليم؛ من مناهج وكتب ولغة تدريس وإدارة تعليمية وتوجيه فحسب، بل إنها شملت مختلف مجالات الحياة الثقافية والاجتماعية والإدارية وغيرها³. وكان من أبرز السبل لتطبيق هذه الممارسة هو تشويه تاريخ الجزائر في ظل العروبة والإسلام والاستعاضة عن تدريسه في المرحلة الإسلامية بتدريسه في مرحلتي الحكم الروماني والاحتلال الفرنسي، ومنها عدم تدريس جغرافيا الجزائر لأبناء الجزائريين والاستعاضة عنها هي الأخرى بتدريس جغرافيا فرنسا⁴. غير أن أقوى تلك الوسائل على الإطلاق تمثل في محاربة اللغة العربية محاربة عنيفة، فالقضاء على اللغة العربية كان يقتضي نجاح سياسة "الفرنسة"، ولم يكن ثمة بُدٌّ من إنجاح هذه السياسة لتعزيز الوجود الفرنسي في الجزائر لمدة أطول، ولذا نوعت الإدارة الفرنسية في أساليب محاربة اللغة العربية وما يتصل بها من ثقافة فقامت بما يلي:

- إصدار قانون رسمي في عام 1938م تعتبر اللغة العربية بمقتضاه لغة أجنبية.

1. سعيد بوزرينة، و محمد موشموش، "المساجد أثناء الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر بين الهدم والطمس والتحويل"، مجلة الإنسان والمجال، المجلد 7، العدد 1، جوان 2021م، ص 132، 136، 138.

2. المرجع السابق، ص 118، 120.

3. التعليم القومي، مرجع سابق، ص 105.

4. التعليم القومي، مرجع سابق، ص 104-106.

- تقسيم اللغة العربية إلى ثلاث لغات: فصحي وعامية وحديثة، ومنع تدريسها في المدارس الابتدائية وجعلها اختيارية في التعليم الثانوي.

- اعتماد الفرنسية كلغة رسمية للإدارة، باستثناء محاكم الأحوال الشخصية.

6. **تشجيع البديل الفاسد:** لقد بذلت إدارة الاستعمار ألواناً شتى من الاستمالة والإغراء لأهل العلم والوجهاء الوطنيين، ورغم أن محاولاتها قد باءت بالفشل إلا أن مطلب "التدجين" ظل ضروريا بالنسبة إليها، ولذا استطاع الاستعمار منذ وقت مبكر "صناعة البديل" عن الأطراف التي لم تتقبل الاحتلال، وذلك لغرض تحقيق مشروع "الغزو الثقافي". وتمثل ذلك البديل في طائفتين؛ إحداهما من كانت تعرف بجماعة "النخبة"¹ الاندماجية؛ وهي فئة قليلة أتيح لهم التعلم في المدارس الفرنسية الخاصة بالأهالي، وكانت غالبا من أبناء الموظفين لدى الإدارة الفرنسية، وقد مسخت هذه الفئة مسخاً بعد أن عُسلت أدمغة أفرادها، وتجنس أكثرها بالجنسية الفرنسية، وتزوج بعضهم من فرنسيات، فانقطعوا عن المجتمع الجزائري. وكان أوائل هؤلاء قد أدخلوا في الجيش وفي فرق الترجمة وفي الإدارة، وكانوا نواة لمن بعدهم من الأجيال وأصبح لهم صوت في الحياة السياسية بعد أن ازداد عددهم، رغم بعض الأصوات التي شذت لاتصالها بالقضاء الإسلامي وارتباطها بالجماهير. والطائفة الثانية هي رجال الطرق المنحرفون عن جادة الدين والوطنية، وقد استغلت فرنسا تلبس هؤلاء بالتصوف "الزائف" فكانت تقدمهم -بغرض التنفير منهم ومن الثقافة الإسلامية- للنخب الفرنسية الشابة المثقفة على أنهم حملة الدين الإسلامي². ويعترف المؤرخ آجيريون أن الإسلام رغم كونه ديناً لا إكليروس (أي: رجال الدين) فيه، فإن فرنسا أنشأت ورعت طبقة دينية إسلامية مأجورة من الدولة، ومهمتها إقامة العبادة في المساجد،

¹. ينظر: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، 6/143.

². ولعل هذا ما يفسر كذلك توجه الدراسات الاستشراقية الفرنسية في مرحلة ما بعد الاحتلال نحو البحث في التراث الصوفي الجزائري أكثر من غيره من فروع البحث العلمية.

بحيث كان عليها مكافحة النشاط السري للجمعيات الدينية، ولكن راح هؤلاء يفقدون تدريجياً كل هويتهم.¹ وعلى كل حال، فقد استفاد أولئك الشيوخ المنحرفون، في المقابل، من توثيق صلات شخصية في الإدارة الفرنسية مكّنتهم من توسيع نفوذهم على البسطاء وابتزاز أموالهم باسم الدين.

7. التضييق على الصحافة: لعبت الصحافة الصادقة للدين والوطن دوراً مهماً في إذكاء روح الوطنية وتنمية الوعي السياسي والثقافي، ولهذا السبب حاربها الاستعمار بضراوة وعمل على خنقها وإخفاء صوتها، كما استطاع فعلاً أن يقلب بعضها لصالحه من خلال استمالة أصحابها و تدجينهم، وقد نجح ذلك مع بعض الجرائد كـ "النجاح"² و "البلاغ"³؛ وهذا ما يفسر اضطراب صدور الصحف والمجلات الصادقة وعدم انتظامها وقلة صمودها ثم استشهادها في كثير من الأحيان؛ فكان يكفي أن يُشتم من الجريدة نزعة وطنية أو إصلاحية حتى تبادر السلطة إلى مصادرتها، وآية ذلك المصير الذي آلت إليه كثير من الصحف مثل "ذو الفقار"⁴ لراسم، "المنتقد"⁵ لابن باديس، وصحف أبي اليقظان "ميزاب" و "المغرب"

¹. آجرون، مرجع سابق، ص 107.

². النجاح (1919-1956م) لصاحبها عبد الحفيظ الهاشمي، كان ابن باديس مساعداً في تأسيسها وكتابها فيها، ثم تركها لانحراف نهجها. هذه الصحيفة هي أطول الجرائد العربية الجزائرية عمراً لمسالمتها للحكومة وعدائها للإصلاح. ينظر: محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، مرجع سابق، ص 45.

³. البلاغ (1926-1943م) أسسها أحمد بن عليوة شيخ الطريقة العليوية، فكانت لسان حالها، ورغم مواقفها الحميدة في التصدي للتبشير والدفاع عن الإسلام، إلا أنها كانت تعادي الإصلاح وتسالم الحكومة. المرجع نفسه، ص 82.

⁴. ذو الفقار (1913-1914م) عرف المستعمر فيها حرارة اللهجة وتوثب الإحساس الوطني، فكتّم أنفاسها بعد صدور العدد الرابع منها. المرجع نفسه، ص 42.

⁵. المنتقد (1925م) أربعة أشهر صدر خلالها ثمانية عشر (18) عدداً فقط. أما الشهاب فقد صمدت مدة أطول (1925-1939م)، ولعل مرّة ذلك بالإضافة إلى المرونة التي اعتمدها ابن باديس في صحيفته، فإنه قد استفاد كذلك من وجهة والده ومكانة أخويه المعروفة لدى الإدارة الفرنسية. المرجع نفسه، ص 59.

و"النور"¹ والزهري "الجزائر" و"البرق"²، وصحف الجمعية "السنة" و"الصراط" و"الشريعة"³ وغيرها من الصحف الوطنية. وقد تستفيد هذه الصحف من بعض الهدوء النسبي الذي يطرأ على الساحة السياسية بسبب تغير الولاة والحكومات، إلا أنها لا تعتم أن تجد نفس الممارسة والمصير وهو التضييق والتهديد أو الإغلاق والمصادرة ومن ثم الاستشهاد.

¹. ميزاب (1930م) عدد وحيد. المغرب (1930-1931م) عشرة أشهر فقط صدر خلالها ثمانية وثلاثون (38) عددا. النور (1931-1933م) صدر منها ثمانية وسبعون (78) عددا في سنتين. ينظر: ناصر، الصحف العربية الجزائرية، مرجع سابق، ص 91، 93، 116.

². الجزائر (1925م) ثلاثة أعداد فقط. البرق (1927م) صدر منها ثلاثة وعشرون (23) عددا في سبعة أشهر. المرجع نفسه، ص 55، 58، 83، 85.

³. السنة (1933م) هي أولى جرائد جمعية العلماء، لم تدم سوى أربعة أشهر صدر خلالها ثلاثة عشر (13) عددا. و الشريعة (1933م) لم تبلغ الشهرين صدر خلالها سبعة أعداد فقط. الصراط (1933-1934م) هي امتداد طبيعي لأختيها المعطلتين، لم تدم سوى خمسة أشهر صدر خلالها سبعة عشر (17) عددا. المرجع نفسه، ص 132، 153، 181.

المبحث الثاني: حياته

المطلب الأول- أصله ونسبه

وجدت من الباحثين من يربط الأستاذ الصديقي بعرش آيت جنّاد، ويسميه بـ "محمد الصالح الصديقي الجنّادي"¹، فسألت الأستاذ إن كان جنّادياً؛ وذلك في معرض حديثي معه عن الشيخ محمد السعيد بن زكري الجنّادي وكتابه "أوضح الدلائل" - فأجاب² بأنه لم يشتهر بتلك النسبة رغم كونها نسبة صحيحة.

يعود أصل الأستاذ إلى قرية "إبسكرين" (*Ibeskrien*) الكائنة بالقرب من "أغريب" (*Ar'erib*) على أميال من عزازقة بولاية تيزي وزو، وإسكرين فرع من فروع قبيلة "آيت كدية" إحدى القبائل الثلاثة المكونة لعرش "آيت جنّاد"؛ وهي: آيت اداس (*Ait adas*)، وآيت كدية (*Ait kodéa*)، وآيت إيغزر (*Ait ir'zer*).³

ومؤسس قرية "إبسكرين" -حسبما يقول الأستاذ- هو الولي الصالح أحمد البسكري، وذلك في حدود القرن الخامس عشر الميلادي. وينقل في هذا الصدد عن الأستاذ محمد أرزقي فراد (في كتابه أزفون، ص 71) أن ذلك الولي حلّ بالمنطقة بصفة خادم عند إحدى الأسر المحلية بقرية "آث ووشن" وقد أظهر بعض كراماته خلال قيامه بمهمته الدعوية، إذ كان القطيع يرعى وسط الغابة وبين الذئاب وهو متفرغ للعبادة دون أن تصاب حيواناته بأذى، وإثر ذلك عرف أهل القرية مكانته فقدّروه، ثم رحل إلى المكان الذي فيه قرية "إبسكرين" الآن.⁴

ويضيف مترجمنا أن الأستاذ فراد أحال في كتابه المذكور على ترجمة في "الضوء اللامع" للسخاوي مفادها تشابه بين الولي أحمد البسكري مؤسس قرية "إبسكرين"

1. ينظر: فراد، الأفكار الإصلاحية في كتابات الشيخ أبي يعلى الزواوي، مرجع سابق، ص 25.

2. مقابلة شخصية أجريتها مع الأستاذ في بيته، ضحى يوم الخميس 2022/06/09م.

3. Hanoteau, A, Letournoux. A, *la Kabylie et les coutumes kabyles*, T1, Paris, s.d, p. 327.

4. محمد الصالح الصديقي، رحلتي مع الزمان، دار هومة، الجزائر، د.ط، 2010م، 26/1.

وبين العلم المترجم في كتاب السخاوي وهو "أحمد بن محمد بن علي بن أحمد المولود بقرية ليانة قرب بسكرة نحو سنة 1442م، والذي انتقل إلى بسكرة حيث درس القرآن الكريم والفقه واللغة، ثم إلى تونس لمدة خمس سنوات ليدخل بعدها إلى بجاية حيث درس وتلمذ على يد سليمان بن يوسف الحسناوي، وعيسى بن أحمد الهنديسي". وعندئذ، رجح الباحث ما جاء في "الضوء اللامع" معللاً بأن سكان "إيسكرين" يقرّون بوجود علاقة بين جدّهم الولي مؤسس القرية وبين مدينة بجاية.¹

ولا يفتأ الأستاذ يشيد في كل مناسبة بقرية "إيسكرين" التي يعود أصله إليها، وينسب إليها الفضائل الجمّة، ويجعلها من الأسباب الأولى بعد الله تعالى في تكوين شخصيته ووطنيته؛ ذلك أن تلك القرية تميزت بثلاثة أمور: العلم والدين والوطنية. ففي مجال العلم أنجبت عدة علماء؛ منهم الشيخ محمد السعيد الذي تولى الفتيا في الجزائر سنة 1908م، واشتهر بكتابه "أوضح الدلائل"²، ومنهم ابنه الشيخ أحمد بن زكري، ومنهم الشيخ الشريف الإفليسي، والشيخ الطاهر أقيطوس، وغيرهم. وفي مجال الدين، اشتهر أهل المنطقة بالتمسك بشعائر الدين، والعناية بحفظ القرآن من خلال زاويتي "سيدي منصور" و"سيدي عبد الرحمن اليلولي". أما في مجال الوطنية، فحسبهم ما قاموا به خلال حرب التحرير من جهاد بطولي متميز تمثل في السخاء بأمثال ديدوش مراد وغيره.

وقد سألت³ الأستاذ عن مدى اتصال نسبه بأشراف المرابطين كما يشاع ذلك،

1. رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 27/1.

2. "أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل" إن مفهوم الإصلاح يلوح في العنوان للوهلة الأولى كما لو كان متساوقاً مع الخط العام للحركة الإصلاحية بالجزائر، غير أن الحقيقة هي أن الإدارة الفرنسية كانت قد كلفت الشيخ محمد السعيد بن زكري بوضع كتاب يشتمل على إحصاءات مختلفة تستطيع فرنسا من خلالها الوقوف على هيكلّة الزوايا وبُنائها واستمداداتها المادية والروحية. ينظر: فراد، الأفكار الإصلاحية في كتابات الشيخ أبي يعلى الزواوي، مرجع سابق، ص 41.

3. مقابلة شخصية أجريتها مع الأستاذ في بيته، ظهر يوم الإثنين 2021/12/13م.

فأجاب بأن النسب صحيح، وإن كان يستند إلى مجرد روايات شفوية، وأضاف أن ثمة روايات أخرى في المقابل تنتهي بنسب الأسرة إلى خليفة رسول الله ﷺ الصحابي الجليل أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-، ومنه استمدت لقبها "آيت الصديق" أي: بنو الصديق.

ولعل سبب عدم اعتناء الأستاذ بالبحث في موضوع ذلك النسب والتوسع فيه، وتحقيق الروايات بشأنه، هو اكتفاؤه -علاوة على تحقق شرف نسبه¹- بذلك الزخم الديني والعلمي والجهادي الحافل الذي أحاط بالأسرة التي ينحدر منها والقرية التي يعود أصله إليها، وهذا هو الشرف المزيد الذي أوصى الشرع بالانتساب إليه ودعا إلى السعي في تحصيله، وحذر من مغبة الركون إلى النسب الشريف على حساب العمل الوضيع؛ فقال ﷺ: "من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه"².

المطلب الثاني - اسمه

هو محمد الصالح بن محمد البشير بن محمد بن سعيد آيت صديق³. إلى هنا اقتصر الأستاذ في التعريف بنفسه كما مرّت الإشارة إليه آنفاً. وأمّا كيف وقع اختيار العائلة على اسم "محمد الصالح" دون سواه فلم يعرّج عليه الأستاذ أيضاً فيما كتب من سيرته، رغم وصفه لاحتراف العائلة بولادته وأثرها في الأسرة والقرية، وشدة فرح الوالد بمولوده الذكر، خصوصاً وأنه كان الابن الذكر الأول بعد بنت، وطالما كانت العائلة خاصة والأوساط الاجتماعية عموماً تخشى آنذاك مواصلة إنجاب

¹. ولا أدل على ذلك الشرف العريق من رغبة الشيخ العلامة الشرفاوي في مصاهرة الشيخ محمد البشير آيت الصديق دون سواه، وتقديمه لخطبة ابنته التي وفق للزواج بها سنة 1934م.

². جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم: 2699، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط2، 1421هـ-2000م، ص 1173.

³. رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 1/39، 45، ومحمد الصالح الصديق، مدارس لولها ما كنت، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، د.ط، 2017م، ص 23.

الإناث.¹ والحق أن تلك الأسباب كفيلة في الأصل بالتمهل في اختيار الاسم أو الإعداد له مسبقاً، باستدعاء شخصية تاريخية معلمية من التراث الديني أو العلمي أو الجهادي للتبرك بها، وذلك مما يفترض ألا يكون خافياً على الوالد الشيخ البشير وهو الإمام "الإصلاحي" صاحب المكانة والسمعة العاليتين، ووجدت في أثناء بعض المقروءات اسماً لإحدى الشخصيات التاريخية في المنطقة وهو "سي محمد الصالح"² بن الحاج البشير أحد شيوخ الطريقة الرحمانية قبيل مقاومة الشيخ الحداد (1871م)، فلعله مما اختزنته ذاكرة الوالد أو أنها محض مصادفة. وقد حدثني³ الأستاذ عن مناسبة اسمه عند ولادته؛ فقال: أما اسم "محمد" فالتبرك به مما لا يخفى رجاؤه، وقد جرى العرف في تسمية الذكور لدى الجزائريين عامة -وفي زاوية بالخصوص- على تحلية اسم الولد باسم الرسول "محمد ﷺ"، وأما "الصالح" فظاهر الدلالة أيضاً على رجاء الصلاح في القول والعمل.

ولم يكن الاسم الكامل للأستاذ بادئ الأمر على ما هو معروف به اليوم، فقد ذكر الأستاذ قصة تغيير اسمه من "آيت صديق محمد الصالح" إلى "محمد الصالح الصديق" مُرجعاً الفضل في ذلك لأستاذه في البلاغة بجامع الزيتونة العلامة الشيخ أحمد الجريدي وذلك في مناسبة أول درس تلقاه عنه؛ وفيها أن الشيخ قال له: ". ما رأيك في تغيير الاسم إلى محمد الصالح الصديق، ومن يدري ولعلك ستكون كاتباً كبيراً ذا شأن، فنكون بهذا التغيير قد يسرنا اسمك وسهّلناه لقراءك؟". قال الأستاذ: ومنذ ذلك اليوم تحول اسمي..⁴ ومن ثمّ، اعتبر الأستاذ ذلك فتحاً بعد أربعة أعوام فقط من الكائنة التي تغير فيها اسمه، وكان ذلك بالتحديد بعد صدور كتابه "أدباء

¹. رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 96-95/1.

². RINN Louis, *Marabouts et Khouan (Étude sur l'islam en Algérie)*, Alger, Adolphe Jourdan Libraire-éditeur, 1884, p. 459.

³. مقابلة شخصية أجريتها مع الأستاذ في مكتبته بيته يوم الخميس 2022/06/09م.

⁴. مدارس لولها ما كنت، مرجع سابق، ص 171.

التحصيل"، وكان شيخه الجريدي ممن أهديت لهم نسخة منه فقال "والسرور يقطر من وجهه: أليس ما فعلناه منذ أعوام توجيها من الحكيم الخبير؟"¹.

ورغم أن الشيخ الجريدي قد سعى في الأمر فعلاً لدى الإدارة، إلا أن ذلك التغيير لم يظهر على الحقيقة بحسب الوثائق المتوفرة لدي -والتي ناولني إياها الأستاذ للتصوير- إلا فيما بعد في "شهادة التحصيل"². فقد جاء في "شهادة الأهلية" التي حازها الأستاذ بعد عامه الأول من الالتحاق بالجامع أنها مسلمة للتلميذ النبيه "عايط الصديق محمد الصالح"؛ ومن الواضح أنها تعريب لـ (Ait Seddik) باللغة الفرنسية التي صدرت بها هوية الأستاذ في الجزائر آنذاك. كما أنني وجدت الأمر نفسه في وثيقة³ إدارية أخرى تتعلق بإثبات إحراره "شهادة التحصيل".

المطلب الثالث- مولده ونشأته

أولاً- ولادته: ولد الأستاذ فجر اليوم التاسع عشر من شهر ديسمبر سنة 1925م. هذا ما صرح به هو نفسه في كتبه⁴. وفي بعض الوثائق الثبوتية كعقد زواجه الثاني⁵ وبطاقة انخراطه⁶ في جيش التحرير الوطني أن سنة ولادته هي 1926م ولكنه محض تقريب كما هو ظاهر بالنظر إلى اليوم والشهر.

ثانياً- مسقط رأسه: يعود أصل أستاذنا -كما مرّ- إلى قرية ابسكريين، غير أنه ولد

¹. المرجع السابق، ص 172.

². حررت في مارس 1951م وأمضاها شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور وجناب الوزير الأكبر، ينظر الملحق رقم: 17.

³. حررت في 09 أوت 1963م من قبل مدير مكتب الامتحانات والمنح المدرسية بكتابة الدولة للتربية القومية بالجمهورية التونسية، ينظر الملحق رقم: 18.

⁴. ينظر مثلاً: رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 96/1.

⁵. حرر بتونس في نوفمبر 1958م، ينظر الملحق رقم: 25.

⁶. صادرة عن القيادة العليا لجيش التحرير الوطني، انظر الملحق رقم: 19.

بقرية "أبيزار" المتاخمة لمرفأ مدينة "أزفون" لصيد الأسماك، على الساحل الشمالي لدائرة "عزازقة"، إذ انتقل والده إلى "أبيزار" المذكورة آنفاً فور تعيينه فيها إماماً، وقد مكث بالإمامة هناك ما يزيد عن أربعين سنة.¹

ثالثاً- أسرته:

1. **والدته:** هي فاطمة بنت العالم الفقيه السلفي الشيخ الشريف الإفليسي. ولدت سنة 1903م وتوفيت سنة 1942م، ولم تعش سوى تسع وثلاثين سنة فقط. حفظها والدها حزين من القراءان الكريم، وعمق في نفسها ما جاء فيهما من الأخلاق والقيم والأحكام.²

2. **والده:** هو الشيخ محمد البشير بن الشيخ محمد بن الشيخ سعيد. ولد في قرين اسكّرين سنة 1889م³، في أسرة "آيت الصديق" التي تقوم شهرتها في زاوية على العلم والدين وحفظ القراءان وتعليمه؛ إذ كان -رحمه الله تعالى- فيما بعد واحداً من شيوخ هذه القرية. أتم حفظ القراءان الكريم على يد والده ثم انتقل إلى زاوية "سيدي منصور"⁴ فآتم فيها بعد سنتين من الدراسة تجويد القراءان وحفظ مجموع من المتون

1. اسماعيل ميرة، أضواء كاشفة على محطات بارزة من حياة الكاتب الكبير محمد الصالح الصديق، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2007م، ص 33.

2. مدارس لولاها ما كنت، مرجع سابق، ص 14. ورحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 31/1.

3. في "مدارس لولاها ما كنت"، ص 23 أن ولادة أبيه كانت سنة 1883م مخالفاً لما هنا، وما أثبتناه في المتن أصح وذلك لما وصف به الأستاذ سنة ولادة أبيه بأنها سنة مباركة شهدت ميلاد علماء أجلاء في الجزائر وفي المشرق العربي ممثلاً بابن باديس والإبراهيمي وطه حسين والعقاد وغيرهم، ينظر: رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 39/1.

4. **زاوية سيدي منصور الجنادي:** تأسست بين أواخر القرن الخامس عشر وأوائل السابع عشر الميلادين، وهي زاوية تقوم على تدريس القراءان وعلوم اللغة والدين، وتوفر الإقامة والتكفل بالطلبة الآتين من مختلف الأصقاع، تسيرها أسرة هي التي تحتكر الإدارة وتقوم على شؤون الزاوية، وللمدير مطلق الصلاحيات في التسيير وقبول الطلبة أو نفيهم، وفي البرامج الدراسية، بحكم انحداره من أصل الولي. ينظر: ساحي، أعلام من زاوية، دار الأمل، تيزي وزو-الجزائر، د.ط، 2015م، ص 55.

في الفقه واللغة على يد المشرف على الزاوية الشيخ أحمد ناث يوسف الذي كان يؤثره بعناية خاصة لمكانة أسرته. وبعد تحصيله لمبادئ العلوم تطلع إلى الاستزادة والتوسع واشتدت رغبته في ذلك فسافر إلى جامع الزيتونة مشياً على الأقدام بعد شهرين كاملين من السفر بسبب قلة ذات اليد. وقبل أن ينتظم في سلك الطلبة، حضر طائفة من الدروس على أعلام مشاهير الزيتونة في التفسير والفقه والبلاغة، قبل أن يجيب أمله في مواصلة الدراسة لما تتطلبه ظروفها من نفقات الإقامة والغذاء ونحوها. ولم يلبث أن عاد إلى الوطن ولكن بعد محاولة أخرى يائسة في سبيل تحصيل شيء من المال من خلال تجربة تعليمية لأبناء أحد الأثرياء بمدينة "ماطر" التونسية الذي دُلَّ عليه من قبل بعض الطلبة الجزائريين الذين رثوا لحاله، غير أنه لم يحصل في النهاية سوى جبة وبضعة دراهم استعان بها بعد رجوعه إلى جامع الزيتونة في متابعة الدروس لمدة شهرين أو ثلاثة أشهر فقط. وبالعودة إلى الوطن، عُيِّن الشيخ خلفاً لأبيه -الذي قُتل غيلة- إماماً في مسجد القرية "أبيزار"، باقتراح من عقلاء القرية وبتشجيع من شيخه بزاوية "سيدي منصور" الشيخ أحمد ناث يوسف.

وقد قضى الشيخ محمد البشير في الإمامة بالقرية زهاء اثنتين وأربعين سنة مريباً وموجهاً ومعدداً لجيل من الأبطال؛ ويذكر الأستاذ أن عدد المناضلين الذين أعددهم والده من أوائل الثلاثينيات إلى يوم اندلاع الثورة قد ناهز الألف مناضل من القرية ومن مختلف قرى زاووة. توفي -رحمه الله تعالى- عصر يوم الجمعة 28 أوت سنة 1968 م¹. ويذكر الأستاذ أن والده كان طريقياً، ولكنه كان يقرأ صحف جمعية العلماء بنهم، ويتنظر ورودها في ظمأ، ويحتفظ بها في هيام واعتزاز، ولذلك لم يخل منها بيته، وهي أول ما فتح الأستاذ عليها عينيه. ولقد انعكس ذلك الميل الإصلاحية للشيخ البشير وحبُّه لابن باديس ودفاعه عنه في محاربة الطرقيين له مع

¹. رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 80/1.

أنه طريقي¹.

3. جدُّه من قبل أمه: هو العالم السلفي الورع الزاهد خادم القرآن الكريم الشيخ الشريف الإفليسي البحري. هو شقيق المجاهد الشيخ الطيب الإفليسي الذي مات بسجن الحراش في مقاومة 1871م ودفن بمقبرة بالحراش التي باتت تسمى باسمه "مقبرة الشيخ الطيب". وهو جد الشيخ طاهر الذي استشهد سنة 1957م وسُمي باسمه هو الآخر مسجد بمدينة "تغزيرت" البحرية. ولد الشيخ الشريف سنة 1849م بقرية "تمليلين"، ونشأ في أسرة شهيرة بالتدين والوطنية والجهاد هي أسرة "آيت عيسى"². حفظ في البيت نصيباً من القرآن وبعض مبادئ العلوم وأتم الحفظ والرسم والتجويد في زاوية "سيدي منصور" على يد الشيخ محمد السعيد الداوي. ثم انتقل إلى زاوية "الشيخ عبد الرحمن اليلولي" وأقام بها مدة تلقى فيها العلوم الدينية واللسانية على يد الشيخ السعيد الزلالي. كما درس على يد العلامة الفقيه الفرضي الشيخ القاضي الصدوقي بقرية "إمخوظن" وختم عليه الفقه بـ "مختصر خليل" ثلاث مرات، فإذن له شيخه بالتدريس بإشعار من الشيخ الحداد المجاهد البطل المشور وكان صاحب زاوية مشهورة باسمه في "صدوق". كما درّس في زوايا أخرى غيرها ونفع الله به مريياً وموجهاً ومعلماً ومفتياً، فتخرج عليه كثيرون. وللشيخ مع ما اشتهر به من العلم والصلاح مواقف في الوطنية مشهورة. وكان للأستاذ قدوةً يقتدي به ومثلاً أعلى وحافزاً كبيراً. توفي -رحمه الله تعالى- سنة 1917هـ.³

4. خاله: الشيخ الطاهر آيت عيسى. ولد سنة 1892م، وتربى في حضان أبويه

¹. المرجع السابق، 1/129.

². مدارس لولاها ما كنت، مرجع سابق، ص 57.

³. محمد الصالح الصديقي، شخصيات ومواقف، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1992م، ص 267-268. ورحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 1/34-35. ومدارس لولاها ما كنت، مرجع سابق، ص 60، 64.

وجدّه الشيخ الشريف الإفليسي، وفي كتاب القرية تعلم الحروف الهجائية وحفظ سوراً من القرآن الكريم. ثم انتقل إلى زاوية "سيدي منصور" ولما أتم حفظ القرآن انتقل مع جده إلى "زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي"، ولما توفي جده سنة 1917م، خلفه الشيخ السعيد اليجري فدرس عليه الشيخ الطاهر وتأثر به كثيراً. أنشأ زاوية لتحفيظ القرآن الكريم والتعليم الإسلامي، وانطلق التدريس فيها منذ سنة 1936م. وكانت له فيما بعد صلوات بقيادة الثورة في المنطقة: كريم بلقاسم، و او عمران، وعميروش، وإعزورن. وكانت اللقاءات بهم في زاويته لبعدها عن الأنظار، إلى أن اكتشفت ذلك السلطات الفرنسية سنة 1956م، فاغتالت شيخ الزاوية محمد الصغير، وأعدمت الشيخ الطاهر وكان ذلك في شهر أكتوبر من نفس السنة.¹

5. أزواج حالاته: هم الثلاثة كذلك ممن لم ينس الأستاذ الترجمة لهم لما لهم من أثر كبير في تكوين شخصيته القرائية والعلمية والجهادية؛ فمنهم الشيخ محمد الشريف خواص من قرية "تمليلين"، قضى عمره في تحفيظ القرآن الكريم والتوجيه والإصلاح. ومنهم الشيخ محمد أبو القاسم البوجلبي حفيد العلامة الشيخ أبي القاسم صاحب "التبصرة" في علوم القرآن. كان مشرفاً على زاوية قرية بوجلبي بني عباس، وتوفي سنة 1955م. ومنهم الفقيه القرائي الشيخ القاضي الصدوقي نجل العلامة الفرضي الشيخ القاضي من "صدوق"، تولى التدريس في عدة زوايا وخاصة في زاوية "الشيخ اليلولي". توفي سنة 1965م.²

6. إخوته: للأستاذ من أبيه وأمه أخوان وأختان؛ أما الأخوان: فمحمد الصديق (1927-2004م)، حفظ القرآن الكريم وطائفة من المتون، ودرس في زاوية اليلولي على يد الشيخ العلامة الرزقي الشرفاوي نحو ثلاث سنوات، ثم على يد

¹. مدارس لولاها ما كنت، مرجع سابق، ص 62.

². المرجع نفسه، ص 63-64.

العلامة الفلكي الشيخ المولود الحافظي الأزهري. والتحق بجامع الزيتونة ودرس فيه على شيوخ أكفاء كالشيخ الحبيب بن الخوجة -رحمه الله تعالى-، وأحرز منه شهادة التحصيل سنة 1952م. وبعد معاناة طويلة من المرض ابتلي بفقد بصره. عُيِّنَ إماماً بتغزيرت إلى أن توفي.¹ محمد أمقران (1932-2003م) نحا نحو أخويه في الحفظ والتعلم ولم يكن بأقل منهما ذكاءً وهمّة. التحق بنفس الزاوية، وبعدها بعامين التحق بمعهد ابن باديس بقسنطينة، ثم بجامع الزيتونة، وبعد التخرج التحق بمدارس جمعية العلماء، وكلف بمهام لصالح الثورة من خلال الدعاية وجمع المال. وبعد الاستقلال، اشتغل بالتدريس والتفتيش إلى أن توفي.² أما الأختان، فهما فاطمة وجوهرة، والأولى هي التي تزوج بها العلامة الشرفاوي وتوفي عنها.³

رابعاً- زواجه: تزوج الأستاذ ثلاث مرات كأبيه. أما الأولى فكانت زواجه بنت خاله الشيخ الطاهر آيت عيسى الذي تقدمت ترجمته آنفاً، وذلك قبل اندلاع الثورة التحريرية، حوالي سنة 1953م، وقد أنجب منها بنتاً.⁴ وأما الثانية، فقد تزوجها إثر بلوغه نبأ مقتل زوجته السابقة مع أبيها (خاله الشيخ الطاهر) من قبل الفرنسيين سنة 1956م وكان الأستاذ يومها في تونس،⁵ وحينئذٍ، فكر بالزواج عندما أصبح مسؤولاً في الإعلام للثورة التحريرية بليبيا، وتم ذلك أوائل نوفمبر سنة 1957م وبعد موافقة وتشجيع من السيد فرحات عباس رئيس الحكومة المؤقتة آنذاك.⁶ ويذكر الأستاذ هذه الزوجة بالخير والاعتراف وأنها كانت وراءه في كل أعماله التي

¹. رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 609/1-610.

². المرجع نفسه، 611/1-612.

³. المرجع نفسه، 612/1.

⁴. المرجع نفسه، 613/1.

⁵. ثم تأكد لديه خبر وفاة الخال دون الزوجة في العام الموالي من طرف أحد المجاهدين.

⁶. حضر إمضاء العقد كل من العقيد محمدي السعيد، والعقيد عبد الرحمن ميرة، والعقيد محمد إعزورن، وذلك في بيت المناضل المرحوم آيت قاسم الصديق بتونس. ينظر: الملحق رقم: 19.

أنجزها خلال حياته معها التي تمتد من 1958م إلى سنة 2003م¹ وقد أنجب معها بنتاً وأربعة ذكور. أما زوجته الثالثة، فهي ابنة مجاهد من سوق أهراس، وقد بنى بها بعد وفاة الثانية بعام واحد (2004م)، ويصفها بالقارئة الخلوقة².

خامساً- أبناءه: أنجب الأستاذ من زوجته الثانية والتي طال أمدها معه -رحمها الله تعالى- بنتين وأربعة ذكور. خديجة الصديق (ربة بيت)، جمال الصديق (ماجستير في العلاقات الدولية)، طارق الصديق³ (ماجستير في الصحافة والإعلام، وهو من مؤسسي ملتيميديا الإذاعة الجزائرية ورئيس تحريرها)، رجاء الصديق (ليسانس في الأدب العربي، وهي كاتبة وشاعرة ولها مؤلفات مطبوعة)، عماد الصديق (ليسانس في العلوم القانونية)، شهاب الصديق (موظف في وزارة الثقافة)⁴.

المطلب الرابع - حياته العلمية

أولاً- تعلمه: عندما بلغ الطفل سن الخامسة، أخذ والده يعلمه الحروف الهجائية ثم القراءة والكتابة؛ وكان الولد يشعر إذ ذاك بمحبة أبيه له وإشفاقه عليه رغم حرمانه اللعب مع أطفال الحي. ويبدو أن الوالد كان يتكلف حمل ابنه على الحفظ والتعلم بقساوة ظاهرة، وهذا ما يفسر المناوشات اليومية بينه وبين زوجته المشفقة على ابنها، بالرغم من تشجيعها الدائم له على حفظ القرآن الكريم. وحينما بلغ الثامنة وأربعة أشهر تحديداً، كان قد ختم القرآن حفظاً جيداً، وفي صبيحة اليوم الموالي عرض حفظه على والده وبأمرٍ منه حتى يطمئن قلبه على نتاج المرحلة التي

¹. رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 617-613/1.

². المرجع نفسه، 622/1.

³. توفي -رحمه الله تعالى- يوم 25 جانفي 2022م، أخبرني بوفاته حرم الأستاذ عبر مكالمة هاتفية كنت أجريتها للاطمئنان على حالة الأستاذ الذي كان قد أصيب بوباء كوفيد-19.

⁴. رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 622-618/1.

قسا فيها على الطفل الصغير، وقد كُئِل ذلك العرض فعلاً بنجاح باهر. وفي هذا المقام، لا ينسى الأستاذ وهو يسترجع تلك المناسبة وزغردةً أمه الفرحة به، أن يشيد بالدور الكبير لوالدته في مسيرته القرائية تشجيعاً وتحفيزاً.¹

ويستشف الأستاذ كذلك - في إطار علاقته المتينة بأبيه - أن الوالد لم يكتف بالحب الساذج لابنه على غرار ما يقوم به كثير من الآباء مع أبنائهم؛ بحرصهم على توفير أسباب المعاش فحسب، بل إن الشيخ محمداً البشير كان يريد أن يصنع من ابنه الذي يحبه عالماً، يظفئ به ضمأه هو إلى العلم الذي طالما سعى في تحصيله، بعد أن فاته منه الكثير.

ثانياً - فلسفة تربوية: وكان للوالد في ذلك فلسفة تربوية تجلت في عدة مظاهر؛ منها:

- أن القلم القصبي الذي كتب به الطفل الحروف الهجائية هو نفسه الذي كتب به القراءان كلّه، وكان ذلك بحرص شديد من الوالد.

- الحرص الشديد كذلك من الوالد على استقبال الطفل القبلة أثناء حفظ القراءان، وقد جرب الطفل المخالفة فلحقه الانتهاز والزجر وتوعد العقاب، فحفظ الطفل القراءان كله وهو مستقبل القبلة.

- حرص الوالد الشديد أيضاً على حفظ ابنه القراءان الكريم دون العاشرة، وكان ذلك التحدي أمنيّاً لم يطق الشيخ إضمارها في سرّه؛ إذ كان يتحدث بها بين الناس في لداذة.

- حرص الوالد على توضؤ الولد قبل الشروع في قراءة القراءان، وكان يقول إن ذلك يشرح الصدر ويفتح القلب واللسان ويعين على الحفظ.

- وفوق كل ذلك، كان يحاول قطع الطريق على حنان الأم وتسترها على غفلة

¹. رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 102/1.

ابنها شفقة عليه.¹

وبعد الانتهاء من حفظ القرآن على ما كان الوالد يؤمله طريقةً ومدةً وسمتاً، قرر الوالد مكافأة ابنه برحلة إلى العاصمة. ولم تكن فكرة تلك الرحلة مجردة عن المعنى التربوي؛ وهو غرس البذرة الإصلاحية وإمداد النفس الجهادي في روح الطفل الصغير وتثبيتته لذلك، من خلال إطلاعه على الجو العام الذي يعيشه الجزائري تحت وطأة ظلم المستعمر وقهره، ثم ليظفر الطفل فوق ذلك برصيد من معرفة الرجال العظام. وهذا ما تحقق فعلاً. ففي اليوم الأول، زار الحديقة العامة في الحامة، والجامعين: الكبير والجديد، ومقام الشيخ عبد الرحمن الثعالبي بالقصبة، وأماكن أخرى. وفي اليوم الموالي، زار نادي الترقى² برفقة والده، وجرى الحديث عن رجال الجمعية فقال الأستاذ يومها "وما إن سمعت اسم العقبي حتى اعترتني حالة غريبة منشؤها أن الطريقين في منطقتنا كانوا ينعنون بالزندقة!" ولا عجب أن يسمع طفل في هذه السن (سن التاسعة) باسم العقبي، وقد كان هذا الاسم وغيره من أسماء الإصلاحيين يتناهى إلى سمعه في البيت بشكل شبه يومي، وذلك أثناء قراءة والده الشيخ البشير لصحف جمعية العلماء، ومن خلال أحاديثه مع تلاميذ ومريديه؛ وهذا مع ما أوتي الطفل من نباهة واستحضار.

يصف الأستاذ ما علق بذهنه من زيارته لنادي الترقى واستماعه بكلام الشيخ الطيب العقبي وهو يتحدث إلى جمع من المعممين حول قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ

¹ مدارس لولاها ما كنت، مرجع سابق، ص 36-37. ورحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 103/1-104.

² نادي الترقى: هو نادي ثقافي خيري اقتصادي، تم تدشينه في 03 جويلية 1927م، أسسه جماعة من أعيان العاصمة، وقام بتحرير قانونه الأساسي كل من أحمد توفيق المدني ويحيى بن مرابط ورودوسي قدور بن مراد. ثم اتخذته جمعية العلماء المسلمين مقراً لها، واحتضن النادي أحداثاً كثيرة؛ منها احتضان مؤتمر المعلمين الأحرار وتكريم الرسام إتيان ديني وغيرها. ينظر: العاصمي، محمد، "أعظم ناد بالجزائر"، الشهاب، العدد 108، 04 أوت 1927م، ص 08. فراد، إضاءات في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 183.

بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿﴾ (يونس: 107). وإثر الخروج من النادي، يذكر مقابله لأول مرة بكاتب القطرين الشيخ أحمد توفيق المدني¹، ويذكر أن الشيخ لما علم بحفظه القرآن الكريم دون سن التاسعة قال عنه إنه ابن معط الصغير ودعا له. وفي مساء ذلك اليوم، تقرر أن تكون الزيارة للشيخ أبي يعلى الزواوي غير أنها تعذرت بسبب مرضه وعدم قدرته على الاستقبال. وفي اليوم الرابع، كان اللقاء الذي يأمله كل محب للعلم وأهله وكل متطلع للإصلاح ورجاله؛ فقد شاء الله تعالى أن يلتقي الأستاذ من غير ترتيب -سوى تقدير الله- بالشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس، وبعد محادثة بين الإمام وبين الشيخ الطاهر (خال الأستاذ)، التفت الإمام إلى الفتى فسأل عنه وأجيب بنسبه وحفظه، ثم وضع يمينه على رأس الصغير وقرأ في صوت جهوري قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَصْرِوْنَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (النساء: 113). ويعترف الأستاذ أن لهذه الرحلة أبعادها العميقة في نفسه لا تزال ثمارها تتجلى من حين لآخر.

بعد العودة من الرحلة، شرع الفتى مع والده في مرحلة أخرى من طلب العلم لا تقل مشقة عن سابقتها، وتمثل ذلك في حفظ الشعر والمتون العلمية. وحتى يقبل الطالب برغبة ونهم، حدثه والده عن فوائد الحفظ وضرب له أمثلة عن طائفة من

1. أحمد توفيق المدني (1899-1983م): كاتب ومؤرخ ودبلوماسي ووزير، كان عضواً بجمعية العلماء المسلمين، كما عين أثناء الثورة عوا في الوفد الخارجي لجهة التحرير الوطني، وعضواً في المجلس الوطني للثورة، ثم عضواً في الحكومة المؤقتة، حيث أسندت إليه وزارة الشؤون الثقافية، وعين بعد الاستقلال وزيراً للأوقاف والشؤون الدينية، ثم عين في حكومة بومدين سفيراً ووزيراً مفوضاً في أكثر من بلد إسلامي، ترك عدة آثار بين كتب ومقالات منشورة في مختلف صحف الجمعية كال بصائر. ينظر لترجمته: محمد خير رمضان يوسف، تنمة الأعلام، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط2، 1422هـ-2002م، 29/1 ويخلف، حاج عبد القادر، "المؤرخ أحمد توفيق المدني ومذكراته حياة كفاح"، مجلة عصور الجديدة، العدد 3-4، عدد خاص، 1432هـ-2011م/1433هـ-2012م، ص 175-178.

الحفاظ الذين غدوا مضرب الأمثال في قوة الحفظ.

ثالثاً- نبوغ مبكر: وأغلب الظن، أن الوالد -رحمه الله- لم يكن مدفوعاً في القسوة على ولده بمحاولة صناعة شخص يعرضه ما فاته من العلم فقط، بل إن الولد أيضاً كان يتوفر على قدر معتبر من الموهبة وحظ وافر من النبوغ رغم حداثة سنّه، ولعل تلك النجابة كانت تبدو أثناء الأحاديث والمناقشات العائلية. ومن تلك النجابة، أن الطفل ذا التاسعة اعتكف تحت رعاية الوالد على الحفظ الدائب، وكان أن حفظ من الشعر في مدة ثلاثة أعوام تقريباً "المعلقات السبع"، و"المقصورة"¹، وقصائد للمتنبى وابن الرومي والبحتري وابن زيدون. أما بخصوص المتون العلمية؛ فقد حفظ أكثر من عشرين متناً على رأسها المتنان الكبيران: "التلخيص"² و"جمع الجوامع"³، الذين أتم حفظهما في مدة سبعة أشهر، بالإضافة إلى "الألفية" لابن مالك التي كان يحفظ منها خمسين بيتاً كل يوم.⁴ وهو مقدار ضخم ينوء بحمله أولوا الحفظ من الكبار فضلاً عن طفل صغير لم يبلغ العاشرة من عمره، وفي مدة لم تتجاوز الثلاث سنوات فقط.

رابعاً- في زاوية "سيدي عبد الرحمن اليلولي": كانت الراحة هي أول ما أخذ الأستاذ يفكر به في غمرة المشقة الشديدة التي بات يعانيتها أثناء الطلب والحفظ

¹ المقصورة: لأبي بكر محمد ابن دريد (ت: 321 هـ)، وهي قصيدة من الرجز للشاعر ابن دريد يمدح بها الشاه ابن ميكال، ويصف مسيره إلى فارس، ويتشوق إلى البصرة وإخوانه بها. وقد ضمتها كثيراً من الأمثال والحكم والمواعظ، سميت مقصورة لأن حرف الروي بها ألف مقصورة. ينظر: خليفة، حاجي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، د.ط، د.ت، 1807/2-1808.

² التلخيص: للخطيب القزويني (ت: 739 هـ) وهو تلخيص لكتاب "مفتاح العلوم" للسكاكي في البلاغة. ينظر: كشف الظنون، مرجع سابق، 473/1.

³ جمع الجوامع: لتاج الدين السبكي (ت: 771 هـ)، متن نثري مطول في أصول الفقه، جمعه من زهاء مائة مصنف، نظمها السيوطي في "الكوكب الساطع". ينظر: كشف الظنون، مرجع سابق، 595/1.

⁴ الصديق، محمد الصالح، أعلام من منطقة القبائل (الأعمال الكاملة، المجلد 33)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014م، ص 47.

والتكرار والاستظهار، حتى تدخل الشيخ¹ الشرفاوي، فأشار على والد الأستاذ بتوجيهه إلى "زاوية الشيخ عبد الرحمن اليلولي"² التي يدرّس فيها، وكان اختيار الشيخ لهذه الزاوية -رغم وجود غيرها في القرية- لاعتبارات مختلفة؛ منها: أن الشيخ الشرفاوي قد التحق لتوّه للتدريس بها وسيكون الطالب تحت رعايته ونظره، ومنها عراقة الزاوية اليلولية واستقلاليتها ودقة تسييرها وصرامة قوانينها، ومنها أن للأجداد والأقارب والمعارف علاقة بالزاوية إما دراسة وتخرّجاً فيها وإما تدرّيساً بها كالشيخ الإفليسي (ت: 1918م) جدّ الأستاذ.

إن التحاق الأستاذ بزاوية الشيخ اليلولي طالباً ثم العودة إليها فيما بعد أستاذاً، وما أحدثه ذلك من نقلة مهمة في حياته فكراً وعملاً، لمن أقوى البواعث على التعريف بهذه الزاوية بالحديث عن مؤسسها وموقعها ومواردها، وشروط الالتحاق بها وصرامة قانونها ودقة نظامها، ومناهج التدريس فيها والعلوم المقررة بها، والمواقف المحددة، وأصناف الطلاب، وأشهر شيوخها، وغير ذلك، على النحو التالي:

1. مؤسس الزاوية: أما مؤسس الزاوية التي تنتسب إليه وتسمى باسمه؛ فهو الولي

1. أثناء زيارته لبيت الشيخ محمد البشير (سنة 1936 م) وكان قد غدا صهراً له بتزوجه ابنته، وذلك بعد عودته إلى الجزائر (سنة 1933م) قادماً من مصر؛ فقد طلق زوجته الأولى (المصرية) عندما رفضت العودة معه إلى أرض الوطن. ينظر: الشيخ الرزقي الشرفاوي، سعيد بورنان، مرجع سابق، ص 113.

2. ممن كتب في التعريف بهذه الزاوية وموقعها ومؤسسها ونظام تسييرها الأستاذ أحمد ساحي -رحمه الله- في "أعلام من الزاوية"، مرجع سابق، ص 79-107، وهذا المرجع رغم أهميته البالغة من حيث العرض والتوثيق إلا أنه -باستثناء مواضع متفرقة منه- كُتب بأسلوب يبدو مفككا أحياناً، يوحي بأن الكتاب منقول إلى العربية وليس موضوعاً بها. كما أن هنا ملاحظة أخرى وهي إغفال المؤلف لذكر اسم الأستاذ محمد الصالح الصديق ضمن شيوخ الزاوية (المرجع نفسه، ص 105-107) وهذا مستغرب منه لمعاصرتة للأستاذ ولشهرة تاريخ هذا الأخير في المنطقة وفي الزاوية تحديداً، وقد استغرب المؤلف (الأستاذ ساحي) نفسه من سكوت الحفاوي صاحب "تعريف الخلف برجال السلف" عن كل من سيدي منصور الجنادي وسيدي عبد الرحمن اليلولي وعدم الترجمة لهما (ينظر: المرجع نفسه، ص 81)، وكنت ظننت بادئ الأمر أن هناك جفوة بين الرجلين قبل أن أجد الأستاذ الصديق يترجم للمرحوم ساحي في أكثر من موضع، خصوصاً ترجمته المطولة في كتابه "أعلام من منطقة القبائل"، مرجع سابق، ص 369-372.

الصالح الشيخ عبد الرحمن بن يسعد، أبو زيد كنيةً، المصباحي ولاءً الخردوشي ولادة الليولي منزلاً ونسبة. ولد بقرية "خردوشن" في أيلول في حدود سنة 1601م، على بعد ميلين تقريباً من هذه الزاوية. تلقى دراسته الأولى على يد والده يسعد بن محمد واعلي، ثم انتقل إلى زاوية أحمد بن إدريس، ثم إلى زاوية "ميزرانة" بالقرب من شاطئ تيغزيرت حيث تلقى عن شيخها محمد السعدي البهلوي علم القراءات وبرز فيه حتى قيل: "كان -رحمه الله- وحيد زمانه وفريد عصره في الرواية القرائية بمقارن السبعة والعشرة"¹. وقد قام بتأسيس المعهد الإيلولي نزولاً عند رغبة شيخه فيما بعد وذلك سنة 1635م. توفي الشيخ الليولي سنة 1693م، ودفن بجوار زاويته بعد أن أوصى بأن يُترك تسييرها للطلبة المقيمين فيها، ولحرصه الشديد على إنفاذ وصيته من بعده، وخشيته من أن تشملها الوراثة؛ وقد عاش كلاله إذ لم يخلف -رحمه الله- ذكراً ولا أنثى، فقد دعا² على إخوته وأعمامه وكل أقاربه بأن من سمي باسمه "عبد الرحمن"، أو دخل الزاوية وسكن بها ولو للقراءة، أو أراد أن يتصرف فيها بوجه من الوجوه، فإنه يموت كلاله. فمضى الأمر على ما أوصى به الشيخ الليولي، خصوصاً وأنه ترك قانوناً³ صارماً ودقيقاً يحكم الزاوية وينظم شؤون تسييرها.⁴

2. القانون الداخلي: منذ وضع المؤسس القانون الخاص بتسيير زاويته، جاعلاً منها منظومة قائمة بذاتها، والقانون على حاله لم يتغير إلى غاية سنة 1846م، عهد أول إصلاح بيداعوجي لها ولبرنامجها. ولقد وضع القانون بـ "لغة قبائلية بحروف

¹. أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل، بواسطة: ساحي، مرجع سابق، ص 86.

². أعلام من الزاوية، ساحي، مرجع سابق، ص 87.

³. كان قانوناً في غاية الدقة رغم ظهوره في فترة تعليمية ذات تسيير تقليدي، بحيث أولاه بالعبارة هانوتو في بحثه "القبائل والعادات القبائلية" سنة 1862م، والشيخ ابن زكري في "أوضح الدلائل" سنة 1903م، وتناولاه بالدراسة والتحليل والنقد، وهو يغطي أكثر من مائة مادة يأتي الإشارة إلى بعضها لاحقاً.

⁴. ينظر: أعلام من الزاوية، مرجع سابق، ص 82، 85-87. رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 161/1، مدارس لولاها ما كنت، مرجع سابق، ص 142-147.

عربية"؛ وهي لغة يفهمها الجميع.¹ ورغم الدقة الماثلة للواقع عند المؤيد والمعارض، فإن هانوتو (Hanoteau) رأى في ذلك القانون مجرد قانون عرفي لتسيير محلي، وهذا دأب أمثاله في تقزيم مفاخرنا إلى حد الابتذال.²

وثمة شيء يتصل بالموضوع ينبغي أن يشار إليه ولكن بطريق الاستعلام والاستفهام؛ وهو الوضعية المادية لهذا القانون، وطريقة حفظه، ومصيرُه بعد تحريب الزاوية اليلولية وإحراق مكتبتها عام 1957م! لا أحد -حسب الاطلاع- يدرك بالتحديد مصير هذا القانون بعد الحادثة المذكورة، غير أن من المشوق فعلاً إلى تقصي خبر "القانون" هو تلك الهالة التي أحيطت به منذ أيام تأسيس المعمره، وذلك أنه لم يكن في الإمكان الاطلاع عليه أو على النسخة الأصلية منه إلا نادراً، وعند الاقتضاء يجتمع للاطلاع عليه جميع أعضاء "المجلس الخاص"، وهذا يدل في النهاية على خصوصية متحققة ولكنها غير معلن عنها. ولا ندري إن كان التحفظ الشديد من إظهار "نسخة القانون" منصوباً عليه هو الآخر في بنود القانون ذاته، أو إن كان الأمر مجرد عرف تنظيمي تواتر عليه عمل "المجالس الخاصة" منذ تأسيس الزاوية. مع أن المتتبع لا يعدم العثور على روايات شفوية تفيد بعض المعلومات؛ من ذلك³ أن طالبا بالزاوية شاهد النسخة سنة 1952م، وقال إنها من الورق المقوى القديم غير المسطّر، وبخط أسود حائل، كما يعتقد أنها سرقت ولم يشملها الإتلاف الذي طال المكتبة سنة 1957م.

3. مجالس الزاوية: لقد أبدى هانوتو دهشته من الثبات على "الأفكار"، واحترام التقاليد، الذين وجدتهما عند مجموعة من الشباب الذين يسرون الزاوية، ويقصد بهم

¹. أعلام من الزاوية، مرجع سابق، ص 89.

². Hanoteau, A, Letournoux, A, *la Kabylie et les coutumes kabyles*, op. cit, p. 44.

³. أعلام من الزاوية، مرجع سابق، ص 90. وينظر تفاصيل إضافية في: رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 161-160/1.

-كما سيأتي- أعضاء "المجلس الخاص"¹. وفي الحق، إن للزاوية مجالس متعددة، لكن أهمها هو "المجلس الخاص" الذي يضم الأعضاء المتصرفين فقط سواء أكانوا مقيمين أو خارجيين، وعضويتهم مؤقتة، وهم اثنا عشر عضواً يختارون باهتمام بالغ اعتباراً لحسن السيرة والجدية والصرامة والأمانة، ومن المفيد أن نشير هنا إلى أن طلبة المعمرة لا يولّون عليهم أراذل القوم، وهذه العوائد هي التي أسس عليها بنیان الزاوية كما قال ابن زكري. ولا ينعقد هذا المجلس إلا عند الضرورة القصوى؛ وتمثل في حالات العزل والنفي أو القبول للطلبة وحتى الأعضاء، ويُنتخب من هذا المجلس المقدّمان الرئيسيان: مقدم العسكر ومدة تكليفه شهر واحد، ومقدم الثمن ويكلف بهذه الصفة لمدة نصف شهر فقط². ومن صلاحيات المجلس الخاص كذلك تجديد فترة المشيخة السنوية للشيخ، وبإمكان المجلس استشارة أطراف خارجية قد يكونون طلبة قداماء أو شيوخاً. والعلاقات بين المجالس والهيئات تكاملية وليست سلطوية (هرمية)، ونظامية غير تنافسية. وبالجملة، فليس أولئك الأعضاء مبايعين كما في الزوايا الأخرى³. إن هاته الميزات هي التي دفعت بهانوتو وزميله لتورنوا إلى القول بأن "هذه المعمرة إذن "جمهورية حقيقية" .. طلبة يعيّنون شيخهم ورؤساءهم (يعني بهم رؤساء المجالس والهيئات بالزاوية)، ويسيرون ممتلكاتهم، ويحكمون بكل حرية، ومن دون أي مراقبة"⁴.

4. أشهر الشيوخ: أدت الزوايا باعتبارها مؤسسات تعليمية ودينية بالأساس أدواراً سياسية واجتماعية مهمة، أسهمت من خلالها في المجاهبات الثقافية للاستعمار، أما فيما يتعلق بالحديث عن زاوية الشيخ اليلولي، فلئن كان القانون

¹. Hanoteau. A, Letournoux. A, op.cit, T2, p. 126.

². تعبير "العسكر" و"الثلث" خاصيتا هذه الزاوية، ويقابلها في التنظيم الإداري الحالي: "المراقب العام" و"المقتصد".

³. أعلام من الزاوية، مرجع سابق، ص 90-92.

⁴. Hanoteau. A, op.cit, T2, p. 126.

الدقيق والصارم الذي استحدثه مؤسس الزاوية، هو الذي صنع الشهرة التي ذاعت للمعهد الليولي رغم وجود عدد كبير من الزوايا بالمنطقة، فإن الأسماء اللامعة للشيخ والعلماء¹ الذين تعاقبوا على التدريس بتلك الزاوية، أو إدارتها أو حتى الدراسة فيها قد أسهموا بشكل لا يمكن تجاوزه، على تفاوت بين أولئك الأعلام من حيث المدة، والإنجازات المحققة، ومدى توظيف المعهد لخدمة المجتمع. ومن الجدير بالذكر أنه لا يوظف بالزاوية للمشيخة إلا من اشتهر بسعة العلم، وحسن السيرة، وفصاحة اللسان؛ لأن ثلاثتها أهم ما يجب أن يتصف به من يقوم على التربية والتوجيه وفض النزاعات. ولعل أبرز من يمكن انتخابه من أولئك الشيخ -على جلالة أقدارهم جميعا-: الشيخ الشريف الإفليسي (ت: 1916م) الذي قضى في التدريس بالزاوية ثلاث عشرة سنة، والشيخ الصادق البوجليلي (ت: 1896م) صاحب الكتاب المهم "التبصرة في القراءات" ويعتبر كتابه هذا أقدم وثيقة² تترجم للمؤسس ومعهد، وهو من طلبته وشيوخه، والشيخ محمد السعيد ابن زكري الجنادي (ت: 1914م) الذي أصبح فيما بعد مفتي الجزائر، وهو صاحب كتاب "أوضح الدلائل"، والشيخ العلامة المولود الحافظي الأزهري (ت: 1948م) الذي أجرى إصلاحات في مناهج التدريس بالزاوية، والذي بدّ أقرانه ومعاصريه في علم الفلك، والشيخ العلامة محمد الرزقي الشرفاوي الأزهري (ت: 1945م) الفقيه الأصولي صاحب التأليف النافعة والحريص على تخريج النجباء، والأستاذ محمد الصالح الصديق الذي تولى إدارة الزاوية والتدريس بها لأزيد من أربع سنوات في الفترة ما بين (1951م-1956م)، وقد تولى ذلك في فترة أشد ما تكون حساسية، إذ كان لزاماً عليه -فضلا عن استكمال المسيرة التعليمية الفدّة للمعهد- تحمّل عبء

¹. ينظر قائمة أسماء أولئك الشيخ في: أعلام من الزاوية، مرجع سابق، ص 105-107، ومدارس لولاها ما

كنت، مرجع سابق، ص 146-147، ورحلتي مع الزمان، مرجع سابق، ص 171-173،

². ينظر في تقييم هذه الوثيقة: أعلام من الزاوية، مرجع سابق، ص 80.

جديد؛ تمثل في التعبئة الروحية والإيمانية في نفوس الطلبة والمتلقين، وإعدادهم لثورة التحرير المباركة، وتلقي المساعدات السريّة الموجهة للثورة والمتمثلة في المال والسلاح، والتي كانت بالنسبة إليه أول مهمة رسمية من قبل القيادة.

5. البرنامج الدراسي: التزمت الزاوية لفترة طويلة بالاختصار على تدريس علم القراءات، وهو الاختصاص الذي تبخر فيه مؤسس الزاوية الشيخ اليلولي واشتهر به، وظل الأمر كذلك حتى عهد متأخر؛ إذ خضعت برامج الزاوية لجملة من الإصلاحات¹ على المستوى "البيداغوجي"، فأدرج ضمن برامجها علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة، والمنطق، والفقه، وعلم الفلك الذي أدرجه العلامة المولود الحافظي الأزهري الفلكي، والتفسير وفقه الحديث وأصول الفقه والأدب والرياضيات والمنطق، وقد أدرج سبعتها العلامة الشرفاوي الأزهري². هذا عن الفنون التي كانت تدرس إجمالاً، أما العلوم التي أخذها مترجمنا الأستاذ الصديق في الزاوية؛ فقد ذكر أنه عندما انتظم في سلك الطلبة بالزاوية، أمره الشيخ الشرفاوي بالحضور إلى دروس ابن عاشر في الفقه، والآجرومية وألفية ابن مالك وقطر الندى³ في النحو، وكذا دروس التفسير، والحديث. ولكن الطالب اكتشف بعد بضعة أشهر

¹. لا يعرف تاريخها على وجه التحديد، ولكنه قد يكون في حدود سنة 1262 هـ، فإن بعض تلك الإصلاحات منسوبة للعلامة محمد الطاهر الجنادي. ينظر: أعلام من الزاوية، مرجع سابق، ص 95.

². عرفت فترة الشيخ الشرفاوي تطوراً ملحوظاً في منظومة التعليم، من ذلك إدراجه لبعض العلوم والكتب، بالإضافة إلى طريقة التدريس المسجدي، وليس ثمة أدنى شك في أن إصلاحاته تلك كانت تأثراً بالازدهار العلمي الذي عاينه في جامع الأزهر أيام تواجده به طالبا ومدرساً. ففي التفسير؛ كان يدرّس كتاب "روح المعاني" للعلامة الألويسي (ت: 1854م)، وفي فقه الحديث كتاب "سبل السلام" للعلامة الصنعاني (ت: 1183هـ) ولم يكن يحضر هذين الدرسين سوى عدد قليل = جدا من الطلبة لعلو المعاني التي تلقى فيها، وفي الأدب؛ لم يكن بين يدي الشيخ كتاب معين، فكان يحضّر موضوعاته بنفسه، وكان يخصص فترة للإشياء يقوم الطلبة فيها بتحرير ما يطلب منهم من موضوعات، وكان يحضّر درس الأدب جلّ الطلبة. ينظر: رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 162/1.

الشيخ الرزقي الشرفاوي، مرجع سابق، ص 187.

³. قطر الندى وبلّ الصدى: أو "القطر" للعلامة النحوي جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت: 761 هـ)، متن في النحو للمبتدئين. ينظر: كشف الظنون، مرجع سابق، 1352/2.

أن حضوره غير مجدٍ في التفسير والحديث لعلو ما يعرض فيها من معانٍ، فطلب من شيخه إعفائه للتفرغ لعلوم العربية، وبموافقة الشيخ تمكن الطالب محمد الصالح خلال ثلاثة أعوام فقط من إتقان علوم العربية بتتبع المتون حفظاً وشرحاً، ودوام النظر في الكتب المذكورة.¹ ومن الواضح أن الأستاذ استعفى من الحضور لدرسي التفسير والحديث للسبب المذكور فحسب لا إعراضاً عنهما؛ فإننا نجد في كتابه بعد يحيل في كتبه كثيراً على تفسير الألوسي، فلا شك أنه قد انكبَّ على قراءته مبكراً، لعلمه بموقعه من كتب التفسير ومكانته في قلب شيخه الشرفاوي. أما الفقه، فقد سألت الأستاذ إن كان قد تدرج فيه على المنهج المقرر في المعهد؛ من البداية بالأخضري أو ابن عاشر ثم "الرسالة" للقيرواني ثم "مختصر خليل"، فأجاب بأنه لم يفعل، بسبب ميله المبكر نحو العلوم اللغوية والأدبية.² ومن العلوم³ التي تلقاها كذلك، علم الصرف في كتاب "لامية الأفعال"⁴، وعلم البلاغة في كتاب "السمرقندية"⁵، وعلم العقيدة في كتاب "جوهرة التوحيد"، وقد تولى فيما بعد شرح الكتب الثلاثة للطلبة معيداً بالزاوية. كما يبدو أنه أخذ شيئاً من "السلم" في المنطق إلى جانب الحساب والتاريخ.⁶ وينبغي أن نتذكر أن الأستاذ قد التحق بالزاوية خاتماً للقراءان وحافظاً

1. مدارس لولاهما ما كنت، مرجع سابق، ص 151.

2. مقابلة شخصية أجريتها مع الأستاذ في بيته يوم السبت 2022/10/30م.

3. رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 1/163.

4. لامية الأفعال: متن في التصريف يقع في 114 بيتاً، وهو للعلامة النحوي ابن مالك (ت: 672 هـ) صاحب "الخلاصة" المشهورة بالألفية. ينظر: كشف الظنون، مرجع سابق، 2/1536.

5. السمرقندية: نسبة إلى أبي القاسم السمرقندي الليثي (ت: 907 هـ)، وكتابه متن مختصر في البلاغة، اشتهر بالرسالة "السمرقندية" و"الترشيحية"، عليه تعليقات وحواشٍ كثيرة، طبع المتن في الجزائر سنة 1905م، بمطبعة فونتانا. ينظر: الإسفراييني الحنفي، عصام الدين، الرسالة العصامية لحل دقائق السمرقندية، المكتبة الهاشمية، بيروت-لبنان، ط2، 2015م، ص 10.

6. ينظر في البرنامج اليومي التفصيلي للدراسة بالزاوية: الصديق، الزاوية البلولية ودورها في خدمة الإسلام واللغة العربية، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، د.ط، 2018 م، ص 37-38. وعن المتون والكتب والعلوم التي كانت مقررة في زوايا المنطقة بها فيها زاوية البلولي ينظر: بوبكر، عبد الحليم وبوبكر، عبد السميع، منهج الشيخ =

لطائفة كبيرة من المتون، وقد منحه ذلك رتبة طالب "معيد" (قد يكون سبباً أو دواً كما سيأتي إيضاحه لاحقاً)، ومنه؛ فإن مساعدته للشيخ قد تعفيه من الحضور إلى دروس الحساب والمنطق والتاريخ التي كانت على الأرجح اختيارية، وبهذا تمكن من مساعدة شيخه من جهة، وتفرغ للعلوم التي كان يميل إليها من جهة أخرى.

6. التنظيم التربوي: وفيما يتعلق بموضوع البرامج الدراسية والكتب المقررة ومختلف الواجبات، نجد قانون الزاوية يولي بدقة محكمة أهمية مسألة المواقيت المخصصة لكل الأنشطة التي تنتظمها الحركة في المعهد؛ من دراسة وواجبات يومية ذاتية أو مكتملة. إن الاطلاع على تلك المواقيت يدرك أن الزاوية تنزع إلى إعداد الطلبة ليكونوا في آنٍ معاً علماء يرفعون الجهل، وقضاة يفصلون في النزاعات، وجنودا يذودون عن الحياض.

7. فئات الطلاب: أهم تقسيم يخضعهم إلى طالب جديد وطالب قديم، والكل متساوون في الحقوق والواجبات، وليس هناك أدنى فارق مادي أو اجتماعي. ويرتّب الطلبة حسب قانون الزاوية إلى شريحتين وصفين دراسيين على النحو الآتي:

- حسب الشرائح: الطالب في الزاوية إما "قديم" وهو أحد أعضاء المجلس، وقد مر بنا الحديث عن مهام المجلس وصلاحياته، وهذه الصفة الشرفية ملازمة للطلاب ولو بعد تخرجه من الزاوية ومغادرته إياها، كما أن صفة "القديم" تخوله مرتبة الاستشارة لدى أعضاء المجلس فيما يعرض لهم، غير أن صفة "القديم" قد تنزع إذا عوقب على جرم ارتكبه، أو سوء اقترفه، وعندئذ يطلق عليه اسم "الجديد". والشريحة الأخرى هي "الجديد"، ولا يعني أن المتصف به قريب عهد بالانتساب إلى الزاوية، وإنما سمي كذلك لمستوى التحصيل، بالإضافة إلى شروط أخرى يقررها الشيخ في الإجازة السنوية لكل الطلاب جمعياً وأمام الملاء؛ وهو شبه امتحان آخر

= المولود الحافظي في التربية والتعليم (من خلال مراسلاته لتلميذه الشيخ علي بوبكر الزموري)، منشورات ألف صفحة، الجزائر، 4، 2014م، ص 77، 79-80، 86-87.

السنة. وقد يمكث "الجديد" سنوات ثم يأمر المجلس الخاص بترقيته لمستوى الطلاب. ومن أبرز الفئات المكوّنة لفئة "الجديد" فئة "القدايش" وهم في العرف القبائلي خدّمة الشيخ والزاوية، وهم أصناف بحسب الخدمة إلى: طبّاخين، ورخّائين، وسقاة، وخطّابين، ومناوبين¹. والقدايش إجمالاً مسخرون في عموم المصالح، ولهُؤلاء قانون خاص، ويَتَّبَعون باعتبار مهامهم "مقدم الثمن" لا "مقدم العسكر"².

- حسب الصفوف الدراسية: تجدر الإشارة إلى أن الترتيب الذي تحدث عنه هانوتو³ والشيخ ابن زكري لم يعد معمولاً به في العهود الأخيرة عندما كان الأستاذ محمد الصالح بالزاوية كما نَبّه عليه في مذكراته⁴، وقد نقل الأستاذ ذلك دون إشارة إلى ما كان عليه ترتيب الصفوف على عهده، ولا ندرى إن كان إبطال العمل ذاك من مشمولات الإصلاحات التي طرأت على نظام التعليم في الزاوية بأخرة، غير أن الصورة الدراسية التي يمكن أن يوقف عليها من خلال حديث الأستاذ إجمالاً، هي أن في الزاوية شيخاً واحداً يقوم على تدريس جميع العلوم، ويساعده في ذلك مجموعة من الطلبة النجباء (المتقدمين في السن غالباً، و الأكفاء في التحصيل نادراً) يقومون بتدريس الطلاب الأدنى مستوى و سنّاً، سواء بمراجعة ما تلقوه عن الشيخ، أو بتدريس بعض العلوم والكتب رأساً؛ كما فعل الأستاذ الصديق وهو طالب لم يتجاوز الخامسة عشرة بتدريس بعض الكتب كالسمرقندية ولامية الأفعال وغيرها. والأظهر أن هذا الترتيب هو الذي استقر عليه الأمر أيام تواجد الأستاذ بالزاوية. أما النجباء الذين يساعدون الشيخ فهم "المعيدون" بالتعبير المعاصر، وهم - كما ذكرنا

¹. وهم بالأمازيغية على الترتيب: إينوالن، إيرخّائين، إيسقائين، إيطابن، إيدوالن.

². أعلام من الزاوية، مرجع سابق، ص 92-93. ورحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 154/1.

³. Hanoteau. A, op.cit, T2, p. 110.

⁴. رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 162/1-163.

في موضع آخر- إما "سباقون" أو "دوّالون"¹.

8. الآداب العامة: وهي عديدة ومنضبطة، منها إجبارية حضور الاجتماعات القانونية الدقيقة النظام والوقت، لا يسمح فيها الحديث إلا لمن أُذن له بذلك، ولا يسمح بمد الرجل أو حك الرأس والشارب، أو إتيان أي حركة تخل بحرمة المجلس. وأنواع الذنوب التي تستلزم العقاب في الزاوية: ترك الصلاة، الغياب عن الجمعية الصباحية، التغيب عن صلاة الجمعة، الغياب عن قراءة الحزب الراتب. ومن دواعي العقاب الأشد: إساءة الأدب للغير مهما كان قولاً أو عملاً أو إشارة أو كناية، وحتى المدح لأنه منبوذ عندهم، ومنه مس المصحف على غير طهارة، ومنه الدخول إلى مخازن المتونة وأكل شيء، ومنه إذابة حيوان الزاوية وخصوصاً القطط المنصوص على حمايتها في القانون، الخ. أما العقوبات، فمنها البدنية كالعقاب بحمل الأحجار على الظهر والتحطيط أو السقاية بحمل القرب من عين بعيدة وإراقتها بجنان الزاوية أو ساحتها، كما تشمل العقوبات تتمثل في تسديد مبالغ مالية، تعرض الممتنع عن أدائها للمثول أمام المجلس الخاص ويكون القرار حينها الطرد أو النفي وهو عار يلزم صاحبه في كل مكان كما لو حلت به لعنة. وأشد العقوبات في نظام الزاوية هو الطرد مع حرق الأمتعة؛ وذلك عند إتيان فاحشة السرقة، أو الإخلال بالعرض، أو الاعتداء على حرمت الجيران والزوار، حتى وإن كان مجرد نظرة أو كلمة مع امرأة بعين ماء القرية أو المزار! حتى لقد قال ابن زكري إن السعي في إعادة المطرود إلى الزاوية هو بمثابة الاحتيال بردّ الحليب إلى الضرع.²

9. الواجبات المكتملة: للزاوية حملتان كل سنة، يشارك فيهما جميع الطلبة على

¹. السباقون والدوّالون: حسب النظام المعمول به في المعهد الليولي آنذاك طلبة متهون وهم الحافظون للقراء والمتفرغون لعلوم القراءات والتجويد، وهم المعيدون الذين يساعدون الشيخ. فأما "السباقون" فهم الذين يتلقون الدروس من الشيخ كل صباح بأسبقية، فيعيدون -بحسب الأسبقية- الدرس لأفواج الصباح أو المساء. وأما الدوّالون؛ فهم نوع متقدم من الطلبة مستوى سنّاً وتحصيلاً. ينظر: أعلام من الزاوية، مرجع سابق، ص 96.

². أعلام من الزاوية، مرجع سابق، ص 100-101.

اختلاف مستوياتهم؛ إحداهما لجمع التبن للدواب تستغرق قرابة يوم كامل، والحملة لأخرى لقطف ثمار البستان، وأكثر ما فيه الكروم، وهي عملية تستغرق بضع ساعات، ثم تقسم الثمار على الطلبة بعدل وإنصاف بعد أن يؤخذ للشيخ نصيب من الثمار المتميزة.¹

10. الراحة بالزاوية: عرفت هذه الزاوية كذلك بالاعتناء بالجانب البدني في مقابل الاعتناء بالجانبين العقلي والروحي، فكانت الرياضة البدنية تمارس في الزاوية باستمرار -على ما شهد به الأستاذ أيام وجوده بها-، وذلك مساء كل يوم خميس، وكانت تلك الرياضة تتمثل في لعبة الكرة سواء باليد أو بالرجل، فتتنظم مباريات بين فريقين من المجيدين للعبة ويجلس لها الطلبة الآخرون للتفرُّج والتشجيع.² ومما يدخل في هذا الباب أيضاً المبارزة؛ وهي نوع من الفن الحربي الموجود في كل منطقة من الجزائر؛ فقد ذكر المناضل حسين آيت أحمد أنها كانت تعد نشاطاً إجبارياً، ويبدو أنه لاحظ ذلك في الزيارة التي قام بها للزاوية تلبية لدعوة الشيخ الرزقي الشرفاوي، ولاحظ آيت أحمد أن تلك الرياضة تعد بمثابة تنفيس لا تلغي بل إنها تؤكد قاعدة الزهد السائدة، وكان يحضرها زوار مدعوون بعد تناولهم الطعام جمعياً مع الطلبة والمعلمين.³ كما أن ثمة أنشطة أخرى ولكنها من قبيل الرياضة الفكرية، كانت تمارس يوم الخميس بين المغرب والعشاء وتعدّ خصيصاً للجدال العلمي، لشحذ العقول وتنمية المواهب، فيجلس الطالب الذي يأنس من نفسه القدرة على ذلك وسط الحلقة وتوجه إليه الأسئلة في مختلف صنوف العلم، وغالباً ما تكون في رسم القراء أو في العربية، فإن أجاب وإلا حلّ مكانه غيره، وهكذا.⁴

¹. ينظر: الصديقي، الزاوية اليلولية، مرجع سابق، ص 29-30.

². ينظر: الصديقي، تذكرة لمن يحشى، (الأعمال الكاملة، مرجع سابق)، المجلد 49، ص 214.

³. ينظر: آيت أحمد، حسين، روح الاستقلال (مذكرات مكافح 1942-1952م)، ترجمه عن الفرنسية: سعيد

جعفر، منشورات البرزخ، د.ط، 2002م، ص 82.

⁴. تذكرة لمن يحشى، مرجع سابق، ص 215.

11. مرافق الزاوية: في قمة جبل بـ "تيزي برث" بعرش آيث يجّر، وغير بعيد عن بلدة أقبو سوى بـ 25 كلم، يتربع مبنى الزاوية، متألّفاً من ثلاثة مساجد؛ يدعى أحدها بمسجد "الأعراب"؛ وهو الذي تقام فيه الصلوات الخمس وتلقى فيه الدروس، وهنا تظهر حكمة سيدي عبد الرحمن وبعد نظره في هذه التسمية؛ فإنه أراد أن تكون الزاوية مفتوحة لأبناء الجزائر من مختلف الجهات، لا قاصرة على أبناء المنطقة فقط. وأما المسجدان الآخران فهما "البيت الكبير" و"البيت الجديد"، وتتألف الزاوية أيضاً من مطبخ، وحجرات لنوم الطلبة، وحجرة يقيم فيها شيخ الزاوية، ومخزينين اثنين؛ أحدهما للتين والحبوب والآخر للزيت الزيتون، وبالقرب من المطبخ ساحة مخصصة للعب الكرة مساء كل خميس لمن يريد ذلك من الطلبة.¹ ويحيط بالبناءات بساتين بها أشجار الكروم والجوز والكرز، وبالقرب من باب الزاوية الكبير ينحدر إليها من أعلى الجبل الشاهق ميزاب² يتدفق ماءً هو غاية في الصفاء، بارد صيفاً ومعتدل شتاءً. كما أن لهذه الزاوية بـ "أقبو" مزرعة كبيرة وفيها بناية هي معبر الطلبة الذين يتجهون من الزاوية نحو ديارهم في وادي الصومام، وفيها أيضاً مخازن للزيت والحبوب.³

12. موارد الزاوية: ذكرنا آنفاً أنه كان للزاوية موارد حقيقية يقوم عليها التسيير الاقتصادي والتدبير العام؛ بحيث تغني طلبتها والوافدين إليها في مختلف فصول السنة، وكانت تلك الموارد التي تتواجد في محيط الزاوية تتمثل في الحقول والبساتين والأراضي، فيما كان بعضها الآخر عبارة عن أملاك موقوفة للزاوية كضيعات الزيتون والتين، ومزارع الحبوب في كل من حوض الصومام وبني منصور ومجانة

¹. الزاوية البلولية، مرجع سابق، ص 24.

². وصف الأستاذ زيارة الإمام ابن باديس للزاوية وانقطاعه في هدأة الليل للتأمل في الطبيعة الساحرة، والتسييح على وقع هتاف الميزاب، كل ذلك بأسلوب جميل، ينظر: رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 149/1-150. ومدارس لولاها ما كنت، مرجع سابق، ص 148.

³. رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 146-145/1، ومدارس لولاها ما كنت، مرجع سابق، ص 143-144.

ناحية البرج التي كان فيها شجر الزيتون على مد البصر، بل إن تلك الأملاك الموقوفة كانت تتجاوز محيط القبائل إلى قسنطينة والجزائر العاصمة.¹ كما كان للزاوية مداخيل مالية هامة؛ وهي الأموال والأرزاق التي يقدمها المحسنون في مختلف القرى والمداشر القريبة والبعيدة، خاصة في المواسم الدينية ومواسم الجني والقطف.² إنها والحق موارد ضخمة ومتنوعة، وحرية بأن تفي بحاجة الزاوية لمدد طويلة، خصوصا إذا علمنا أن التدبير الاقتصادي بالزاوية يسير في غاية الدقة، ووفق ما ينص عليه القانون، وإذا كانت الموارد على ما ذكرنا من الوفرة والانتظام وحسن التسيير، فإن الزاوية اليلولية بعيدة كل البعد عن السؤال أو المسألة -أو "الشحانة" بتعبير بعض الباحثين³ - التي تلجأ إليها بقية الزاوايا في القرى عادة لما يلحقها من فاقة وضائقة. وفي سياق الحديث عن موارد الزوايا، الذي كان يشكل الحجر الأساس في تقييم تلك "المؤسسات الدينية" بالنسبة للجهات الإدارية الفرنسية، فإن هانوتو لم يجد ما يعكس صفو الحديث عن الزاوية اليلولية، ولعله السبب المباشر في تناوله إياها بشكل مقتضب جداً مقارنة بحديثه عن جارتها "سيدي وذريس" للسبب ذاته؛ وقد قال عن اليلولية: "لطالما ذكرت هذه المعمرة على أنها واحدة من الزوايا الأكثر ازدهاراً، والأكثر ارتياداً في بلاد القبائل".⁴

13. وظائف الزاوية: لم يكن دور الزاوية قاصراً فقط على الخدمة التعليمية -وإن كان هذا هو دورها الأول الذي أسست لأجله-، فقد اتسع نطاق اهتمام القائمين عليها مع مرور الوقت وبالنظر إلى الحاجة المجتمعية التي تضغط عليها الظروف، فشمل ذلك الرعاية والمرافقة والضيافة والإعالة، في بلاد لم تعرف مرافق الاستقبال

¹. أعلام من الزاوية، مرجع سابق، ص 85.

². رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 152/1.

³. أعلام من الزاوية، مرجع سابق، ص 116. وينظر: الزاوية اليلولية، مرجع سابق، ص 26، فقد سماه "الشحانة" واعتبره مورداً من موارد الزاوية وأوضح المراد منه، غير أنه سكت عن هذا التعبير من غير تعليق.

⁴. Hanoteau. A, op.cit, T2, p. 126.

المأجورة؛ كالكالات والنزل والفنادق. فكانت الزاوية تحرص على إقراء الضيوف وإيواء المنكوبين والمعوزين، لا سيّما يومي الخميس والجمعة ومناسبات الأعياد؛ إذ ينص قانون الزاوية على أن "قراهم -أي: ضيافتهم- مضمون ولو تم على حساب أود الطلبة"¹، وحتى القلط ودواب الزاوية خوّلها القانون الأولوية في الرعاية. كما كانت الزاوية ملجأ للمجاهدين ومناراً لتوجيه المناضلين في سبيل الله والوطن، فلم تتوان السلطات الاستعمارية في تهديمها وإحراقها، وتخريب مكتبتها وما فيها من وثائق تؤرخ لها لوبقيت، وذخائر ونفائس قد يعز وجودها اليوم، وكان ذلك الحدث الأليم سنة 1957م.

وبالجملة، فإن هذه الزاوية كانت أرقى الزوايا قديما وحديثا ماديا وأديبا، وذلك لاستقلال طلبتها في شؤونها، وتضامنهم في كل ما يعرض لهم من شؤونها داخليا وخارجيا، وحرصهم على التعارف بينهم، واستعدادهم لهضم أفكار العصر الحاضر وقبول ما ينشده المفكرون الأحرار من الإصلاحات اللازمة،² وهو ما دفع بالضابط هانوتو وزميله لوتورنو إلى إطلاق الوصف الباذخ على الزاوية في كتابها "القبائل والعداات القبائلية" بالقول -كما مضى آنفاً- إن "هذه المعمرة إذن جمهورية حقيقية"³.

وفيما يتصل بالزحمة الكبيرة التي كانت تترتب عن الحركة الدؤوب لطلاب الزاوية، رأى العلامة المولود الحافظي -رحمه الله- أن ذلك من جملة المعوقات عن التحصيل، فاجتمع بقدماء الطلبة وكلمهم فيما يجب اتخاذه من وسائل إصلاح التعليم بهذا المعهد، وذكر منها: ترك الشواغل وكلفة الأعمال عن أعناق الطلبة، وتوظيف أجراء للقيام بهذا، وترتيب وكيل زراعي بأراضي آقبو، وذكر أنهم قبلوا أن

¹. أعلام من الزاوية، مرجع سابق، ص 112.

². الزواوي، باعزيز بن عمر، "الزوايا والزاوية وما هي الأرقى منها"، الشهاب، المجلد 7، الجزء 11، ص 741-742.

³. Hanoteau. A, op.cit, T2, p126.

يخففوا شيئاً عن الطلبة.¹ ويبدو أن القائمين على الزاوية لم يأخذوا باقتراح الشيخ المولود، وظلت الأمور على ما درجت الزاوية عليه، ولا شك أن ذلك ليس إعراضاً عن النظر الإصلاحى للشيخ، وإنما هو ثبات على السياسة التربوية المحكمة التي جربتها الزاوية طيلة قرون.

خامساً- المرحلة الزيتونية: كان الانتقال إلى جامع الزيتونة بالنسبة للجزائريين مرحلة هامة لا تكتمل المسيرة العلمية من دونها، فقد لاحظ الراغبون في الالتحاق بالجامع أثر ذلك في الأعلام العائدين منه علماً وتجربة ووطنية واكمال شخصية، وبات من التجارب الزيتونية الناجحة التي يحتذى بها أمثال ابن باديس ومبارك الميلي والعربي التبسي. ومن ثم فقد كان جامع الزيتونة بالنسبة لبعض الطلبة الجزائريين ليس مجرد منارة علم فحسب بل كان مسرحاً لإظهار المواهب وتفجير الطاقات والإبانة عن كوامن العزم. قضى الأستاذ الصديق بالزيتونة مدة أربع سنوات (1947-1951م) فأثمر احتكاكه بالحركة الثقافية والفكرية والأدبية وأعلامها بتونس آثاراً جلية تمثلت في كتب ومقالات وعلاقات ومراسلات ومواقف قد يعزّز إحرازها في تلك المدة لولا الأهمية العالية.

سادساً- ما بعد زاوية اليلولي: في سنة 1945م توفي الشيخ الرزقي الشرفاوي، فانطفأ المصباح الوهاج الذي طالما أضاء جنبات الزاوية وجوانب الطلبة، فخيّم على الجميع حزن عميق، وعمّ المكان وحشة رهيبية، فلقد كان الشيخ الشرفاوي نموذج العالم العامل بعلمه، والمربي القدوة بحسن سيرته، والمناضل النافذ بفكره، ولعل الأستاذ لم يكن يفكر في حياة شيخه بالتحول عن هذا المعهد، بعد أن وجد فيه المناخ العلمي والتربوي المناسب. لكن أما وقد توفي الشيخ، فقد شرع الأستاذ يفكر في وجهة جديدة يشبع فيها نهمه من العلم والمعرفة.

¹. ينظر: بوبكر، منهج الشيخ المولود الحافظي في التربية والتعليم، مرجع سابق، ص 88.

سابعاً- الطريق إلى تونس: حدّث الأستاذ والده برغبته¹ في الالتحاق بجامعة الزيتونة، ولم تكن ممانعة الوالد مجدّية لازدياد تدهور حالة ابنه، فلم يكن من بد حينئذ من السعي للحصول على الجواز لدى الإدارة الفرنسية في تغزيرت، وتم ذلك السعي من قبل خال الأستاذ الشيخ الطاهر آيت عيسى، غير أن تسويق الإدارة الفرنسية جعل الأستاذ يعرض عن فكرة الجواز، ويفكر في الرحلة بطريقة أخرى. وبعد ترتيبات سريعة اقتضاها اقتراب موعد انطلاق الموسم الجديد بجامعة الزيتونة، تم السفر صبيحة يوم 28 أوت 1946م، في رحلة شاقة استغرقت قرابة شهرين، دخل فيها الرفيقان السجن، وعانيا الجوع وأكلا الأعشاب وتعرّضا للسرقه وعملا بإهانة وإذلال، لكن ذلك كله لم يكن عقبة تثني العزيمة الفذة والرغبة الجاحمة والإصرار الخوّار للرفيقين، وقد فصل الأستاذ الحديث عن تلك

¹. ذكر الدكتور يحيى بوعزيز أنه عندما أعلن الطلبة الإضراب العام عن الدروس في ماي 1956م، وغادروا المعاهد والجامعات إلى الجبال وكثر عددهم، عمل المرحوم العقيد عميروش على توجيههم إلى الخارج لمواصلة دراستهم، ووجه أفواجاً منهم إلى تونس صحبة المجاهدين المكلفين بجلب السلاح؛ وذلك على مدى أعوام 1956 و1957 و1958م. وذكر الدكتور من أولئك النماذج جماعة من العلماء والمشايخ والطلبة، وفيهم الشيخ محمد الصالح الصديقي. ينظر: الثورة في الولاية الثالثة، د. يحيى بوعزيز، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د. ط، 2012م، ص 367. لكن ذلك غير صحيح؛ فإن الأستاذ كان في تلك السنوات التي حددها الدكتور قد التحق بركب الثورة وكُلّف فيها بمهام مختلفة، بداية بانضمامه إلى فريق المحررين بجريدة "المقاومة" بتونس، وانتهاء بتعيينه مسؤولاً عن الإعلام للثورة في ليبيا، ولا شك أن الدكتور بوعزيز أراد أن الشيخ الصديقي كان مرافقاً لأولئك الطلبة على غرار غيره من العلماء والمشايخ؛ بناء على ما ذكره في موضع آخر من الكتاب بقوله: "ووصل عدد قليل منهم إلى تونس مع عدد من الشيوخ والمعلمين أمثال: الشيخ الطاهر آيت علجت، والشيخ محمد الصالح الصديقي، الخ" المرجع نفسه، ص 315. فقد لا يكون صحيحاً أيضاً بالنظر إلى ما بين أيدينا من كتب الأستاذ وقد ترجم فيها لكل ما يتصل به في مراحل حياته المختلفة، وقد أجريت معه مقابلتين مطولتين تعرض فيها لما كتبه في موضوع التحاقه بجامعة الزيتونة طالباً ثم عودته إليها مجاهداً، ولم يذكر مطلقاً إشارة العقيد عميروش عليه بالسفر إلى تونس مرافقاً للطلبة، ولو كان الأمر على ما قيل لكان من المتعين عليه الإشارة إلى هذا الفصل المهم والمشرّف من سيرة عميروش، خصوصاً وأن الأستاذ أسهم بكتاب وفائي عن سيرة العقيد وجهاده، يأتي الحديث عنه لاحقاً.

الرحلة في مواضع من كتبه¹، ثم أسهب في وصف الرحلة في كتاب مستقل من آخر ما ألف، أسماه "رحلة العمر مع الرفيق محمد نسيب".

أما بشأن الإقامة، فإنها بعد الوصول إلى تونس، توجهها إلى أحد المساجد بسوق العصر بالقرب من "باب الحديد"، ومكثا فيه قرابة أربعة أشهر، قبل أن يمنّ الله عليهما بالسكن بعد مساعٍ حثيثة، وكان ذلك في حدود فيفري 1946م، حينئذ عيّن نسيب في مدرسة "الهداية" بسوق العصر، أما الأستاذ فقد عيّن بعد الأسبوع الموالي في "المدرسة الباديسية"، بتربة الباي، وهي خاصة بالطلبة الجزائريين.²

ثامناً- في جامع الزيتونة: لما تولى الشيخ محمد الطاهر بن عاشور مشيخة جامع الزيتونة، أدخل بعض الإصلاحات على التعليم الزيتوني؛ كتقسيم التعليم إلى المراحل التعليمية الثلاث المعلومة، وجعل حصة الدرس لا تتجاوز ساعة، كما تم تعيين مواد الدراسة والشيخ المدرّس لها في كل فصل، مع بيان أوقات الدرس لكل مادة، ولم يكن المشايخ متعودين على مثل هذه الإصلاحات الجزئية؛ فقد كان المدرس حرّاً في مدة حصة الدرس التي تستغرق وقتاً حسب رغبته، فكان الدرس ربما استمر ثلاث ساعات، ويأتي المدرس ومعه عون حامل لمجلدات كثيرة يراجع منها بعض النصوص والنقول للدرس. ولم تكن ساعات التعليم منضبطة بوقت محدد، كما أن التلاميذ كانوا أحراراً في اختيار المدرس الذي يروق لهم³، ربما لعدم حضورهم في قاعة درس تتظمهم، لأن الدروس كانت تُتلقى عبر حلقات موزعة على الجامع.

¹. ينظر: رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 1/204-248. وأعلام من منطقة القبائل، مرجع سابق، ص 137-177.

². أعلام من منطقة القبائل، مرجع سابق، ص 177-178.

³. محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 1404هـ-1984م، 153-152/3.

لقد كان للأستاذ رغبة في العلم منقطعة النظير، وهمّة يعز وجودها لدى أتراه، وانكفاء كبير على التحليل لما يدور حوله، من ذلك انطباعه الذي حصّله بعد جلوسه لأول درس حضره بالجامع وكان في التفسير، مُفاده أن ما سمعه لا يماثل مجلس التفسير الذي كان يلقيه العلامة الشرفاوي في المعهد اللولي من منهجية وضبط ولطف مناسبة وإسقاط على الواقع، فقد كان الشرفاوي يلقي الدرس فيسلكه ينابيع في القلوب، وكأني بالأستاذ يتأسف على ما حُرمته الجزائر من منارات ومعاهد، تجمع ما تفرق في ربوعها من علماء أفذاذ، وتعرّف بهم على نحو ما يقوم به جامع الزيتونة.

بعد تشاور مع أعضاء من جمعية الطلبة الجزائريين كالشيخ أحمد حسين والشيخ عبد الرحمان شيبان، تقرر أن يلجأ الأستاذ إلى نظام الادّعاء¹ إلى السنة الثالثة رأساً، وذلك صرفاً لما يمكن تكراره من العلوم والمتون الكثيرة التي تلقاها وأنقنها في الفترة التي كان فيها طالبا بالزاوية اللولية حفظاً وفهماً وأداءً إذ درّس بعضها كما تقدم. فتم الأمر على ذلك، وأكمل الأستاذ خمس سنوات بالزيتونة كللت بشهادة التحصيل في العلوم التي نالها سنة 1951م²، وقد أقامت جمعية الطلبة الزيتونيين الجزائريين³ حفلة شاي على شرف لتكريم المتخرجين من الطلبة الحائزين على

¹. نظام الادّعاء: أن يدّعي الطالب الدراسة في سنة معينة، يرى نفسه جديراً بها بالنظر لمحصله العلمي، فتكوّن لجنة من الأساتذة لاختباره في جميع المواد الممهدة للسنة المراد التسجيل فيها.

². سألت الأستاذ في مقابلة شخصية أجريتها معه ببيته يوم الثلاثاء 14/12/2021م عن عدم مواصلته الدراسة للحصول على الشهادة الأعلى، فأجاب بأن المدة التي قضاها في الزيتونة قد طالت بالنسبة إليه. وقد لاحظ بعض الباحثين ضعف عدد الطلبة الجزائريين المنتسبين إلى مرحلة التعليم العالي إلى غاية 1962م (حيث بلغت النسبة 02.22 ٪ فقط)، وأرجع السبب إلى حاجة المدارس الجزائرية آنذاك إلى حملة شهادة التحصيل. ينظر: اللولب، حبيب حسين، "الطلبة" = الجزائريون بجامع الزيتونة وفروعه (1876-1962م) التحديات والرهانات"، مجلة البحوث والدراسات، تونس، عدد 26 مارس 2017م، السنة التاسعة، ص 37.

³. جمعية الطلبة الزيتونيين الجزائريين: هي جمعية ذات نشاط علمي وثقافي واجتماعي، تأسست سنة 1934م بتشجيع من الشيخ البشير الإبراهيمي. تمثل نشاطها في التعريف بالجزائر وقضيتها والتعريف برجالها وأعلامها =

شهادتي الأهلية والتحصيل، بالمدرسة السليمانية على الساعة الرابعة مساء يوم 1951/10/31م¹.

أما العلوم التي تلقاها الأستاذ بالجامع طيلة مدة دراسته فيه، فكانت -على غرار ما في بقية المعاهد الدينية- تتمثل في العلوم الشرعية (توحيداً وفقهاً وتفسيراً وقراءات وحديثاً وأصولاً وفرائض)، والعلوم اللسانية (أدباً وإنشاءً ونحواً وصرفاً وبلاغة)، باستثناء العلوم الرياضية والعقلية (من حساب وجبر ومنطق وميقات) فإنه قد استكملها خارج الجامع.

تاسعاً- شيوخه: درس الأستاذ في المرحلة الزيتونية خمس سنوات، تلقى خلالها العلم والأدب على أكثر من ثلاثين شيخاً، كان لهم -كما كان لإخوانهم في الجزائر- آثار ظاهرة على حياته الأدبية والثقافية، وإن تفاوتوا فيما بينهم من حيث مقدار الإفادة ومدة التدريس. وقبل أن نتعرض لذكرهم، ينبغي الإشارة إلى أن شيوخ الأستاذ صنفان: صنف أخذ عنهم بصفة نظامية مباشرة سواء في مرحلة ما قبل

=ورعاية المواهب وتكوين الإطارات. واعتمدت لتحقيق ذلك المساهمة في التظاهرات والمناسبات وتكوين الأندية والمكتبات والأنشطة الرياضية وتوفير بعض الخدمات كالسكن ودروس الاستدراك، وكانت تتلقى دعمها المادي من التبرعات ومساعدات جمعية العلماء. وبين سنتي 1948 و1955م عرفت الجمعية حالة من التراجع والانكماش، وتطرق إليها الخلاف بين المؤيدين للنهج الباديسي وبين المجموعات الشبانية الجديدة التي تأثرت بحركة انتصار الحريات الديمقراطية، إلى أن وقع الانشقاق إلى مجموعتين الأولى مؤيدة لحركة انتصار الحريات (حزب الشعب) والأخرى لجمعية العلماء وقد سارعت هذه الأخيرة إلى استحداث جمعية جديدة (سنة 1947م) باتت تعرف بـ "جمعية البعثة". وعقب مؤتمر الصومام (تحديداً في سنة 1957م) وفي إطار إعادة تشكيل الهيئات النضالية تم تجسيد نشاط جميع الجمعيات والفروع الطلابية وأعيد بعثها مجدداً في شكل تنظيم موحد الذي كان "الاتحاد العام للطلبة الجزائريين". ينظر: الجابري، محمد صالح، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962م، الدار العربية للكتاب، د.ط، 1983م، ص 134-135، 147-149، واللؤلؤ، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة وفروعه (1876-1962م) مرجع سابق، ص 26.

¹. الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، مرجع سابق، ص 135. وينظر: بوطيبي، محمد، "نشاط الطلبة الزيتونيين الجزائريين في تونس خلال النصف الأول من القرن العشرين"، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد 22، عدد 1، السنة 2021م، ص 354.

زاوية الشيخ اليلولي أو أثناءها، وسواء في جامع الزيتونة. وصنّف درس عليهم دراسة حرة في مدرسة الحياة الأدبية والفكرية والثقافية الرحبة الفسيحة؛ ومن هؤلاء أبرز الأسماء التي بنيت عليها النهضة الجزائرية والعربية والإسلامية الحديثة. وفيما يلي ذكر من أخذ عنهم أستاذنا منذ بداياته الأولى في الطلب على سبيل الإيجاز:

- الشيخ محمد الشريف الخواص: تعلم على يديه الحروف الهجائية، كان شيخ كتاب بإحدى القرى، معروفًا بالصلاح والتقوى، وحب الخير لعامة الناس.¹

- الشيخ محمد البشير آيت الصديق² (1889م-1965م): هو والد الأستاذ، وقد مرّت ترجمته.

- الشيخ أحمد الجريدي: هو أول من حضر الأستاذ محمد الصالح درسه بجامع الزيتونة، وأخذ عنه علمي الصرف والاشتقاق³. وكان هذا الشيخ هو السبب في تغيير اسم الأستاذ إلى ما هو عليه الآن.

- الشيخ محمد بن علي بن الشاذلي الكلبوسي⁴ (1901-1982م): انتصب للتدريس بالجامع الأعظم سنة 1920م، وأخذ التفسير عن الإمام ابن عاشور، والأصول عن العلامة جعيط في كتاب "الورقات". أخذ عنه الأستاذ حاشية الخطاب المسماة "قرة العينين" على شرح الجلال المحلي لورقات إمام الحرمين.

- الشيخ [محمد] العربي العنابي: هو مؤسس ومدير معهد ابن خلدون (جامعة 9 أفريل حالياً). يرى الأستاذ الصديق أن هذا الشيخ جزائري الأصل بالنظر إلى نسبته

¹. رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 97/1.

². المرجع نفسه، 39/1.

³. المرجع نفسه، 261/1.

⁴. المرجع نفسه، 262/1، ووقع لدى الأستاذ تصحيف في اسمه إلى "الكلبوسي"، ينظر في ترجمته: موقع شبكة تحرير وتنوير، تاريخ التصفح: 2023/07/31م، على الساعة 19:10. الرابط:

إلى "عناية"، درس عليه البلاغة.¹

- الأستاذ أحمد مختار الوزير (ت: 1983م): هو الأديب الكبير والشاعر الملمهم، وباحث من رجال التربية والتعليم، تخرج في الزيتونة وسافر إلى القاهرة لينتسب إلى كلية دار العلوم، ثم عاد إلى تونس لياشر التعليم بالمدرسة الخلدونية لتلامذة جامع الزيتونة في المرحلة الثانوية والعالية. ترك دواوين شعر عديدة، ودراسات وأبحاثا ومقالات في الأدب العربي، منها ما نشر بالخصوص في المجلة الزيتونية في الثلاثينيات من مسلسلات تحت هذه العناوين: "في الأدب العربي"، "العاطفة في الأدب العربي"، "الخيال في الأدب العربي".²

- الشيخ مصطفى القمودي (ت: 1957م): له "المنهج الحديث في مصطلح الحديث"، و"تحقيق الأمانة بمقدمات السنة النبوية" وكان هذا الكتاب من مقررات جامع الزيتونة آنذاك، درس عليه السيرة النبوية.³

- الشيخ بلقاسم بلخضر: العلامة الأصولي، درس عليه أصول الفقه مدة سنتين.⁴

- الشيخ ساكيس (ت: 1988م): هو محمود بن قاسم ساكيس الجربي التونسي، درس عليه النحو.⁵

- الأستاذ محمد بوشريّة (ت: 1952م): الأديب الكبير والشاعر العبقرى الملمهم، درس عليه في الأدب ثلاث سنوات، ترك من الآثار: "ديوان شعر"، "مختارات من الأدب العربي"، "مختارات من الأدب الفرنسي"، كتابا في النحو. وكان

¹. رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 263/1.

². المرجع نفسه، 264/1. ومحفوظ، محمد، تراجم المؤلفين التونسيين، مرجع سابق، 136/5.

³. المرجع نفسه، 265/1.

⁴. المرجع نفسه، 266/1.

⁵. المرجع نفسه، 267/1.

ذا فضل كبير على الأستاذ الصديقي في التوجيه والإفادة، وتعلق به الأستاذ وكتب عنه في جريدة "المنار" وجريدة "البصائر" إثر وفاته في حادث سيارة، وترجمه بعدها ترجمة ضافية في كتابه "أعلام من المغرب العربي".¹

- الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور (ت: 1970 م): نجل الإمام محمد الطاهر المفسر الشهير. والفاضل أديب وخطيب، له مشاركة في العلوم الشرعية، تخرج في الزيتونة ثم أصبح أستاذا بها فعميدا، كما شغل منصب القضاء، وترك عدة مؤلفات؛ منها: "المحاضرات المغربيات"، "التفسير ورجاله"، "أعلام الفكر الإسلامي في المغرب العربي"، وغيرها. تلقى عنه الأستاذ خارج أروقة الزيتونة؛ إذ واظب على محاضراته التي كان يلقيها بالخلدونية طيلة خمس سنوات كاملة.²

- الشيخ أرزقي الشرفاوي (1880م-1945م): العلامة الفقيه الأصولي المفسر، ينحدر من عائلة ابن القاضي التي كانت تحكم إمارة كوكو بجبال جرجرة. ولد بقرية "شرفاء بهلول"، درس في عدة زوايا بالمنطقة، ثم التحق بالمدرسة الثعالبية في الجزائر العاصمة وتتمدذ فيها للعلامة عبد القادر المجاوي. ثم رحل إلى مصر والتحق بالأزهر وتخرج فيه بشهادة العالمية. تلقى العلم في جامعة الأزهر على يد ثلة من العلماء أبرزهم: الشيخ العلامة محمد بنخيت المطيعي الحنفي (ت: 1935م)، والعلامة الأستاذ يوسف الدجوي (ت: 1946م). بعد تخرجه، زاول الشرفاوي التدريس بمصر مدة إحدى عشرة سنة³، قبل أن يعود إلى الجزائر ويختار التدريس بالمعهد اليلولي. ترك عدة مؤلفات في التراجم والفقه والعربية وغيرها بالإضافة إلى

¹. رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 267/1-269. وينظر: أعلام من المغرب العربي، مرجع سابق، 551/2. وتراجم المؤلفين التونسيين، مرجع سابق، 152/3-156 ومن مراجع هذه الترجمة في الكتاب المذكور: كتاب للأستاذ بعنوان وقفات ونضات.

². تراجم المؤلفين التونسيين، مرجع سابق، 310/3.

³. أعلام من المغرب العربي، مرجع سابق، 275/1.

مقالات كثيرة في صحف جزائرية وأجنبية.¹ توفي رحمه الله سنة 1944م². درس عليه الأستاذ في الزاوية اليلولية في الفترة التي كان الشرفاوي مديراً لها، ولا ندري إن كان الأستاذ قد أخذ عن شيوخ آخرين في الزاوية غير شيخه، أم إنه انقطع انقطاعاً تاماً للأخذ عنه وحده! والظاهر من كلام³ الأستاذ أن الشيخ الشرفاوي كان هو وحده من يقوم على التدريس بمساعدة طلبة ذوي كفاءة يعينونه بـ "التسبيق" و"التدويل"، وينبني عليه أن الأستاذ الصديق تلقى العلوم نفسها التي كان الشرفاوي يتولى تدريسها؛ وهي: الفقه بشرح الخرشبي على مختصر خليل، والحديث بكتاب "سبل السلام شرح بلوغ المرام"، والتفسير بكتاب "روح المعاني" للآلوسي، وعلوم اللغة من بلاغة ونحو وصرف، وعلوم رياضية من منطق وحساب، وهذا قبل أن يطلب الأستاذ من شيخه إعفاءه من الدروس التي أمره بالحضور إليها على سبيل التبرك.

- الشيخ أحمد حسين (1911م-1987م): حينما كان الأستاذ طالبا بالزاوية اليلولية صيف 1945م، جاء الشيخ حسين من الزيتونة لقضاء عطلة بالزاوية بعد قضاء أيام في مسقط رأسه "قروبسا" بسيدي داود بالقرب من دلس، فنزل عند طلب بعض الطلبة في أن يدرس لهم "لامية الأفعال"، وكان الأستاذ الصديق ممن واطب على تلك الدروس حتى نهايتها.⁴

- الشيخ العربي قمقوم (1912م-1953م): هو العربي بن عيسى المدعو "قمقوم"، لقبه بذلك شيخه الإمام ابن باديس، حينما رأى فيه مخائل النجابة، ورأى

¹. ينظر: الشيخ الرزقي الشرفاوي - حياة وأثار، شهادات ومواقف، محمد الصالح الصديق، دار الأمة للطباعة والنشر، ط1، 1998 م. وينظر: رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 177/1-193.

². ينظر في تحقيق سنة وفاة الشيخ الشرفاوي: بورنان، سعيد، الشيخ الرزقي الشرفاوي، مرجع سابق، ص 244 (حاشية رقم 03).

³. رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 162/1، 181.

⁴. المرجع نفسه، 104/2.

منه وعود الجهاد في سبيل العلم. بعد عودته من الزيتونة، عمل منذ سنة 1936م مدرساً في مدارس جمعية العلماء المسلمين، وتعود معرفة الأستاذ به أوائل الأربعينات عندما كان طالباً في المعهد اللبني، وقد انتظم في الزاوية في سلك الطلبة، ولكن الطلبة ارتأوا أن يفيدوا منه فأنزلوه منزلة الشيخ، وأسندت إليه بعض الدروس في الأدب العربي حسبما ارتآه هو -رحمه الله-، فكان يختار نصاً أدبياً، ويكلفهم بحفظه، ثم يشرحه شرحاً أدبياً وافياً في ساعة أو أكثر. وكانت طريقته في الدرس أن يقرأ الطلبة النص جماعةً بصوت مرتفع، ثم يشرح المفردات، ثم المعاني العامة، ثم يطلب من بعضهم تلخيص معاني الأبيات بأسلوب عربي، ثم يختتم ذلك بأن يطلب منهم تحرير موضوع إنشائي في المعنى.¹

عاشراً- تلاميذه: مارس الأستاذ التعليم في فترتين؛ أولاهما في عهد الاستعمار وكان ذلك في الزاوية اللبنيّة فيما بين 1951م و 1956م، ثم في الفترة ما بين 1965م و 1980م بعدة ثانويات بالعاصمة. وإن كان من غير الممكن للأستاذ الاحتفاظ في ذاكرته بأسماء جميع من تتلمذوا له في الفترتين لكثرتهم، فإن من غير الممكن كذلك بالنسبة للباحث الترجمة لمن تحدث عنهم الأستاذ واستذكروهم لموقف ووقفوه أو أمل حققوه أو وفاء تعهدوا به لأستاذهم، ولذلك سنجتزئ فقط بنماذج هادية تدل على مسيرة الأستاذ في مجال التعليم:

1. **تلاميذه في عهد الاستعمار:** رمضان العيساوي، الوناس الدلسي، الأشهب، أرزقي ثقمونت، طاهر رحمان، محمد الصغير العربي وهو من شهداء مذبحة الزاوية اللبنيّة، محمد الصغير خروبي، محمد الشريف خروبي، الخ.²

2. **تلاميذه في عهد الاستقلال:** الشريف الأدرع، حسين طليبي، محمود زواي، عبد الحميد عبدوس (رئيس تحرير البصائر)، محمد الهادي الحسني (عضو جمعية العلماء

¹. أعلام من منطقة القبائل، مرجع سابق، ص 260، 265، 267-268.

². رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 215/2-219.

المسلمين والكاتب الإسلامي المعروف)، محفوظ بوقرودة، علي بن غانم، عبد الحميد زروال، فوزي أوصديق (الخبير القانوني الدولي)، محمد بوعزارة، حسين طاهري، عبد العزيز أمقران، أوديع حسن، آيت قرين شريف، حمري بحري، مهدي القاسمي، مصطفى عشوي، إسماعيل مذكور، صهيب عامر، علاوة عمر، الخ.¹

المطلب الخامس - إنتاجه العلمي

لعل أبرز ما يميز سيرة الأستاذ الحافلة -علاوة على وظائفه ومسؤولياته المهمة- كثرة تأليفه بشكل ملحوظ يبعث على وصفها بـ "الظاهرة"؛ فباستثناء العلامة أبي راس العسكري² أو أحمد البوني³ لم تشهد الجزائر في تاريخها الثقافي من عرف بكثرة التأليف والكتابة على النحو الذي اشتهر به الأستاذ، إذ ناهزت مؤلفاته مائة وستين كتاباً⁴، وتنوعت أغراض تأليفه بين العلوم الشرعية والأدب والتاريخ والفكر والثقافة⁵.

لقد اشتغل الأستاذ بالكتابة والتأليف منذ وقت مبكر، إذ يعود ذلك إلى فترة

1. المرجع السابق، 215/2-218، 220-223، 228.

2. أبو راس العسكري (1737 - 1824م): محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد الراشدي الجليلي العسكري، المعروف بأبي راس؛ مؤرخ، حافظ، له مشاركة في الفقه والأدب والحديث وغير ذلك. مؤلف مكثر. ينظر: نويهض، معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 306. قال الدكتور سعد الله: وقد أكثر أبو راس من التأليف كثرة لا يضاويه فيها من الجزائريين أحد حسب علمنا باستثناء أحمد البوني الذي تجاوزت تأليفه المئة". ينظر تصديره لكتاب: فتح الإله ومنتته في التحدث بفضل ربي ونعمته "حياة أبي راس الذاتية والعلمية"، تحقيق: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، 1986م، ص 05.

3. أحمد البوني (1652هـ-1726هـ): من كبار فقهاء المالكية، عالم بالحديث، ينسب إلى بونة بالشرق الجزائري، كان كثير التأليف، له "التعريف بما للفقيه من التأليف" عدّد فيها أسماء مؤلفاته وهي نحو مائة كتاب. ينظر: نويهض، معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 49، 51.

4. يقرر الدكتور سعد الله أن الجزائريين عامة قليلو الكتابة إذا قيسوا بالشعوب الأخرى، قال: وهي ملاحظة أباها ابن خلدون عند حديثه عن أهل المغرب العربي بالمقارنة مع أهل المشرق. ينظر: سعد الله، أبو القاسم، أبحاث وآراء (القسم الأول) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر، ط2، 1401هـ-1981م، ص 44.

5. جمعت الأعمال الكاملة للأستاذ فجاءت في واحد وخمسين مجلداً مرتبة حسب العلوم والأغراض، وطبعت سنة 2014م في دار هومة-الجزائر، بتصدير الدكتور أحمد بن نعيان وتقديم الشيخ عبد الرحمن شبان.

دراسته بجامعة الزيتونة، حيث أخرج باكورة أعماله "أدباء التحصيل" (1951م)، وعند تخرجه في الزيتونة والتحاقه بالزاوية اليلولية مدرّساً أتبع كتابه السابق بمقدمة قدّم بها لإحدى رسائل شيخه الرزقي الشرفاوي التي طبعت بعنوان "إثبات هلال رمضان بالطريقتين الشرعية والفلكية" تقديم وتعليق محمد الصالح الصديقي، ثم أتبع ذلك بكتابه الأشهر الذي حلق في آفاق الدراسات القرآنية وهو "مقاصد القرآن" (1955م)، ولا شك أن ما قوبل الأستاذ به من مدح وثناء وتقريظ ونقد حيال صدور كتابيه كان حافزاً قوياً له لانطلاقه في ميدان الكتابة وتربّعه فيما بعد على عرش التأليف في الجزائر.

وهكذا تتابعت مؤلفات الأستاذ بغزارة منقطعة النظير، وفي أغراض متعددة ومختلفة على ما سيأتي تفصيله في الفصل الثاني.

المطلب السادس - وظائفه ومسؤولياته

كان التحرر والانعقاد سمة لازمة للأستاذ منذ صغره، ولم يكن ذلك إلا لمجرد السعي إلى تحقيق طموحاته في أن يكون مستقبلاً كاتباً كبيراً ومؤلفاً مهماً؛ ولهذا السبب لم ينخرط بصفة رسمية في أي تشكيلة سياسية أو ثقافية رغم المناصب التي عرضت عليه، باستثناء تعيينه مرشداً سياسياً وثقافياً للفيلق الذي أرسل إلى صحراء فزان، وعمله في إذاعة الثورة "صوت الجزائر" بالقطر الليبي، بل لقد وجد في عمله بالإذاعة معيناً خصباً ومهماً في الكتابة والتأليف. وعلى كل حال، يمكن تتبع المسؤوليات والعضويات والوظائف والمهام التي اضطلع بها على النحو الآتي:

- عضواً بجمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين (1947م-1951م): كان الانضمام إلى هذه الجمعية من تحصيل الحاصل؛ أي إنه كان انضماماً تلقائياً لا يسع الطالب الجزائري الخروج عنه أو التفريط فيه لما كان للجمعية من إطار معنوي يعبر به عن تمثيل الحضور الجزائري بين غيره من الجنسيات، علاوة على الإعانة المادية

التي غالباً ما كانت تتمثل في مساعدة الطلبة الوافدين إلى تونس في إيجاد مأوى ملائم وغير ذلك.¹ وقد بادرتُ الأستاذ إن كان لديه وقت حينها للمشاركة في أنشطة الجمعية، فأجاب بأن انتماؤه للجمعية لم يكن سوى تحصيل حاصل كما تقدم، وذلك بسبب انقطاعه التام للقراءة والبحث والكتابة وارتداد المكتبات وحضور المحاضرات والحرص على لقاء مشاهير الكتّاب والشعراء كأبي شربة وخزندار وغيرهما.²

– مدرّساً بزواوية الشيخ عبد الرحمن اليلولي (1951م-1956م).³

– مكلفاً من قبل قيادة الثورة بمهمة جمع المال والسلاح (1954م).⁴

– مرشداً سياسياً وموجّهاً أخلاقياً في منطقة فزان بالجنوب الليبي على الحدود الجزائرية (1951م).⁵

– محرراً بالقسم العربي من صحيفة "المقاومة" اللسان المركزي لجهة وجيش التحرير الوطني، باقتراح من المرحوم علي محساس، وذلك بتونس (1956م-1957م).⁶

– مسؤولاً عن الإعلام للثورة في طرابلس الغرب، ومحرراً بإذاعة "صوت

¹. بعد أسابيع قليلة من الدخول الدراسي للموسم 1945-1946م، ظهر تياران وسط الطلبة الجزائريين، التيار الأول هو الذي عبر عنه لاحقاً بالبعثة؛ أي بعثة الطلبة التابعة لجمعية العلماء المسلمين والتيار الثاني هو المسمى بالتيار الوطني التابع لحزب الشعب الجزائري. تزعم التيار الأول الطالب عبد الرحمان شيبان، وتزعم الآخر المناضل عبد الحميد مهري الذي التحق بجامعة الزيتونة في تلك السنة، وقيل إنه لم يكن طالبا مهيكلًا مسجلاً بل كان مجرد مستمع حر ولم تكن مهمته الحقيقية تعليمية إنما كانت سياسية من طرف حزب الشعب لتأطير الزيتونيين. ينظر: بشيشي، الأمين، الأمين بشيشي يروي مساره (مذكرات)، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار (ANEP)، د.ط، 2016، 166/1، 179.

². مقابلة شخصية أجريتها مع الأستاذ في بيته يوم السبت 2022/10/30م.

³. ينظر: رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 297/1 وما بعدها.

⁴. رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 323/1.

⁵. المرجع نفسه، 348/1.

⁶. المرجع نفسه، 340/1.

الجزائر " (1958م-1962م).¹

- موظفاً بوزارة الخارجية (1964م-1965م). قرابة عام واحد فقط، ثم انسلخ من الوزارة لأسباب شخصية وسياسية.²

- أستاذاً للتعليم الثانوي (1965م-1980م). وكانت البداية في "ثانوية عبان رمضان" بالحراش، ثم في "ثانوية ابن خلدون" بالقصبة، انتهاءً بـ "ثانوية الأخوين حامية" بالقبة.³

- منتدباً إلى وزارة الشؤون الدينية للإشراف على إحياء تراث الإمام عبد الحميد بن باديس (1981م-1997م)، وكان ذلك بتكليف من الأستاذ الراحل عبد الرحمن شيبان.⁴ ثم انسلخ مجدداً من وزارة الشؤون الدينية، إذ كانت سياسة الوزير الجديد الذي خلف الراحل شيبان تتعارض مع أمنية الأستاذ آنذاك؛ وهي استكمال المشروع الإصلاحية بإحياء تراث بقية العلماء على غرار تراث الإمام ابن باديس.⁵

- عضواً بالمجلس الإسلامي الأعلى⁶ (1981م-1997م) قال الأستاذ في معرض ترجمته للراحل الشيخ أحمد حماني: "عملنا معاً في المجلس الإسلامي الأعلى،

1. المرجع السابق، 372/1، 375-376.

2. كانت الاستقالة بمعىة رفيقه في الجهاد الشيخ الطاهر آيت علجت، وبأتي الإشارة إلى أسباب استقالة الأستاذ بإيجاز في الفصل الثاني.

3. ينظر: المرجع السابق، 415/1-416.

4. ينظر: المرجع نفسه، 421/1-425. وصراع بين السنة والبدعة أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس، أحمد حماني، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، ط1، 1405هـ-1984م، ص 11.

5. محمد الصالح الصديق، الله أكبر.. من كان في حماه لا يبالي بخطر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، د.ط، 2023م، ص 141.

6. وجدت أن إشارات الأستاذ إلى عمله بالمجلس الإسلامي الأعلى قليلة جداً، فسألته من باب الاستزادة والتوسع وذلك في مقابلة شخصية بيته ظهر يوم الأربعاء 07/06/2023م، فأجاب بالإثبات وأشار باقتضاب إلى بعض الأنشطة المذكورة آنفاً، ولم أشأ أن أسترسل معه في الموضوع تقديراً لحالته الصحية، وتواصلت بعد ذلك مع القائمين على الإعلام بالمجلس الإسلامي فنفا أن يكون الأستاذ قد عمل فيه، وهذا مستغرب، لما تقدم من الأقوال آنفاً.

وفي وزارة الشؤون الدينية في عهد الاستقلال¹، وقال الشيخ عبد الرحمن شيبان وزير الشؤون الدينية آنذاك -رحمه الله تعالى-: "هذا وإنه لطيب لنا أن نشيد بالجهود التي ما فتئ يبذلها الأخ الأستاذ محمد الصالح الصديقي، العضو بالمجلس الإسلامي الأعلى، على مساعدتنا لإنجاز هذه الأجزاء، من آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، وما نعتزم إصداره -بحول الله- من بقية آثاره، وآثار غيره من علمائنا الأعلام، قديماً وحديثاً"². وتحدث عنه صديقه الشيخ أحمد حمّاني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى الأسبق -رحمه الله تعالى-: فوصفه بأنه "عضو المجلس الإسلامي الأعلى والمؤلف الشهير"³. وتمثلت مهمة الأستاذ في المجلس في عدة أنشطة؛ منها تمثيل الجزائر في مختلف المحافل الدولية ذات الطابع الديني، وإحياء التراث، وإلقاء الدروس والمحاضرات المسجدية، والمشاركة في ملتقيات الفكر الإسلامي.

المطلب السابع - علاقاته ومراسلاته

حديث الأستاذ عن علاقاته المتنوعة مبثوث في كثير مما كتب؛ سواء في الأحداث التي عاشها أو في تراجم الرجال الذين لقيهم أو تأثر بهم. ومن هنا، فإننا سوف نقتصر فحسب على أولئك الذين كان للأستاذ علاقة متبادلة معهم من خلال اللقاءات المتكررة أو المراسلات والمكاتبات الخاصة، ولن نتعرض بالذكر لأولئك الذين تركوا انطباعاً عميقاً في نفس الأستاذ وتكوينه -وهم كثيرون- دون أن يكون له لقاء مباشر معهم.

أولاً - علاقاته السياسية:

1. كريم بلقاسم (1922-1970م): تعرف عليه الأستاذ بواسطة العقيد اعزورن قبل أشهر من تفجير الثورة، ومن كريم كان الأستاذ يستمد الأوامر

¹. رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 257/2. وينظر: 305/2.

². شيبان، عبد الرحمان، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، إصدار وزارة الثقافة، الجزائر، د.ط، 2007م، 15/1.

³. ينظر: صراع بين السنة والبدعة، مرجع سابق، ص 11.

القيادية؛ والتي كان منها التعبئة والدعاية في صفوف الطلاب والمريدين بالزاوية الليلية، ومنها جمع المال والسلاح من طريقها، ثم الالتحاق بمكتب جريدة "المقاومة" في تونس والعمل بها محرراً، ثم التوجه نحو طرابلس الغرب للإشراف على الدعاية للثورة من خلال العمل الصحفي والإذاعي كما مرّ آنفاً. وطالما ذكر الأستاذ العقيد بالإكبار له والاعتزاز بأمثاله.¹

2. العقيد عميروش (1926-1959م): كانت بين الرجلين مراسلات شفوية عن طريق المجاهدين، لكن عندما قدم العقيد إلى تونس سنة 1957م عاش معه الأستاذ قرابة شهرين كاملين رغم كثافة المهام وحساسية اللقاءات وأهداه العقيد خلالها ساعة يد، وقد رسخت تلك الأيام في ذاكرة الأستاذ فأشار إلى نبذ منها في مواضع من كتبه، ثم خلد تلك العلاقة بكتاب وفائي سماه "عميروش وقصص أخرى" بتصدير المفكر الكبير مالك بن نبي، وطبع الكتاب ببيروت والجزائر، كما ترجم إلى الفرنسية.²

3. العقيد عمر او عمران (1919-1992م):³ تعرف عليه الأستاذ من طريق العقيد إغزورن الذي دعاه لمقابلة او عمران في بيته بإحدى غابات المنطقة، ثم تكررت اللقاءات، واستشف الأستاذ من هذا الرجل الصدق في الوطنية

¹. ينظر: رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 1/314-315 و2/339. والصدّيق، محمد الصالح، رحلة في أعماق الثورة، دار هومة، د.ط، 2002م، ص 281.

². ينظر: رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 1/342-346 و2/340.

³. قيادي ساهم في تكوين المنظمة الخاصة والتحصير لاندلاع الثورة، قاد إحدى نواحي المنطقة الرابعة، وخلف بيطاط في قيادة الولاية الرابعة، كان له الدور الأساسي في تنظيم أجهزة الثورة بمنطقة البويرة، وانتقل في جانفي 1957م إلى تونس، حيث هباً السلطة للجنة التنسيق والتنفيذ وواجه معارضيها، وتولى مهمة التسليخ وأصبح رفقة كريم بلقاسم وبوصوف وابن طوبال النواة القيادية الصلبة لجهة التحرير الوطني إلى غاية عام 1958م، وعين ممثلاً للحكومة الجزائرية المؤقتة بلبنان ثم بتركيا (1959-1962م). ينظر: مقالاتي، عبد الله، العقيد عمار او عمران والثورة التحريرية-المسار والأدوار، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، العدد 05، 2017م، ص 231، 241.

والإخلاص في العمل الثوري، فأكنّ له الاحترام والتقدير الذي بات متبادلاً؛ أحدهما لماضيهِ النضالي في المجال العسكري، والآخر لمكانته الاجتماعية وعلمه وفكره. وكانت بعض الأوامر والمهام التي كلف بها الأستاذ تأتي من قبل العقيد او عمران، سواء منها التي في تونس، أو التي في الجبهة الليبية بفرّان تحت قيادة الرائد إيدير، وكان او عمران يمثل القيادة أيضاً في إدارة البعثة بليبيا عند مروره بها. وللأستاذ عادة فكرية متينة، وهي أنه إذا استحكمت منه المودة لشخص ما فإنه يترجم له أو يكتب عنه، وقد فعل ذلك مع او عمران، فترجمه وتحدث عنه في كتابه "رحلة في أعماق الثورة"¹، وكتب عنه مقالين²، فضلاً عن ذكره في مواضع من كتبه ومذكراته.

4. محمد إغزورن (1912-1988م): أحد أبطال الثورة بمنطقة القبائل، والقائم على عملية "العصفور الأزرق"، تعرف عليه الأستاذ مبكراً بسبب كثرة تردد العقيد على بيت الأستاذ باعتباره تلميذاً للشيخ البشير والد الأستاذ محمد الصالح، وقد كان العقيد السبب والواسطة المباشرة في تعرف الأستاذ على كريم بلقاسم وأو عمران وغيرهما قبل اندلاع الثورة. تحدث عنه الأستاذ وعن صلته به في مواضع عديدة من كتبه، ثم خلّده بكتاب وفائي مطبوع بعنوان "رحلة في أعماق الثورة"³.

5. محمد الأمين دباغين (1917-2003م): التقاه الأستاذ بتونس ضمن العاملين في جريدة "المقاومة"، ثم التقاه في إطار مشاركة وفد جزائري (ضم كلاً من دباغين وفرحات عباس ومحساس واور عمران) في الذكرى الأولى لاستقلال تونس في مارس 1957م، وقد حضر الأستاذ تلك الندوة. ثم توطدت العلاقة بعد قدوم

¹. ينظر: رحلة في أعماق الثورة، مرجع سابق، ص 260، 267، 270، 271.

². أحدهما بعنوان "العقيد او عمران يتألم من جهله باللغة العربية"، وطنية وفداء، سلسلة ما قلّ ودلّ، (الأعمال الكاملة، مرجع سابق)، مجلد 2/42، 525/2، والآخر بعنوان "العقيد عمرو أو عمران في ذكراه العاشرة"، شخصيات، سلسلة ما قلّ ودلّ، (الأعمال الكاملة، مرجع سابق)، 528، 526/3.

³. رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 322/1-323، 325 و 337/2-338.

دبّاغين إلى طرابلس الغرب سنة 1962م حيث البعثة الجزائرية هناك، فكان الرجلان لا يكادان يفترقان طيلة شهر كامل تقريبا، وقد كتب الأستاذ عن الراحل دبّاغين في كتابه "من الخالدين" في طبعته الثانية.¹

6. فرحات عباس (1899-1986م): تعرف عليه الأستاذ بصفة رسمية في ليبيا حينما زارها عباس على رأس وفد حكومي في 25/02/1958م، وكان قد التقاه قبل ذلك في تونس في إطار مشاركة وفد جزائري في الذكرى الأولى لاستقلال تونس في مارس 1957م، وقد حضر الأستاذ تلك الندوة. ثم توطدت العلاقة فزاره الأستاذ في بيته بالقبة وكان فرحات يناديه "الأستاذ الطرابلسي".² ولما أعلن عن تشكيل الحكومة الجزائرية المؤقتة في 19/09/1958م، أرسلت نسخة سرية من قرار تشكيل الحكومة إلى الأستاذ باعتباره مسؤولا إعلاميا للدعاية للثورة التحريرية من ليبيا آنذاك.

7. الهادي إبراهيم المشيرقي (1908-2007م): هو الرحالة ورجل الأعمال الليبي الشهير والمناضل في سبيل القضايا العربية والإسلامية، وهو الذي أخذت القضية الجزائرية تحديداً من نفسه ووقته وماله أوفر الحظ والنصيب، فخدمها خدمة جلية، وكان من المساهمين في تدويلها والترويج لها في المحافل الدولية بما أوتي من شبكة علاقات واسعة وقوية.

حصل التعارف بينه وبين الأستاذ في إطار العمل للثورة التحريرية ومتابعة أعمالها، وبالأخص في إدارة البعثة الجزائرية بليبيا، حيث كان الأستاذ مسؤولاً عن الإعلام للثورة هناك، وتوطدت العلاقة إلى درجة الصداقة الحميمة والأخوة الصادقة، بعد معرفة الأقدار بينهما والاعتراف بالفضائل، وكان بين الرجلين مراسلات تنم عن التقدير المتبادل؛ من ذلك ما ذكره المشيرقي في كتابه "قصتي مع

¹. المرجع السابق، 246/2-247.

². المرجع نفسه، 246/2، 358.

ثورة المليون شهيد" فقال بعد الحديث عن رسالة وصلته من الأخ بشير قاضي: "ولكن جاء برفقتها رسالة أخرى من الأخ محمد الصالح الصديقي، وهو نائير جزائري تخصص في حقل الإعلام، وجاء إلى طرابلس مشرفاً على ركن صوت الجزائر في الإذاعة الليبية، وقد سبق ذكر الجهود التي بذلناها معاً لزيادة حصة ركن الجزائر من ساعات الإرسال في الإذاعة الليبية. وإذا كانت الرسالة في مضمونها إطراء لشخص، فهي في المقام الأول بيان وتأكيد على الصفات الأخلاقية الإسلامية الأصيلة التي تحلى بها ثوار الجزائر؛ ومنها هذا الأدب الجم والتواضع الشديد، وهذه الرسالة مثال ساطع لذلك، من نائير حمل البندقية وقاتل قبل أن تكلفه الثورة باستبدالها بالقلم والكلمة، هنا على الأرض العربية الليبية"¹، ووصف الرسالة بأنها لوحة أدبية بليغة وجميلة، ثم نقلها برمتها، وفي ختامها قول الأستاذ: "آثرت أن أخاطبك بصيغة الأفراد كما أخاطب الشقيق لأن صيغة الجمع تشعرني بوجود حاجز بيني وبينك. وإذا كنت ستبقى مدة طويلة هناك، فأخبرني حتى أبعث إليك بمجموعة من الكتب الرفيعة المهذبة التي يمكن الاتئناس بها. وأخيراً وليس آخراً، تقبل أحرّ تحياتي وأصدق تمنياتي. محمد الصالح الصديقي"².

ولقد ظل الأستاذ على هذا الوفاء، فكتب عن المشيرقي والتنويه بنضاله وأفضاله على الثورة الجزائرية، وترجمه في مواضع من كتبه ومذكراته، كما أفرد له كتاباً مستقلاً.

ثانياً- علاقاته الفكرية:

1. أحمد توفيق المدني (1889-1983م): لوثيق الصلة بين الرجلين اختاره الأستاذ ضمن من كتب عنهم في كتابه "شخصيات فكرية وأدبية" وتحدث عنه بإسهاب، كما تحدث عنه في غيره من المؤلفات. وكان كتاب "مقاصد القراءان"

¹. المشيرقي، قصتي مع ثورة المليون شهيد، مرجع سابق، ص 418.

². المرجع نفسه، ص 420-421.

بالحديث عنه وتقييمه ونشر فصول منه في البصائر هو سبب تعارف الرجلين، وذلك قبل أن تتوثق الصلة بينهما بليبيا حينما كان المدني يمرّ بطرابلس الغرب.¹

2. طه حسين (1917-1996م): وصفه الأستاذ بالأديب العملاق والكاتب البارع، ولكنه لا يذكره في كتبه إلا مقرونا بموقفه السلبي المتخاذل تجاه الثورة التحريرية، ولعل الأستاذ هو الجزائري الوحيد - فيما اشتهر - الذي تجاسر على طه حسين وكاشفه بموقفه السلبي نحو الثورة الجزائرية وكان ذلك في أثناء زيارة له في بيته سنة 1967م.² والحوار الذي جرى بين الرجلين في نحو عشرين دقيقة، ثم النقد الذي نشره الأستاذ حول طه في الصحف، وما وُصف به ذلك النقد من قبل بعض الكتّاب³، إن كل ذلك هو الذي سمح بأن ندرج طه حسين ضمن علاقات الأستاذ الفكرية لا الأدبية.

3. محمد الفاضل ابن عاشور (1909-1970م): مر بنا آنفاً أن هذا العلامة من القدوات التي يشيد الأستاذ بالانتساب إليها، ورغم أنه لم يتلمذ له بصفة رسمية في جامع الزيتونة، إلا أنه انتظم طيلة خمس سنوات في الحضور لمحاضرات الشيخ التي كان يلقيها في الخلدونية، فجعلته يقف على مكانة الشيخ الفاضل ابن عاشور وسعة علمه وعمق تفكيره. كما كان الشيخ في طليعة من خصّهم الأستاذ بإهداء كتابه "أدباء التحصيل"، قبل أن تتكرر اللقاءات في الخلدونية أو في الجامعة، ثم تجددت الصلة سنة 1961م أو 1962م بزيارة الشيخ إلى ليبيا مدعواً لإلقاء محاضرة بأحد معاهدها، كما جدد الأستاذ فيما بعد زيارة شيخه بداره بالمرسی سنة 1965م وأهداه كتابه "من قلب اللهب".⁴

¹. رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 28/2-29 ومدارس لولاها ما كنت، مرجع سابق، ص 245-246.

². محمد الصالح الصديقي، شخصيات فكرية وأدبية (الأعمال الكاملة، المجلد 34)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د. ط، 2014م، ص 274-276. ومدارس لولاها ما كنت، مرجع سابق، ص 249-250.

³. ينظر رأي أبي القاسم كزو في نقد الأستاذ لطه حسين في: رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 75/2-76.

⁴. أعلام من المغرب العربي، مرجع سابق، 691/2-694.

4. عبد الرحمان شيبان (1918-2011م): هذا الرجل والأستاذ يمثلان نموذجاً في الإخلاص للوطن، والصدق في العمل، والانفتاح على مختلف القوى السياسية والاجتماعية، والجد في اغتنام الوقت والسعي به إلى ما يفيد الأمة، وإن كانا يختلفان في النشأة الاجتماعية، والاهتمام السياسي، وبعض التفاصيل في النظر الإصلاحية. كان تعارف الأستاذين مبكراً، وذلك قبل الانتقال إلى المرحلة الزيتونية، إذ شق كل منهما لنفسه طريقاً تلائمه؛ ففيما اختار شيبان العمل النقابي ممثلاً في جمعية الطلبة الزيتونيين الجزائريين، اتجه الأستاذ بقوة إلى الاستزادة في التحصيل المعرفي والإقبال على الكتابة الحرة، لكن التواصل الفعلي لم يتم إلا في تونس؛ حيث انضم الرجلان إلى أسرة التحرير في صحيفة المقاومة، ثم تواصل العمل المشترك حينما عين شيبان وزيراً للشؤون الدينية، فانتدب صديقه الأستاذ إلى الوزارة، مكلفاً إياه بمهمة إحياء تراث ابن باديس.

5. مولود قاسم (1927-1992م): تعود معرفة الأستاذ به إلى وقت مبكر؛ وذلك في حدود سنة 1947م، عندما التحق كلاهما بجامعة الزيتونة فكانا زميلي دراسة وسكن، إذ كانا يسكنان بمدرسة ابن باديس بتربة الباي بتونس، كما كانا زميلي معاناة وإرادة أيضاً إلى أن افترقا ثم انخرطا في العمل الثوري كل إلى عمله المنوط به.¹ ثم جمعتهما يد الاستقلال، في العمل المشترك ممثلاً في ملتقى الفكر الإسلامي. وقد ترجمه الأستاذ في بعض كتبه ووصفه بأوصاف تبين عن قيمة تلك الصداقة ومقدار ذلك الرجل، ثم أفرد له كتاباً سماه "الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم: خواطر وذكريات ومواقف وشهادات"².

6. محمد الغزالي (1917-1996م): كان الأستاذ قد تعرف إلى الشيخ الغزالي - على غرار غيره من أعلام الدعوة والأدب والثقافة- في ملتقيات الفكر الإسلامي

¹. المرجع السابق، 2/1038-1040.

². طبع بدار الأمل، الطبعة الثانية، 2004م، ثم أعيد طبعه ضمن الأعمال الكاملة للشيخ محمد الصالح الصديق، مجلد 38.

التي كانت تنعقد في الجزائر في العقدين الأخيرين من القرن الماضي (1971-1981م)، وكان إهداء الكتب هو الوسيلة الأفضل التي عرف بها الأستاذ الطريق إلى عقول وقلوب أولئك الأعلام، وكان من جملتهم الغزالي الذي اطلع على بعض مؤلفات الأستاذ ووافاه بحسن رأيه فيها كما في المراسلات¹ التي أطلعني الأستاذ عليها. ولا غرو بعد هذا أن يكون الشيخ الغزالي ضمن القدوات العالية التي كتب عنها الأستاذ ببالغ الاعتزاز في عدد من كتبه.²

ثالثاً- علاقاته الأدبية:

1. عباس محمود العقاد (1917-1964م): تعرف عليه الأستاذ في مرحلة جد مبكرة وذلك من خلال المقالات التي كان العقاد يكتبها في "الرسالة"، وكانت هذه المجلة الشهيرة على غرار "الشهاب" من المجلات الأثيرة لدى والد الأستاذ ومن ثمّ لدى الأستاذ نفسه. ثم قدر له لاحقاً أن يزور الأديب الكبير في بيته ويغشى صالونه الأدبي ويحظى بسماع كلمة رفيعة منه عن الجزائر وثورتها المجيدة.³ ولم يكن الباعث على حب الأستاذ للعقاد وطموحه في أن يكون مثله مجرد إعجاب بأسلوبه وانبهار بسعة تأليفه، وإنما تعزز ذلك بالموقف المشرف الذي أزر به العقاد الثورة التحريرية؛ إذ بادر إلى الكتابة في الانتصار لها بعد ثمانية أيام فقط من اندلاعها، وقد حفظ الأستاذ للعقاد هذا الموقف فلم ينس في ختام ترجمته للعقاد أن يذكر القارئ بالموقف البارد لطفه حسين تجاه القضية نفسها.⁴

2. محمد العيد آل خليفة (1917-1996م): كانت المراسلات بين الشاعر وبين

¹. ينظر: الملحق رقم: 39.

². ينظر: شخصيات فكرية وأدبية، مرجع سابق، ص 330-331. ومدارس لولاها ما كنت، مرجع سابق، ص

246. ورحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 45/2، 48.

³. مدارس لولاها ما كنت، مرجع سابق، ص 244-245.

⁴. شخصيات فكرية وأدبية، مرجع سابق، ص 46، 68.

الأستاذ تكاد تكون هي السمة البارزة في العلاقة بينهما، باعتبار أن الشاعر محمد العيد كان من الأعلام الأكثر تشجيعاً للأستاذ في تجربته الكتابية، ومن ثم فلم يكن الأستاذ يستكتب الشاعر حول رأيه في "أدباء التحصيل" أو "مقاصد القراءان" وغيرها من المؤلفات فحسب، بل إنه كان يكتب إليه في أغراض مختلفة أيضاً، إلى أن انقطع حبل المراسلة بين الرجلين لظروف الثورة التي تحدد بها مصير تلك المراسلات التي أجهز عليها المستعمر في جملة ما أتلّف من مكاتبات باستثناء نزر يسير جدا استبقته الأيام كان قد خفي عن عيون المستعمرين¹، ولعل أبرز تلك المكاتبات الناجية قصيدة محمد العيد التي يقرظ بها "مقاصد القراءان" وهي بخط يده² وقد أطلعني الأستاذ عليها. ولم يشأ الأستاذ أن يترك تلك العلاقة الوثيقة غفلاً من دون تمجيد وإشادة، فإنه تحدث عنها في عدد من كتبه، كما أنه ترجم الشاعرَ ترجمة مطولة نسبياً (تقع في اثنتين وأربعين صفحة) في كتابه "أعلام من المغرب العربي".

3. إبراهيم أبو اليقظان (1888-1973م): لما اعتزم الأستاذ طبع كتابه "مقاصد القراءان" دُلّ على المطبعة العربية ولم يكن يعلم أنها لأبي اليقظان، وبعد صدور الكتاب كان الشيخ في طليعة من أهدي إليهم الكتاب مشفوعاً برسالة عبر فيها المؤلف عن إعجابه بشاعرية الشيخ أبي اليقظان ووطنيته وجهاده، وكان ذلك فاتحة المراسلات بين الرجلين، فلم تمض أيام قلائل حتى جاءت المؤلفَ قصيدة لأبي اليقظان تقع في ست وثلاثين بيتاً بعنوان "إلى مقاصد القراءان" يقرظ فيها الكتاب ويشني على الكاتب³، وأرفق الشاعر القصيدة برسالة مطولة ذكر فيها أشياء من الشناء والمدح وأبدى فيها رغبته في أن يشفع الكاتب "مقاصد القراءان" بمقاصد السنة. ثم توالى المكاتبات بينهما في أغراض شتى، وقد لاحظ الأستاذ فرقا بين رسائل الشيخ

1. أعلام من المغرب العربي، مرجع سابق، 883/3.

2. ينظر: الملحقان رقم: 33 و34.

3. القصيدة بخط يد أبي اليقظان وهي مؤرخة في 12 شعبان 1375هـ - 25 مارس 1956م، ينظر: الملحقان رقم:

35 و36.

إليه قبل الثورة وبعدها أسلوباً وفكرة وجرساً، وأرجع ذلك إلى المرض والكبر والظروف المختلفة.¹

4. محمد الشاذلي خزندار (1881-1954م): يلقبه الأستاذ بـ "أمير شعراء" تونس، ولما كان الأستاذ في المرحلة الزيتونية شغوفاً بلقاء مشاهير الأعلام ومجالستهم والإفادة منهم موطئاً لذلك بأسلوب إهداء الكتب، كان الشاعر خزندار ضمن أولئك الأعلام لما تمتع به من شاعرية وصدق وسماحة وظرف مما شدد الأستاذ في التقرب إليه، فتوثقت العلاقة بين الرجلين حتى لقد ذكر الأستاذ أن ذلك الشاعر كان يقرأ عليه شيئاً من قصائده²، وقد فعل ذلك بلا شك اطمئناناً إلى معرفته ووثوقاً بذوقه، ولتلك الأسباب توالى المراسلات العديدة بينها³.

5. محمد أبو شربية (1917-1952م): تقدمت ترجمته، وهو ممن تأثر بهم الأستاذ عميق التأثير في مسيرته الأدبية، لأن هذا الشاعر كان وراء صدور باكورة أعماله "أدباء التحصيل" والترويج له في الأوساط الثقافية بتونس، ولقد عبر الأستاذ عن جميل وفائه لشيخه وبالعجز الاعتزازه بالانتساب الأدبي إليه من خلال الترجمة له في مواضع من كتاباته⁴ التي كان أولها المقال الذي نشره في بعض الصحف مثل

1. أعلام من المغرب العربي، مرجع سابق، 724/2-725، 730.

2. مدارس لولاهما ما كنت، مرجع سابق، ص 240. وأعلام من المغرب العربي، مرجع سابق، 576/2.

3. امتد حيل التراسل بين الرجلين مدة عامين كاملين بلغت رسائل الشاعر فيها نيفاً وثلاثين رسالة، ولكن مصيرها كان الحرق من قبل الطغاة المستعمرين على ما ذكر آنفاً. ومع ذلك، فقد عرض الأستاذ نبذاً في أغراض وسياقات مختلفة من ست مراسلات بينها ذكرها بتاريخها، كما في: أعلام من المغرب العربي، 579/2-587. ولم يتيسر للباحث الحصول على ديوان خزندار المطبوع للوقوف على نماذج من تلك المراسلات، غير أن في فهرس ذلك الديوان المنشور على الشبكة بعض الإشارات؛ منها ما جاء في الجزء الرابع الموسوم بـ "المغاريات" تحت عنوان: مقطوع ضمن رسالة للأستاذ محمد الصالح الصديقي، ص 149.

4. ينظر: رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 173/2. ومدارس لولاهما ما كنت، مرجع سابق، ص 240. وأعلام من المغرب العربي، مرجع سابق، 549/2-551، 553.

"المنار"¹ الجزائرية إثر وفاة الشاعر أبي شربية في حادث سيارة سنة 1952م.

المطلب الثامن - موارد ثقافته:

لقد تضافرت جملة من الموارد المختلفة في تكوين ثقافة الأستاذ على مرّ فترة طويلة من حياته، وظلت تلك الموارد أو بعضها -على تباين فيما بينها كثرةً وقلةً- هي الحافز الذي يحفزه إلى كل عمل مادي أو معنوي؛ فمن ذلك:

أولاً- القراءان الكريم: هو عنوان الفلاح لمن أرادته، وسيرة الأستاذ حافلة بمواضع التعلق بالقراءان استشهاداً واستناداً، قولاً وعملاً، تلاوةً وتجربةً. وقد أبان في مواضع من كتبه عن فضل القراءان عليه وبركته في حياته.

ثانياً- كتب التفسير: كثيراً ما يُسأل الأستاذ حول القراءان فيستلهم إجابته مما علق بذهنه من مقروئه الثرّ في التفسير، وأبرز التفاسير التي كان يحيل عليها وهي مما وعاهها فؤاده وحوتها مكتبته تفسير الرازي والآلوسي والمنار، ولقد كانت هذه التفاسير هي الأكثر وروداً في كتابات الأستاذ مقارنةً بغيرها كالطبري والقرطبي والكشاف رغم كونها جميعاً كتباً تراثية، إلا أن الأولى هي ربما الأقدر -في نظر الأستاذ- على الإجابة والردّ عما يُطرح من شبهات عقلية حول الإسلام وقضاياها العقدية والتشريعية.

ثالثاً- المجالات الشهيرة: لا يكاد يخلو كتاب من كتب الأستاذ أو فصل من فصوله من الإحالة على المجالات الشهيرة في العالم العربي، والتي كانت أيام صدورها مهوى أفئدة المثقفين، ومحط أنظار القراء المعجبين؛ ومن أشهر تلك المجالات: الهلال والمنار والرسالة والمسلمون والدعوة ومنبر الإسلام، والبصائر والشهاب والمنار الجزائرية، وغيرها، ومكتبة الأستاذ حافلة بأعداد كثيرة منها كما

¹ محمد الصالح الصديق، "نكبة الأدب في متنبى تونس الحمراء محمد بوشربية"، المنار، عدد 9 السنة الثانية، بتاريخ 24 ذي القعدة 1371هـ - 15 أوت 1952م، ص02.

وقفت عليه.

رابعاً- الأعمال الأدبية والفكرية: والمقصود بها ليس مجرد الكتب المتفرقة التي يقرأها جميع الناس، إنما هي "الأعمال الكاملة" التي يخلص منها القارئ إلى تكوين نظرة شاملة لفكر المؤلف واعتقاده وأدبه، وقد تيسر للأستاذ الاطلاع على هذا النوع من القراءة مع جملة من الكتاب والمفكرين والعلماء والأدباء كالعقاد والزيات وطه حسين والرافعي والإبراهيمي وابن باديس والندوي وغيرهم. وقد أسهمت هذه القراءات في بناء نقدي عام أفاده الأستاذ من الإنصاف في الحكم والاعتدال في الرأي والاتزان في النقد حتى مع المخالف، وهذا ظاهر في تراجمه الكثيرة جداً.

خامساً- العلاقات والمراسلات: ذكرنا آنفاً سعة علاقات الأستاذ وتنوعها، والذي مردّها إلى تنوع ثقافته، واتساع قراءته، واختلاف اهتماماته، وتعدد مهامه في مراحل حياته المختلفة (في المرحلة الزيتونة، وخلال الثورة التحريرية، وبعد الاستقلال). ولا شك أن الأستاذ لم يكتف بالنضج المعرفي ولم يدع كذلك "الامتلاء" الثقافي، فمن المؤكد أنه وجد أن بإمكان المرء الاستفادة من المراسلات، ليقف على كثير من الأحكام النقدية والآراء والأفكار التي تلخص التجارب وتختصر الطريق.

المطلب التاسع- الثناء عليه

مما يعلي مكانة الإنسان في الناس، ويخلد ذكره بينهم الثناء عليه والاعتراف له بالفضل؛ ومثل تلك المحامد لا تكون إلا شهادة على عمل صالح أو علم نافع أو جهاد صادق، وهذه العطاءات والمباذل هي أهم ما ميز سيرة مترجمنا، فحظي في حياته بالثناء عليه والتقريظ لأعماله من مختلف الأعلام والرموز، ولعل هذا من عاجل بشرى المؤمن، وهي أمنية يسرّ النفس تحقيقها؛ ونقل عن فولتير أنه قال: إن كلمة ثناء واحدة أسمعها في حياتي، هي أجدي عندي من مائة كتاب تؤلف عني

بعد مماتي. ومن أثنى على الأستاذ -وهم كثر-، نكتفي بذكر من يغني ثناؤه من العلماء والأدباء والشعراء:

• المفكر الكبير مالك بن نبي (ت: 1973م): في تقديمه لكتاب الأستاذ الموسوم بـ"عميروش وقصص من البطولة"، قال بن نبي: "إنها الكتاب يعبر عن تجربة عاشها كل منا، ويصورها وكأنها خالية من أثر القلم. وهي تجربة يعبر عنها قصاص يعرف كيف يروي لنا تاريخنا، أي قصة الشعب الجزائري وملحمته. ولست أريد هنا أن أقوم بتحليل هذه الأقاويص حتى أترك للقارئ الاكتشاف بنفسه، مما يتذوقه في هذا الكتاب. وإنما أكتفي بالقول إن مؤلفه الأديب محمد الصالح الصديق رجل متطوع لخدمة وطنه، مجند عرفته في مركز كفاحه خلال الثورة. وأن أضيف بأن إنتاجه يعتبر من أكثر المؤلفات غزارة وتنوعاً، إذ يشتمل النقد الأدبي في "أدباء التحصيل"، والبحث ذا الطابع الأخلاقي الديني في (مقاصد القراءان)، وكذا القصة في (صور من البطولة) و(من قلب اللهب)"¹.

• المؤرخ والكاتب توفيق المدني (ت: 1983م): طلب إليه الأستاذ آيت الصديق أن يقدم له بمقدمة موجزة لـ "مقاصد القراءان" فقال فيها: "ثم إنني لأشهد أن صاحب هذا الكتاب من بين أفراد تلك الزمرة الصالحة؛ فقد جاهد في سبيل النهضة الإسلامية الحققة جهادا مريرا، أبلى فيه البلاء الحسن، وساهم بدروسه وبقلمه وبأفكاره النيرة في إقامة جدران هذا المعقل الإسلامي الجزائري الشامخ الذرى"².

• الشاعر الشيخ محمد العيد آل خليفة (ت: 1979م): عندما أهدى إليه المؤلف باكورة مؤلفاته "أدباء التحصيل" أعجب به الشاعر وقرظه شعراً فقال في قصيدة بعنوان "قدوة للشباب"³:

¹. محمد الصالح الصديق، عميروش وقصص من البطولة (الأعمال الكاملة، مرجع سابق)، مجلد 32، ص 255.
². محمد الصالح الصديق، مقاصد القراءان (الأعمال الكاملة، مرجع سابق)، مجلد 03، ص 25.
³. ديوان محمد العيد محمد علي خليفة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع -الجزائر، د.ط، 1979م، ص 406. هذا =

حلل فإنك باحث منطيق * وانقُد فإنك بالصواب خليق

لِمَ لا تكون لما تروم من المنى * كفؤاً وأنت الصالح الصديق

• العلامة الشيخ أبو اليقظان (ت: 1973م): كان بينه وبين الأستاذ مراسلات أطلعني على بعضها، ومنها قصيدة بخط يد الشيخ أبي اليقظان يقرظ فيها كتاب "مقاصد القراءن" وقد أهدي إليه هو الآخر نسخة منه، قال -رحمه الله-:¹

إن رمت يا شعب الجزائر عادة * تزهو بحسن جمالها الفتان

اسلك لبغيتها بعزم صادق * وخطاك نحو "مقاصد القراءن"

يا أيها "الصديق" بشرى بالمنى * إذ نلت حقاً أفخر النيشان

• العلامة الراحل الشيخ عبد الرحمن شيبان (ت: 2011م): "وهب الله للأخ الأستاذ الفاضل محمد الصالح الصديق فكراً فسيحاً ولساناً فصيحاً وقلماً حقيقياً وإرادة فعالة في ميادين شتى، لا تمل ولا تكَل، فتعددت مساعيه، وأثمرت جهوده.."². كما وصفه بأنه من العلماء الأخيار والكتّاب الأحرار والأدباء النابهين.³

• العلامة الراحل الشيخ أحمد حماني (ت: 1998م): قال في معرضه حديثه عن جهود الشيخ عبد الرحمان شيبان في إحياء آثار الإمام ابن باديس: "فقد بذل مجهوداً كبيراً في إحياء آثار الشيخ والتنويه بشأنه والمحافظة على ذكره بالقول والفعل.. ووكّل الإشراف عليها وتحقيقها وإعدادها للنشر لأكفأ الرجال؛ لعالم كبير تنازل عن أعماله الخاصة المفيدة لأداء هذا الواجب الأكيد، وهو أخونا العلامة محمد

=عنوانها في ديوانه، أما العنوان الذي نشرت به في صحيفة "البصائر" عدد 189 تاريخ 17 شعبان 1371هـ - 12 ماي 1952م فهو "سر في سبيلك رائدا"، ومثله في صحيفة "المنار" الجزائرية عدد 2 السنة الثانية 30 رجب 1371هـ - 25 أفريل 1952م. وينظر: مقاصد القراءن، مرجع سابق، مجلد 03، ص: ط (هامش المقدمة).

¹. مقاصد القراءن، مرجع سابق، 03/15-16.

². أضواء كاشفة على محطات بارزة من حياة الأديب الأستاذ محمد الصالح الصديق، الجزائر، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 2007م، ص 09.

³. محمد الصالح الصديق، البيان في علوم القراءن، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2005م، ص 15 (المقدمة).

الصالح الصديقي عضو المجلس الإسلامي الأعلى والمؤلف الشهير..¹.

• العلامة المرحوم الشيخ محمد الطاهر آيت علجت (ت: 2023م).² كتب كلمة بعنوان "من ثمار العشرة الطويلة" جاء فيها: فكرت في سرّ نجاحه الذي جعله في مصافّ المؤلفين الكثيري الإنتاج أمثال الشيخ الثعالبي، فوجدت -بحكم العشرة الطويلة- أن السر في القراء الكريم.. لا يفتر عنه لسانه إلا في أوقات الضرورة، يتلوه ماشياً وقائداً سيارته وممتطياً الحافلة ومضطجعاً طلباً للراحة.. والقراءان هو الذي جعله لطيف المعشر، خفيف الظل، كريم النفس، يأسر القلوب بمكارم أخلاقه، وعذوبة حديثه، ما جعله محط الأنظار عندما كان مسؤول الدعاية لثورة الجزائر بمكتب البعثة بليبيا.³

وممن مدح الأستاذ من المعاصرين شعراً:

• الأستاذ الصادق سلايمية⁴: قال من قصيدة له يمدح بها الأستاذ بعنوان "أبي الوحي في كفيك إلا تألقاً"⁵:

أبي الوحي في كفيك إلا تألقاً .. فمقاصد القراءان للوحي مرتقى
ففي المغرب الأقصى حوى الشكر كله .. وفي مصر شرقاً صار للشرق مشرقاً
ولو أن أبواب الخليج طرقتها .. لألفيت رأساً في العمائم مطرقاً
كزيتونة في النور يوحد نورها .. بنور على نور يضيء من التقى

1. أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، مرجع سابق، ص 11.

2. صديق الأستاذ في النضال، وزميله في إدارة البعثة بليبيا، كتب فيه الأستاذ قصة بعنوان "دعابة"، صدرت منذ قرابة أربعة عقود، ينظر: رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 272/2.

3. محمد الطاهر آيت علجت، أضواء كاشفة، مرجع سابق، ص 216-217.

4. كاتب وشاعر جزائري، وكاتب مقالات، ترجمه الأستاذ في رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 194/2.

5. نشرها الأستاذ في الطبعة الجديدة لكتابه مقاصد القراءان، ينظر: الأعمال الكاملة، مرجع سابق، مجلد 03، ص

• الأستاذ عيسى عزوق¹: نظم في مدح الأستاذ أربعين بيتاً سماها "الأرجوزة الأربعينية الصديقية"² وضمّنها جملة من عناوين كتب المترجم، نختار منها ما يلي:

قد جمع التحصيل في الآداب .. ولم يكن رهيئة الإجداب
وراكب سفيئة الإيمان .. كأنه في رقة اليماني
مقاصد القراءان فيه جاءت .. ونحوه إذ أقبلت أجمات
وفي الدروب الحمر قلب اللهب .. مشاعل على الطريق الذهبي
في الخالدين والأيام الخالده .. مواقف عظيمة وشاهده
روائع الإعجاز في الكتاب .. تهدي إلى كرامة المتاب
قد رفع اللواء في الإسلام .. بالحدّ والتعريف والإعلام
وقد مضى في السبق للأعلام .. معرّفاً بالكمّل الأعلام
وفي الأخلاق الشيخ لا يبارى .. كأنه قد جمّع الأحبارا
من جلمه الأحنف قد تساقى .. سجيةً تسوقه اتساقا
ولفظه منسّق أنساقا .. كالدر إن نظمته إن ساقا
وهونّه ولينه مؤطّا .. كأنه الإسناد في الموطّا
تواضع ليس له نظير .. كأنه روض به نضير
وضاق عن وصف الجليل نظمي .. ولم أذق للطعم بعض القضم
والله يجزي شيخنا المبارك .. على الذي قدّمه وباركا

¹. كاتب وشاعر جزائري معاصر، ينشر باسم أبي المعالي الظاهري، له عدة تأليف؛ منها: كشكول التنكيات على قصائد وكتيبات، التنكيت على سجع الكهان للإبراهيمي، شرح أرجوزة الإسلام للإبراهيمي الإمام (تقديم الأديب المجاهد محمد الصالح الصديق)، شرح القصيدة الإبراهيمية في السياسة الشرعية، شرح الأصول العشرين للإمام عبد الحميد بن باديس، التطريز على مثلثة ابن دريد، وهي مطبوعة كلها.

². أرسلها إلي بطلب مني عبر البريد الإلكتروني، وهي ضمن مقال له غير منشور.



الفصل الثاني
محمد الصالح الصديق – معلما وكاتبا وإعلاميا



ذكرنا في الفصل الأول أن الأستاذ مارس التعليم في فترتين متباعدتين؛ أولاهما في عهد الاستعمار وكان ذلك في زاوية الشيخ عبد الرحمن اليلولي في الفترة ما بين 1951 و1956م، ثم في وزارة التعليم في مرحلة ما بعد الاستقلال في كل من ثانوية عبان رمضان بالحراش، وثانوية ابن خلدون بالقبة، وثانوية الأخوين حامية بالقبة، وكل ذلك في الفترة ما بين 1964 و1980م.

ولقد ذكرنا ثمة نماذج مضيئة من تلامذة الأستاذ؛ سواء ممن ترجمهم في كتبه باعتبارهم أكثر الأسماء رسوخاً في ذاكرته؛ لما اشتركوا فيه من نجابة واجتهاد وتلهف للأخذ عن أستاذهم، أو من أولئك الذين كتبوا عنه منتسبين إليه في مسيرة التعلم والإفادة غير المباشرة. وجعلنا تلاميذ الأستاذ والآخذين عنه في فترتين؛ فترة الاستعمار، وفترة ما بعد الاستقلال. وفيما يلي، سنتناول المسيرة التعليمية للأستاذ في الفترتين المذكورتين بشيء من التوسع، مع الإشارة إلى مدى إسهامه في مجال التربية والتعليم.

المبحث الأول: نشاطه التعليمي أثناء الثورة

المطلب الأول- حركة التعليم في فترة الاحتلال:

يلاحظ أن حركة نشر التعليم العربي "الحر" كانت مظهراً من أهم مظاهر اليقظة الوطنية في الفترة ما بين (1931م و1957م)، كما كانت دليلاً على نمو الوعي القومي لدى الجزائريين على اختلاف مشاربهم السياسية بوجود الخروج من حالة التأخر الفكري والثقافي بكل وسيلة ممكنة. فقد كانت سياسة الاحتلال ترمي إلى حرمان الأغلبية الساحقة من الجزائريين من فرص التعليم سواء أكان عربياً أو فرنسياً وكان ذلك كما تمت الإشارة إليه في إطار سياسة التجهيل، وقد كان من النتائج الحتمية المترتبة عن تلك السياسة نقص فاحش في نسبة المتعلمين في المجتمع الجزائري، وانتشار الأمية بين أفراده بصورة مزعجة.¹

¹. رايح، التعليم القومي، مرجع سابق، ص 162، 234.

وقد نهض بأعباء حركة التعليم العربي الحر عدد من الأفراد والمنظمات الجزائرية، فكان منها الكتابية القرائية (وقد كانت منتشرة انتشاراً كبيراً بحيث لم تكن تخلو منها قرية أو مدينة)، والجمعيات الخاصة (مدرسة الشبيبة الإسلامية، مدرسة السلام، المدرسة العربية الحرة)، والجمعيات الخيرية الإسلامية في ميزاب (الإصلاح والحياة والنهضة والنور والفتح وقدماء التلاميذ)، وحزب الشعب (من مدارسه: الرشاد، الإرشاد، مليانة، الصباح، الخ)¹، والنوادي (كنادي الترقّي)، والزوايا التي كانت هي الأخرى منتشرة بكثرة خصوصاً في منطقة جرجرة ببلاد القبائل، ومن أشهر الزوايا في هذه المنطقة على الإطلاق زاوية سيدي عبد الرحمن اليلوي، وقد تقدم في الفصل السابق نبذة في التعريف بها، وإشارة إلى قانونها ومواردها وطلبتها وشيوخها ومناهج التدريس فيها وغير ذلك.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن النمط التعليمي الذي كانت تلقنه هذه المحاضن لم يكن بمثابة واحدة رغم التشابه في العلوم المقررة بحسب الظاهر، فقد كانت الكتابية تكتفي بتحفيظ القرآن دون أن تخلط به شيئاً سواه، وقد تضيف إليه بعض الزوايا علوماً أخرى كالحساب ومبادئ العربية وضروريات التوحيد والفقّه، لكن هذا النمط من التعليم وإن كان يفع الجهل ويقلل من نسبة الأمية بشكل ما، إلا أنه لم يكن يوظف تلك العلوم المقررة في تنمية الحس الوطني والوعي القومي، فلم يكن مثلاً يستنطق القرآن أو يبحث فيه عن شواهد النصر والتمكين، ولذات السبب كان ذلك التعليم بعيداً عن قضايا الساعة واهتمامات العصر، فتخرج متعلموه على ذلك الأثر، فكانوا جامدين ومحدودي التفكير.

وبخلاف ذلك، كانت مراكز تعليمية أخرى تدرّس -علاوة على تحفيظ القرآن- مستويات متدرجة ومتقدمة في مختلف العلوم التقليدية؛ كالعقائد والفقّه والأصول والنحو والصرف والبلاغة والأدب والإنشاء والمنطق والحساب

¹. التعليم القومي، مرجع سابق، ص 250-252.

والفلك، وكانت هذه هي حال زاوية الشيخ اليلوي، وقد ساعدها على ذلك كما مرّ ذكره استقلاليتها في التسيير، واستقلال طلبتها في التفكير، وتحرر الشيوخ الذين تعاقبوا فيهم كالشرفاوي والحافظي والصدّيق من قيود التبعية التقليدية ونزوعهم إلى الإصلاح. وقد كان الأستاذ محمد الصالح ممن أسهم إسهاماً ملحوظاً في تطوير التعليم بحسب ما كان متاحاً حينها، وبحسب ما ألحّت الحاجة عليه آنذاك كما سيأتي الإشارة إليه لاحقاً.

المطلب الثاني- الأستاذ مدرّساً في المعهد اليلوي

توفي الشيخ الرزقي الشرفاوي في 27 ديسمبر 1944م، فترك فراغاً رهيباً في الحركة التعليمية والتربوية بالزاوية بل وبالمنطقة كلها، غير أن ذلك الفراغ لم يدم طويلاً، حتى أضاء الزاوية نور بدد ظلمة الحزن التي خيمت على الطلبة، وكان ذلك بعودة العلامة الشيخ المولود الحافظي الأزهري إلى الزاوية مجدداً سنة 1947م، قادماً إليها من الزاوية الحملاوية بقسنطينة. وكان الحافظي قد عاد بروح وثابة، فانقلبت إليه جموع غفيرة من الطلبة الجدد، وقد استحدثت في هذه الفترة الاحتفال بالمناسبات الدينية، وحمل الطلبة على تعلم الخطابة والكتابة، وربما أعد لهم أحياناً تمثيلية دينية هادفة لبعض المناسبات. ولم يطل أمد انتفاع الزاوية بهذا العلامة الجليل، فقد انتقل الشيخ إلى المعهد الكتاني بقسنطينة أواخر سنة 1947م.¹ ولا بأس أن نشير أيضاً من باب التاريخ للزاوية، أن المعهد اليلوي ظل بعد وفاة الشيخ الحافظي ما يقارب العامين دون مدرّس، إلى أن تم الاتفاق مع الشيخ عبد القادر زيتوني²، فاستكمل المدة المتبقية -من غير تحديد- إلى حين قدوم الأستاذ الجديد محمد الصالح الصدّيق.

1. أعلام من المغرب العربي، مرجع سابق، 345/1-346.

2. لا نعلم عنه سوى أنه من منطقة برج بوعرييج، وهذا ما أخبرني به الأستاذ في مقابلة هاتفية أجريتها معه يوم الإثنين 2022/10/14م.

بعد إحرار الأستاذ شهادة التحصيل في دورة مارس من سنة 1951م، قفل عائداً إلى بلده في شهر جويلية من السنة نفسها، فعرض عليه إثر عودته رغبة الطلبة إليه في التدريس بالزاوية اليلولية والإشراف على إدارة التعليم فيها. ولم يكن يسع الأستاذ رفض مثل هذا العرض الذي رأى فيه تحقيق حلم كبير؛ لأن في مزاولة التعليم إطلاقا لمكونات ما رسخ في الذهن من علوم وفنون إبان مراحل الطلب السابقة، وبثاً لما ثبت في القلب من يقين التجارب المؤلمة والناجحة، كما أن في التعليم سرّاً للفكر في النصوص الدالة على مقام المعلم من خيرية لقوله ﷺ: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"¹ ووراثه النبوة "إن العلماء ورثة الأنبياء"² ورفعته الدرجة ﴿يَرْبِعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ ءُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: 11).

كان التحاق الأستاذ بالزاوية مدرّساً بها ومشرفاً على إدارتها في شهر أكتوبر من عام 1951م، وكان فخراً لا يدانيه فخر أن يصبح اسم الأستاذ في عداد الأسماء اللامعة من العلماء والقراء والمجاهدين الذين تتابعوا على التعليم والتربية والتوجيه في الزاوية اليلولية كالإفليسي واليجري والشرفاوي والحافظي وغيرهم.

أولاً- العلوم التي درّسها بالزاوية

وعلى هذا النهج سار الأستاذ الصديق؛ إذ بقي وفيّاً لميله القديم عندما كان طالباً في الزاوية اليلولية ثم في جامع الزيتونة وهو الميل اللغوي والأدبي، فحافظ في المرحلة التي أصبح فيها مدرّساً على تدريس علوم العربية من نحو وصرف وبلاغة وأدب وإنشاء، لكن بالإضافة إلى ذلك تم الإبقاء على كل من التفسير والحساب والمنطق. وكان تدريس العلوم ومقرراتها في الزاوية على هذا النحو:

1. أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه، كتاب: فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، رقم: 4739، ص 1919.

2. أخرجه أبو داود (3641) من حديث أبي الدرداء، صححه الألباني، ينظر: صحيح سنن أبي داود، مكتبة المعارف، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط1، 1419هـ-1998م، 407/2.

- النحو: فقد ظل الأمر كما ذكر في الفصل السابق على تدريس "الأجرومية" و"قطر الندى" لابن هشام (ت: 761 هـ) ثم "ألفية ابن مالك" بشرح ابن عقيل.

- الصرف: كان المعتمد فيه "لامية الأفعال" لابن مالك (ت: 621 هـ).

- البلاغة: كان المعتمد فيها كتاب "السمرقندية" في الاستعارات، وهو متن مختصر لأبي القاسم السمرقندي (ت: 907 هـ).

- المنطق: كان المعتمد فيه نظم "السلم المنورق" للأخصري (ت: 983 هـ).

- الأدب والإنشاء: الظاهر أنه لم يكن في تدريس هذين الفئتين كتاب محدد، وإنما كان الأستاذ يلقي على سبيل المحاضرة نصاً أدبياً في الشعر أو النثر، ثم يكلف الطلبة من باب التدريب والمعارضة للنص بالكتابة في الموضوع والتدرب على الإنشاء، وهي الطريقة التي درج عليها الأستاذ أيام الطلب في الزيتونة، ولقد كان الأدب والإنشاء مما استحدثه العلامة الشرفاوي في الزاوية كما سبق ذكره.

- التفسير: لم يكن هو الآخر في كتاب محدد، وإن كان الرجوع في كثير من الأحيان إلى "روح المعاني" وهو التفسير الذي كان أثيراً لدى شيخه الرزقي الشرفاوي. وتجدر الإشارة إلى أن دروس التفسير التي كان يلقيها الأستاذ على الطلبة هي التي أثمرت فيما بعد كتاب "مقاصد القراءان" الآتي الحديث عنه لاحقاً.

فهذه إذن هي جملة العلوم والفنون التي انقطع الأستاذ لتدريسها آنذاك، مع ابتكار دروس جديدة محورها القراءان الكريم وتعدّ من قبيل التفسير الموضوعي لم يسبق إليها، وهي التي جمعت فيما بعد في كتابه الفذ الذائع الصيت "مقاصد القراءان".

ثانياً- هيئة التدريس بالزاوية:

بقي أن نشير ههنا إلى أن الأستاذ لم يكن يقوم بأعباء التدريس وحده، خصوصاً إذا علمنا أن عدد الطلبة كان يتزايد فيصل أحياناً إلى حوالي أربعمئة وخمسين طالباً

وقد يتناقص ولكنه لا يقل عن المائتين والخمسين، وللسبب ذاته نجد أن الأستاذ قد استعان على هذه المهمة النبيلة وعلى مدى أزيد من أربع سنوات ببعض المساعدين من الأساتذة وكانوا يسمونهم آنذاك شيوخا، وهم على الترتيب:

- محمد الشريف بن الشيخ: من بلدية صدوق ببجاية، وهو خريج الزيتونة بشهادة التحصيل، وقد استعان به الأستاذ كمدرس مساعد في العام الأول من التحاقه بالزاوية مدرّساً ومشرفاً على الإدارة.¹

- علي الحمدي القيرواني: كان رفيق الأستاذ في الزيتونة، ولذا استقدمه من تونس سنة 1952م لمساعدته في التدريس بالزاوية، لاتصافه بوافر العلم، وسعة العقل، وفصاحة اللسان، وسداد الرأي، ولرغبته في التعليم بالجزائر، فمكث سنة واحدة فقط.²

- محمد العربي مخيلف الجيجلي: درس بجامع الزيتونة وأحرز فيه على شهادة التحصيل، اقترحه الأستاذ على المجلس الاستشاري للزاوية، فتم تعيينه سنة 1953م، فنهض بالمهمة وأداها أحسن الأداء.³

- صادق مشواط (1920-1994م): أحرز على شهادة التحصيل من الزيتونة، ودرّس بعد تخرجه في مدارس جمعية العلماء المسلمين. اختاره الأستاذ مساعداً له ف قضى معه مدة ثلاث سنوات ابتداء من شهر نوفمبر 1954م.⁴

¹. رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 288/2.

². أعلام من منطقة القبائل، مرجع سابق، ص 48.

³. رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 123/2، ومقابلة هاتفية أجريتها معه يوم الجمعة 2022/10/14م.

⁴. رحلتي مع الزمان، المرجع نفسه، 311/2. ينظر ترجمته في: أعلام من منطقة القبائل، مرجع سابق، ص 335.

المطلب الثالث: تجديده في الزاوية اليلولية

عندما تأسست الزاوية كانت خططها التعليمية مقتصرة في البداية على علم القراءات، لكن بدا مع مرور الوقت أن التجديد في تلك الخطة وإدخال إصلاحات على منهج التعليم بات ضروريا بظهور أسباب دعت لذلك؛ منها انتشار زوايا أخرى بالمنطقة وتوسعها في تدريس بعض العلوم الضرورية كالفقه والعقائد والتفسير وما لا بد منه لفهم تلك العلوم كفنون اللغة العربية والمنطق وغيرها، لذلك ظهرت إصلاحات كثيرة على مستوى التعليم في الزاوية في وقت مبكر.

أما الداعي الآخر للتجديد فكان الفلسفة التي تقوم عليها طريقة المدرّس في التعليم والتوجيه ورغبته في التميز؛ فقد تمثل التجديد عند الشرفاوي بإدخال مادة فقه الأحكام بترشيح كتاب "سبل السلام" واعتماده كمدونة لتدريس المادة ليس في الزاوية فحسب بل في الدرس المسجدي أيضاً، كما تمثل التجديد لدى الحافظي - علاوة على ما وافق فيه الشرفاوي- في إيلاء الاهتمام بتدريس العلوم العقلية والرياضية من حساب ومنطق وفلك.

فرع/ ملامح تجديده: لعل من أهم ملامح التجديد الذي أتى به الأستاذ استفادته من نظام التعليم العصري، إذ دعم نظام التعليم في الزاوية بامتحانات تختبر من خلال مستويات الطلبة ومدى إفادتهم من الدروس والمحاضرات، كما رتب الطلبة وفق صفوف (أو مستويات) دراسية ورتب لها ما يناسبها من دروس، كما تحدت مدة الدرس بساعة واحدة. وكل هذا لم يكن موجودا في العهود السابقة لعهد الأستاذ، فقد كانت الدروس والمحاضرات تلقى مسترسلة بحسب ما يتفق للمدرس من همّة واستعداد فتكون مدة الدرس ساعة أو ساعتين، ثم تنهي السنة الدراسية على هذا النسق دون اختبار للمعارف أو دراية بمستوى التحصيل. ولا شك أن تلك الإصلاحات التي قام بها الأستاذ هي وليدة تأثره بالبيئة الزيتونية

ونظام التدريس بها.

ومن التجديد الذي قام به الأستاذ استحدثه محاضرة أسبوعية في كل خميس بين المغرب والعشاء، وكان الحضور إليها إلزاميا لا يتخلف عنه الطلبة لأنها لم تكن تستهدف طبقة دراسية معينة. وكان موضوع المحاضرة في الأخلاق والاجتماع والأدب والتاريخ، وفي أسباب رقي الأمم وانحطاطها، وكل ذلك بحسب ما يتهيأ للأستاذ من فكر وهمة ونظر. إن مثل هذا الأسلوب في طرح الأفكار وعرض القضايا وتحديد المشكلات لم يكن معهودا في بيئة لم تتعود في التدريس الخروج عن الفقه والعقائد وبعض علوم اللغة، ويبدو أن الأستاذ كان يترجم بأمانة وواقعية تناسب الوضع الجزائري ما استفاده من محاضرات الخلدونية التي تميز فيها العلامة الفاضل ابن عاشور بما أوتي من براعة في أداء الخطب ودقة في اختيار القضايا.

على أن من المفيد أيضا أن نشير إلى أن الأستاذ لم يكن يخشى تضمين محاضراته رسائل خفية ومعلنة - وإن كانت قصيرة - يستحث بها الطلبة على الاستقلال في الفكر، وتنمية الوعي بالوطنية، وتبغيض فرنسا المستعمرة في النفوس بما يستحضره الأستاذ من صور الظلم والقهر والاستبداد، وهذا من صميم التجديد الذي اقتضته المرحلة ودعا إليه الوضع.

ثم أضحت تلك المحاضرة الأسبوعية المنتظمة هي السبب الذي عُرف الأستاذ من خلاله لدى المناضلين الوطنيين المعتصمين بالجبال أمثال كريم بلقاسم والعقيد او عمران وعلي ملاح، فطلبوا لقاءه.

ومن ملامح التجديد أيضا إنشاؤه مكتبة ضخمة تضم مئات العناوين في مختلف مجالي العلم والمعرفة، وقد حدثني الأستاذ أن تكلفتها بلغت حوالي 5000 د.ج بتقدير تلك الفترة، وأوكل أمر تسييرها إلى أحد الطلبة، فكان مفتاحها بيده ولا يفتحها سوى مرة واحدة في الشهر ليفيد منها الراغبون، خصوصا إذا تعلق الأمر

بالقراءة التي تعين الطالب في التدرب على الكتابة والإنشاء. غير أن تلك المكتبة لم تعمر طويلاً؛ إذ طالها -على غرار كثير من المكتبات العامة والخاصة- الحرق والإتلاف إثر تدمير الزاوية اليلولية من قبل المستعمر وذلك كما ذُكر في الفصل السابق سنة 1957م.

المبحث الثاني: نشاطه التعليمي بعد الاستقلال

المطلب الأول- دوافع توجهه لميدان التعليم

بعد الإعلان عن وقف القتال على إثر مفاوضات إيفيان في 19 مارس 1962م، وبعد انعقاد مؤتمر طرابلس بليبيا الذي تأسف الأستاذ للنتائج التي انتهت إليها، طلبت الحكومة الجزائرية منه بعد استقلال الجزائر في 05 جويلية 1962م أن يبقى في طرابلس تحت ذريعة تمتعه بعلاقات طيبة مع الحكومة الليبية. ولم يؤذن له بالدخول إلى الجزائر إلا سنة 1963م، فالتحق بوزارة الخارجية واشتغل فيها مدة ثلاثة عشر شهراً.¹

لم يكن الجو العام وطبيعة عمل الوظيفة ليناسب مزاج أستاذ كرس حياته وفكره وقلمه للعلم والقرءان والجهاد، فقرر الاستقالة من وزارة الخارجية، والتحق بالتعليم فوجد فيه المناخ الملائم لمزاجه الذي ينزع إلى الكتابة والتأليف فضلاً عن التربية والتعليم. وظل كذلك (أي في الفترة الممتدة ما بين 1964 و1981م) إلى أن انتدب لدى وزارة الشؤون الدينية.

ولكن السبب الحقيقي لانسلاخ الأستاذ من وزارة الخارجية لم يكن مجرد سوء انطباعه عن العمل الحكومي، فإن المعهود عن الأستاذ أنه يكيف الظرف الذي يكون فيه ويعمله لصالحه، ولذا رأيناه قارئاً وكاتباً ومؤلفاً ومحاضراً في أحلك الظروف وأشدّها حساسية على نحو ما وصفناه آنفاً في المعهد اليلولي مديراً ومدرّساً

¹. علي بن غانم، رمز العلم والجهاد والتضحية (أضواء كاشفة، مرجع سابق)، ص 196.

ومربياً، وفي صحراء فزان موجهاً ومرشداً ومرابطاً، وهكذا في وزارة الشؤون الدينية رئيساً للجنة إحياء التراث، وممثلاً دبلوماسياً للجزائر في محافل دولية مختلفة كان فيها المعبر عن بلاده في قضايا كثيرة.

إن السبب المباشر الذي دفع بالأستاذ إلى الاستقالة من الخارجية هو الحال التي آل إليها وضعه الشخصي بعد عودته إلى الجزائر، إذ بقي دون مسكن و دون عمل نحو خمسة عشر شهراً، وبيان ذلك أن المناضل بشير قاضي كانت تربطه صداقة قوية راسخة بالمناضل أحمد بن بلة الذي مكث في طرابلس الغرب إثر الخلاف الذي وقع بين أعضاء الحكومة، فعرض البشير على الأستاذ أن ينضم إلى بن بلة بمناسبة وجوده في ليبيا، لكن الأستاذ قابل العرض بالرفض باعتباره تابعاً أدبياً للجهة التي عينته مسؤولاً للإعلام في ليبيا، ولم يكن الأستاذ ليسلم قبالة هذا الرفض، فربما كان غضب البشير عليه انعكاساً لغضب بن بلة كما قال الأستاذ.¹

المطلب الثاني - تدريسه في التعليم الثانوي

إن المتتبع لسيرة الأستاذ ومواهبه وميولاته يدرك سريعا أن التحاقه بالتعليم كان استجابة لنزعه التربوية واتجاهه التعليمي ونفسه الأدبي، ولا شك أنه جاء إلى هذا الميدان كذلك بدافع إيماني كبير؛ إذ كان يرى أن "هدف التعليم ليس فقط إزالة الجهل، وكسب المعرفة، وإعداد الفرد حياة آمنة مطمئنة تنتظم فيها معيشته، ويتردد استقراره، بل هدفه إلى جانب ذلك تكوين مواطن صالح، يعرف مهمة الإنسان في هذه الحياة، ويشعر بسلطان الخالق وقوته، ويرتبط به ارتباطاً وثيقاً يجعله دائم الرقابة والامثال والطاعة والنفع"²، فإن الوضع العام الشاذ والفظيع الذي آلت إليه البلاد آنذاك كان هو الآخر من أقوى البواعث في نفس الأستاذ على الانسحاب إلى فضاء أكثر طهرا وأبعد عن العفن السائد، فكان التعليم أحد أهم تلك

¹. رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 409/1-410.

². كلمات طيبة-سلسلة ما قل ودل (الأعمال الكاملة، مرجع سابق) مجلد 41، 197/2.

الفضاءات الآمنة والملاذ الذي يطمئن المرء إليه، وانخرط الأستاذ في سلك التعليم الثانوي بدايةً في ثانوية عبان رمضان بالحراش، ثم في ثانوية ابن خلدون بالقصبة، ثم في ثانوية الأخوين حامية بالقبة، وقد قضى في جميعها حوالي خمس عشرة سنة (1965-1980م).

ولكن في تلك الفترة حيث كانت المدرسة الجزائرية حديثة النشأة، كانت المناهج الدراسية تشهد فراغاً مفرعاً، بل لقد كان المعول في الأغلب الأعم على مناهج الدول الشقيقة من المشرق بالأساس (لبنان، مصر، العراق) ثم من المغرب أيضاً (تونس، المغرب) وذلك لاعتبار الأوضاع المستقرة لتلك البلدان سياسياً واقتصادياً. ومع ذلك، فقد كانت هناك بعض الكتب الجزائرية الوضع وإن كانت قليلة.¹

إلى أن أسندت للشيخ عبد الرحمان شيبان مهمة المفتشية العامة للغة العربية وآدابها والتربية الإسلامية، فأسهم حينئذ في وضع سلسلة المختار ابتداء من سنة 1974م، وأخذت المناهج التعليمية في المدرسة الجزائرية تتدرج شيئاً فشيئاً نحو الإحكام في البناء، والتفرد في التدوق، والتميز في الإخراج، وبالجملة، فقد بدا واضحاً الاتجاه بأمان صوب استكمال استعادة الوطنية.

المطلب الثالث- المواد التي درسها في التعليم الثانوي:

انطلاقاً من التوجه الأدبي الذي كان الأستاذ مطبوعاً عليه منذ أيام الطلب، والذي به عرف عند الناس، كانت مادة اللغة العربية وآدابها هي المادة الأنسب

¹. مقابلة هاتفية أجريتها مع الأستاذ يوم السبت 2023/04/01، على الساعة 12:45. ولقد سألت الأستاذ محمد الهادي الحسني -وهو أحد أبرز تلامذة الأستاذ- في مقابلة هاتفية بتاريخ 2023/09/05م، على الساعة 19:51 عن بعض المقررات التي تم أخذها عن الأستاذ في تلك الفترة، فسمى لي "المختار"، وقال إنها ليست تلك التي أشرف على وعها الشيخ شيبان -رحمه الله-، فإنه لم يكن يومئذ قد عين بعد في التفتيش بوزارة التربية، ومما علق بذاكرته من ذلك الكتاب قطعة للشاعر محمد العيد آل خليفة، وذكر لي مفتحتها، وبعد البحث وجدت أن الكتاب هو "النصوص المختارة"، للسنة الأولى ثانوي، 1383هـ-1963م، وفيه تلك القطعة الشعرية، ص 04-05.

للتدريس، فأسندت إليه عند تعيينه أستاذاً، وكان تدريس المادة يتطلب كفاءة في فنونها المختلفة من نحو وصرف وبلاغة وأدب (شعراً ونثراً وتحليل نصوص) وإنشاء وعروض، وكل هذه الفنون كانت هي تخصص الأستاذ وله فيها حفظ واطلاع وطول تعامل سواء في الفترة التي كان فيها طالباً بالزاوية اليلولية ثم في جامع الزيتونة أو في الفترة التي تولى فيها التدريس بالزاوية.

كما تولى الأستاذ تدريس مادة التربية الإسلامية أو دروس الأخلاق، ولقد كانت الفترة التي قضاها مدرّساً في الزاوية بما احتفلت به من صحبة القراء واستنطاق أحكامه واستدراج حكمه من خلال الاطلاع على مختلف التفاسير خير معين له على تدريس المادة في الثانوية.

ولا شك أن الأستاذ كان في بداياته الأولى -على غرار بقية الأساتذة- يجد شيئاً من العنت والمشقة إزاء مخلفات الاستعمار التي ألقت بثقلها الثقافي على التلاميذ المتدربين، خصوصاً في ظل تأخر بناء المناهج التعليمية الوطنية الخالصة أو قلّتها على أحسن تقدير كما مرّ آنفاً، وقد أشارت لجان التأليف الوطنية إلى ذلك في مقدمات¹ الكتب التي وضعتها.

وربما كان الأستاذ يمثل في التجربة التعليمية آنذاك حالة استثنائية، أسهم فيها خوضه لتجربة سابقة في الزاوية كما هو معلوم، بحيث أعفته تلك التجربة من العوائق التي قد تحول دون استفادة الطلاب، ويجد القارئ علامات تلك الحالة الاستثنائية في الانطباع الذي سجله بعض تلاميذه، يقول الأستاذ محمد الهادي الحسني: ".. وتوالت قصائد الأدب الرفيع، والشعر الإنساني البديع، يملئها علينا

¹. ينظر مثلاً: النصوص المختارة للسنة الأولى ثانوي، وزارة التربية الوطنية، 1383-1963م، ص 05. والأخلاق والتربية الوطنية للسنة الأولى ثانوي، وزارة التربية الوطنية، 1383-1963م، ص 03. غلام الله، أبو عبد الله، العربية بالنصوص للسنة الأولى الثانوية من المرحلة الأولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1383-1963م، ص 04.

أستاذ ذواقة، ويقرب معانيها الكبيرة إلى عقولنا الصغيرة أستاذ خبير " ثم قال "كان الأستاذ يسمو بنا في شرحه لهذه القصائد وغيرها، وللقطع الثرية إلى آفاق رحبة من المعاني الفحلة، والتعابير الجزلة، فيهدب مشاعرنا، ويرقق أحاسيسنا، ويضيء عقولنا بالإسلام، وينور قلوبنا بالإيمان، ويقوم ألسنتنا بالبيان، فصرنا أشد شوقاً إلى حصّته، وأكثر حرصاً على درسه، وأكبر إقبالا على مادته"¹.

المبحث الثالث: محمد الصالح الصديقي كاتباً

المطلب الأول- ظاهرة التأليف عند الأستاذ:

تأليف الكتب ميدان فسيح لا يصول فيه ولا يجول إلا من آتاه الله مقدرة على التفكير الصحيح، والتعبير الصادق، لأن الكتاب يتألف من شيئين اثنين؛ هما موضوع وأسلوبه أو هما معناه ولفظه؛ فالموضوع أو المعنى هو الغرض الذي يريد الكاتب إيصاله إلى ذهن القارئ، وأما الأسلوب فهو الآلة التي يستخدمها لإيصال ذلك الغرض.²

يذكر الأستاذ أن بداياته الأولى في الكتابة تعود إلى أيام دراسته في الزاوية اليلولية (1939-1945م) على يد الأستاذ العلامة الشيخ الرزقي الشرفاوي، وكانت البداية تحديداً بتحرير موضوع إنشائي كلف به الشيخ طلبته حول بيت لأبي الفتح البستي (ت: 400هـ):

زيادة المرء في دنياه نقصان .:. وربحه غير محض الخير خسران³

وقام الأستاذ بتحرير الموضوع اعتماداً على ثقافته الأدبية التي اكتسبها من مقرّواته الواسعة، فنال الموضوع إعجاب الشيخ، فتكرم على صاحبه بعبارات الشاء

¹. محمد الهادي الحسني، كيف عرفت الأستاذ محمد الصالح الصديقي (أضواء كاشفة، مرجع سابق)، ص 235.

². الصديقي، العلم والعلماء، سلسلة ما قل ودل (الأعمال الكاملة، مرجع سابق)، مجلد 40، 1/118.

³. ينظر: ديوان أبي الفتح البستي، تحقيق: شاعر العاشور، المورد، العدد الثالث، 2005م، ص 101.

والإعجاب.¹

أما في مجال التأليف، فقد كان الدافع إليه في أول الأمر مجرد الرغبة في الشهرة، وتنازع البقاء الأدبي والعلمي والمعرفي، غير أن هذا الدافع اختفى كلية بعد انقضاء عهد الشباب، ليحلّ محلّه دافع الضمير والشعور بالمسؤولية والرغبة في البناء والتغيير وغيرها من الدوافع الفاضلة.²

ويكاد التأليف أو النضال القلمي أن يكون هو السمة البارزة في حياة الأستاذ، دون إغفال الحديث عن نضالاته الأخرى العسكرية والسياسية والإعلامية. ولقد كان توجه الأستاذ واضحاً لديه منذ البداية؛ فإنه لم يقصد أن يكون في المستقبل عالماً شرعياً رغم خلفيته المعرفية المتخصصة في العلوم الشرعية واللغوية، ودراسته بالزيتونة وتدرّسه العلوم والفنون بالمعهد الليولي، ولكنه عزم في النهاية على أن يكون كاتباً كبيراً فكان كذلك، والأظهر من خلال التتبع أن الأستاذ قد فاق العلامة أبا راس المعسكري في كثرة التأليف؛ فإن هذا الأخير كما قال المؤرخ سعد الله "قد أكثر من التأليف كثرة لا يضاهيه فيها من الجزائريين أحد باستثناء أحمد البوني الذي تجاوزت تأليفه المائة".³

ومما تقدّم، يدرك المتتبع لمؤلفات الأستاذ أنها تنحصر بالاستقراء في مجالات معينة كالتراجم وعلوم القراءان والفكر والأدب والأخلاق والتاريخ الوطني، وللسبب ذاته لا يكاد القارئ يجد للأستاذ مؤلفات مستقلة في التفسير والفقّه والعقائد⁴ والأصول والحديث بالمعنى الاصطلاحي لهذه العلوم، رغم كتابته فيها

1. الصديق، في ضوء الفكر (الأعمال الكاملة، مرجع سابق)، مجلد 50، ص 629.

2. ينظر: رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 433/1.

3. المعسكري، فتح الإله ومنتته في التحدث بفضل ربي ونعمته، مرجع سابق، (تصدير الدكتور سعد الله)، ص 05.

4. للأستاذ شرح موجز بمثابة التعليقات على كتاب "الجواهر الكلامية" للعلامة طاهر الجزائر، مطبوع، وهو الكتاب الوحيد الذي وضعه الأستاذ شرحاً في علم العقائد.

في صورة مباحث أو فصول مضمّنة في كتب أو في مقالات مقتضبة. وقد سألت الأستاذ عن سبب عدم تفرغه لكتابة تفسير كامل للقرآن الكريم والاكتفاء بتفسير مواضع متفرقة وكثيرة منه في كتبه ومقالاته المختلفة رغم أهليته لذلك بما أوتي من حب للقرآن وتعلق به وكفاءة في علوم العربية واقتدار على التعبير وتمرس على الكتابة وإطلاع على التفاسير، فأجاب بأن السبب هو الانخراط المفاجئ في الثورة التحريرية، ثم الاشتغال بالعمل الصحفي في إطار الدعاية الإعلامية المكثفة للثورة، وكان ذلك عملاً مرهقاً يستدعي اتصالاً وثيقاً ودائماً بأعمال الثورة وحركتها، أما بعد الاستقلال فإن ضرورات الحياة اليومية التي عاشها على المستوى الشخصي بانتقاله إلى مهنة التعليم، والظروف التي شهدتها البلاد في المناحي السياسية والاجتماعية والثقافية قد ألقت بثقلها جميعاً على الأستاذ وحملته "مسؤولية المثقف" باعتباره كاتباً ملتزماً، فانشغل بها انشغالاً تاماً عزف به عن التفرغ لكتابة التفسير.¹

المطلب الثاني - أسلوبه في الكتابة:

إن المتتبع لكتابات الأستاذ يقف على جملة سمات تكاد أن تكون واحدة وعامة بحيث تنسحب على أسلوبه في الكتابة إجمالاً (سواءً أكانت كتابة تأليفية أم صحفية)؛ ويمكن أن تتلخص تلك السمات في نزوعه غالباً إلى تبسيط العرض وإيضاح الفكرة مع تضمين أسلوبه جملاً مشرقة وصوراً بلاغية وتصويرات بديعة وتراكيب متينة؛ كتلك التي يعهد القارئ تنوعها في كتابات العقاد والرافعي والزيات أحد أبرز الكتّاب الذين اعترف² الأستاذ بتأثره بأسلوبهم. وقد لاحظ بعض النقاد أن أسلوب الأستاذ يتدرج في كتبه تدرجاً طبيعياً؛ إنه في "أدباء التحصيل" يبدو أقرب إلى الجملة التي يحرص صاحبها على أناقتها وجزالتها، ولكنه

¹. مقابلة شخصية أجريتها مع الأستاذ يوم السبت 2022/10/30م.

². ينظر: مدارس لولاها ما كنت، مرجع سابق، ص 251.

يغدو في كتبه الأخيرة أقرب إلى التبسيط واليسير.¹

هذا من الناحية الإجمالية، وفيما يلي نورد أبرز تلك السمات مع شيء من البسط والإيضاح والتمثيل:

أولاً- الموسوعية في البحث: وهذا الأمر بيّن الظهور، لأن الأستاذ لم يشأ أن يحرص اهتمامه في جانب واحد معيّن لا يجيد عنه؛ فإن الكتابة الفكرية والإصلاحية تأتي ذلك. ولذا، فإن القارئ يلحظ أن للأستاذ إسهامات مختلفة في حقول المعرفة والثقافة؛ أدباً وتاريخاً وتفسيراً وتراجمٍ وسياسةً وفكراً واجتماعاً، الخ. والقارئ يتحقق ذلك بأدنى نظرة إلى بعض كتبه ومجميعه؛ ومنها سلسلة ما قل ودلّ، وهي مجموع مقالات كتبها الأستاذ في فترات مختلفة (وسياقي التعريف بها)، ومن العناوين التي تدل على تلك الموسوعية: "صور مشرقة من ماضينا العلمي"، "الرياضة في الإسلام"²، "التحقق من موت الميت"³، "الهلل الأحمر"⁴، "التحليل النفسي عند الإمام الغزالي"⁵، "نظم الشعر في النوم"⁶، "في الرضاعة الطبيعية صحتان: بدنية ونفسية"⁷، "اكتشاف المياه بالعصا المنبثة"⁸، "الأقزام"⁹، وغيرها.

ثانياً- مراعاة الغرض: وهذه السمة متصلة بما قبلها، فإن لكل مقام مقالاً، ولكل موضوع ما يناسبه لغة وعرضاً، والأستاذ بصير بهذه المسألة، فيراه القارئ مغايراً في

1. محمد الصالح الصديقي، وقفات ونبضات (الأعمال الكاملة، مرجع سابق)، مجلد 19 ص 135 (مقدمة الكتاب).

2. الصديقي، نبضات، سلسلة ما قل ودل (الأعمال الكاملة، مرجع سابق)، مجلد 40، 297/1.

3. نبضات، سلسلة ما قل ودل، مرجع سابق، 341/1.

4. المرجع نفسه، 333/1.

5. أضواء وظلمات، (الأعمال الكاملة، مرجع سابق)، مجلد 39، ص 619.

6. سلوكيات، سلسلة ما قل ودلّ، مرجع سابق، 235/2.

7. سوانح، سلسلة ما قل ودلّ، مرجع سابق، 260/2.

8. أضواء وظلال (الأعمال الكاملة، مرجع سابق)، مجلد 19، ص 334.

9. سوانح، مرجع سابق، 306/2.

الأسلوب كلما تغير الموضوع، بين علمي وأدبي وتاريخي وديني وغيرها، وحتى في مذكراته الموسومة "رحلتي مع الزمان" لم يمش أسلوبه على نسق فني ولغوي واحد؛ ففيما يشيع التصوير الأدبي الأخاذ، وتطرد الجملة الأدبية الآسرة في المرحلة التي يصف فيها طفولته وتعلّمه بالزاوية ورحلته الشاقة إلى جامع الزيتونة، نجده يغير في الأسلوب عندما يلتقي كبار العلماء ومشاهير الأدباء فتتجه اللغة نحو الصرامة والوقار وتشيع مفرداتها باطراد عفوي، ثم تستحكم تلك الصرامة وذلك الوقار بشكل أكبر ويعتري اللغة قدر من الجفاف والمباشرة حينما يتعرض للتحضير للثورة التحريرية واللقاء بالمجاهدين والثوار ووصف الاستعمار وقهره واضطهاده، وهكذا.¹

ثالثاً- البساطة في العرض: وهذا الأمر مطلوب، خصوصاً وأن جمهور القراء أخلط متنوعة لا يجمعهم غالباً سوى القراءة أو حب الاطلاع. وهو كذلك مناسب للصحف التي تنشر للأستاذ، والتي تقرأ غالباً على وجه الاستهلاك اليومي (أو الأسبوعي في حالة المجلة).

رابعاً- القصد والوضوح والإيجاز: وسبيلهما الإعراض عن الإطناب في التوسع بما لا حاجة إليه، وإن كانت هذه السمة هي أخصّ بالمقال الذي يفرّق بها عن البحث أو الدراسة الموسّعين.

خامساً- النزوع إلى الإصلاح²: لم تكن كتابات الأستاذ من قبيل الترف الفكري

¹. ينظر مثلاً: رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، الجزء الأول، ص 33، 63-64، 145-146، 149-150، 228-232، 266، 274، 305، 342.

². من نافلة القول تقرير كون الأستاذ إصلاحياً؛ وقد مرّ في المباحث السابقة عدد من الشواهد والمظاهر التي تدل على الإصلاح لديه، ولذلك لم نفرّد للكتابة حول "إصلاحية" الأستاذ للبرهنة عليها؛ فإن من لم يكن في الفكر تعريبياً - منظرًا أو معجباً-، ومن لم يكن في الدين طريقياً - مضملاً أو تابعاً-، ومن لم يكن في السياسة والوطنية استعاريًا - داعياً أو مدهناً-، فهو بالاستقراء والاستنتاج إصلاحي أو هو موالٍ للإصلاح، وإن اختلفت الجهود، وتباينت الأنظار.

الذي يُطرح بمجرد قراءة واحدة، ولكنها بلا شك كتابات إصلاحية هادفة، ربما لم تكن تحمل نفس الوتيرة الإصلاحية التي عند ابن باديس والعقبي والميلي التي غلب عليها الطابع العقدي، وهذا راجع كما هو معروف إلى الظروف التي عاشها هؤلاء الأعلام والفرق بينها وبين العصر الذي عاشه الأستاذ، فالهَمَّ واحد وإن اختلفت الأدواء، فقد عايش الأستاذ بعد الاستقلال أمراضاً أخرى وإن كان أصلها موجوداً في عصر المصلحين الأوائل إلا أنها استحكمت بعد الاستقلال؛ ومن ذلك مثلاً: الأثرة وذهاب الغيرة والتهالك على الدنيا والإقبال على المحرمات والتفريط في الدين والولوع بحياة الغربيين، فضلاً عن استمرار الشرك والبدع والمنكرات وغيرها. ولقد سجّل الأستاذ تلك الحالات جميعاً، وكتب في لفت النظر إليها والدعوة إلى تصحيح أوضاعها؛ من ذلك ما جاء تحت العناوين التالية: "لستم على شيء حتى تقيموا القرآن"¹، "عَفُّوا تعف نساؤكم"²، "هذه هي الحضارة الغربية"³، "كيف نحتفل بالمولد؟"⁴، "مفاهيم خاطئة عن الأولياء"⁵،

سادساً- النظرة القرائية: يُعتبر الأستاذ امتداداً للحركة الإصلاحية التي عرفت بال العناية بالقرءان الكريم تدبراً وتفسيراً وعملاً ودعوةً، والقرءان قائد الأستاذ في جميع ما يكتب، فإنه لا يكاد يُجلي صفحة من آية أو تفسير أو فهم أو تذوق قرءاني، وهذا معزوّ كما ذكرنا في عدة مواضع إلى تعامله المبكر مع القرءان، والتنشئة الأبوية على كتاب الله. حتى إننا نراه يعنون لأحد كتبه بـ "البعث الروحي في ثورة نوفمبر التحريرية"، ويعنون لآخر بـ "ثورة نوفمبر الخالدة في ضوء الكتاب والسنة"، وهو يفعل ذلك أيضاً في كثير من مقالاته. ولا غرو، فإنه جعل القرءان أول المدارس

¹. زاد المعاد، سلسلة ما قلّ ودلّ، مرجع سابق، 63/2.

². تأملات، سلسلة ما قلّ ودلّ، مرجع سابق، 273/1.

³. سوانح، مرجع سابق، 314/2.

⁴. موافقات ومفارقات، سلسلة ما قلّ ودلّ، مرجع سابق، 367/2.

⁵. المرجع نفسه، 369/2.

التي تأثر بها كما في كتابه "مدارس لولاها ما كنتُ".

سابعاً- الإنصاف والحياد الإيجابي: وهاتان من أبرز السمات التي طبعت أسلوب الأستاذ في كتاباته جميعاً، وهما من ثمرات تعلقه بالقرءان وفهمه لرسالته. أما الإنصاف، فإن القارئ يجد الأستاذ متحققاً به مع عفة لسان فلا يلغ في الأعراض، وإنما الذي يهّمه بالأساس هو الفكرة فحسب، فيشير إلى الخطأ ويغفل المخطئ، حتى لو تعلق الأمر بشخص الأستاذ نفسه، وإذا سمى المخطئ فإنه يتعفف ويتأدب في الرد عليه؛ كما وقع له مع الأديب الكبير طه حسين وتبعاً له مع الكاتب التونسي أبي القاسم كرو¹ الذي تعاطف باندفاع ومن دون روية مع طه حسين في كتابه "طه حسين والمغرب العربي"، وانتقد الأستاذاً لتحامله -كما يقول- على طه²، ورغم ذلك في ترجم الأستاذ منتقده أبا القاسم كرو، وختم الترجمة بقوله: "وكل ذلك لا يمنع من أن نقول إنه ذو فكر وقلم استطاع أن يسهم بهما في بناء صرح الثقافة خير مساهمة"³. وأما الحياد الإيجابي، فقد التزم الأستاذ فيه بالقدر الذي يعتقد أنه يجمع الأفكار ويحقق التوفيق بين الآراء، ويمكن للقارئ أن يتمثل ذلك في قضايا عديدة؛ منها:

1. وطنياً: حياده بين الشرفاوي وبين ابن زكري في الموقف من فرنسا.
2. دعوياً: حياده بين "جمعية العلماء المسلمين" وبين "جمعية علماء السنة" المنشقة عنها بزعامة العلامة المولود الحافظي -رحم الله الجميع-.
3. ثقافياً: حياده بين "جمعية الطلبة" الجزائريين في تونس التابعة لحزب الشعب وبين "البعثة الجزائرية" للطلاب الجزائريين في تونس التابعة لجمعية العلماء.
4. فكرياً: حياده بين سلفية أبي يعلى الزواوي وبين صوفية محمد السعيد اليجري.

¹. ترجمه الأستاذ في مذكراته "رحلتي مع الزمان"، مرجع سابق، 91/2.

². رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 75/2، 91.

³. المرجع نفسه، 91/2.

5. سياسياً: حياده بين الراحلين بومدين وبن بلة، رغم أنه ترجم للرئيس هواري بومدين ترجمة مطولة نسبياً¹ ولم يتعرض فيها للحدِيث عن حركة "التصحيح الثوري" التي قادها بومدين للإطاحة بسابقه بن بلة، ولعل في إغضائه الحدِيث عنها موقفاً معيَّناً تجاهها رغم احترامه الكبير للرجلين.

6. أدبياً: حياده بين العقاد وشوقي، وبين الرافعي والعقاد وطه حسين، وبين زكي مبارك وطه حسين، وبين محمود شاكر وسيد قطب، الخ. وقد كان الأستاذ قارئاً نهماً لمجلة "الرسالة" التي كانت مسرحاً لكثير من تلك المعارك الأدبية. ورغم تلك المواقف الحيادية، إلا أن للأستاذ ميلاً واضحاً في مواقف أخرى، وإن لم تتعد نطاق الإنصاف وحفظ الأقدار؛ ومن أمثلة ذلك: ميله إلى الشيخ الشرفاوي ضد الشيخ أحمد داوي في مسألة الربيبة، وميله إلى الحكومة المؤقتة التي عينته مسؤولاً عن الإعلام في ليبيا في مقابل بن بلة، الخ.

ثامناً- استدعاء التاريخ: هذه السمة كذلك ظاهرة الوضوح في كتب الأستاذ ومقالاته، يستنتج منها القارئ أن للكاتب حنيناً إلى الماضي المشرق للحضارة الإسلامية في جميع جوانبها، ويمكن التمثيل لتلك السمة بعناوين بعض المقالات؛ منها: "أيها المسؤولون اقرؤوا هذه"²، "من بناء حضارتنا"³، "الرياضة في الإسلام"⁴، "خلاف محدود وآخر ممدود"⁵، "نماذج إنسانية"⁶، "هل كان العرب يعرفون المائدة؟"⁷.

¹. الصديق، أعلام من المغرب العربي، مرجع سابق، 837/3-857.

². من الذاكرة، سلسلة ما قل ودل، مرجع سابق، 62/1.

³. بصائر، مرجع سابق، 203/1.

⁴. نبضات، مرجع سابق، 297/1.

⁵. كلمات طيبة، مرجع سابق، 169/2.

⁶. المرجع نفسه، 186/2.

⁷. سوانح، مرجع سابق، 278/2.

تاسعاً- التراجم: نزوع الأستاذ إلى فن التراجم لا يكاد يخلو منه كتاب من كتبه أو مجموع من المجاميع التي ضمّنها مقالاته، بل إن الترجمة تكاد أن تكون سمة عامة في الكتابة لديه، وهذا مفسّر بالكم الهائل للشخصيات التي ترجمها، والكتابات التي خصصها لذلك؛ ما بين كتاب ومقال ودراسة، حتى ليكاد يختص بالتراجم من بين الكتاب الجزائريين، ولعل اهتمامه بهذا الصنف من الكتابة واقتداره عليه هو الذي رغب بعض الأعلام في أن يكونوا ضمن مترجميه¹؛ يكفي أن يطالع القارئ مثلاً على الجزء الثاني من مذكرات الأستاذ "رحلتي مع الزمان"، ليقف فيه على ما يزيد عن أربعمئة وستين ترجمة لشخصيات مختلفة مشهورة ومغمورة، وطنية وأجنبية، في الأدب والفكر والسياسة والإعلام والثقافة والفن، من الملوك والرؤساء والشيوخ والأقران والزملاء والتلاميذ. ومن كتبه الخالصة في التراجم "أعلام من المغرب العربي" وهو كتاب ضخم في ثلاثة أجزاء، و"أعلام من منطقة القبائل" في جزئين ترجم فيه لأربعة وتسعين علماً، و"من الخالدين"، و"شخصيات ومواقف"، و"شخصيات فكرية وأدبية"، وسيأتي التعريف بهذه الكتب في المطلب الثالث.

هذا بالنسبة للكتب، أما في المقالة فإن هذه السمة ظاهرة كذلك في كثير منها، من ذلك مثلاً: "السفيانان"²، "الإبراهيمي والميلي"³، "الشاعر الرفيق المهدي"⁴، "مع الممثل الفرنسي جاك شاربي"⁵، "الفارعة"⁶، "الشهيد العلامة العربي التبسي"⁷،

1. من أولئك الشيخ إبراهيم الكتاني الذي طلب من الأستاذ في حياء أن يدرجه في الجزء الثالث من كتابه "الرافضون عبر التاريخ"، ينظر: رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 88/2.

2. من الذاكرة، مرجع سابق، 82/1.

3. المرجع نفسه، 90/1.

4. شخصيات، مرجع سابق، 513/3.

5. وطنيات، سلسلة ما قل ودلّ، مرجع سابق، 479/3.

6. تأملات، سلسلة ما قل ودلّ، مرجع سابق، 236/1.

7. نبضات، مرجع سابق، 295/1.

"الشاعر معروف الرصافي، هل هو ملحد؟"¹، "الشيخ عبد العزيز الثعالبي"²، "ذو الإمامتين: أسد بن الفرات"³

المطلب الثالث - مؤلفاته:

تقدّم في غير هذا الموضع أن الأستاذ ظاهرة في التأليف والكتابة، وقد نيّقت مؤلفاته على مائة وستين مؤلفاً بين مطوّل ومختصر، وبين أدبي وديني وفكري وتاريخي، وغيره على ما سيأتي تفصيله. ويمكن للمتفحص لكتب الأستاذ أن يصنفها إلى عدة أصناف:

أولاً- كتب مستقلة: وهي أغلب كتبه، والملاحظ أن طائفة من الموضوعات التي يطرقها الأستاذ تتكرر في كتبه المتماثلة في ذات الموضوع، وهذا الملحظ يكون أن يكون مطّرداً عموماً في مجالي الثورة الجزائرية والتراجم، ولعلّ الباعث على لجوء الأستاذ إلى التكرار هو وحدة الموضوع والضرورة التي يستلزمها السياق.

ثانياً- شروح: وهذا النوع من التأليف يتعلق في الأصل بمتن موضوع ابتداءً، وليس في مؤلفات الأستاذ من هذا النوع سوى كتاب واحد؛ هو "الجواهر الكلامية" للعلامة الشيخ طاهر الجزائري، ويأتي التعريف به. أما غير المتون، فقد ألف الأستاذ بعض الكتب في هذا النوع، جمع فيها طائفة من الأحاديث النبوية وقام بشرحها. ويدخل في هذا النوع أيضاً كتب أخرى ضمّنها محاولات تفسيرية مثل كتابه "ومضات من سورة الفاتحة"، و"نور على نور"، الخ.

ثالثاً- تعليقات: وهي دون الشرح وإن كانا بمثابة واحدة من حيث نوع التأليف، لاعتمادهما على نص الغير، ولعلّ هذا التأليف يصدق على رسالة

¹. المرجع السابق، 326/1

². جولة فكر، سلسلة ما قل ودلّ، مرجع سابق، 46/2

³. سوانح، مرجع سابق، 281/2

الشرفاوي التي قام الأستاذ بنشرها والتعليق عليها وهي الموسومة بـ "إثبات رؤية الهلال على الطريقة الشرعية والفلكية".

رابعاً- اختصارات: لم يتوجه الأستاذ بالتلخيص والاختصار لكتب غيره، وإن كان قد فعل مع كتبه هو، كما فعل مع "الوجيز في علوم القراءان" الذي اختصر به كتابه "البيان في علوم القراءان"، وهذا النوع إجمالاً قليل في مؤلفاته.

خامساً- مجاميع: وهي في الأصل مقالات نشرت للأستاذ في صحف ومجلات متفرقة، وفي مناسبات مختلفة، رأى الأستاذ جمعها أحياناً لمناسبة جامعة، وأحياناً غير مناسبة. ويمكن التمثيل لها بـ "سلسلة ما قلّ ودلّ" التي تقع في ثلاثة أجزاء كبار.

أما تعداد كتبه، فهي كما سنذكرها ونعرف بطائفة منها بحسب ما تيسر الاطلاع عليه، وذلك في محاور، ووفق ترتيب ألفبائي داخل كل محور على النحو التالي:

1. القراءان الكريم وعلومه

- **البيان في علوم القراءان:** سبب تأليف الكتاب هو إجابة الأستاذ لطلب إدارة مجلة "الأصالة" أن يكتب إليها دراسة عن القراءان الكريم بمناسبة حلول القرن الخامس عشر الهجري. ولما أتم الدراسة ونُشرت على صفحات المجلة¹، كلمه بعضهم في أن يفرد تلك الدراسة بالطبع بعد أن يضاف إليها ما يكتمل به الموضوع. أما مادة الكتاب فإنها لم تخرج في الغالب عن الإطار العام الذي يتنظم محاور علوم القراءان؛ من الحديث عن اسم القراءان واشتقاقاته، ونزول القراءان، والوحي وما يتعلق به، وأسباب النزول، والأحرف السبعة، والمكي والمدني، والجمع والتدوين، والقراءات، والمحكم والمتشابه، وإعجاز القراءان. وعلى الرغم من عدم تناوله لبعض المباحث المهمة كالوقف والابتداء والناسخ والمنسوخ وعدّ الآي والرسم

¹ نشرت الدراسة بعنوان "المعجزة الخالدة"، مجلة الأصالة، السنة الثامنة، العدد 75، ذو الحجة 1399هـ-ديسمبر 1979م، ص 13-80.

القرءاني ومعرفة الغريب وغيرها، إلا أنه استحدث من باب التجديد مباحث إضافية وعنون لها بعناوين يغلب عليها الطابع الأدبي، ولذلك فهي ليست على غرار ما كُتب في أنواع علوم القرءان كما في الكتب التراثية كـ "البرهان" للزركشي (ت: 794 هـ) و "الإتقان" للسيوطي (ت: 911 هـ)؛ فمن تلك العناوين: الدرس العظيم، سر الحياة، القرءان ضرورة اجتماعية، ثورية القرءان، محاولات سخيقة، الخ. ويأتي ذلك كما هو ملاحظ تساوقاً مع أسلوبه في الكتابة واهتمامه في التفكير. كما أنه تحدث عن موضوع بالغ الأهمية وهو موضوع ترجمة القرءان، خلص فيه إلى القول بتحريم الترجمة الحرفية تبعاً لمن سبقه في المسألة كالزرقاني (ت: 1948 م) في "مناهل العرفان" إذ نقل عنه. ومما يقف القارئ عليه في هذا الكتاب وغيره من كتب¹ الأستاذ التي يعنى فيها بالدفاع عن الإسلام وبيان رسالته، أنه شديد الاهتمام بنقل آراء المستشرقين والمفكرين الغربيين وأقوالهم وأعمالهم عن الإسلام والقرءان والرسول ﷺ، حتى لقد أفرد كتاباً مستقلاً بعنوان "محمد ﷺ في نظر المفكرين الغربيين" يأتي الحديث عنه.

- **تأملات في أسرار القرءان:** تدور موضوعات الكتاب عبر مائتين وخمس وثلاثين (235) صفحة، حول تدبر القرءان، واكتناه أسرارها، وذلك إما بالرجوع رأساً إلى ما ذكره المفسرون، وإما بما فتح الله على المؤلف في فهم آي الكتاب العزيز، وطول تدبره فيه.

- **في أعماق "اقرأ باسم ربك":** لم يطبع. قال² عنه مؤلفه: "إنه كتاب تأملي فلسفي"، وأخبرني أن فيه سبعة فصول؛ وهي تفسير وتحليل لسبعة مواضع في قوله تعالى من سورة العلق: ﴿إِقرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ إِقرأْ

¹. ينظر على سبيل المثال: البيان في علوم القرءان، ص 13، 331-332، 335-340، نور على نور (الأعمال الكاملة، مرجع سابق)، المجلد 01، ص 152-153،

². مقابلة شخصية أجريتها مع الأستاذ في بيته يوم الأربعاء 2023/06/08م.

وَرَبِّكَ الْأَكْرَمَ ۚ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿﴾ (العلق: 01-04).

- في ضوء القراءان: موضوعات في الدين والأخلاق والاجتماع، قدم بعضها على الأثير وفي شاشة التلفزة من محطة الإذاعة الجزائرية، ونشر بعضها في الصحف والمجلات الوطنية في الفترة الممتدة ما بين 1980م-1987م، ثم رأى المؤلف جمعها في كتاب ليسهل تناولها والانتفاع بها.

- ما جرى مجرى الحكمة في القراءان الكريم: هذا العنوان وضعه الأستاذ على منوال ما فعل شيخه العلامة الشرفاوي في كتابه "الدروس الإنشائية لطلبة الزوايا الزاوية"¹، إذ جعل فيه: ما جرى مجرى الأمثال في القراءان الكريم وما جرى منه في الأحاديث النبوية، وهكذا.² ومن المؤكد أن الأستاذ ممن تلقى هذا الكتاب على يد شيخه، فلعل التأثر بادٍ من هنا.

- مباحث في ترجمة القراءان: لم يطبع، والكتاب عبارة عن ثلاثة مقالات مهمة في موضوع ترجمة القراءان؛ وهي للشيخ محمد رشيد رضا، والإمام الأكبر محمد شلتوت، والأستاذ محمد الصالح الصديقي.³

- مقاصد القراءان⁴: هو أشهر مؤلفات الأستاذ وأحبها إليه، وأكثرها بركة عليه، إذ به عُرف في ساحة العلم والتأليف، وبه لمع اسمه في مجال الدراسات القراءانية؛ فغدا يُذكر بإزاء الغزالي والرازي والعز بن عبد السلام والشاطبي ورشيد رضا وغيرهم من كبار الأعلام، ولقد بلغت شهرة الكتاب في وقته مدى بعيدا ولقي من الحفاوة البالغة ما أهله لأن يُكتب عنه؛ فكان ممن كتب عنه الأستاذ أحمد توفيق

¹. ما يزال مخطوطاً، ينظر: بورنان، الشيخ الرزقي الشرفاوي، مرجع سابق، ص 253.

². بورنان، الشيخ الرزقي الشرفاوي، المرجع نفسه، ص 255.

³. مقابلة شخصية أجريتها مع الأستاذ في بيته صبيحة يوم الأربعاء 2023/06/08.

⁴. كتبت حول هذا الكتاب العظيم عدة دراسات، من أوسعها كتاب "رحلتي مع مقاصد القراءان" للكاتب إسمايل ميرة، وصدر الكتاب عن مؤسسة الشروق الإعلامية.

المدني في تقديمه للكتاب، وكتب عنه الأستاذ حمزة بوكوشة يشيد به وبمؤلفه¹، كما أثنى عليه شعراً الأساتذة الكبار أبو اليقظان ومحمد العيد آل خليفة ومحمد مزهود وقد مر شيء من ذلك في الفصل الأول، والكتاب مصدرٌ بمجموعة من التقاريف والثناءات من قِبل الملوك والرؤساء والزعماء والعلماء. أما أصل "مقاصد القراءان" فإن "ما يجب التنبيه له، أن هذا الكتاب قد ألفه الأستاذ محمد الصالح الصديقي في زاوية سيدي عبد الرحمن اليلوي كحصوله لدروسه للطلبة قبل اندلاع الثورة المباركة، وقد جاهد هؤلاء الطلبة في سبيل الله والوطن، واستشهد منهم سبعون - رحمهم الله -"². وأما مادة الكتاب، فقد استهلها الأستاذ بتعريف القراءان، ثم تطرق لنزوله وجمعه وتدوينه، وعدد سورته، وإعجازه وتأثيره، ومحتوياته، ثم ختم هذا الاستهلال بآراء الفلاسفة الغربيين في القراءان. ثم قسم الكتاب إلى ثمانية أبواب؛ وهي: التوحيد، والعقائد، والدين، والتشريع، والعبادات، والقصص، والإعجاز، وأصول المثل العليا.

وهذا التصنيف الذي اتبعه الأستاذ فيه شيء من التداخل بين أبوابه؛ فقد ذكر التوحيد والعقائد منفصلين مع أنهما يشكلان مقصداً واحداً، وجعل التشريع والعبادات مقصدين مختلفين على الرغم من أن العبادات جزء من التشريع، كما ذكر الإعجاز بين مقاصد القراءان، وهو من خصائصه. ومع ذلك، فقد تضمن تصنيف الأستاذ عامة مقاصد القراءان: التوحيد أو العقائد، والتشريع، والقصص، والأخلاق أو ما سماه أصول المثل العليا، إلا أن تصنيفه خلا من مقصد المعاد أو الوعد والوعيد، وهو أحد أهم مقاصد القراءان.³

ولعل الأستاذ قد روجع في هذا التقسيم، إثر الحركة النقدية التي عني بها

¹. ينظر: البصائر، بتاريخ 23 مارس 1956م.

². سعد شيبان، أضواء كاشفة على محطات بارزة، مرجع سابق، ص 179.

³. بودوخة، مسعود، جهود العلماء في استنباط مقاصد القراءان، بحث منشور على شبكة الأنترنت، ص 975.

الكتاب، فأعاد التصنيف إلى ثلاثة مقاصد كبرى - بعد أن كانت بالنسبة له خمساً - وسماها نواحي؛ فقال: ومن تأمل القراءان الكريم بعمق، وجد مقاصده تدور حول هذه النواحي الثلاث؛ العقائد والأخلاق والأحكام. ثم قال: أما الأساليب التي اتخذها القراءان الكريم إلى تلك المقاصد والأهداف فهي أربعة: الإرشاد إلى النظر والتدبر في آيات الكون، قصص الأولين، إيقاظ الشعور الباطني في الإنسان، الإنذار والإرشاد.¹ مع ملاحظة التداخل بين "المقاصد" و"المحاور"، وهو أمر يعسر التحرز عنه، فإن موضوع التصنيفات والتقسيمات في مجال "مقاصد القراءان" والمصطلحات الرافدة لمعاني تلك التصنيفات لم يفصل فيه بعد رغم كثرة ما كُتب، لاختلاف منازع الاجتهاد.

وقد امتاز الكتاب بالبساطة في العرض والسلاسة في التناول والسهولة في الأسلوب، فأعفاه مؤلفه من التعقيد والإغراب، حتى قال بعضهم "إنه إسلام في كتاب"².

ولعل أهم سمة تميز بها الكتاب ضمن الدراسات القراءانية أيام صدوره هي العصرية التي خرج بها عن طور التقليد والنمطية السائدة؛ وفي هذا يقول الدكتور سعد الله: والشيخ أديب وفقهه، وله فكر نير، فانسجم عنده فهم القراءان مع أفكار العصر، ولا ندري مدى تأثره بأسلوب ابن باديس ورشيد رضا في كتابه، ولكنه درس على بعض شيوخ الزيتونة المتنورين. ولذا، لم يكن تناوله للآيات القراءانية تقليدياً جامداً، وإنما هو تناول يسير في نظرنا في تيار الإصلاح الذي نادي به ابن باديس.³

¹. الصديقي، هذا هو الإسلام (الأعمال الكاملة، مرجع سابق)، مجلد 10، ص 32-33. وينظر: الصديقي، نفائس

الكنوز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 19-20.

². بوقرورة، محفوظ، أضواء كاشفة على محطات بارزة، مرجع سابق، ص 315.

³. سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، 33/7-34.

- من روائع الإعجاز¹: ألف سنة 2003م، وأصل الكتاب مقال أجاب به الأستاذ رغبة مجلة "العصر" بطريق رئيس تحريرها آنذاك يوسف شنتي للكتابة في موضوع إعجاز القرآن، ولما ظهر المقال كان قد نشر تحت عنوان "إعجاز القرآن"، وبعد التوسع فيه، خرج في كتاب من مائتي صفحة بالعنوان المشار إليه. وقد عاد المؤلف إلى أربعة عشر تفسيراً، عدا كتب السنة والفنون المختلفة، ثم وضع ملحقاً ضمنه بحوثاً في مناحي الإعجاز المختلفة لجماعة من الدعاة والأدباء؛ كالرافعي ومحمد الغزالي وشكري فيصل ومصطفى الزرقا.

- نور على نور: الكتاب عبارة عن فصول في تفسير القرآن الكريم، وهي في الأصل حلقات إعلامية قدمت على التلفزيون والإذاعة. وراعى المؤلف في ترتيب تلك الفصول ترتيب المصحف الشريف؛ فقد يختار آية في الغالب أو آيات، ويضع لها عنواناً مناسباً ينتزعه من موضوعها، ثم يشرع في التفسير متبعاً ما يلي: أولاً- الألفاظ والتركيب: يعنى فيها كما هو ظاهر من العنوان بتفسير المفردات والتركيب (والمقصود بالتركيب الجمل القراءانية) لكنه لا يكتفي بالدلالة اللغوية المعجمية، فإنه يتعرض تحت هذا العنوان أيضاً للتعريف بأسماء الأعلام القراءانية الواردة في الآية (شخصيات ومواضع قراءانية). وكما فعل في تفسير الآية الثالثة من المائدة، فحبذا لو أرجأ تفسير "التركيب" إلى ما يليه؛ أي: تحت عنوان "المعنى" لأن في بعض الفصول تداخلاً وتكراراً بين "التركيب" وبين ما يذكره في "المعنى". ثانياً- المعنى: هو المعنى الإجمالي للآية (أو الآيات) أو ما يفهم من ظاهرها. ثالثاً- في ضوء الآية: المقصود به ما ترشد إليه الآية وما يستفاد منها. ولهذا، لا يلتزم المؤلف أحياناً بنفس العنوان بل يغيره بما يعنى له مما تتضمنه الآية؛ فيكون العنوان مثلاً: في رحاب الآية، في الآية الكريمة محاور، في هذه الآيات وقفات، في الآية الكريمة

¹. أخبرني الأستاذ في مقابلة هاتفية بتاريخ: 2023/09/03م، أن باحثاً من ولاية غرداية أجرى دراسة أكاديمية حول الكتاب.

ملاحظات، الخ. وأحياناً يضرب الكاتب عن هذه العناوين جملة وينطلق في التفسير رأساً¹. أما عن مصادره، فإنه يحيل عليها في ثنايا الكتاب وفي الحاشية كذلك، ومصادره كثيرة ومتنوعة بحسب خدمتها لموضوع الآيات؛ في التفسير والحديث والتاريخ واللغة والفكر. وفي التفسير يكثر من النقل عن تفسير المنار والآلوسي والرازي وابن كثير. ومن السمات العامة التي يرصدها القارئ، أن المؤلف -فضلاً عن تعرضه للقراءات القرآنية واستدلاله بالشواهد الشعرية- يتتبع فرصة بيان أسرار التشريع الإسلامي لنقل أقوال واعترافات المستشرقين والمفكرين الغربيين حول ساحة دين الإسلام، وقد مر الحديث عن هذه السمة العامة في كتب الأستاذ. ويعنى بالإعراب والتوجيه النحوي والصرفي، ويعنى كذلك بالحديث في الأحكام الفقهية المستنبطة من الآيات.² ويذكر اللطائف والأخبار التاريخية³، كما يذكر المصطلحات العلمية في مواضع الحديث عن الكون والإعجاز العلمي. لكن من أهم ما يقف القارئ عليه هو اهتمام المؤلف بإسقاط موضوع الآيات على الواقع، والتوسع في التفسير بحسب أهمية الموضوع لديه، والاجتهاد في التنظير لفهم الإسلام⁴. ولا يبدو أن الأستاذ قد استفاد من حيث المضامين من تفسير الإمام ابن باديس؛ فإنه لم يحل عليه إلا نادراً، وإن كانت طريقتة في تناول الفصول مشابهة إلى حد كبير لطريقة الإمام، ولا غرو، فالأستاذ الذي دأب على إخراج تراث الإمام للناس طيلة اثنتي عشرة سنة، لا بد أن يتأثر بمنهج الإمام وطريقته في التفسير، وإن تغاير وإياه في اللغة والأسلوب.

- هذا هو القراءان: يتناول هذا الكتاب الذي يقع في مائة صفحة علوم القراءان

¹. نور على نور، مرجع سابق، ص 63، 82.

². نور على نور، المرجع السابق، ص 111-115، وفيها تفسير الآية الثالثة من سورة المائدة.

³. المرجع نفسه، ص 188 حول غار حراء.

⁴. ينظر مثلاً: "أصول الإسلام"، إذ جعلها ستة عشر أصلاً استخلصها من القراءان واستدل لها بالآيات، ص: 88-92. و"قواعد الإسلام الأساسية وشعاره وجوهره"، ص 94.

المختلفة ولطائف وإشارات وفوائد قرآنية بشكل موجز ومقتضب، وهو بمثابة الاختصار لكتابه "البيان في علوم القرآن"، بل هو كذلك أكثر اختصاراً من كتابه الآخر "الوجيز في علوم القرآن"، وهو مناسب كمدخل للتعريف بالقرآن الكريم وعلومه بالنسبة للطلبة الجامعيين (والمتقنين ثقافة غير شرعية)، وقد أشار المؤلف إلى هذا في مقدمة كتابه.

- **الوجيز في علوم القرآن وهدايته وأثره:** يحتوي هذا الكتاب الذي ألف سنة 1997م، على مائة وثلاثين صفحة، وهو مختصر للكتاب السابق "البيان في علوم القرآن"، بل هو نفسه الدراسة التي نشرت في الأصاله بعنوان "المعجزة الخالدة".

- **وحي وعبر:** كتاب في ثلاثمائة وست وخمسين (356) صفحة، وموضوعه استدرار المعاني الجليلة من الآيات القرآنية الكريمة، والباعث على تأليف الكتاب ما رآه المؤلف من انصياع الناس وراء المادة، وترك النظر في المآل والعاقبة. أما مادة الكتاب فهي كلام الله تعالى وما قيل فيه من تفسير، وأما منهج المؤلف فيتلخص في اختياره آيات من القرآن يبني عليها موضوعه، ويعنون لها بعنوان مناسب، ثم يقسم الموضوع إلى قسمين: "نظرات" وهي تفسير لآيات الموضوع، ويسبقها أحياناً بتحليلات لفظية أو تراكيب، و"عبر" وهي عبارة عن قصص مأثورة أو أحداث تاريخية يذكرها للعبارة.

- **ومضات من سورة الفاتحة:** صدرت الطبعة الأولى للكتاب عن دار البعث سنة 1984م. ألف الأستاذ كتابه استجابة لإلحاح جمع من أهل العلم والمعرفة الذين قرءوا كتابه "مقاصد القرآن" وغيره من الأبحاث والدراسات القرآنية أن يفرد سورة الفاتحة المباركة بكتاب مستقل. وقد تناول الحديث عن الاستعاذة، ثم البسملة، ثم تفسير آيات الفاتحة آية آية، ثم القول في "أمين"، وتمثل منهج المؤلف فيما يلي: تحليلات لفظية يورد فيها المعاني اللغوية والتوجيهات النحوية واللمسات البلاغية، ثم يشرع في تفسير الآيات مستلهاً من كتب التفسير ومستفيداً منها،

ويتوسع في البحث أحيانا لتحقيق المراد؛ فقد ذكر مثلا أنه راجع نحو عشرين تفسيرا فيما يتعلق بالبسملة¹. والكتاب غني كذلك بالنقول، فقد عاد المؤلف فيه إلى ثلاثين مرجعاً في التفسير وعلوم القرآن والحديث والمعاجم وغيرها. يقع الكتاب في ثلاثمائة وثلاثين صفحة.

2. السنة النبوية

- **توجيهات نبوية في الدين والأخلاق والاجتماع:** هي توجيهات حكيمة مختارة من جوامع الكلم النبوي، استهدف بها المؤلف الطالب والمربي والأب والإمام والسياسي. يصدر الموضوع بعنوان واضح معبر، ثم يورد الحديث ولا يلتزم بتخرجه دائماً، ثم يشرح في شرح الحديث شرحاً وسطاً والإشارة إلى المعاني المختلفة التي دل عليها، مع التركيز غالباً على الجانب الاجتماعي وما ينطوي عليه من تحليل ونقد.

- **جوامع الكلم النبوية:** ألف الكتاب سنة 2000م، وموضوعه -كما يدل عليه عنوانه- الأحاديث النبوية الشريفة القصار الجامعة للمعاني الجزيلة الكبار، وعدتها اثنان وسبعون حديثاً. ومنهج المؤلف في كتابه العنونة للموضوع، وافتتاحه بحديث قصير، وتخرجه، ثم شرح الحديث شرحاً وسطاً وتحليله بشواهد من القرآن والسنة والآثار والنقول عن المتقدمين من المفسرين والمحدثين والفقهاء والأصوليين واللغويين، وأقوال المتأخرين من المفكرين والفلاسفة. والغالب على مادة الكتاب لجوانب العقدية والفكرية والتربوية والاجتماعية. والكتاب في مائتين وثمانين صفحة.

- **السراج المنير:** يتألف الكتاب من مائتين وثمان وثمانين (288) صفحة، وهو كما عبّر عنه مؤلفه: "آداب سامية، وتوجيهات حكيمة، وعظات بالغة، ومختارات من حديث الرسول ﷺ مشروحة شرحاً وافياً، يتصل بالحياة المعاصرة". فيصدر الموضوع بحديث ويخرجه أو يحيل على مصدره، ثم يقوم بشرحه شرحاً وسطاً،

¹. الصديق، ومضات من سورة الفاتحة، دار البعث، قسنطينة-الجزائر، ط1، 1405هـ-1984م، ص 84.

ويتخفف فيه من النقل، ويجعله بمثابة "ما يستفاد من الحديث".

- محمد ﷺ في نظر المفكرين الغربيين: ألف سنة 2004م، لكن نواته ترجع إلى سنة 1980م، حيث شارك الأستاذ بهذا الموضوع بذات العنوان في ملتقى الفكر الإسلامي، وكانت مادة المشاركة آنذاك سبعاً وعشرين صفحة¹، ثم توسع فيها المؤلف فجاءت في كتاب من مائة وأربعين صفحة، والباعث على تأليفه الوقوف على صيحات من أعلام الفكر الغربي، تخلع صوراً جديدة من العظمة والعبقرية على سيرة الرسول الأعظم ﷺ. وذكر المؤلف في مقدمته أن كتابه يهدف إلى أمرين؛ أحدهما تحقيق شرف الكتابة عن شخص الرسول ﷺ، والأمر الثاني هو الدعوة إلى التحلي بأخلاق الرسول الكريم، والتمسك بشريعته. أما الثالث فهو لفت الأنظار إلى ما كتبه أعلام الفكر الغربي لذوي الهمم الراكدة والنفوس الحاملة والبصائر المطموسة، وحفزهم للاهتمام بسيرة الرسول الأعظم ﷺ احتفاءً واهتداءً. ويقوم هذا الكتاب الرائع على ما أسماها المؤلف "نظريات" وهي عبارة عن أقوال لطائفة من الفلاسفة والمفكرين والكتّاب الغربيين حول الرسول الأعظم ﷺ، وهم إحدى وأربعون شخصية، وفيها جماعة من مشاهير العالم كفولتير وبرنارد شو وتولستوي وتوماس كارليل وغوستاف لوبون وول ديورانت ولامارتين وغيرهم؛ فينقل المؤلف القول، ثم يعلق عليه بما يناسب من توجيه أو تصحيح أو إضافة، وفي الحق، هي تعليقات في غاية الثراء والنفع.

- مع الرسول ﷺ في بلاغته وهجرته وإسرائه ومعراجه: ألف الكتاب سنة 1985م، ويتكون الكتاب من مائة وإحدى وثلاثين (131) صفحة، قدّم له المؤلف بمقدمة أدبية راقية، نقل فيها عن ثلة من كبار أدباء العرب والغرب، كالزيات والرافعي وتولستوي ولامارتين، وذكر فيه أيضاً مناقشات حول الإسرائ والمعراج

1. ينظر: مجلة الأصالة، السنة التاسعة، العددان 87-88، نوفمبر-ديسمبر 1980م، ص 37-60.

من وجهات نظر شرعية وعقلية.

- من مناهل النبوة: يقع الكتاب في حوالي مائتين وخمس وثمانين (285) صفحة، وأصله موضوعات أذيع بعضها، وقدم بعضها الآخر على شاشة التلفزيون الوطني، ثم رأى الأستاذ جمعها وطبعها ليعم النفع بها. وبناء الكتاب - كما يشير إليه العنوان - من السنة النبوية، فيفتح المؤلف الموضوع بحديث شريف، ثم يشرع في شرحه شرحاً وسطاً بين الطول والإيجاز، مستعيناً بالآيات الكريمة والقصص الجلية والحكم والأمثال وغيرها، ولا يكاد يخلي الموضوع المعالج من الحديث عن بطولات الثورة الجزائرية.

- مواقف من حياة الرسول ﷺ: يقع الكتاب في ثمان وتسعين صفحة، جعله المؤلف مناصفةً في قسمين؛ الأول: شذرات من سيرة الرسول ﷺ، وفيه ما درجت عليه مختصرات كتب السيرة، من الحديث عن نسبه ومولده وزواجه وأزواجه وأبنائه ومبعثه ومعجزاته وغزواته وأصحابه وصفاته ووفاته، الخ. وترك القسم الثاني على ذات عنوان الكتاب، لكونه هو المقصود، وتناول فيه الحديث عن مائة وأربعمئة مواقف اختارها من مراجع مختلفة؛ منها الصحيحان، وسيرة ابن هشام، المعجم الصغير للطبراني، وصحيح ابن حبان، والبيهقي، وغيرها مما لم يسمه، وهذا القسم - على غرار سابقه - بمثابة المختصر الذي يحتاج إلى تخريج الأحاديث والآثار الواردة فيه، وإلى شرحٍ يجلي تلك المواقف الشريفة.

3. العقيدة والفكر الإسلامي

- الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي: ألف سنة 2008م، يحتوي على مائة وثمان وأربعين (148) صفحة، وفكرة الكتاب - وإن لم تكن نواة له - محاضرة كان المؤلف قد ألقاها في ملتقى الفكر الإسلامي الذي انعقد بقسنطينة سنة 1983م، في موضوع الاجتهاد، ثم رأى الأستاذ أن يتوسع في محاور البحث ويضيف إليه

موضوعاً رديفاً للاجتهاد لا يقل عنه أهمية وهو "التجديد"، ويجعل ذلك كتاباً مستقلاً، متوسط الحجم، يسهل على القارئ اقتناؤه، والانتفاع به، لاسيما وأن الكتب المعاصرة في هذا الباب قليلة نسبياً بالنظر إلى أهمية الموضوع.

- **الإسلام مبادئ وسلوك**: جاء هذا الكتاب المهم في حوالي ستين صفحة، وهو إجابة لطلب أحد محبيه من الشباب المغتربين، يرجو من الأستاذ أن يكتب رسالة في مبادئ الإسلام وقيمه وأخلاقه، مختصرة واضحة، يتسلح بها من يواجه الطاعنين في الإسلام.

- **الإسلام والحرية**: طبع الكتاب بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وبدعم من وزارة الثقافة والفنون سنة 2023م، وهو كتاب لطيف يقع في مائة وأربعين صفحة، تعود فكرة الكتاب إلى محاضرة ألقاها الأستاذ في سمرقند بالاتحاد السوفيتي أوائل الثمانينيات، واقترح عليه يومها أن يجمع كتاباً في موضوع المحاضرة "ثمن الحرية". يتناول الثلث الأول للكتاب من مبادئ الإسلام وسلوكه، وباقي الكتاب حديث عن مبدأ الحرية في ثورة التحرير المجيدة، وصور حية من البطولات في مقابل الحرية.

- **الإمام السيوطي وكتابه في الاجتهاد**: مطبوع، ولم أقف عليه، ولكن للسيوطي أكثر من كتاب في الموضوع؛ من ذلك كتابه "التبئة بمن يبعثهم الله على رأس كل مئة"، وكتابه "تقرير الاستناد إلى تيسير الاجتهاد"، ونظمه المسمى "تحفة المهتدين في بيان أسماء المجددين"، و سيرته الذاتية الموسومة بـ "التحدث بنعمة الله"، وكتابه "الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض"، وقد ألقى الأستاذ حول هذا الكتاب الأخير محاضرة في ملتقى الفكر الإسلامي الذي انعقد بقسنطينة حول "الاجتهاد"، فلا يبعد أن يكون كتاب الأستاذ المشار إليه هو هذه المحاضرة نفسها.

- **حب الوطن من الإيمان**: ألف الكتاب سنة 2008م، وأراد الأستاذ أن يتوجه

به من خلال صفحاته المائتين إلى فئة الشباب، الذين تسرب إلى قلوبهم ضعف الوطنية، والتنكر للوطن، والزهد في الهوية الوطنية، وإيثار غيرها عليها، برغبتهم في الهجرة عن الوطن إلى ما يظن فيه السعادة والرخاء والأمان، وقد كان هذا هو الدافع الرئيس للأستاذ على تأليف الكتاب.

- شرح الجواهر الكلامية: أصل الكتاب متنٌ للعلامة طاهر الجزائري¹ اسمه الكامل "الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية"، وضعه الشيخ طاهر للمبتدئين في تعلم العقائد الإسلامية، فوضع الأستاذ سنة 1985م شرحاً عليه في مائة صفحة، وهو عبارة عن حواشي هي أقرب إلى التعليقات منها إلى الشرح الموسع. أما مادة الشرح فإنها مستمدة بالأساس من كتاب الله تعالى، بالإضافة إلى نقول وإحالات كثيرة على كلام أهل العلم، تدل على اطلاعٍ للمؤلف في باب العقائد.

- الطريق إلى الله: كتاب صغير الحجم، يقع في مائة صفحة، تنتمي موضوعاته إلى الدرس العقدي العام، الذي يراد منه إيصال السالك إلى معرفة ربه سبحانه.

- عالمية الإسلام وأخلاقيات رسوله: يتناول الكتاب الحديث حول عالمية الإسلام، من خلال عرض خصائصه ومزاياه ودفع الشبه التي يثيرها المغرضون حول محدودية نطاق الإسلام ورفض مبدأ عالميته، ورأى المؤلف أن خير ما يعزز به القول بعالمية الإسلام الإشارة إلى الشخصية الفذة لرسوله محمد ﷺ، وهذا يتوافق مع العنوان الأصلي للكتاب الذي ذكره الأستاذ في المقدمة وهو "شخصية مثالية ورسالة عالمية". وهذا الكتاب -على غرار كتب الأستاذ الدعوية الأخرى- حافل

¹. طاهر الجزائري (1850-1920م): طاهر بن صالح بن أحمد بن موهوب السمعوني الجزائري ثم الدمشقي، باحثة من أكابر العلماء باللغة والأدب في عصره، ساعد في إنشاء "دار الكتب الظاهرية" بدمشق، و"المكتبة الخالدية" في القدس. كان من أعضاء المجمع العلمي العربي، وكان يحسن كثيراً من اللغات، وترك نحو عشرين مصنفاً، أجلبها "التذكرة الطاهرية". ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العم للملايين، بيروت-لبنان، ط7، 1986م، 7/ 221-222.

بأقوال الغربيين في دين الإسلام ونبيه ﷺ، فهو بهذا خليق بأن يترجم إلى لغات أخرى، خصوصاً وأنه صغير الحجم إذ يقع في ثمانين صفحة.

- **في ظل الإسلام:** يقع في حوالي ثلاثمائة صفحة، قال مؤلفه بأنه "مساهمة متواضعة في الدعوة إلى الحياة الكريمة، التي يريدتها الإسلام، والتي تميز الإنسان عن الآلة وعن الحيوان، والتي توفق بين الروح والجسد، وتؤاخي بين إنسان الشرق والغرب..".

- **قيم حضارية من الكتاب والسنة:** ألف سنة 2007م، يتحدث الكتاب في صفحاته الثمانين عن دلائل الإيمان بالله، وثمراته، ومكانة العلم في الإسلام، وبعض الحقوق الواجبة في الإسلام، والأسس التي قامت عليها الأمة الإسلامية (التوحيد، والسلم، والجهاد) وأواصر القربى بينها (اللغة، والدين، والتاريخ).

- **مفكرون غربيون يعتقدون الإسلام:** يتألف الكتاب من مائة وست وتسعين (196) صفحة، ويتكون من ثلاثة أقسام؛ القسم الأول عن شخصيات غربية اعتنقت الإسلام، وهم خمس عشرة شخصية؛ فيهم جماعة من المشاهير مثل روجي جارودي¹، ومحمد أسد، وناصر الدين دينيه، وفيهم من كانت له مشاركة قلمية في ملتقى الفكر الإسلامي بالجزائر كالأستاذ عبد الكريم جرمانوس² رحمهم الله جميعاً. والقسم الثاني من الكتاب عبارة عن حقائق وتعاليق حول الإسلام وحضارته وسر انتشاره وعالميته ونظراته إلى بقية الأديان وغيرها من الموضوعات.

¹ روجي جارودي (1913-2012م): أديب ومفكر وفيلسوف فرنسي بارز، تنقل بين الماركسية والشيوعية ثم المسيحية، شغل عدة مناصب سياسية في بلده، بعد بحث طويل اعتنق الإسلام سنة 1982م، تجاوزت كتبه العشرين. ينظر: رجاء جارودي، الإسلام هو الحل الوحيد للأزمات المتصاعدة في الغرب، كتاب المختار، د.ط، 1986م، ص 08-09.

² عبد الكريم جرمانوس (1884-1979م): مستشرق مجري، وكاتب وسياسي ومؤرخ ثقافي، عضو مجمع اللغة العربية بدمشق، يتقن العديد من اللغات، ترك تراثاً علمياً زاخراً من البحوث والدراسات. ينظر: محمد خير رمضان، تنمة الأعلام، مرجع سابق، 314/1.

أما القسم الأخير من الكتاب، فقد جعله المؤلف في صورة ملاحق (ثلاثة عشر ملحقاً)، وهي موضوعات مستقلة لمجموعة من كبار الأساتذة والباحثين الذين اعتنقوا الإسلام عن طواعية وحب.

- هذا هو الإسلام: سبب تأليف الكتاب أن فرنسيا أشهر إسلامه في وزارة الشؤون الدينية بالجزائر أوائل الثمانينيات، وصرح بأنه رغم بحثه الطويل في دراسة الأديان قبل إسلامه لم يجد كتاباً صغير الحجم غزير المادة يلبي رغبته ويسد حاجته في التعرف على هذا الدين الجديد، وغاية ما وجد إما كتب مطولة يتيه فيها الفكر، وإما كتب صغيرة لا تشفي الغليل، وذكر المؤلف أن كتابه -الذي جاء في مائة وإحدى وخمسين (151) صفحة- عمل بهذا الواجب، وتلبية لندائه، فوضعه بأسلوب سهل واضح، وأفكار منطقية علمية، وقيم الدليل واضحاً ويضع النقاط على الحروف. وأبدى الأستاذ نيته وعزمه على ترجمة الكتاب إلى الفرنسية ليعم نفعه. والكتاب حقيق بأن يهتم به دراسة وشرحا وترجمة، فإن الأثرة فيه مستحكمة للنص القرآني، كما أن فيه قدراً معتبراً من أقوال المستشرقين.

4. الإيانيات والتربية والرفائق

- آيات للموقنين: لم يطبع.

- في موكب الإيمان: صدرت الطبعة الأولى للكتاب سنة 1985م، محتويًا على مائتين واثنين وستين (262) صفحة. قال فيه الأستاذ محمد نبيه الغرباوي (وهو من علماء الأزهر الشريف): بأنه "حافل بالشواهد والأدلة والبراهين على أن الفائز في العاجلة والآجلة من كان في الموكب، أو يحث الخطي إلى الانتظام فيه، في أسلوب رائع، وبيان أخذ، مع تنسيق وتيسير للدارس والطالب.. أن الإسلام هو المنيع الوحيد للفضائل الإنسانية الحقة"¹.

¹. الصديق، في موكب الإيمان، دار البعث، قسنطينة-الجزائر، ط 1، 1405هـ-1985م، ص 25.

- **القرءان في محيط العقيدة والإيمان:** المحور الذي تدور حوله موضوعات الكتاب المتألف من مائتين وخمسين صفحة هو العقيدة الإسلامية؛ ومن مباحثها في الكتاب: حقيقتها ونشأتها وخصائصها، وشواهد الربوبية، ومبحث الروح، والأسماء الحسنى وآثار الإيمان به، وأركان الإيمان الستة ومتعلقاتها وثمراتها، الخ. وقد عالج المؤلف تلك الموضوعات بأسلوب علمي سهل وعرض مبسط، بعيداً عن تعقيدات المتكلمين وتمحلات المفكرين وتكلفات الفلاسفة وشطحات المتصوفة، وأهم ما ميز الكتاب احتفال مؤلفه بآي القرءان الكريم.

- **سبيل الرشاد:** وسماه في المقدمة "من هدي النبوة" فلعله العنوان الأصلي للكتاب، وهو كما قال مؤلفه دروس من المعلم الأعظم، ومن روائع توجيهاته وعبره.

- **سفينة الإيمان:** من كتب الإيمانيات المهمة، وفيه دعوة متأكدة للفرار إلى الله تعالى، بترك المذاهب الباطلة من اشتراكية وشيوعية ورأسمالية، والتمسك بإيمان الفطرة. صدرت الطبعة الأولى سنة 1977م، والثانية سنة 2000م.

- **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون:** سبب تأليف الكتاب استجابة لرغبة السيد جمال بن حالة أحد محبي الأستاذ وهو من بيت علم ودين، وقد رغب إلى الأستاذ في تأليف كتاب يسلط فيه الضوء على قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: 56). صدرت الطبعة الأولى للكتاب عن مؤسسة قرطبة سنة 2016م، في نحو مائة وسبعين صفحة.

- **من وحي السماء:** نشر الكتاب في صورته الأولى في مجلة الأصالة¹ كبحث متألف من أربعين صفحة، ثم توسع فيه المؤلف إلى صورته الحالية التي تحتوي على مائتين وثلاث وثمانين (283) صفحة، وهو عبارة عن طائفة من الموضوعات التي

¹. ينظر: مجلة الأصالة، السنة العاشرة، العددان 89-90، جانفي-فيفري 1981م، ص 03-43.

نشرت كمقالات في مختلف الصحف الوطنية، والغالب على تلك المقالات الطابع الديني؛ من ذلك: من دروس الهجرة، معنى الصلاة، الزكاة ومكانتها في المجتمع، إيجابيات الصوم، فلسفة الحج، عيد الأضحى، نداء الفطرة، القدر في حياتنا، الخ.

5. التراجع

- الأستاذ مولود قاسم نAIT بلقاسم - خواطر وذكريات، ومواقف وشهادات: تعود فكرة تأليف الكتاب إلى سنة 1993م، عندما اقترح القائمون على مطبعة البعث بقسنطينة على الأستاذ تأليف كتيب عن الراحل مولود قاسم تتولى المطبعة نشره، وكان الأستاذ قد كتب مقالاً على إثر وفاة الراحل سنة 1992م، والمقال بزياداته مضمّن في المجموع الترجمي الضخم "أعلام من المغرب العربي" الذي مرت الإشارة إليه.

- **أعلام من المغرب العربي**¹: كتب ضخّم يقع في ثلاثة أجزاء، ترجم فيه لشخصيات مختلفة من المغرب العربي (الجزائر، تونس، المغرب، ليبيا)، وكانت الحصة الأوفر لأعلام الجزائر، فيما لم تحظ ليبيا بالترجمة سوى لشخصية واحدة وهي شخصية المجاهد عمر المختار، وتراجم الكتاب متباينة من حيث الطول والقصر، وهي متقاربة إجمالاً من حيث المنهج العام في الكتابة والتوثيق، والملح الذي يشيع في أغلب تلك التراجم والذي يمكن أن يقف عليه القارئ هو ارتكاز الأستاذ على لقاءاته المباشرة لترجمته واحتكاكه بهم.

- **أعلام من منطقة القبائل**: يقع الكتاب في جزئين، ترجم فيه لتسع وأربعين شخصية من منطقة القبائل، ويتراوح أولئك الأعلام بين مشهور ومغمور، وبين عالم وقارئ وإمام وأديب وشاعر ومجاهد.

¹. ينظر في التعريف بالكتاب: جمال الدين بونقاب ومحمد الصديق قادري، "محمد الصالح الصديق وكتابه أعلام من المغرب العربي"، مجلة المنهل، جامعة الوادي، الجزائر، المجلد: 09، العدد: 01، 1444هـ-2023م.

- الإمام ابن باديس أقوال ومواقف: مطبوع، ولم أفق عليه. قال فيه مؤلفه: هذا الكتاب كما يدل عنوانه ألفه جمع من العلماء والأدباء الذين تأثروا بابن باديس، أو عرفوا قدره، وقد جمعته من مراجع شتى، أما كتابه فهم: أحمد توفيق المدني، حمزة بوكوشة، علي البلهوان، علي مرحوم، أحمد بن صالح، عبد الله شريط، البشير العربي، ناجية ثامر، الطاهر قيقة، أحمد بن ذياب. ووضعت له مقدمة مطولة في حياة الإمام وجهاده الفكري والقلمي، وهو يقع في مائتين وثلاث عشرة (213) صفحة، وصادر عن مؤسسة هومة¹.

- الإمام عبد الحميد بن باديس - جهاد ومواقف - بأقلام أدباء وعلماء: الكتاب عبارة عن مجموعة مقالات كتبت حول الإمام، للإشادة بجهده وجهاده، والدعوة للاقتداء به، جمعها المؤلف من مظان مختلفة، والهدف من هذا الجمع علاوة على ما ذكر تقديمها لمن لم يحظ بالاطلاع عليها لبعده العهد بها، فإن منها ما نشر قبل أكثر من ستين سنة، فضلاً عن التعريف بأصحابها وهم أعلام كبار. وقد أضاف المؤلف إليها موضوعين؛ أحدهما بعنوان "مرور خمسين عاماً على تأسيس جمعية العلماء" للأستاذ علي مرحوم وهو من خلّص تلاميذ الإمام، والآخر بعنوان "نفحة من الجزائر" للأديب الشهير والأستاذ الكبير زكي مبارك.

- الرافضون عبر التاريخ: صدر الكتاب في طبعته الأولى سنة 1983م، اعتمز المؤلف أن يخرج في ثلاثة أجزاء، لكن الظروف القاهرة ألبأتها للاكتفاء بجزئين فقط، ومجموع ما ضمه الجزءان من شخصيات ستون شخصية (ثلاثون في كل جزء) وعدة النساء في هذا المجموع خمس فقط، وتتلخص فكرة الكتاب في تسليط الضوء على نماذج إنسانية إسلامية وغير إسلامية رافضة للذل والخوف والجن، وقادوا الإنسانية إلى النور. واشترط المؤلف في كتابه أمرين؛ أولهما أن يختار في عرض

¹. محمد الصالح الصديق، في شريط الذكريات أحداث وخواطر وذكريات، دار هومة، الجزائر، ط1، 2016م، .454/4

الشخصيات ومواقفها طريقة التشويق؛ بحيث لا يذكر الشخص الذي يتحدث عنه، لا في العنوان ولا في سياق السرد، وإنما يذكره في الخاتمة، وهذا في الأعم الأغلب. والأمر الآخر، أنه لم يراع في ترتيب الشخصيات ترتيباً تاريخياً، وإنما ضمّها كما تضم الطاقة من الزهور.¹

- **رحلة في أعماق الثورة:** الكتاب ترجمة لصديق الأستاذ ومسؤوله المباشر في مرحلة الثورة التحريرية والمسؤول عن تنفيذ العملية الشهيرة "عملية العصفور الأزرق"، تناول فيه سيرة العقيد محمد عزورن المدعو "بريروش"، مدعماً الكتاب بمجموعة من الصور التي توثق علاقته به.

- **شخصيات:** كتيب صغير الحجم يتألف من ثلاث وعشرين صفحة، احتوى على بعض الشخصيات المتفرقة التي لا يجمعها رابط سوى إعجاب المؤلف بها، وفيها شخصيات تنتزع الإعجاب فعلاً، وقد ترجم الأستاذ لبعضها في كتب أخرى له كالعقيد أوعمران، ومحمد نسيب، والدكتور سعدان.

- **شخصيات فكرية وأدبية** "هذه مواقفنا من ثورة التحرير الجزائرية": ترجم فيه الأستاذ لسبع شخصيات شهيرة في العالمين العربي والإسلامي؛ وهي: العقاد، وطه حسين، والإبراهيمي، والزيات، وسيد قطب، ومحمد الغزالي، وعلي الطنطاوي - رحمهم الله-، والغالب على هذه الشخصيات كما هو ظاهر هو الجانب الأدبي الذي سما عن الإنشائيات الصرفة والخيال المجنح واتجه لخدمة الفكر الإسلامي والقضايا الإنسانية العادلة، ومن ذلك ثورة التحرير المجيدة. وأوضح الأستاذ في كتابه مواقف تلك الشخصيات من الثورة وكتاباتهم في تأييدها ونصرتها، مع الإشارة إلى شيء من التباين في تلك النصره بين المعالجة الجريئة (العقاد) وبين التباطؤ المتخاذل (طه حسين).

¹ محمد الصالح الصديق، الرافضون عبر التاريخ، دار البعث، قسنطينة-الجزائر، ط1، 1404هـ-1983م، ص

- شخصيات من الذاكرة: مطبوع، ولم أفق عليه. " ويشتمل على أربع عشرة شخصية هي: شيخ الأدباء في تونس العربي الكبادي، الكتبي الجزائري الشهير الشيخ محمد الثميني، الشيخ محمد الصالح بن عتيق، الشاعر الباتني الطيب معاش، المؤرخ أبو القاسم سعد الله، عادل المشيرقي الليبي، المجاهد سعيد آيت مسعودان، المناضل محمد حامد روابحية، المناضل حسين آيت احمد، الأديب نوار جدوالي، الشيخ مسعود علي منصوري، الدكتور العربي الهاشمي¹.

- شخصيات ومواقف: طبع الكتاب سنة 1992م، عن المؤسسة الوطنية للكتاب، وموضوعه الترجمة لشخصيات مشهورة وأخرى مغمورة، مختلفة الوجود الزماني والمكاني، وتترد تلك الشخصيات بين صحابي وتابعي، وشاعر وكاتب، وفيلسوف ومصلح، ومعلم ومجاهد، والجامع بين تلك الشخصيات المواقف المشهودة بجانب السير المحمودة. أما عدّة المترجمين في هذا الكتاب المتألف من ثلاثمائة وثلاث وثلاثين (333) صفحة، فهو ثلاث وتسعون شخصية، منها أربع عشرة امرأة فيهن من لم يعرفن من قبل مثل "فارعة"، و"غالية الوهابية"، و"عايدة عيسى"، وهذا الكتاب هو الوحيد في كتب الأستاذ -على كثرة كتبه المختصة بالتراجم- الذي ترجم فيه لهذا العدد من النساء²، كما أن من الملاحظ كذلك وجود تكرار في بعض التراجم بين هذا الكتاب وغيره، وقد ألمحنا إليه في غير هذا الموضوع.

- الشهيد الشيخ محمد الطاهر حفيد الشيخ الشريف الإفليسي: كتاب سيرة ترجم فيه المؤلف لثلاثة من أعلام أسرته، وهم من أعلام منطقة "ابسكريين" وزواوة عموماً، ويتعلق الأمر بالمجاهد الشيخ الطيب الإفليسي، والفقير الشيخ الشريف

¹. الصديق، في شريط الذكريات، مرجع سابق، 4/454.

². ليس الإقلال من ذكر النساء لدى الأستاذ استصغاراً لشأنهن، فإنه يعترف بأنه سئط "قصص البطولة النسوية منائر للأجيال المتعاقبة تهدي إلى الطريق الصاعد وتحفز إلى العلاء وتدفع إلى حياة أفضل..". ينظر: الدروب الحمر، ص 166، كما أنه أفرد للمرأة كتباً مستقلة تأتي الإشارة إليها، فضلاً عن ترجمته في كتابه "شخصيات ومواقف" لبعض الفضليات عبر التاريخ الإسلامي.

الإفليسي (جدّ المؤلف)، والشهيد - بإذن الله تعالى - الشيخ محمد الطاهر الإفليسي (خال المؤلف). وقد ألف الأستاذ هذا الكتاب استجابة للرغبة الملحة لوالده وخاله المذكور في الكتابة عن الشيخين الأخوين الطيب والشريف الإفليسي باعتبارهما أحق الناس بالكتابة عنهما لقربتهما وعلمهما وجهادهما. فتم تأليف الكتاب وطبع بدار الأمل سنة 2017م، متألفاً من مائة تسع وعشرين (129) صفحة.

- الشيخ الرزقي الشرفاوي - حياة وآثار، شهادات ومواقف: أصل هذا الكتاب مقال - وهو كذلك مضمّن في "أعلام من المغرب العربي" - نشره الأستاذ في مجلة "الثقافة" سنة 1974م، ثم نشر في كتاب مستقل سنة 1998م، وجاء في مائة وثلاث وتسعين (193) صفحة، ومع ذلك فقد اعتبره صاحبه في المقدمة كتاباً "وجيزاً". والكتاب على قسمين؛ القسم الأول عن حياة الشرفاوي وأعماله، والقسم الثاني ملحقات؛ وهي أحد عشر مقالاً، تسعة منها للشيخ الشرفاوي. ويعود الفضل - بعد الله سبحانه - للأستاذ في الكشف عن مثل هذا العلامة الكبير - رحمه الله تعالى، فإنه كان مغموراً لا يكاد يُعرف قبل أن يكتب الأستاذ عنه.

- العلامة الإمام الشيخ محمد بخيت: رسالة لطيفة تتألف في مائة وخمس وستين (165) صفحة، طبعت سنة 2019م، وترجم فيها الأستاذ لثلاثة من الأعلام؛ وهم العلامة الشيخ بخيت المطيعي، وتلميذه العلامة الرزقي الشرفاوي، ومُجازه الإمام عبد الحميد بن باديس - رحمه الله تعالى -.

- المرحوم آيت قاسم صديق: كتّيب لطيف الحجم يحتوي على ثلاثين صفحة، ألفه الأستاذ نزولا عند الرغبة الملحة لزوجة المرحوم آيت الصديق المسماة الحاجة يمينة. والمرحوم كان تاجر بسيطاً مقيماً بتونس، وكان مناضلاً وطنياً غيوراً، وتمثل نضاله في الإسهام بهاله في خدمة الثورة التحريرية ورجالها.

- المصلح المجدد الإمام ابن باديس لهذا حاولوا اغتياله: الكتاب عبارة عن

قسمين، أحدهما بمثابة صفحات مشرقة من حياة الإمام، وشذرات من كلامه في الدعوة والإصلاح، والقسم الثاني عنون له المؤلف بعنوان "لماذا حاولوا اغتياله؟" وفيه كلمات لكبار الأعلام المصلحين شعرا ونثرا، ثناءً عليه في حياته وتأييماً له بعد مماته. بالإضافة إلى محاور أخرى تطرق فيها الكتاب لبعض مواقف الإمام، ولمحات من حياته اليومية، وحديث مهم حول إحياء تراث الإمام ومناقشة ما أثاره الشيخ محمد الصالح رمضان من كلام حول الموضوع. يقع الكتاب في مائتين وثلاثين صفحة بما فيها ملاحق الصور.

-الملك إدريس السنوسي والثورة الجزائرية: مطبوع، ولم أفق عليه.

-من الخالدين: صدرت الطبعة الثالثة للكتاب سنة 2009م، في مائتين واثنين وأربعين (242) صفحة، وفيها عرض لعشرين شخصية من مشاهير الشهداء والسياسيين في ثورة التحرير الجزائرية.

-المناضل الليبي الهادي المشيرقي: ترجمة هذه الشخصية المناضلة هي الأوسع فيما كتب عنها، ولقد استفاد الأستاذ من كتاب المترجم نفسه بعنوان "قصتي مع ثورة المليون شهيد"، من ناحية الوثائق والصور والشهادات والأحداث، ولكن بما يعزز مشاهدات الأستاذ وشهاداته في الفترة التي قضاها في ليبيا مسؤولاً عن الإعلام للثورة هناك، وموظفاً دبلوماسياً في إدارة البعثة بليبيا. حيث كان له السبق والفضل في تعريف القراء بإدارة البعثة الجزائرية بليبيا أو الناحية الخلفية للثورة -كما كانت تسمى-، بالإضافة إلى التعريف بأبرز المناضلين العاملين بها والمناضلين الليبيين أصدقاء الثورة، كأعضاء اللجنة الليبية لمناصرة الثورة الجزائرية، وغير ذلك.

-نماذج للاقتداء: تراجم لرجال جمعية العلماء المسلمين بشيء من الإسهاب؛ وهم ابن باديس والإبراهيمي والعقبي والميلي والتبسي وأبو يعلى الزواوي وعبد الرحمان شيبان. وطبع الكتاب بدار هومة سنة 2013م، متألفاً من ثلاثمائة وست وخمسين

6. التاريخ الوطني والإسلامي

- أيام خالدة في حياة الجزائر: تعود فكرة الكتاب إلى لقاء ضم الأستاذ وجماعة من المثقفين والوطنيين، فاستوقف الأستاذ أثناء النقاش موضوع "كتمان السر" الذي كان مبدأً أصيلاً في الثورة التحريرية، فكتب فيه مقالاً ثم رأى التوسع فيه، وإضافة ما يناسب المقال، فجاء هذا الكتاب المشتمل على ثلاثمائة وإحدى وأربعين (341) صفحة، وقد أشار فيه إلى المحطات المفصلية في تاريخ الثورة الجزائرية، ودعم ذلك بملاحق؛ وهي عبارة عن خطابات لأعلام الجهاد والنضال الجزائري كالراحل هواري بومدين، والراحل فرحات عباس، والإمام البشير الإبراهيمي.

- الجانب الإنساني في الثورة الجزائرية: الكتاب رغم صغر حجمه يكشف الجوانب الإنسانية الرائعة التي اتصف بها الثوار، والكتاب إذ يصور تلك الأخلاقيات العالية، يصور كذلك وحشية الاستعمار الفرنسي في الجزائر. صدر الكتاب سنة 2002م، في حوالي خمس وسبعين صفحة.

- البعد الروحي في ثورة نوفمبر المجيدة: طبع الكتاب سنة 2014م، وجاء في مائتين وتسع صفحات. والباعث على تأليف الكتاب رغبة جمع من المجاهدين وأهل العلم إلى الأستاذ في الكتابة في موضوع "روحية" الثورة التحريرية المجيدة وإسلاميتها، وقد مثل المؤلف لإسلامية الثورة بعدة مظاهر جعلها فصولاً للكتاب؛ منها: تحرير الوطن أم نيل الشهادة، شعار الثورة: الله أكبر، محافظة المجاهدين على الصلاة، المجاهدون والمسجد، تسمية المحارب مجاهداً، تسمية القتل في المعركة شهيداً، احترام المجاهدين لشهر رمضان. كما خصص فصلاً للحديث عن الزوايا سماه "مراكز الإشعاع الروحي في الجزائر" استفاد فيه من كتاب صديقه الراحل محمد نسيب.

- الثورة الجزائرية مواقف ومعالم: يحتوي الكتاب على موضوعات ثورية مختلفة؛ كأهمية كلمة السر، ودور المرأة، وبعض التواريخ المهمة، ويقع الكتاب في مائتين وأربع عشرة (214) صفحة.

- ثورة نوفمبر الخالدة في ضوء الكتاب والسنة: الكتاب في حوالي مائتين وثلاثين صفحة، وطبع سنة 2020م، لكن فكرته ولدت سنة 1983م، في مؤتمر السلام العالمي الذي انعقد بموسكو، وكان الأستاذ الممثل الرسمي للجزائر في المؤتمر. وفي إحدى اللقاءات الجانبية العابرة التي كانت تتفق قبل بداية الجلسات الرسمية، أثير الحديث عن ثورة الجزائر وعوامل انتصارها، واستحضر الأستاذ للحاضرين شواهد من القراءان الكريم والسنة دعم بها حديثه عن أسباب انتصار الثورة التحريرية، فرغب إليه المستمعون في أن يؤلف كتاباً في الموضوع.

- الجزائر بلد التحدي والصمود: أصل الكتاب محاضرة عن الجزائر بين الماضي والحاضر، أضاف إليها الأستاذ محاضرات أخرى، ومقالات منشورة وكلمات مذاعة أيام توليه مسؤولية الإعلام الثوري بليبيا، لكن الكتاب لم يطبع إلا بعد رحلة طويلة من الضياع "والصمود" ناهزت الثلاثين سنة. يحتوي الكتاب على مائتين وثلاث وعشرين (223) صفحة.

- الجزائر القدوة في الصمود والجهاد والتضحية: اعترف المؤلف في مقدمة كتابه بأنه رغم تأليفه خمسة عشر كتاباً حول الثورة المجيدة والاستعمار الغاشم، فما تزال شهيته مفتوحة ورغبته ملحة للكتابة في ذات الموضوع. والكتاب المحتوي على مائتين وخمس وعشرين (225) صفحة حري أن يقدم ككتاب تعريفي بالتاريخ الجهادي للجزائر، لثرائه بالمحطات التي أشار المؤلف إليها.

- الجزائر - ليبيا ورحلة لا تنسى: كتاب في مائتين وثلاثين صفحة، صدره بتوضيح مهم بين فيه حقيقة تدشين "صوت الجزائر" بليبيا، وفند الإشاعات التي

تربط التدشين بالمناضل الأمين دباغين دون المدشن الحقيقي الذي هو الأستاذ محمد الصالح الصديقي. أما مناسبة تأليف الكتاب، فتعود إلى سنة 2013م، في إطار تأسيس الأرشيف الليبي الجزائري بمناسبة إحياء الذكرى الخمسينية لاستقلال الجزائر، وتم تعيين وفد لزيارة رسمية إلى ليبيا تألف من: عبد المجيد شيخي (المدير العام للأرشيف الوطني الجزائري)، والوزير الأسبق محمد الأمين بشيشي، والوزير الأسبق عبد الرحمن الشريف، والباحث مولود عويمر، والأستاذ محمد الصالح الصديقي.

- **حرب الإبادة في الجزائر: مطبوع، ولم أقف عليه، وقد أخبرني الأستاذ أنه على منوال كتابه "كيف ننسى وهذه جرائمهم؟"**¹.

- **دور الشعب الليبي الشقيق في جهاد الجزائر:** أهدى الأستاذ هذا الكتاب تحية للشعب الليبي على مواقفه البطولية الرائعة تجاه الثورة التحريرية، مشيراً في الكتاب إلى أوجه التشابه بين الجزائر وليبيا، ومجالات تضامن هذا الأخير مع شقيقه، ودور مختلف أطراف الشعب الليبي مفكرين وأدباء وصحفيين وعمالاً ونساءً في نصرة الثورة، كما تحدث عن البعثة الدبلوماسية الجزائرية في ليبيا، وهذا الكتاب -بحسب التتبع- من المراجع النادرة في التعريف بالبعثة وباللجنة الليبية لمنصرة الثورة. وقد ذيل المؤلف كتابه بملحق من الصور والشهادات المهمة جاء في قرابة خمسين صفحة.

- **الزاوية اليلوية ودورها في خدمة الإسلام واللغة العربية:** كتاب لطيف الحجم، صدر سنة 2018م، احتوى على ثلاثة محاور رئيسية: دور الزاوية في خدمة الإسلام والعربية، من شيوخ الزاوية وطلبتها، المعهد اليلوي الذي خلف الزاوية بعد تدميرها. والدافع لتأليف الكتاب هو تعلق الأستاذ بالزاوية، باعتبارها المدرسة الأولى التي ظهر فيها نبوغه، وشبَّ فيها عن طوق العلم، ومن جهة أخرى، كونها

¹. مقابلة أجريتها مع الأستاذ في بيته صبيحة يوم الأربعاء 2022/06/08.

الوصلة بينه وبين سلفه وأجداده وأقاربه ممن درسوا ودرّسوا بالزاوية كجده الشيخ الإفليسي وصهره العلامة الشرفاوي -رحمة الله عليهم-.

أما ذكرُ هذا الكتاب في مجال الوطنيات فلا اعتبار كون الزاوية اليلولية أحد أهم المعالم التي تؤرخ للحركة الدينية والثقافية والجهادية في الجزائر.

- صفحات من جهاد الجزائر: يعرض الكتاب ألواناً من الكفاح المرير، وصوراً من البطولة الثورية الخارقة. صدر سنة 1988م.

- عملية العصفور الأزرق: الكتاب هو الأول الذي تناول التعريف بالعملية، وهي إحدى العمليات الفدائية الأكثر خطورة وسريّة في تاريخ الثورة الجزائرية، طبع الكتاب سنة 1991م، وأحدث أيامها ردود فعل متباينة في صفوف القراء والمثقفين، ما بين مصدّق ومكذب، ونشرت حول الكتاب أعمال نقدية وكتبت حوله أيضاً وفي الدفاع عنه وعن صاحبه الذي اتهم باختلاق قصة العملية تقاريط من بعض العلماء والباحثين.

- في ضوء الفكر: كتاب متوسط الحجم يقع في ثلاثمائة وسبعين صفحة، ألفه الأستاذ سنة 2014م، وأصل الكتاب مقال مطول بعنوان "القيم الروحية والأخلاقية وأثرها في ماضينا وحاضرنا"، كان قد أجاب به طلب جماعة من المحييين للكتابة في الموضوع الجانب الروحي والأخلاقي كعامل في انتصار الثورة التحريرية، ثم لما أنجز عدة مقالات أخرى تحمل نفس الطابع، رأى أن يجمعها في كتاب، فكان كتابه "في ضوء الفكر"، ومع ذلك، فقد احتوى الكتاب على مقالات ذات طابع ديني أو أدبي أو تاريخي.

- قاهرة الاستعمار: يحتوي على مائتين وثمان وخمسين (258) صفحة، كان العنوان الأصلي للكتاب "الجزائر بين الماضي والحاضر" وأصل هذا الكتاب محاضرة ألّفها الأستاذ في المركز الثقافي المصري بطرابلس يوم 19 ديسمبر 1959م بطلب

من مدير المركز الدكتور حسن سليمان محمود، وحضر المحاضرة علماء وسفراء وإعلاميون. ثم طبع الكتاب في القاهرة في 06 نوفمبر 1960م، ضمن سلسلة "كتب سياسية" تحت رقم 184. وحينما تهيأ الأستاذ لطباعة أعماله الكاملة اعتمد على النسخة الوحيدة من الكتاب التي كانت بحوزته، ورأى بعد التعديل والتحوير والإضافة أن يغير العنوان إلى "قاهرة الاستعمار". يتكون الكتاب من قسمين؛ أحدهما تناول بدايات الاحتلال ومختلف أشكال الحرب على الجزائر، ودور جمعية العلماء المسلمين، وظروف اندلاع الثورة. أما القسم الثاني فقد خصصه المؤلف للتعريف بثلاثة كتب للثورة وتلخيصها؛ وهي: "الجزائر المجاهدة" وهو تعريف بجغرافية الجزائر، و"أيام مع الثورة الجزائرية" وهو مجموع وثائق مهمة أصدرتها مصلحة الدعاية والنشر لجبهة التحرير الوطني، و"حرب الإبادة في الجزائر" وهو مجموع شهادات أدلى بها الفرنسيون تصور بعمق التاريخ الوحشي للاستعمار الفرنسي في الجزائر، كما احتوى الكتاب على خمسة ملاحق في غاية الأهمية والخطورة، وهي مراسلات سرية متبادلة بين شخصيات سياسية وعسكرية ودينية فرنسية بشأن الثورة والجزائر.

- كلنا مجاهدون: مطبوع، ولم أقف عليه.

- كيف ننسى وهذه جرائمهم؟: الكتاب سجل معبر وحافل بالنقول والشهادات والاعترافات الموثقة للتاريخ الأسود لفرنسا في الجزائر، وفيه من صور التعذيب ومشاهد الإبادة ما تقشعر منه الأبدان، ولكن في الكتاب كذلك إشارة إلى صور مشرقة من صمود الجزائريين واعتزازهم بالثورة المجيدة.

- من قلب اللهب: صدرت الطبعة الأولى للكتاب عن المكتب التجاري ببيروت سنة 1964م، ووزع في الشرق العربي، ولم تدخل منه إلى الجزائر سوى

نسخ قليلة، فكتب عنه جماعة من الكتاب والباحثين والإعلاميين؛ منهم¹ الكاتب المصري الشهير محمد فريد أبو حديد² الذي قدّم للكتاب بمقدمة مهمة، والأديب التونسي المعروف أبو القاسم كرو.

7. مذكرات وذكريات

- أضواء كاشفة على محطات بارزة من حياة الأديب الأستاذ محمد الصالح الصديق: ليس هذا الكتاب الذي يقع في خمسمائة وخمس صفحات من كتب المذكرات الخالصة التي وضعها الأستاذ على غرار مذكراته الأخرى، ولكنه إلى التراجم والسير أقرب. طبع الكتاب بدار الأمة سنة 2007م، بتصدير الشيخ عبد الرحمن شيبان وتقديم الدكتور أحمد بن نعمان. وأصله مجموع ما كتب عن الأستاذ وكتبه بمناسبة تكريمه في منظمات وهيئات بالعاصمة وقسنطينة وبجاية وفي زاوية سيدي منصور بولاية تيزي وزو بأفلام كتّاب وأدباء وشعراء. يتألف الكتاب من قسمين؛ القسم الأول مقالات وقصائد شعرية، والقسم الثاني قراءات في بعض كتب الأستاذ، وهي قراءات نقدية لمجموعة من مؤلفات الأستاذ كتبها كتاب كبار كالشيخ بوشريبة التونسي وشكري فيصل السوري وفريد أبو حديد المصري وغيرهم، فضلا عن كتّاب الجزائر كالشيخ محمد الصالح رمضان، والشيخ محمد الصالح بن عتيق، والشاعر محمد الأخضر السائحي، والشيخ أحمد حماني، والأساتذة محمد نسيب ومحمد الهادي الحسني والطاهر يحياوي ومحفوظ بوقروة.

- تكريم بالعمرة وإشراقات في الحرمين: تعود فكرة تأليف الكتاب إلى سنة 2011م، وهي السنة التي حظي فيها الأستاذ بالتكريم في جامع عمر بن الخطاب

¹. ينظر التعليق على الكتاب في: أضواء كاشفة، مرجع سابق، 321-332.

². محمد فريد أبو حديد (1893-1967): أديب مدرّس وكاتب مصري، من أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة، اشتغل في التعليم بمصر وليبيا والمغرب، له الكثير من المؤلفات، كتب في التاريخ والتراجم والقصة والمسرحية. ينظر: الزركلي، الأعلام، مرجع سابق، 329/6.

بسيدي محمد بالعاصمة، وتفضل القائمون على المسجد بإهداء عمرة للأستاذ، فكان ذلك حافزاً له على تأليف كتاب يخلد به هذه العمرة على غرار ما فعل بكتابه "أرض النبوة" الذي خلد به حجته سنة 1975م. أما هذا الكتاب، فيمكن تقسيمه إلى قسمين؛ أحدهما عبارة عما قيل في تكريم الأستاذ من قبل جمع من الأساتذة والباحثين والشعراء، والقسم الآخر إشارات عرضت للأستاذ في فترات مختلفة من رحلة العمرة، وقد جعلها المؤلف في ثلاثة أنحاء (إشارات في صلوات، إشارات في جلسات، إشارات في خلوات)، وجاء الكتاب في خمسمائة وأربعين صفحة.

- **تنوير الأذهان:** سبب وضع الكتاب ما حظي به الأستاذ من تكريم بالعمرة من طرف زاوية في سيدي عيسى سنة 2017م، أما الكتاب فهو من جنس كتب "ارتسامات" الحاج أو الزائر لبلاد الحرمين. وقد سجل المؤلف في الكتاب ما علق بالذهن من المواقف والبطولات والأحداث التاريخية التي كان هو ورفاقه يجيئون بها مجالسهم التي تتخلل تلاوة القرآن الكريم، كما لم ينس تسجيل الطرف والحكم والآداب التي كانت تعطر تلك المجالس.

- **خواطر وذكريات:** طبع الكتاب بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية سنة 2023م وبدعم من وزارة الثقافة والفنون، وجاء في مائتين وثلاث وثمانين (283) صفحة، خصص المؤلف في مستهل كتابه نحواً من ستّ وعشرين صفحة للحديث عن سيرته الذاتية، وختم كتابه بفصل من عشر صفحات تحدث فيه عن بعض مقرّبيه، وسماه "نوافذ يطل منها الأحياء"، وبين المستهل والخاتمة نثر المؤلف ثلاثمائة وتسع وتسعين (399) قطعة من الخواطر والذكريات التي عاشها.

- **رحلتي مع الزمان:** هي أولى مذكراته التي صدرت سنة 2013م، يقع الكتاب في جزئين؛ جعله الأول شاملاً لأطوار حياته، وتطرق في سياقات مختلفة إلى ذكر بعض الوقائع والأحداث وسلط الضوء على بعض الشخصيات الوطنية والثورية المغمورة والتي لم تنل حظها من الترجمة كالعقيد أو عمران والعقيد إعزورن والرائد

إيذير وغيرهم. فيما كان الجزء الآخر ترجيحاً خالصاً، بعد أن صنف تراجمه فيه إلى أصناف مختلفة (علماء، أدباء، سياسيون، فنانون، زملاء، أصدقاء، تلاميذ، الخ)، فاحتوى في الجملة على أربعمئة وستين ترجمة.

- **في أرض النبوة¹**: عبارة عن صور ومشاعر وذكريات تجمعت للمؤلف في ثلاث زيارات للبقاع المقدسة (1975م، و1982م، و1986م)، وقد ركّز المؤلف بالأساس على تسجيل مشاهداته لما له صلة بالعبرة المقصودة من الوجود في ذلك المكان دون التطرق للجزئيات العابرة، ورغم تهديد بعض الأفاضل للأستاذ في فكرة الكتاب بالنظر لما حواه من نقد لسلوكات تحطّ من قيمة المسلمين، إلا أن المؤلف أصرّ على نشر الكتاب استجابة لواجب النصح للمسلمين.

- **في شريط الذكريات**: طبع في دار هومة سنة 2016م، وهو كتاب ترجمي حافل يقع في أربعة أجزاء؛ خصص الجزء الأول والثاني لتراجم شخصيات عديدة، وجعل الجزءان الآخران للسيرة الذاتية للمؤلف. أما طريقته في ترجمة الأعلام؛ فإنه يترجم للشخصية ترجمة وجيزة ثم يعنون بعدها بقوله "كيف عرفته وكيف دخل في شريط الذكريات"، وقد يقتضب أو يسهب بحسب ما للشخصية من مكانة أو كفاءة، وعامة الذين ترجمهم موجودون في الجزء الثاني من مذكراته الموسومة "رحلتي مع الزمان"، إلا أن في كتابه الجديد إضافات من حيث الأعلام المترجمين أو من حيث المادة الترجمية، ويدخل في نطاق الترجمة كل من لاقاه الأستاذ ولو مرة واحدة أو جالسه ولو مدة قصيرة وأمكنه تحصيل انطباع ما حول تلك الشخصية؛ ومن أولئك مثلاً المفكر الفرنسي رجاء جارودي والمفكر الجزائري محمد أركون، وغيرهما.

- **قصة طالبين**: مطبوع، ولم أقف عليه، وموضوعه رحلة الأستاذ مع زميله

¹. كان هذا الكتاب موضوع دراسة أكاديمية في مذكرة ماجستير للباحث علي منصور بعنوان "في أرض النبوة لمحمد الصالح الصديق- دراسة في المضمون والخصائص الفنية"، 2011-2012م.

الأستاذ محمد نسيب - رحمه الله تعالى - إلى جامع الزيتونة، وما لاقياه من مشقة ومخاطر، ثم ما حصّلاه من أنظار وتجارب.

- مدارس لولاها ما كنت: يقع في ثلاثمائة صفحة، وألف سنة 2017م، والمدارس المقصودة هي المحاضن التي أسهمت في تنشئته وتربيته وتعليمه وتكوينه، وهي ست: الأسرة، القرءان، الزاوية اليلولية، جامع الزيتونة، ثورة التحرير، القدوة الحسنة. ووضع آخر الكتاب ملحقاً للصور جاء في ست وثلاثين صفحة احتوت على أكثر من خمس وثمانين صورة.

- مع الله في الحرمين: أَلَّف هذا الكتاب بمناسبة عودة الأستاذ من رحلة الحج التي حظي بها سنة 2019م، ضمن طائفة من أهل العلم، ونال المؤلف شرف إنجاز قسم من كتابه في الحرمين الشريفين. وموضوع الكتاب على غرار كتب أخرى سابقة له مثل "أرض النبوة" و"تكريم بالعمرة وإشراقات في الحرمين" و"تنوير الأذهان" هو الانطباعات التي تركتها مشاهدات المؤلف في بلاد الحرمين، وهو ما كان يعبر عنه أدباء النهضة بـ "الارتسامات". طبع الكتاب سنة 2023م بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وجاء في مائتين واثنين وثمانين (282) صفحة.

- يومان في تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011م: أَلَّف الكتاب بمناسبة الزيارة التي حظي بها إلى تلمسان في السنة التي عينت فيها عاصمة للثقافة الإسلامية (2011م)، وكانت زيارة رسمية تلقى دعوتها من رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة ووزيرة الثقافة آنذاك خليدة تومي، ورغم قصر المدة التي قضاها الأستاذ زائراً، فإنه استطاع أن يرصد ما جمع به كتاباً كاملاً اشتمل على مواقف وشهادات وذكريات وملاحظات وأجوبة على أسئلة في مجالات مختلفة، وكلمة للمؤلف بعنوان "يومان في تلمسان"، ومقال له كذلك بعنوان "وقفة مع عفيف الدين شاعر تلمسان"، بالإضافة إلى موضوع بعنوان "التعريف بمدينة تلمسان وولايتها عبر التاريخ" للمؤرخ المرحوم المهدي البوعبدلي، وفصل بعنوان "تلمسان

في لهوات الشعراء" وهي قصائد لشعراء قدامى ومعاصرين.

8. الأدب وشؤون اللغة العربية

- **أدباء التحصيل:** هو باكورة جهوده القلمية، ألفه إبان دراسته في جامع الزيتونة، وطبع سنة 1952م. يتكون الكتاب من أربعة أجزاء، لم تكتب الحياة سوى للجزء الأول منها فقط، فقد طال الإحراق والإتلاف الأجزاء الأخرى. والكتاب في الأصل مجموعة من المقالات النقدية حول بعض الشخصيات الأدبية التي كانت محل دراسة في المناهج آنذاك، ولذلك فهم أدباء شهادة التحصيل، ونشرت مقالات الأستاذ في صحيفة "صوت الطالب الزيتوني"، فأعجب الشيخ بوشريية بكتاب تلميذه، وشرفه بتقريظه ونقده، ثم اطلع عليه كبار الأساتذة فقرظوه شعراً ونشراً، وقد مر شيء من ذلك آخر الفصل الأول، فلا حاجة لتكراره. وممن تحدث عن الكتاب، واستحسنه وأشار إلى مواضع الإجادة فيه الأستاذ الأديب الراحل شكري فيصل؛ فقال: "وأشهد أن كتابه "أدباء التحصيل"، وقد طبع من نحو عشرين سنة في تونس علامة بارزة في طريق الدراسات الأدبية في شمال المغرب العربي. لقد كانت محاولته في هذا الكتاب في البحث والتحليل واختيار النصوص وتحليلها تنطوي على لمحات ذكية وإشارات ثرية، وتعبر عن نزعة الاتجاه نحو التجديد في الدراسة والتجديد في طرقها.. وإن كان قد غلب عليه ما يغلب على الإنسان في أول إنتاجه من حرص على العبارة وزيادة فيها وعناية بجانب الآراء منها، وتلك كلها هي التي سمحت لي أن أقدم الكتاب"¹.

- **بائعة الزهور:** قصة فنية تقع في حدود ثماني صفحات، وقد ضاعت هي الأخرى.

- **تحيا الجزائر:** قصة قصيرة تتألف من أربع صفحات، نشرت للأستاذ في مجلة

¹. شكري فيصل، أضواء كاشفة على محطات بارزة، مرجع سابق، ص 338.

الفكر التونسية¹.

- **الراعي الحزين**: قصة فنية تقع في حوالي عشرين صفحة، طبعت في لبنان سنة 1964م بكمية كبيرة. ألفها الأستاذ أثناء الثورة، وهي في عداد كتبه المفقودة.

- **صور من البطولة في الجزائر**: مجموعة قصصية ألفها الأستاذ بالاشتراك مع زميله الصحافي الليبي الأستاذ فاضل المسعودي. صدرت الطبعة الأولى سنة 1958م، وأهديت نسخ منه إلى بعض القادة والزعماء والأدباء العرب، فوأنى جلهم المؤلفين بكلمات تقرظ الكتاب وتتمنى النصر للثورة. وقد طبع الكتاب -كما صرح الأستاذ- خدمة للثورة مادياً وأدبياً.

- **طريق النصر**: هي في الأصل قصة فنية كتبت أثناء الثورة، ثم حوّلها الأستاذ المغربي القطيب التيناني في أوائل الستينات إلى مسرحية من ثلاثة فصول، وقدمت في الإذاعة الوطنية عدة مرات.

- **العربية لغة العلم والحضارة**²: طبع بديوان المطبوعات الجامعية سنة 2009م، محتويًا على مائتين وسبع وثمانين (287) صفحة، كتاب طريف ومتنوع تناول فيه المؤلف تاريخ اللغة العربية وخصائصها ومميزاتها وفضل الإسلام عليها، وشذرات من الأدب والكتابة والتأليف والطباعة والمكتبات والحفظ والنبوغ في التاريخ العربي والإسلامي.

- **العقيد عميروش وقصص أخرى**: مجموعة قصصية تتألف من خمس عشرة قصة قام بالتقريب لها المفكر الكبير الأستاذ مالك بن نبي؛ ومما جاء في كلمته: "وهي تجربة قصاص يعرف كيف يروي لنا تاريخنا" وقال أيضاً: "لعل الواجب يقضي أن

¹. مجلة الفكر، العدد الثاني، نوفمبر 1961م، ص 76-79.

². قام الكاتب إساعيل ميرة بدراسة موسعة حول هذا الكتاب وهي بمثابة الشرح له، وتقع في 415 صفحة، وصدر عن دار النعمان، سنة 2017م، بتقديم الدكتور عبد الرزاق قسوم.

نضيف أن المؤلف باختياره لهذا الكتاب نفس عنوان إحدى القصص التي يتضمنها؛ وهو (عميروش)، أراد أن يخرج كتابه هذا حاملاً لاسم هذا البطل العظيم، ومتمتعاً برعايته، وذلك يبين ويبرهن أن أدبنا يمر بمرحلته في هذه الفترة الملائمة التي يدخل فيها شعبنا التاريخ من جديد"، ومن تلك القصص ما طبع مستقلاً؛ كقصة "الراعي الحزين" التي طبعت ببيروت سنة 1964م.

- عندما يقدم الربيع: مجموعة قصصية تقع في حوالي مائة وعشرين صفحة، لكنها ضاعت أثناء الثورة.¹

- القرائح المبدعة في السجون المظلمة: لم يطبع.

- اللغة الخالدة: مطبوع، ولم أقف عليه.

- مستقبل اللغة العربية: أُلّف سنة 2006م، وجاء محتوياً على مائة وسبع وثمانين (187) صفحة، نشأت فكرة الكتاب من خلال كثرة اطلاع الأستاذ على مجلة "الهلال" للأديب جرجي زيدان واحتفائه بها، وما استلقت نظره فيها عناية صاحب المجلة باللغة العربية، واستماتته في خدمتها، فكان مما دلل به على ذلك الحب إطلاقه مسابقة على صفحات مجلته في صورة "استفتاء" حول مستقبل اللغة العربية، توجه به إلى طائفة من الأدباء والباحثين، فتهاطلت على المجلة موضوعات مختلفة من أعيان الأدب واللغة. وكان ذلك بالنسبة للأستاذ حافزاً على تتبعها وجمعها وتقديمها للقراء خدمة للعربية. وقد قدّم للكتاب بمقدمات مقتضبة سماها "شذرات عن اللغة العربية، ما هي اللغة؟"، مهّدها للموضوع، منها؛ ماهية اللغة، وهل هي توفيقية أم توفيقية؟ وخصائص اللغة، ومكانة العربية، وكل ذلك بصورة مقتضبة.

¹. مقابلة شخصية أجريتها مع الأستاذ في بيته صبيحة يوم الأربعاء 08/06/2022م.

9. المجاميع

- أضواء وظلمات: مقالات في موضوعات مختلفة، وهو في أربعمئة وخمس وثلاثين (435) صفحة.

- ألوان من الحياة: هذا الكتاب مجموع مقالات متفرقة في مناحي العلم والمعرفة، يقع في مائتين وأربع وعشرين (224) صفحة، وقد صدرت الطبعة الأولى منه بدار مقامات للنشر والتوزيع، وبدعم من وزارة الثقافة والفنون.

- أوراق في الدين والأدب والأخلاق: مقالات في موضوعات مختلفة.

- تذكرة لمن يخشى: مجموع مقالات في مختلف شؤون الحياة الدينية والثقافية، يقع في ثلاثمئة وخمس وأربعين (345) صفحة.

- الدروب الحمر: طبع الكتاب سنة 1979م، عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، وجاء في ستمائة صفحة. و"يتحدث الكتاب عن نضال الرجال بالدم والقلم، وصمود المجاهدين للعقبات والمغريات، إنها دروب الحرية والعزة والكرامة والمجد والسيادة"¹، وأغلب موضوعات الكتاب كانت قد قدّمت على شاشة التلفزيون الوطني. أما بخصوص ترتيب مواد الكتاب، فقد تقصد المؤلف عدم مراعاة التسلسل في التبويب بحسب السياق التاريخي، وقد فعل ذلك في كثير من كتبه إعمالاً للتشويق. وأما فيما يتعلق بالعنوان، فلا شك أنه استوحى اسم الكتاب من إحدى أبيات للشاعر الكبير سليمان العيسى صدر بها الأستاذ لكتابه وهو:

سر معي فوق الدروب الـ ... حُمرٍ نستهدي الأضاحي

- رؤى وأفكار: هي مجموع موضوعات في مائة وأربعين صفحة، تحتوي على فضائل ومعارف تعين على ترقية الروح، كما يتناول بإزائها الحديث عن رذائل ومساوئ يحمل اتقاؤها على السمو إلى العلا والاستقامة على طريق الله.

¹. محمد نسيب، الدروب الحمر، أضواء كاشفة، مرجع سابق، ص 348.

- سلسلة "ما قلّ ودلّ": كتاب ضخّم يقع في ثلاثة أجزاء، وهو في الأصل خمس وعشرون من الكتيّبات¹ اللطيفة التي سبق طبعها، وتحتوي الواحدة منها على مجموعة مقالات كانت قد نشرت للأستاذ في صحف متفرقة، ثم رأى جمعها بين دفتي كتاب، فجاءت على ذلك المقدار. ولم يشأ الأستاذ أن يضم -في الغالب- كل قرين إلى قرينه، فتكون تلك المقالات تحت تصنيف معرفي واحد، ولكنه ترك الأمر على السجية حتى يناسب طبقات القراء المختلفة. وعدّة المقالات في الكتاب بأجزائه الثلاثة مائتا مقال، مع ملاحظة بعض التكرار فيما بينها وإن كان يسيراً.

والعناوين التي تنتظمها هذه السلسلة هي: واحة الإيمان، من الذاكرة، العلم والعلماء، بصائر، تأملات، نبضات، نجوم ورجوم، جولة فكر، زاد المعاد، كلمات مضيفة، سلوكات، سوانح، موافقات ومفارقات، نور على نور، وطنية وفداء، شعل هادية، في ضوء الإسلام، لفحات، صور من الحياة، أضواء وظلال، مرايا، نظرات، وطنيات، شخصيات، ومضات².

- شؤون وشجون: مقالات في موضوعات مختلفة، وهو في مائة وسبع صفحات.

- صور من الحياة: مقالات في موضوعات مختلفة.

- صور فكرية وثقافية: الكتاب الذي يحتوي على مائة وثلاث وعشرين (123) صفحة عبارة عن مجموعة من المقالات، رأى الأستاذ جمعها وعنون لها بما يناسب، وهي تتردد بين التراجم والذكريات والأدب، وشذرات من الشؤون الدينية والاجتماعية، وتكاد المقالات أن تنتظم من حيث الحجم، إذ لا يتجاوز أغلبها الصفحتين.

¹. طبعت تلك الكتيّبات ضمن الأعمال الكاملة للأستاذ مكررة، مرة ضمن "سلسلة ما قلّ ودلّ"، ومرة في شكل رسائل مستقلة بذات العناوين.

². هذا الكتيب غير مطبوع ضمن الأعمال الكاملة.

- **وقفات ونبضات:** هو طائفة من القصص والمقالات، أخذها المؤلف من مجموعة كبيرة تحتوي على أكثر من مائتي مقال وقصة، كتبها في فترات مختلفة خلال اثني عشر عاماً، وقدّم بعضها من دار الإذاعة الليبية (سنوات 1958، و1959، و1960م)، ونشر بعضها في الصحف والمجلات. ويعترف الأستاذ بأن من التجاوز نعت بعض مواد كتابه بالقصص، لعدم استيفائها عناصر القصة الفنية، وإن كانت من قبيل القصص. وقد قدّم الأستاذ الكبير شكري فيصل¹ -رحمه الله- للكتاب بمقدمة ضافية مهمة، فيها توصيف وتقييم للحالة الأدبية في الجزائر في الفترة الاستعمارية وما تلاها قريباً منها، وقد تلمس الأستاذ شكري للقارئ في تلك المقدمة أسلوب المؤلف، ومنازع تأثره فيه، ونقده لكتابته في القصة، فضلاً عن الإلماح المرغّب للقارئ في قراءة كتابه "أدباء التحصيل"، والإشارة إلى نواحي التجديد فيه.

- **كتاب يهدي إلى الرشد:** صدر عن المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وبدعم من وزارة الثقافة والفنون سنة 2023م، محتويًا على نحو مائتي صفحة، وأصله ما كان يلقيه من أحاديث على الإذاعة والتلفزة الوطنيتين عبر سنوات طويلة باسم "الحديث الديني"، وقد اعتذر المؤلف للقراء عن وجود ما قد يعتبر تكراراً في هذا الكتاب وغيره، نظراً لطول العهد بما نُشر في كتب أخرى وكذا للكثرة الكاثرة من الأحاديث التي ألقاها الأستاذ. يقع الكتاب في مائتين واثنتي عشرة صفحة.

- **لقاء الأحياء في يوم الثلاثاء:** صدر هذا الكتاب الضخم عن دار النعمان، ويقع في ستمائة وست وتسعين (696) صفحة، وهو مجموع موضوعات مختلفة المناحي والاهتمامات أسهم في تطويرها إلى كتاب مجموعة من الباحثين والكتّاب والأساتذة

¹. **شكري فيصل** (1897-1985م): أديب وكاتب وأكاديمي سوري، درّس في جامعات دول عربية عدة منها الجزائر، انضم إلى المجمع العلمي العربي بدمشق في 1961م، ثم عين أميناً عاماً له في 1971م، فأشرف على تحقيق "تاريخ دمشق" لابن عساكر، ونشر في مجلة المجمع 41 مقالا (بين 1952-1980م)، وترك آثاراً قلمية كثيرة. ينظر: محمد خير رمضان يوسف، تنمة الأعلام، مرجع سابق، 314/1.

والأدباء ممن كانوا يجالسون الأستاذ لفترة امتدت نحو أربعة عشر عاماً، وفكرة المجالس أن الأستاذ كان يعهد إلى كل واحد من جلسائه بالحديث في موضوع ما، وانتظمت تلك المجالس جميعها في يوم الثلاثاء من كل أسبوع، وذلك تيمناً من الأستاذ بالثلاثاء الذي كان ينعم فيه أيام الزيتونة بالحضور إلى محاضرات العلامة محمد الفاضل بن عاشور في الخلدونية. وقد جاء الكتاب مزداناً بمجموعة كبيرة من الصور الفوتوغرافية التي توثق سيرة الأستاذ وعلاقاته المتعددة.

- لمن كان له قلب: مجموع مقالات في مختلف شؤون الحياة الدينية والاجتماعية والثقافية، ويغلب عليها التراجم والسير، يقع الكتاب في مائتين وخمس وأربعين (345) صفحة.

- مشاعل على الطريق: طبع عن المؤسسة الوطنية للكتاب سنة 1983م، وهو مجموعة فصول أو مقالات يغلب عليها الطابع التهذيبي والتربوي والاجتماعي، والغرض منها "محاولة الكشف عن جوهر الإسلام كما أنزله الله، وأراده نقياً من كل تحريف أو تحريف، خالصاً مما ألصق به من أباطيل وهو منها بريء، والاحتكام في ذلك إلى واقع الإسلام وطبيعة القراء"¹.

- مقدمات لكتب ودراسات: ذكر المؤلف أن عدد المقدمات التي كتبها للكتب والدراسات بلغت نحو الخمسين، وكان في مجموع ذلك التقديم فكرة جمعها في كتاب، بإضافة ما اشترطه في الكتاب، وهو أن يردف المقدمة بسيرة صاحب الكتاب المقدم له، وملخص عن الكتاب. يقع الكتاب في مائتين وخمس وستين (265) صفحة، ومن قدم لهم المؤلف الشيخ الفضيل الورثيلاني في كتابه "الجزائر الثائرة"، والشيخ موسى الأحمدى نويوات في كتابه "المستطاب في جني ثمار اللباب"، والشيخ محمد نسيب في كتابيه "الزوايا" و"صور من الواقع"، والشيخ عبد الرحمان

¹. الصديق، مشاعل على الطريق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1983م، ص 09 (المقدمة).

شيبان في كتابه "في موكب الثورة".

- نفثات يراعة: مقالات في موضوعات مختلفة.

10. الثقافة العامة

- أنيس المجالس: كتاب في مائتين وإحدى عشرة (211) صفحة، جمع فيه الأستاذ ما تفرق في بطون الكتب التي قرأها مما يصلح أن يكون فائدة خفيفة الوزن ثقيلة المعنى، أو نادرة تبهج النفس ولا تسقط مروءة أو طرفة تضحك السن ولا تخدش حياء. والغرض منه كما ذكر المؤلف في المقدمة هو الترويح عن القلوب.

- تكريم العلماء والأدباء في العالم العربي قديما وحديثا: ألف الكتاب سنة 2004م، وصدر عن ديوان المطبوعات الجامعية، وجاء في ثلاثمائة وخمس وثلاثين (335) صفحة. فكرة الكتاب نشأت في مناسبة جمعت المؤلف بالشيخ عبد الرحمان شيبان والشيخ محمد نسيب في إطار تكريم قامت به بلدية القبة وإحدى الجمعيات الخيرية تجاه هؤلاء الشيوخ مع طائفة من المنطقة، وكان ذلك أواخر شهر أكتوبر سنة 2003م، فكانت المناسبة حافزا للأستاذ للكتابة في الموضوع، فكان هذا الكتاب الذي اشتمل على التعريف بالتكريم، وتاريخه في مختلف أطواره العربية والإسلامية انتهاء بالعصر الحديث، ثم في المغرب العربي، ثم في منطقة القبائل، كما تعرض للجوائز والأوسمة، وختم البحث بموضوع تكريم الأموات. واستعان المؤلف بطائفة كبيرة من المراجع والمصادر المختلفة، ومثل بنماذج عديدة حظيت بالتكريم، وحلّى كتابه بقدر كبير من الشواهد الشعرية والمقطعات والنقول فضلا عن الآيات والأحاديث والآثار. وهو بحث مهم وطريف في بابه.

- غذاء الروح: يقع في أزيد من ثلاثمائة صفحة، شرع في جمع مادته منذ 1965م، ولم يتيسر إعدادها للطبع إلا سنة 2005م، وهو على شاكلة كتابه "أنيس المجالس" الذي سبق التعريف به، بل إنها يشتركان في كثير من المواد.

- القطوف الدانية أو اللؤلؤ المثور: يتتمي هذا السفر الكبير إلى حقل المجاميع، وهو من قبيل ما يسمى عند المتقدمين بـ "الكناشة" أو "الكشكول" أو "التذكرة" وغيرها، وهو من الأنواع المحببة لدى القراء لعدة عوامل؛ منها عدم تقيده بمنهجية محددة وناظمة لجزئياتها في فصول وأبواب ومباحث، بحيث يتعذر تحصيل فكرة عامة دون قراءة الكتاب كاملاً، ومنها التنوع في المادة بين فروع العلم والمعرفة، وفي هذا مراعاة لطبقات القراء المختلفة، ومنها تقريب الأفكار والمعاني الواقعة في الكتب النادرة، الخ. وقد جمع المؤلف مادة كتابه من عشرات الكتب، ومن مكتبات بالجزائر وتونس وليبيا والقاهرة والكويت والاتحاد السوفيتي، فضلاً عن القدر الأوفر الذي حوته مكتبته العامرة الثرية، وكان ذلك على مدار أربعة عقود.

- نفائس الكنوز: يندرج الكتاب الواقع في أربعمئة وخمس وثمانين (485) صفحة والذي ألف سنة 2017م ضمن ما يسمى في التراث بكتب "المحاضرات" وهي من كتب الثقافة العامة، التي تشتمل على ما راق للمؤلف في مجالات مختلفة فرأى جمعه في كتاب، وقد رتب المؤلف مواد كتابه على محاور سماها نفائس؛ وهي نفائس: من القرءان الكريم، ومن السنة النبوية، ومن الصحابة الكرام، ومن العارفين، ومن الأمثال العربية، ومن الحكم والآداب، ومن الشعر العربي، ومن العلماء والفلاسفة، ومن ثورة نوفمبر الخالدة. وهذا الكتاب في غاية الجزالة لمن أراد التأهل لتحصيل ثقافة إسلامية معتدلة، وقد يكون الكتاب في هذا الباب أنسب للقارئ المعاصر من الكتب التراثية كـ "المحاضرات" للراغب الأصفهاني، و"عيون الأخبار" لابن قتيبة، و"بهجة المجالس" لابن عبد البر، وغيرها، بالنظر إلى أسلوب الكتابة ومراعاة معارف العصر، وهذان الأمران يؤكدان على أهمية الاعتناء بمثل هذا الكتاب الذي تفتقر إليه المكتبة الجزائرية.

11. الاجتماعيات

- رحلة في حياة المرأة (بطلات في مواكب الشهداء): ألف الأستاذ الكتاب

استجابة لتأثر قديم بصنيع المرأة المناضلة السيدة "نفيسة طوبال" التي منحت سوارها الذهبي لخدمة الثورة التحريرية، ولما كان من غير الممكن بالنسبة للأستاذ إفرادها بكتاب، لعدم قيامه بذلك مع بطلات الثورة وغيرهن، رأى أن يدرج الحديث عن السيدة نفيسة ضمن مجموعة من البطلات. وقد احتوى الكتاب في مائتين وخمس وعشرين (225) صفحة على مباحث وموضوعات شتى تتعلق بالمرأة انتظمها قسمان؛ القسم الأول فيه المرأة قبل الإسلام، والمرأة في الإسلام، والمرأة في مواجهة الحياة، والمرأة في مجال البطولة والتضحية، وأما القسم الثاني فهو بمثابة الملحق، وقد نقله الأستاذ من مجلة الهلال¹ لأهميته، وموضوعه "زواج الشرقيين بالغربيات" ويقع في نحو خمسين صفحة.

- **قيسات (المرأة الشرقية بأفلام متميزة):** قام الأستاذ بجمع كل ما يتصل بالمرأة الشرقية من موضوعات اطلع عليها في أعداد مجلة الهلال التي بحوزته وهي أربعة وثلاثون مجلداً، وكان الأستاذ لفرط إعجابه بتلك المجلة قد جردّها كلّها في مناسبة سابقة، واستثمر منها بحثاً في اللغة العربية، فجاء كتابه المسمى "مستقبل اللغة العربية" في نحو مائتي صفحة.

- **نظام الأسرة في الإسلام:** يكشف هذا الكتاب عبر ثلاثمائة وتسع صفحات عن الشبهات المروجة ضد المرأة، على أنها منبع الشرور، ومصدر الآلام البشرية، وأنها ناقصة عقل ودين ابتداءً وانتهاءً، ومجرد رئة معطلة ورجل مشلولة، ويسعى الكتاب إلى إخراس ألسنة الذين يتقولون على الإسلام جهلاً وعناداً، وقد عزز المؤلف سعيه بتناول موضوعات في غاية الاتصال بالأسرة المسلمة؛ كالزواج والحقوق الزوجية والتعدد والطفولة المشردة والإنجاب والعقم وتحديد النسل والتبني والحجاب والتلقيح الاصطناعي والاختلاط والتجمل وغيرها، وهي - كما هو ملاحظ -

¹. مجلة الهلال، الجزء الثلاثون، 01 ديسمبر 1923.

متعددة المناحي، مختلفه المآخذ، والكتاب بهذا الاعتبار جدير بالاهتمام، خصوصاً وأن المؤلف زواج فيه بين الفقه والقانون والواقع تشريعاً وتقنياً، وبين الطب والواقع نظراً واستناداً، وبين الأدب والفكر والثقافة عرضاً وأسلوباً.

12. معارف عامة:

- **إثبات هلال رمضان بالطريقتين الفلكية والشرعية:** مؤلفه العلامة الشيخ الرزقي الشرفاوي، وهو مجموعة مقالات في الموضوع كتبها الشيخ ونشرت له تبعاً في جريدة البصائر سنة 1937م، أما علاقة الأستاذ بالكتاب فقد مرّ بنا أن الشيخ الشرفاوي قبيل وفاته كان قد عهد إلى الأستاذ بجمع تلك المقالات والتقديم لها بمقدمة تناسب الموضوع، وأمره أن يرجئ طباعة الكتيب إلى أن يحين وقته، ولكن المنية عاجلت الشيخ قبل أن يرى الكتيب مطبوعاً سنة 1955م، وقد ذكر الأستاذ قصة الطبعة الأولى لهذا الكتاب في ترجمة شيخه التي صدر بها للطبعة الثانية للكتاب¹. وأما العنوان فالظاهر أنه من وضع الأستاذ، فإن المقالات كانت تنشر في البصائر باسم "إثبات هلال رمضان وتعميم ذلك بالتليفون واختلاف المطالع"².

- **الإنسان قيم ومواقف:** مطبوع، ولم أقف عليه.

- **الإنسان نشأته وأفاق حياته:** هذا الكتاب تجسيد لمكانة الإنسان في الكون، وعلاقته به، وكيف يمكن أن يكون فيه بمثابة القلب أو الروح في الجسد، فياًضاً بالحياة، دفاقاً بالحرارة، لا جرثومة فتاكة، أو عضواً مشلولاً. ألف الكتاب سنة 2007م، وجاء محتويها على مائتين وستين صفحة. وموضوعات الكتاب تدور جميعها حول الإنسان، وهي لأهميتها - لو توفر لها شرح وسط - حرية بأن تكون بحوثاً موسعة مستقلة.

¹. ينظر: الرزقي الأزهري الشرفاوي، إثبات هلال رمضان بالطريقتين الفلكية والشرعية، تقديم وتعليق محمد الصالح الصديقي، دار طليطلة، ط1، 1433هـ-2012م، ص33.

². المرجع نفسه، ص39. رأيت النسخة الأصلية للكتيب في مكتبة الأستاذ، وهي رسالة لطيفة في ورقات.

- الله أكبر.. من كان في حماه لا يبالي بخطر: طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وبدعم من وزارة الثقافة والفنون سنة 2023م متألّفاً من مائتين وأربع وسبعين (274) صفحة. وُضع الكتاب تلبية لرغبة بعض المحبين ممن نُكب في أهله وجسده في فترة كورونا، وكان الحجر الصحي المفروض على الجميع حافزاً إضافياً للأستاذ لتأليف الكتاب وغيره من الكتب. يتكون الكتاب من قسمين، خصص المؤلف القسم الأول منهما للحديث عن سيرته الذاتية، وقد سمّاه "صعود بين العواطف والظلمات" واحتوى على مائة واثنين وأربعين (142) صفحة، أما القسم الثاني فسمّاه "مع الله في جماله وجلاله" وهو في حدود مائة وعشرين صفحة، وموضوعاته مختلفة بين الإيمانيات والوطنيات وفيه كذلك أحاديث عن الحراك الشعبي ووباء كوفيد-19 من زوايا شرعية وتاريخية، وغيرها.

- ألوان من الفكر والمعرفة: مطبوع، ولم أقف عليه.

- حتى يغيروا ما بأنفسهم: مطبوع، ولم أقف عليه.

- الحرية في الإسلام: صدر الكتاب عن المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وبدعم من وزارة الثقافة والفنون سنة 2023م، ينقسم إلى قسمين؛ الأول حول الإسلام وعلاقته بجملة من القيم كالمساواة والعمل والحرية وغيرها، والقسم الآخر حول ثورة التحرير وبطولات الشهداء والمجاهدين. ويعود أصل الكتاب وسبب تأليفه إلى محاضرة بعنوان "ثمن الحرية" ألقاها الأستاذ أوائل الثمانينات بسمرقند. يقع الكتاب في مائة وأربعين صفحة.

- خلق الإنسان علمه البيان: مطبوع، ولم أقف عليه.

- عناصر القوة في الحياة البشرية: هذا الكتاب ضمن الكتب التي ألفها الأستاذ في فترة الحجر الصحي الذي فُرض إثر جائحة كورونا، وطبع بدار الخلدونية سنة 2021م، متألّفاً من حوالي مائتي صفحة. أما موضوعه فهو -كما يشير إليه العنوان-

الحديث عن العناصر التي تستمد منها البشرية القوة لمجابهة الأخطار والآلام والملمات، وهي عند المؤلف ستة عشر عنصراً، وهذا الكتاب -على اختصاره- مهم في تقوية الصبر وتوثيق رباطة الجأش إزاء المحن والبلايا.

- **في ضوء المعرفة:** صدر عن دار طليطلة سنة 2017م، وموضوع الكتاب مجموعة معارف تجمعت للمؤلف من مواضع ومناسبات مختلفة، وهي معارف في الدين والأدب والتراجم والحياة العامة. والكتاب في حوالي مائة وستين صفحة.

- **كتاب الأنيس:** مطبوع، ولم أقف عليه ولكني سألت الأستاذ إن كان هو نفسه "أنيس المجالس" السابق ذكره، فنفي ذلك.¹

- **نفحات ولفحات:** لم يطبع.

- **الوقت في حياتنا (كيف تأخرنا بإهماله وتقدم غيرنا باستثماره):** أصل الكتاب محاضرتان قدمهما الأستاذ سنة 2005م؛ إحداها في مسجد عائشة -رضي الله عنها- بقسنطينة، والأخرى في مدينة مفتاح، ثم رأى المؤلف أن يوسع المحاضرتين، ويعمق ما فيها من آراء ونظرات.

- **الولادة الثانية جميلها وقبيحها:** تدور فكرة الكتاب حول تصحيح المفهوم الخاطيء للوجود البشري في الحياة من خلال الاقتصار على ربطه بالولادة الطبيعية وهي التي يشترك فيها الإنسان والحيوان وغيرهما، ويدعو المؤلف إلى ولادة ثانية يفرق بها الإنسان عن بني جنسه فضلاً عن بقية الموجودات، وهي ولادة التميز والتفرد. طبع الكتاب بمؤسسة قرطبة سنة 2019م، في مائة وخمسين صفحة.

¹. مقابلة شخصية أجريتها مع الأستاذ في بيته صبيحة يوم الأربعاء 2022/06/08.

المبحث الثالث: التجربة الصحفية والإعلامية

المطلب الأول- بواكير الكتابة الصحفية

تميز النشاط الذي اضطلع به المهاجرون الجزائريون إبان فترة الاحتلال في جل مراحلها بالحيوية والاندفاع، والعمل الدائب من أجل تحرير الجزائر، وكان نشاطاً متلاحقاً توارثته الأقسام والأجيال، وتفرد فيه كل جيل بخصوصية المرحلة التي عاشها، كما كان نشاطاً وطنياً متعدد الوسائل، متنوع الأساليب، عارم الحماس. ولعل أهم تلك المراحل على الإطلاق هي مرحلة المقاومة التي ساهم فيها الكتاب الجزائريون المهاجرون بنصيب وافر، بما كتبوا من مقالات ثورية لشدّ أزر الثورة والإعلان عنها، والتعريف بها في كل المحافل.¹ والأستاذ - كما سيتضح لنا- ممن ضرب بسهم وافر في الوفاء للقضية الوطنية، والتعريف بها والدفاع عنها.

أولاً- في الصحف "الزيتونية"

تمرس الأستاذ على الكتابة في هذه المرحلة تمرساً ظاهراً كان منشؤه التعلُّق الشديد بالأدب والبحث فيه، وشاع ذلك بين طلاب الشيخ الأديب محمد بوشريبة، فاتصل الشيخ بتلميذه وطلب منه أن يشارك بتحرير مقال في صحيفة "صوت الطالب الزيتوني"² كل أسبوع، فلبى التلميذ رغبة أستاذه، وشارك بعدة مقالات

¹ محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، مرجع سابق، ص 222-223.

² صوت الطالب الزيتوني: صحيفة أسبوعية كانت تصدرها "لجنة صوت الطالب الزيتوني" مع صحيفة أخرى باسم "صدى الزيتونة"، وهذه اللجنة كانت منظمة طلابية تأسست في منتصف شهر فيفري 1950م، وبقيت إلى غاية منتصف عام 1956م، حيث اندمجت في صلب الاتحاد العام لطلبة تونس. ينظر: موقع ويكيبيديا، تاريخ التصفح: 2023/08/05م، على الساعة 19:50. الرابط: ar.m.wikipedia.org/wiki

ولقد أصدر الباحث التونسي عبد الباسط الغابري كتاباً بعنوان "صوت الطالب الزيتوني-حركة ثقافية وسياسية"، لكن لم يتيسر النظر فيه، فهو الأول -حسب الاطلاع- من تناول هذه الصحيفة المهمة في تاريخ الحركة الثقافية للطلبة الزيتونيين.

دراسية عن طائفة من الأدباء القدامى والمحدثين، لكن كان أول مقال نشر له بعنوان "الطريق وعجائبه".

ثم رأى الأستاذ أن يجمع تلك المقالات ويضيف إليها مقالات أخرى تشاكلها وتتنظم معها في مجرى واحد، فجاءت في كتاب من أربعة أجزاء سماه "أدباء التحصيل"، وصدر منه الجزء الأول فقط¹.

كما شارك الأستاذ أيضا في تلك المرحلة بمقال واحد نشر في مجلة "وحي الشباب الزيتوني"، وكان المقال بعنوان "التفاؤل والتشاؤم"².

وقد كان لهذا العمل الدؤوب؛ المتمثل في الكتابة الصحفية أثره البالغ على الأستاذ في توسيع مداركه الفكرية، وتقوية نزعته الأدبية، وتنمية حسه البحثي، وتقوية صلته بأعلام الثقافة في تونس والجزائر؛ من شعراء وكتّاب وأدباء وعلماء ومفكرين، ولقد كان الأسلوب الأدبي الذي تمتع به الأستاذ وما ينطوي عليه من سمات البحث والقراءة هو البريد إلى أولئك الأعلام الذين به عرفوا قدره وخبروا مكانته.

ثانياً- في الصحف الإصلاحية والوطنية³

بعد التخرج في جامع الزيتونة سنة 1951م والعودة إلى الجزائر، توثقت بين الأستاذ وبين الصحافي محمد بوزوزو صاحب جريدة "المنار" عرى المودة، فرحب بالأستاذ كاتباً في الجريدة. فأسهم الأستاذ الصديق بعدة مقالات كان منها المقال⁴ الذي أبن فيه شيخه وأستاذه الشاعر الكبير محمد بوشربية إثر وفاته في حادث سيارة

¹. سبق في المطلب الثالث من الفصل الأول الحديث عن مصير الأجزاء الثلاثة الأخرى.

². رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 289/1.

³. هذا العطف يقتضي تفريقا بين الإصلاحي والوطني، غير أن المقصود هنا هو الخط الافتتاحي للصحيفة بحسب ما تعلن عنه من نشاط، ويمكن التمثيل بهذا التفریق بين "البصائر" ذات البعد الديني والثقافي والأدبي و"المقاومة" ذات البعد السياسي، فكلاهما وإن اتفقا في الغاية التحررية، إلا أنها مختلفان من حيث الوسائل والأنظار والأهداف.

⁴. ينظر: الملحق رقم: 50.

سنة 1952م، وكان عنوان المقال: "نكبة الأدب في متنبى تونس الحمراء: الشاعر محمد بوشربية"¹. ولما نشر في "المنار" الاستفتاء عن قضية الاتحاد في الجزائر، هل هو ممكن، وذلك بتاريخ 01/02/1953م، طلب إليه الأستاذ بوزوزو المشاركة في الاستفتاء، فأجاب الأستاذ إلى طلبه، ونشرت² مشاركته.

كما نشر الأستاذ في البصائر (السلسلة الثانية) عدة مقالات³، وكان وراء هذا النشر كاتب القطرين الأستاذ أحد توفيق المدني. وكثيرا ما كانت مقالاته في هذه الجريدة وفي غيرها تنشر مجزأة؛ أي إنها كانت في الغالب مقالات مطولة، ولعل هذا أحد الأسباب في تحولها فيما بعد إلى كتب مستقلة أو مجموع مقالات مترابطة.

أما المقالات التي نشرت له في البصائر فأبرزها وأهمها بالنظر إلى احتفاء إدارة المجلة بها هي المقالات التي تمثل مقاطع من كتابه الذائع الصيت "مقاصد القراءان".

ولما انتقل الأستاذ إلى تونس بأمر من قيادة الثورة في جوان 1956م، وكان ذلك عن طريق فرنسا على سبيل التمويه، كلف حينها بالانضمام إلى فريق التحرير بصحيفة "المقاومة" لسان حال جيش وجبهة التحرير الوطني بتونس، فكان من محرريها بالقسم العربي قرابة سنة كاملة رفقة كل من المناضل عبد الرزاق شنتوف والدكتور عبد الله شريط والشيخ عبد الرحمن شيبان والأستاذ الأمين بشيشي. وكانت المقالات التي يكتبها ذات طابع سياسي أو ثوري وتنشر دون توقيع.

وفي تلك المرحلة التي كان فيها محررا بصحيفة "المقاومة" كان الأستاذ يكتب

¹. المنار، السنة الثانية، العدد التاسع، 24 ذو القعدة 1371هـ - 15 أوت 1952م، ص 02. والعدد العاشر، 04 صفر 1372هـ - 24 أكتوبر 1952م، ص 03.

². ينظر: الملحق رقم: 49.

³. منها مثلا مقال بعنوان "طريق الدعوة إلى الدين" نشر تباعا في الأعداد 318، 319، 320، 321 في السنة الثامنة، 1955-1956م. ومنها مقال "دمعة ووفاء.. أمير شعراء تونس خزنة دار" يرثي فيه أستاذه. وقد نشر هذا المقال كذلك على حلقات ابتداء من العدد 347، السنة الثامنة، 1955-1956م.

أيضاً لصحف أخرى، فقد نشر في صحيفة "الاستقلال" التونسية مقالات مختلفة في الأدب والثقافة والسياسة، كما نشر في مجلتي "الندوة"¹ و"الفكر"² التونسيين مقالات³ عن الثورة.

ونشر في جريدة "الصباح"⁴ أيضاً مقالات مماثلة؛ منها "يوم خالد" 1957/03/23م، و"بطولة المرأة الجزائرية" 1957/06/08م.⁵

ولما عيّن مسؤولاً عن الإعلام للثورة في نوفمبر سنة 1958م في طرابلس الغرب، كان يكتب للصحافة بشكل يومي تقريباً، ومن الصحف التي كانت تؤازر ثورة التحرير وتخدمها فكان الأستاذ ينشر فيها بشكل دائم صحيفة "طرابلس الغرب"⁶، وبدرجة أقل في "الطلیعة"⁷، كما نشر في كل من "الليبي" لعلي الديب، و"الميدان" للفاضل المسعودي، و"الرائد"⁸ لعبد القادر هرموس، و"فزان"⁹، و"الإذاعة"¹⁰ ولكن بإسهام أقل كذلك.

1. مجلة شهرية أدبية ذات اتجاه وطني دستوري، تأسست سنة 1952م على يد محمد بن أحمد النيفر.

2. مجلة أدبية وطنية تأسست سنة 1952م على يد محمد مزالي.

3. منها مثلاً: "تحيا الجزائر"، مجلة الفكر، العدد 2، السنة السابعة، نوفمبر 1961، ص: 176-179.

4. يومية وطنية مستقلة أنشأها الدستوريون الجدد سنة 1951م، وغدت أكثر الصحف العربية توزيعاً بفضل محرريها ذائعي الصيت وأسلوب إخراجها الجديد، تعطلت عن الصدور سنة 1957 ثم استأنفت صدورها. ينظر: مروة، أديب، تاريخ الصحافة العربية-نشأتها وتطورها، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، د.ط، د.ت، ص 391.

5. محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962، مرجع سابق، ص 401.

6. كانت في الأصل مجلة حكومية تصدر عن إذاعة طرابلس وكانت تسمى "هنا طرابلس الغرب". وتمثلت محتوياتها في المقالات والقصائد والبرامج الشهرية للإذاعة. قبل أن تتحول إلى صحيفة يومية. ينظر: الكتبي، سالم، "الإذاعة الليبية ستون عاماً"، موقع ليبيا المستقبل، تاريخ الزيارة: 2023/01/02، على الساعة 16:08، الرابط:

<https://www.libya-al-mostakbal.org>

7. أسبوعية، صدرت بطرابلس منذ 1957م.

8. يومية مستقلة، صدرت بطرابلس منذ 1956م.

9. صحيفة حكومية، صدرت بسبها منذ 1957م.

10. مجلة حكومية نصف شهرية، صدرت بطرابلس منذ 1961م.

كما كانت زيارة الأديب سهيل إدريس صاحب مجلة "الآداب" الشهيرة لطرابلس ومكتب إدارة البعثة الجزائرية فرصة ثمينة بالنسبة للأستاذ، ليصدر من خلالها بطولات الجزائريين إلى قراء الأفطار العربية، وقد كان الحديث عن العقيد عمير وش في اللقاء الذي جمع الرجلين حافزاً ملحاً في الكتابة عن أمثال هؤلاء الأبطال في مجلة "الآداب"، وقد نزل الأستاذ عند رغبة صاحب المجلة فكتب مقالاً عن عمير وش صدر في أكتوبر سنة 1959م.

المطلب الثاني - نشاطه الإذاعي في "صوت الجزائر".

لم يستمر العمل في صحيفة "المقاومة" سوى سنة واحدة تقريبا، فقد قررت لجنة التنسيق والتنفيذ المخولة منذ مؤتمر الصومام في أوت 1956م إلغاء جريدة "المقاومة" وتعويضها بجريدة "المجاهد" واعتبارها اللسان المركزي للثورة الجزائرية. ويعود السبب في ذلك إلى التباين الذي كان يلحظ في الخط الافتتاحي لجريدة "المقاومة" في طبعاتها الثلاث² الذي قد يصل أحيانا إلى حد التناقض في البيانات أو الطرح، وهذا أمر طبيعي بحكم بعد الصحيفة عن مواقع العمليات والمعارك وانعدام التنسيق بين الطبعات الثلاث، وكذا لتباين المكان واختلاف التكوين لهيئات التحرير، فالواضح أن الطبعة في فرنسا يجررها عناصر أغلبهم يساريون، بينما الطبعة في تونس أغلب من يجررها زيتونيون، ولا مناص من طغيان الاتجاه التكويني على القضية الواحدة التي يؤمن بها الجميع، وهي قضية تحرير الجزائر من الاستعمار.³

1. محمد الصالح الصديقي، "إلى البطل القائد عمروش"، مجلة الآداب، العدد 10، أكتوبر، السنة 7، 1959م، ص 7-8.
2. الطبعة "أ" فرنسا وهي أسبق الطبعات، والطبعة "ب" المغرب وهي طبعة مزدوجة اللغة وكان يشرف على هيئة تحريرها محمد بوضياف، والطبعة "ج" تونس وكانت مزدوجة هي الأخرى وكان = من المحررين بالقسم الفرنسي فيها الكاتب الشهير فرانز فانون. ينظر: بشيشي، مذكرات، مرجع سابق، 224/1.
3. ينظر: بشيشي، مذكرات، مرجع سابق، 225/1. ويومالي، أحسن، أدوات التجنيد والتعبئة الجماهيرية أثناء الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1956، دار المعرفة، الجزائر، د.ط، 2010م، ص 303

ولذا، أعيد تشكيل هيئة تحرير جديدة فيما أسندت مهام جديدة أيضا لمن لم يكونوا في هيئة التحرير، فتم مثلا تحويل الشيخ عبد الرحمان شيبان مسؤولا عن الشباب بهيئاته وفي مقدمتها الكشافة الإسلامية، كما تم تعيين الأستاذ محمد الصالح الصديق على رأس الإعلام في البعثة الجزائرية بطرابلس أين أطلق برنامج "صوت الجزائر" بإذاعتها.¹

فور وصوله إلى طرابلس، تقابل الأستاذ مع رجل الأعمال والمناضل الصديق للثورة الجزائرية السيد الهادي المشيرقي، الذي تعهد أن يكون عينه المبصرة واليد المعينة.

وفي الفاتح من شهر نوفمبر من سنة 1958م وعلى الساعة التاسعة صباحاً، قام الأستاذ بتدشين "صوت الجزائر" بمحضر رئيس البعثة يومها المرحوم بشير قاضي والمناضل حسن يامي فضلا عن المضيف السيد المشيرقي. ويؤكد هذا الأمر ما ذكره السيد الهادي المشيرقي نفسه؛ فقد قال في سياق حديثه عن المناضل بشير القاضي: ".. جاء برفقتها رسالة أخرى من الأخ محمد الصالح الصديق (وهو ثائر جزائري تخصص في حقل الإعلام)، وجاء إلى طرابلس مشرفاً على ركن صوت الجزائر في الإذاعة الليبية، وقد سبق ذكر الجهود التي بذلناها معاً لزيادة حصة ركن الجزائر من ساعات الإرسال في الإذاعة الليبية"².

أما برنامجه اليومي، فكان يتمثل في الكتابة للصحافة الليبية وقد مضت آنفاً الإشارة إلى الصحف التي كان يكتب فيها، وكان ذلك يتم غالبا بأسماء مستعارة مثل "عربي". كما كان يعدّ -وحده ومن دون مشاركة أحد- التعليق السياسي ويقدمه عبر الأثير ثلاث مرات في الأسبوع، كما كان يشارك في الأخبار العسكرية أو الأنباء الحربية التي كان يكل أمرها إلى غيره، فكان يتداول عليها كل من السادة

¹. بشيشي، مذكرات، مرجع سابق، 226/1.

². المشيرقي، قصتي مع ثورة المليون شهيد، مرجع سابق، ص 418.

حسن يامي ومحمد عباس وعبد الحفيظ أمقران¹. وكان كل ذلك الجهد يستند إلى متابعة يومية للرأي العام العربي والأجنبي للاستفادة من آراء الملاحظين والمحللين، سواء أكان ذلك من طريق الصحف أو الإذاعات أو المؤتمرات.

وكان بجانب "صوت الجزائر" يقدم ما يتاح له من فضاء إذاعي على الأثير أحاديث من حين لآخر في قضايا عربية وإسلامية، فتجاوز مجموع أحاديثه الإذاعية من طرابلس بما فيها "صوت الجزائر" 890 حديثاً.²

كما كان على عاتق الأستاذ -علاوة على ما ذكر- مجهودات إضافية تصب كلها في الدعاية للثورة الجزائرية؛ ومن ذلك أعمال دبلوماسية كانت تتمثل في استقبال ضيوف البعثة الجزائرية بطرابلس من شخصيات دبلوماسية ووزراء وقادة ومفكرين وأدباء، ومنها كذلك إلقاء محاضرات على الطلبة الوافدين من الجامعات العربية كعين شمس بمصر والزيتونة وغيرهما.

وبما أنه كان لإذاعة "صوت الجزائر" من ليبيا دور رائد وخطير على فرنسا من حيث إسهامها في نشر الوعي، وتفنيذ الأكاذيب التي كانت تحتلقها فرنسا لإفشال عزيمة الشعب وإخماد نار الثورة، وإسهامها في إيصال صوت الجزائر لأبعد الحدود، فقد قامت فرنسا -بعد وقوفها على حقيقة القائم بأعمال الإذاعة- بإرسال من يراقب الأستاذ ويقتفي خطواته بغية تصفيته، لكن وجود هذا الشخص المرسل من طرفها لفت الانتباه، فأخبر الأستاذ القيادة الليبية آنذاك بالأمر فأمسك بالشخص وحقق معه وتبين أنه بالفعل جاء خصيصاً لتصفية الأستاذ، وبعدها وضع حرس

¹. ذكر الأستاذ عبد الحفيظ أمقران أن المناضل أحمد بودا الذي كان على رأس البعثة الجزائرية بليبيا كان يظهر عليه نوع من التذمر والقلق بوجود أمقران وشيخان باعتبارهما مثقفين، فيما لم يكن هو ذا ثقافة عالية، وعند مغادرة الرجلين إلى تونس بقي الأستاذ محمد الصالح الصديق الوحيد كمتقف الذي يتعامل معه بودا بنوع من الارتياح. وهذه شهادة من أمقران على مكانة زميله الأستاذ الصديق التي تنطوي على حسن سيرته الشخصية والمهنية. ينظر:

أمقران، عبد الحفيظ، مذكرات من مسيرة النضال والجهاد، دار الأمة، الجزائر، د.ط، 2010، ص 118.

². رحلتي مع الزمان، 375-376، 437.

مرافق له وعلى باب منزله لحمايته وأهله إلى حين استكمل مهمته.¹

المبحث الرابع: نشاطه الصحفي بعد الاستقلال

المطلب الأول: في الإعلام الوطني

عندما تمكنت القوات الجزائرية من احتلال مبنى الإذاعة والتلفزيون، وبسط السيادة الوطنية في 28 أكتوبر 1962، وأمام هذا الإجراء قدّم العمال الفرنسيون استقالتهم، واستطاع الفريق الصحفي والتقني الجزائري رفع التحدي وضمان استمرارية البث الإذاعي والتلفزيوني²، وهذا يعني أن الجزائر قد اكتسبت غداة الاستقلال تجربة قوية وعميقة ومتنوعة في ميدان الإعلام والاتصال الجماهيري، الأمر الذي تأهلت به لانطلاقة سريعة وموفقة في الميدان الإعلامي.³

وبالنظر إلى ماضيه الإعلامي المشرف، وخبرته الطويلة في مجال الإعلام، كان الأستاذ من أبرز الوجوه الثقافية الحاضرة في المشهد الإعلامي الجزائري منذ نشأته الرسمية المنتظمة في مرحلة ما بعد الاستقلال.

أولاً- نشاطه الإذاعي:

استكمالاً لنشاطه الإعلامي الإذاعي الذي بدأه في "صوت الجزائر" بليبيا أثناء ثورة التحرير، استمر عمل الأستاذ بعد الاستقلال في الإذاعة الوطنية بلا انقطاع ما لا يقل عن ثلاثين سنة، قدم خلالها عدة برامج عدا الأحاديث التي كان يقدمها في مناسبات وطنية ودينية، والتي لا يمكن حصرها أو تعدادها لكثرتها؛ أما البرامج

¹. اكتشف قصة الإذاعة الجزائرية التي بثت برامجها من ليبيا، بوابة إفريقيا الإخبارية، تاريخ الزيارة: 2022/12/30، على الساعة: 00.20، رابط الموقع:

<https://www.africatnews.net/a/188060>

². نورة خيري، "محطات تاريخية من مسيرة الإذاعة الجزائرية إبان الاستقلال"، مجلة الميدان للدراسات الرياضية والاجتماعية والإنسانية، المجلد الثاني، العدد السابع، 2019، ص 305.

³. زهير احدادن، مدخل لعلوم الإعلام والاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط5، 2014م، ص 94.

المحددة والتي كان يلقيها على صورة سلاسل فقد عاشت طويلا، وفيما يلي تعريف مقتضب بها:

1. "في رحاب الكتاب والسنة": في هذا البرنامج يتناول الأستاذ آية أو حديثاً في مجال الدين والأخلاق أو الاجتماع والعمران أو الوطنية والجهاد أو العلم والمعرفة أو الزراعة والإقطاعية أو حالة المسلمين أو أنظمة الحكم، الخ. ويعالج كل ذلك من منظور الوحي، والرؤية العقلانية المدعمة باستقراء التاريخ والسنن والنظريات العلمية الحديثة.

2. "رجال صدقوا": يعنى فيه بذكر نماذج ممن صنعوا التاريخ وبنوا الحياة كما شأؤوا ومضوا إلى الآخرة، وتركوا وراءهم نورا يهدي، ودويا يهدر، وتاريخاً يرفع الرءوس العالية.

3. "الرافضون عبر التاريخ": اختار فيه المؤلف شخصيات رفضت العبودية أو الفقر أو الجهل أو الذل، وسلط الضوء على مجاهدة تلك الشخصيات ورفضها للواقع المر الذليل وارتفاعها إلى الأفق المضيء المشرق.

4. "من وحي الثورة": هو عبارة عن صور رائعة من بطولات الشعب الجزائري في درب الحرية، مدفوعا بالروح الإلهية التي اندفع بها البدريون إلى محاربة الكفر في الماضي البعيد.

5. "من الخالدين": يعرض حياة قافلة من الذين كانوا وقود الثورة وتتابعوا بإذن الله إلى جنات النعيم، وعلى نسق هذا البرنامج وفي مضماره كان برنامج "من شهداء الثورة".

والملاحظ أن كل واحد من هذه البرامج الإذاعية كان نواة لكتاب نشر فيما بعد بالعناوين ذاتها. وفي الواقع، كانت هذه إحدى طرائق الأستاذ في التأليف؛ فإن الكتاب قد يكون في الأصل مادة إعلامية كالتى مر ذكرها، وقد يكون حواراً أجري

معه فنّبّه إلى بعض الأفكار، أو كلمة ألقاها في مناسبة ما دينية أو وطنية، وقد يكون أيضاً مقالاً نشر في إحدى الصحف فارتأى الأستاذ التوسع فيه والإضافة إليه بما يجعله بحثاً وافياً يجيء في كتاب مستقل¹. ولجميع ذلك أمثلة تم التعرض لها في المبحث الخاص بالحديث عن مؤلفاته.

ثانياً- نشاطه التلفزيوني:

بدأ الأستاذ تعامله مع التلفزة الوطنية الجزائرية في حدود سنة 1968م إلى غاية سنة 1997م، وكان معنياً بتقديم "الحديث الديني"، فكان يقوم به بمعدل مرتين أو ثلاث مرات أسبوعياً، وقد تزيد على ذلك استجابة لمناسبات وطنية أو دينية.

أما كونه حديثاً دينياً، فليس ذلك سوى إطار عام تتحرك فيه الأفكار وفق رؤية محددة لا تستند إلى نصوص دينية فحسب بل تستند كذلك إلى العلم والتجربة والخبرة التي يتمتع بها من اختيار ليحدث في تلك البرامج التلفزيونية؛ فقد اشتملت تلك الأحاديث على موضوعات متفرقة في الأخلاق والآداب العامة والاجتماع وال عمران البشري ومجد اللغة العربية والسنن الكونية وغيرها.

ولما كان دين الإسلام هو دين العاجلة والآجلة، لم يصحّ أن تكون تلك الموضوعات المطروقة خارجة عن حقيقة الدين ونطاقه.

أما من حيث إلقاء تلك الأحاديث، فالغالب أن تسجل قبل تقديمها بيوم أو يومين، باستثناء بعض الأحوال التي تستدعي التقديم المباشر، وقد تكون تلك الأحوال في الغالب مناسبات وطنية.

¹. ذكرت هذه الملاحظة بين يدي الأستاذ فأقرّها، وذلك في المقابلة الشخصية التي أجريتها معه بيته يوم الخميس 2022/06/09م.

المطلب الثاني - في الصحافة المكتوبة

ذكرنا في المطلب السابق نبذة عن التاريخ الصحافي للأستاذ قبل الثورة التحريرية وأثناءها، ومشاركاته الكثيرة في مختلف الصحف الوطنية والأجنبية، وإن كانت تلك المشاركات متباينة ففيها كان بعضها كثيراً متواصلاً متفاعلاً، كان بعضها الآخر قليلاً عابراً لدواعي مختلفة؛ أهمها كثرة الأشغال والالتزامات اليومية.¹

أما غداة الاستقلال، فقد عرف النشاط الصحافي للأستاذ غزارة وانتظاماً ملحوظين، والسبب كما هو ظاهر هو الاستقرار الذي عرفته البلاد من جهة، ومن جهة أخرى اشتداد رغبة الحكومة في تكثيف العمل الإعلامي والهيمنة عليه في إطار ما بات يعرف بـ "جزارة الصحافة"؛ ولكن الساحة شهدت كذلك "قلة الكفاءات البشرية مع العلم أن الكفاءات التي تكونت قبل الاستقلال كانت كذلك كفاءات سياسية، وفضّلت النشاط السياسي على النشاط الصحفي، وفقدت الصحافة بهذا نوعاً من إمكانياتها"²، على أن مثل هذا الاعتراض لا ينسحب على حالة الأستاذ الذي فضل النشاط الصحفي على العمل السياسي، وهذا يعود كما ذكرنا في المبحث الثاني إلى المناوشات السياسية التي عرفتها البلاد غداة الاستقلال، فضلاً عن تعلق الأستاذ بالكتابة والتأليف الذي كان يقتضي منه التفرغ والتحرر.

وعلى كل حال، فقد كتب الأستاذ في عهد الاستقلال مئات المقالات في مختلف الصحف والمجلات الجزائرية؛ كما كتب أيضاً في صحف أجنبية، منها "البيان" الكويتية التي نشرت له مقالاً بعنوان "البطل الخالد أحمد زبانة: أول طعام قدّم

¹. رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 432/1.

². مدخل لعلوم الإعلام والاتصال، مرجع سابق، ص 97. والمقصود بجزارة الصحافة هو إلغاء جميع الصحف التي يديرها ويمولها الفرنسيون أو الأجانب بصفة عامة، ووضعها تحت تصرف الأمة، وهذا ليس معناه إلغاء الملكية الخاصة على أن تكون جنسيتها جزائرية. ينظر، المرجع نفسه، ص 96.

للمقصلة في ثورة التحرير الجزائرية"¹.

وذكر الأستاذ أن الدكتور سهيل إدريس زار الجزائر في عهد الاستقلال، واتصل باتحاد الكتاب، وفي نيته أن يصدر عددا ممتازاً عن ثورة التحرير بمناسبة ذكرى أول نوفمبر، فاتصل المسؤولون في الاتحاد بالأستاذ، وطلبوا منه كتابة مقال في الموضوع، فأعدّه وسلّمه إلى أحدهم، ولكنه فوجئ بعد شهر بأن العدد قد صدر ووّزع ما أرسل منه إلى الاتحاد دون أن تصل إلى صاحب المقال نسخة من العدد.² وقد تتبعت جميع الأعداد الصادرة من "الآداب" في الفترة المشار إليها؛ أي ابتداءً من 1962م، فلم أجد مقالةً واحداً للأستاذ، رغم وجود عدة مقالات ومشاركات أدبية بأقلام جزائرية وعربية حول الجزائر والثورة التحريرية وبعض أعلامها، فلعل مقال الأستاذ لم يرسل للنشر أصلاً.

أما الصحف والمجلات الجزائرية التي أسهم الأستاذ بالكتابة فيها فهي كثيرة، ولعلنا نجتزئ منها بذكر الأشهر كما يلي³:

- البصائر (1935-1939م ثم 1947-1956م بإصداريها): هي رابع صحف جمعية العلماء المسلمين، تعاقب على رئاستها كل من العقبي والميلي والإبراهيمي، كانت بالغة التأثير والانتشار. عادت من جديد أسبوعية بعد إعادة تأسيس جمعية العلماء (التي حلتها السلطات الجزائرية بعد الاستقلال) بإشراف الشيخين أحمد حماني وعبد الرحمان شيبان، فصدر العدد الأول من السلسلة الثالثة في 21 ماي 1992م⁴، وصدر العدد الأول من السلسلة الرابعة في 22 ماي 2000م.

¹. ينظر: مجلة البيان، العدد 154، السنة الثالثة عشرة - يناير (كانون الثاني) 1979م / صفر 1399هـ، ص 54-

58. وقد نشر في هذا العدد لطائفة من الجزائريين لأنه كان عدداً خاصاً عن الأدب في القطر الجزائري.

². رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 433/1 و81/2.

³. المرجع نفسه، 433/1.

⁴. دليو، فضيل، تاريخ الصحافة الجزائرية المطبوعة - موجز مسيرة قرن وثلاثين سنة 1893-2023، دار =

- العصر (1981 وعاودت الظهور عام 1991م): مجلة دينية رسمية¹، أسسها الشيخ عبد الرحمان شيبان في الفترة التي تقلد فيها وزارة الشؤون الدينية²، ابتدأت صحيفة ثم انتهت مجلة، وقد كتب الأستاذ في عهديهما معاً.

- الأصالة (1971-1980م): من المجلات التي كانت تصدرها وزارة الأوقاف (الشؤون الدينية لاحقاً)، وكان من أبرز كتابها مولود قاسم نايت بلقاسم، عثمان شبوب، عبد الله شريط، وغيرهم.³ كتب فيها الأستاذ عدة مقالات؛ كما في العدد 1972/06م، والأعداد 75-78/1979-1980، والأعداد 79-82/1980م، والعدد 83-84/1980م، والعدد 87-88/1980، والعدد 89-90/1981، والعدد 91/1981م.

- الثقافة (منذ 1971م): كانت المجلة تصدر في شكل كتب، وكان من أبرز كتابها أحمد طالب الإبراهيمي، محمد الميلي، أبو القاسم سعد الله، عمار ال، صالح خرفي، حنفي بن عيسى⁴، ومحمد ناصر، ومحمد خمار، الخ. كتب فيها الأستاذ أربع مقالات فقط، وهي في العدد 22/1974م، أسهم فيه بمقال حول العلامة الشرفاوي -رحمه الله-، والعدد 36/1977م، والعدد 84/1984م، والعدد 87/1985م، وكان هذا عدداً خاصاً بذكرى وفاة الإمام الإبراهيمي.

- الشعب (منذ 1962م): صحيفة يومية عمومية وطنية، كانت تصدر بالعربية جزئياً ثم تم تعريبها بالكامل، وأصدرت لاحقاً ملحقاً باسم "الشعب الثقافي" تحت

=الفايز والنشر، الجزائر، ط2 (الالكترونية)، 1444هـ-2023م، ص 78.

¹. المرجع نفسه، ص 129.

². محمد الصديق قادري، عبد الرحمان شيبان رجل الدعوة والدولة، العقاد للنشر والإعلام، الجزائر، ط1،

1441هـ-2020م، ص 174.

³. تاريخ الصحافة الجزائرية المطبوعة، مرجع سابق، ص 127.

⁴. المرجع نفسه، ص 128.

إشراف الروائي الطاهر وطار.¹

- النصر (منذ 1963م): صحيفة يومية جهوية كانت تصدر بقسنطينة باللغة الفرنسية بدلاً من "La Dépêche de Constantine" بعد تأميمها وإلحاقها بجهة التحرير، فتم تعريبها جزئياً في 1971 ثم كلياً في 1972م.²

وإجمالاً، فقد نشر الأستاذ منذ بدايات كتابته الأولى في المرحلة الزيتونية ما يزيد عن 3700 مقال في عدد من الصحف الوطنية والأجنبية.³ وهذا العدد الكبير خليق بأن يكسب الأستاذ على مرّ الأيام واختلاف التجارب أسلوباً خاصاً به، غير أن المتلمس لآثار الإعجاب بكبار الكتاب في كتابات الأستاذ يجد شيئاً من ذلك، خصوصاً وأن الأستاذ قد أقرّ في غير موضع من كتبه بتأثره بالزيات وأحمد أمين على فروق بينها ظاهرة.

¹. تاريخ الصحافة الجزائرية المطبوعة، مرجع سابق، ص 120.

². المرجع نفسه، ص 120.

³. بن غانم، علي، أضواء كاشفة، مرجع سابق، ص 197.

المطلب الثالث - أسلوبه واهتماماته الصحفية

أولاً - أسلوبه الصحفي:

كانت بدايات ممارسة الأستاذ للكتابة تكاد أن تكون صحفية خالصة، وذلك بحكم الظروف التي حفزته للكتابة بالأساس والتي من أهمها الرغبة في استثمار مقروءاته التي بات يحصلها بشكل متسارع ومكثف غداة التحاقه بجامعة الزيتونة، وتعرفه على المكتبات العمومية المنتشرة بتونس في تلك الفترة، ولعله لما أنس من نفسه اقتداراً على صياغة المقالة الأدبية على النحو الذي كان يؤمن به، علم أن خير وسيلة لعرض إنتاجه الأدبي هو الولوج إلى عالم الصحافة. وقد تقدم أن الأستاذ ارتأى أن يجمع سلسلة المقالات التي نشرت له في "صوت الطالب الزيتوني" ويضيف إليها ما يصلح أن يسلك معها في نظام واحد فجاء كتابه "أدباء التحصيل" الذي تقدمت كذلك الإشارة إليه، وعندما طبع الكتاب قام بالتقديم له الأديب والشاعر التونسي محمد بوشربية باعتباره صاحب فكرة الكتاب، فعُدَّ بعض مزايا الكتاب وأشار إلى بعض ما يؤخذ عليه، فرأى أن "تحرير المؤلف يجري على التائق في التعبير والتولع بالمجاز والاستعارة والهيام باستقصاء المعنى باستعمال مرادفاته، وهو نوع أولى أن لا تكتب به الدراسات التاريخية وتحليل النصوص الأدبية.. وكأني بالمؤلف قد شاقته طريقة القاضي الفاضل فأراد أن يحييها فينا ويعيدها سيرتها الأولى، وحبذا لو اتبعها في الأدبيات البحثية"¹

أما التائق في التعبير والتولع بالمجاز الذين انتقد بهما الشاعر بوشربية على تلميذه، فمن المؤكد أن التلميذ قد أخذ بنصيحة أستاذه فكان آخر عهده بذلك الأسلوب الذي طرقة في "أدباء التحصيل"، إذ لم يبق له أثر - حسب التتبع - فيما توالى من كتب ومؤلفات، والله أعلم.

¹. الصديق، أدباء التحصيل (الأعمال الكاملة، مرجع سابق)، مجلد 21، ص 279.

لقد اختار الأستاذ أسلوب المقالة حتى غلب عليه، فقد وجد أن الطريق إلى المقال أخصر وإن حاول أن يكتب في القصة والمسرحية، ذلك أن بعض مقالاته تخرج أحيانا إلى القصة، وقد تخرج إلى أن تكون بحثا في بعض أوصافه كالطول مثلا، ويبدو أن على القارئ وهو يستمتع بالقراءة في بعض مقالات الأستاذ أن يصرف نظره عن تعاني استخراج الموازين الفنية الدقيقة، فالمقالة الجزائرية العربية - كما يقول الأستاذ شكري فيصل - كانت تجاهد لتكون، ولم تكن موجودة وجودا متميزا لتسعى إلى الكمال الفني، إن مجرد ظهورها كان علامة من علامات الأمل والصحة التي تستدعي التقدير.¹

وليس من نافلة البحث في هذا الصدد التعرض لمناحي التأثر ومصادره وتجلياته، فإن روح كبار كتّاب المقالة العربية كالعقاد والزيات وأحمد أمين بادية في أسلوب الأستاذ، ولقد كانت جل قراءات الأستاذ ابتداء من مرحلة الطلب مصروفة للأعمال الأدبية والفكرية والنقدية لأولئك الأعلام.

أما السمات العامة لأسلوبه في الكتابة الصحفية، فإن ما تعرضنا لذكره مفصلاً في المبحث السابق الذي يتعلق بأسلوبه في الكتابة إجمالاً كافٍ في الموضوع.

ثانياً- محاور اهتماماته الصحفية:

لقد تنوعت لدى الأستاذ مجالات الكتابة الصحفية، لكن ذلك التنوع ليس حاجباً لمعرفة محاور اهتماماته في تلك الكتابات لمن أراد تتبعها؛ وبالتتبع، وجد أن أهم المحاور التي شغلت تفكير الأستاذ واشتغل بالكتابة بالكتابة عنها يمكن أن تتلخص في ثلاثة أمور:

1. التعليم: يعتبر هذا المحور الصحفي استكمالاً لمسيرة التعليم التي لزمها

¹. شكري فيصل، وفتات ونبضات، أضواء كاشفة، مرجع سابق، ص 341-343.

الأستاذ عقوداً طويلة، ولعل في فضائها متسعاً يفي ما ضاق عن الأستاذ الحديث عنه، ويشمل هذا المحور كل ما يتصل بالعلم والمعرفة، ويتخذ أشكالاً مختلفة كالتعريف والتقريب والشرح والإيضاح والتعليق، ولعله والمحور الذي يليه هما الأوفر نصيباً في المقالة الصحفية لدى الأستاذ. وعموماً، فإن المقالات التي بثَّ فيها الأستاذ همومه واهتماماته في هذا المحور كثيرة جداً؛ فمنها - من دون تمثيل - الموضوعات التي تناول فيها التعريف بالأعلام، والمواقف التاريخية، والقضايا الثقافية، وقد مر في المطلب السابق الإحالة على نماذج كثيرة منها.

2. الإصلاح: ذكرنا في المطلب السابق، وتحت عنوان "النزوع إلى الإصلاح"، أن الكتابات الصحفية للأستاذ كانت في مجملها كتابات إصلاحية هادفة، وأنها وإن لم تكن من جنس الوثيرة الإصلاحية لأوائل المصلحين التي غلب عليها الطابع العقدي، لاختلاف الظروف والأحوال، إلا أن الهمَّ واحد وإن اختلفت الأدواء والعلل والأمراض؛ سواءً أكانت دينية أم ثقافية أم اجتماعية؛ ومثلنا لتلك الأمراض والعلل باستمراء الشرك والبدع، ورواج الأثرة ونقص الغيرة، وشيوع الفن الساقط، وشدة الإقبال على الدنيا، وارتكاب المحرمات، والتقليل من شأن الدين وأهله والإعجاب بالغرب وتقليد أهله. ويدخل في مجال الإصلاح أيضاً "تصحيح المفاهيم" الذي هو شأن خالص للعلماء والمفكرين، في مقابل "تصحيح الأوضاع" التي هي من شأن الحكام والمسؤولين. وقد تسنى للأستاذ من خلال قراءاته الكثيفة وتأملاته الدقيقة ويوميته الاعتيادية أن يرصد عدداً من الظواهر السلبية والضارة التي تستند في مجملها إلى مفاهيم مغلوطة، فرأى أن يكتب في تصحيحها وتوجيهها من باب "تصحيح المفاهيم" كما سبق، وبما أن هذا المحور يعالج العادات التي تلوث حياة الناس، فقد رأى أن مكانها الأمثل هو أعمدة الصحف ومقالاتها للدواعي التي ذكرناها آنفاً؛ ولعلنا نمثل ببعضها فيما يلي: "حيوانات أغير من بعض

البشر"¹، "النجاح بالعمل"²، "الأنوثة المبتدلة"³، "عقدة مستحكمة"⁴.

ولم يشأ الأستاذ أن يقسم الكتاب إلى فصول أو أبواب، فهو لا يكتب أبحاثاً تاريخية، ولكنه يختار لقطات يسجلها، ويسلط الضوء عليها، ويلفت النظر إلى معانيها، ومن أجل ذلك ابتعد عن الأسلوب الجاف، وانتقى أسلوباً يحقق له غرضه بدفع القارئ إلى الانفعال والتفاعل مع ما يقرأ..⁵

¹. من الذاكرة، مرجع سابق، 51/1

². تأملات، مرجع سابق، 263/1

³. كلمات طيبة، مرجع سابق، 135/2

⁴. لفحات، سلسلة ما قلّ ودلّ، مرجع سابق، 149/3

⁵. الحسني، محمد الهادي، أضواء كاشفة، مرجع سابق، ص 377.



الفصل الثالث
محمد الصالح الصديق ثائرا



يرصد هذا الفصل النشاط السياسي للأستاذ محمد الصالح الصديقي، وقد دخل الحياة السياسية منذ اليوم الأول من أيام الثورة التحريرية، فتنوع نشاطه وإسهامه السياسي بين النضال التحريضي التعبوي والإرشاد السياسي والمشاركة العسكرية والدعاية الإعلامية والكتابة ذات الطابع الثوري، ثم استمر نشاطه في مرحلة ما بعد الاستقلال بنفس الوتيرة، جداً ونشاطاً.

المبحث الأول: الأستاذ مناضلاً

المطلب الأول- الدعاية الروحية لثورة التحرير

عندما التحق الأستاذ بالزاوية اليلولية مدرّساً ومديراً، كان الشأن الذي يصبو إليه ابتداءً أن يدخل تحديثاً وتطويراً على نظام التعليم والتسيير بالزاوية، ولا شك أنه قد أفاد بعضاً من ذلك تأثراً بما رأى في تونس أيام دراسته بها. ومما¹ أدخل من تحديثات تخصيصُ ليلة الجمعة لإلقاء محاضرة يستهدف بها جميع المقيمين بالزاوية، وقد كان لهذه المحاضرة أهمية بالغة من ناحيتين: أولاهما نزوعها إلى الإعداد الوطني الذي امتهدت به التهيئة النفسية لثورة أول نوفمبر، والناحية الأخرى اهتمامها بالإعداد الروحي والتكوين الفكري. وقد كان الهدف من وراء هذه المحاضرات -

¹. رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 298/1-299. وهذا لا يعني أن الأستاذ هو الأول مطلقاً من تكلم في الزاوية حول الوطنية والجهاد، فقد سبقه في ذلك العلامة الشرفاوي كما صرح الأستاذ بنفسه في ترجمة شيخه، وقد ذكر المناضل حسين آيت أحمد في مذكراته: لقد ظهر لنا جلياً أنه من السهل التوغل سياسياً في منطقة القبائل الصغرى، وأن هناك إمكانيات قوية لتحقيق ذلك، بعد زيارتنا لزاوية سيدي عبد الرحمن. ويعترف آيت أحمد بأنه كان للروايا في المنطقة الغربية الأثر القوي في الحياة السياسية والاجتماعية؛ وكانت سمعة وإشعاع زاوية سيدي عبد الرحمن تتجاوز حدود المنطقة، فضلاً عن الفقه، كانت تعطي دروساً في الأدب والتاريخ. وبدعوة من السي رزقي خريج جامعة الأزهر، قضيت مع بني العيمش ثلاثة أيام في زاوية سيدي عبد الرحمن، وألقينا خلالها محاضرات حول الحركة الاستقلالية وتاريخ المقاومة الجزائرية، وخاصة دور طلبة سيدي عبد الرحمن في انتفاضة 1871، وقد عبر الطلبة عن استعدادهم لخدمة الحركة. آيت أحمد، روح الاستقلال، مرجع سابق، ص 82. ولكن الجديد الذي جاء به الأستاذ في موضوع التوعية الوطنية هو أنه رسخ درساً أسبوعياً منتظماً لفترة أطول، بخلاف ما كان يقوم به غيره من النشاط الحركي النادر والمتقطع وغير المنتظم.

كما يرى الأستاذ- أن يعيش الطلبة في عصرهم، ويشعروا بمعاني نخوة الرجولة، وحمية الدين، وعزة النفس، وصدق الوطنية، وذل العبودية، وغيرها. وكانت موضوعات المحاضرات متنوعة، وكانت جميعاً تُستلهم إما من مواقف بطولية ثورية، أو من أفكار إصلاحية ببناء، أو من أخلاق اجتماعية مؤثرة.

ولا شك أن مثل تلك المحاضرات مما يعزّز إلقاءه من الكلام في تلك الظروف الحرجة، فإن ذلك يتطلب شجاعة نادرة المثال، وهذا الأمر هو الذي جعل كبار المناضلين بحزب الشعب في المنطقة (مثل كريم بلقاسم وعمر أوعمران وعلي ملاح)، وقد بلغهم صدى تلك المحاضرات، أن يطلبوا لقاء الأستاذ.

وتم حصول اللقاء الذي رتبه المناضل المرحوم محمد عزورن بين الأستاذ وبين المناضل أوعمران في إحدى غابات المنطقة في جو شديد من الكتمان، وبفلس الترتيبات وفي نفس المكان والزمان تكرر اللقاء مرتين آخرين، كما تم لقاء آخر وحيد مع المناضل كريم بلقاسم، في جامع في أعلى جبل بني جناد يدعى "جامع فغيل" داخل غابة كثيفة، وتم اللقاء من التاسعة ليلاً إلى الثالثة صباحاً وكان ذلك قبيل تفجير الثورة بأشهر.¹

المطلب الثاني- التمويه في الزاوية:

أولاً- جمع المال والسلاح

في حدود الساعة التاسعة من صباح يوم الإثنين من غرة شهر نوفمبر 1954م، تلقى الأستاذ من قبل قيادة الثورة ممثلة في كريم بلقاسم وأوعمران تكليفه بمهمة جمع المال والسلاح² والقيام بالاتصالات، وكان ذلك من موقعه كأستاذ محاضر في الزاوية، ومن باب التمويه أيضاً، فإن الزوايا لم يعهد عنها في تلك اللحظة انخراطها

¹. رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 314/1. ومدارس لولاها ما كنت، مرجع سابق، ص 196.

². مدارس لولاها ما كنت، مرجع سابق، ص 197.

في خدمة الثورة، وذلك باعتبارها عند الجاهلين بحقيقة الجهاد في الإسلام مؤسسات تعليمية ودينية "محايدة" على غرار المساجد. والواقع أن ذلك التصور كان صحيحاً بحيث يمكن أن ينسحب على الأغلب الأعم من الزوايا، ولم يسلم من تلك الوصمة المشينة سوى قلة نادرة من الزوايا، وعلى رأسها زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي، وخير دليل على ولائها للثورة ودعمها لفكرة التحرر وأخذها لمبدأ الجهاد تعرّضها للهدم، ومكثّتها للإحراق والإتلاف وطلبّتها للملاحقة، فكان مآلها أن اتّحت من الوجود سنة 1957م، قبل أن تبعث من جديد غداة الاستقلال، ولكن بغير ذات الإشعاع الذي عرفت به أول مرة.

أما مهمة جمع المال والسلاح التي أسندت للأستاذ، فقد كان القيام بها على جانب كبير من الخطورة والحساسية، خصوصاً وأن الأمر يتعلق من جهة بسمعة مؤسسة دينية وتعليمية واجتماعية عريقة تحظى بتبرعات موسمية منتظمة من قبل جميع سكان المنطقة، ومن جهة أخرى فإن الثورة التي تجمع لها التبرعات لم تتضح معالمها بعد سوى لدى قيادة الثورة والقليل المحدود من مناضليها، ولذا فقد اعتمد الأستاذ في هذه المهمة على الجانب الديني "الروحي"، من خلال إلزام المتبرع بالمال أو السلاح بالقسم على المصحف الشريف على كتمان السر وإغفال الحديث عما قدمه للثورة.

ثانياً- الإعلام الشفوي:

ولم يقتصر نشاط الأستاذ عندئذ على جمع المال والسلاح فحسب، بل إن انطلاق الثورة كان في حد ذاته حافزاً له على استكمال مشروعه النضالي الذي انطلق فيه فور مجيئه للزاوية؛ وهو - كما سبقت الإشارة إليه في المطلب السابق - تنمية الحس الوطني في نفوس الطلبة بالموازاة مع تقوية الوازع الديني فيهم، وكان ذلك من خلال المحاضرة التي كان يلقيها بانتظام سهرة كل جمعة، طيلة المدة التي قام فيها على إدارة المعهد اليلولي.

ويبدو أن "الفضاء اليلولي" كان بالنسبة إليه فضاء آمناً، فاستغل ذلك في محاولات لإقناع النخبة المثقفة التي كانت تتراد الزاوية اليلولية من حين لآخر، أو كانت مطمئنة للسمعة الطيبة للزاوية والقائمين عليها، فأخذ يفتح تلك النخبة التي كان فيها أمثال باعيز بن عمر، وأحمد حسين، وإبراهيم بوسحافي، ومحمد الأخضر السائحي، ومحمد كتو بشرعية الثورة. ولا شك أن مثل هذا التحسس اللطيف كان مثار استحسان لدى قيادة الثورة، التي كان على رأسها كريم بلقاسم وعمر أوعمران ومحمد إغزورن ومحمدي السعيد، فأرسلته¹ في مهمة رسمية إلى العاصمة بعد ستة أشهر للاتصال ببعض المثقفين، ومعرفة مواقفهم، وقابليتهم للعمل مع الثورة، وخاصة أولئك الذين ينحدرون من منطقة القبائل، ويذكر الأستاذ أنه كان يعتمد على جس النبض لمحدثه أولاً، حسب تعليمات القيادة، وذلك من خلال ذكر الثورة بالنقد والطمع لمعرفة رد الفعل.

لكن مثل ذلك التحرك مجهول الوجهة والمقصد، فضلاً عن ذلك التمويه لم يدم طويلاً، فإن خبر كتاب "مقاصد القراءان" الذي كان الأستاذ قد اجتهد في سبيل طبعه ونشره قبل فترة يسيرة قد انتشر الحديث عنه، ولم تكن ظاهرة تأليف الكتب في تلك الفترة وفي منطقة معزولة عن أسباب الحضارة والعلم أمراً مألوفاً، وقد أسهم ظهور الكتاب الذي وصل إلى السلطات الاستعمارية نسخة منه في تعزيز الشكوك التي كانت تحوم حول شخص الأستاذ متهمة إياه بمساندة الثورة، إذ² وشى به بعض الخونة إلى الاستعمار بأنه يعمل في صفوف الثورة، وأنه ضالع في بعض العمليات التخريبية المناهضة للوجود الفرنسي على أرض الجزائر، وأكد الوشاة

¹. أبو بكر حميدي، "الطلبة الجزائريون في الزيتونة ومساهماتهم في الثورة الجزائرية-الشيخ محمد الصالح الصديقي نموذجاً"، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد 04، العدد 02، 2020م، ص 243.

². ينظر: ميرة، إسماعيل، أضواء كاشفة على محطات بارزة من حياة الكاتب الكبير محمد الصالح الصديقي (أضواء كاشفة، مرجع سابق)، ص 37.

مسؤولية الأستاذ على جمع المال والسلاح للثورة، فأوقف في طريقه إلى بيته مرتين كان آخرها في شهر ماي سنة 1956م.

المطلب الثالث- الأستاذ في التقارير السرية:

نجحت الإدارة الاستعمارية في استمالة كثير من أعيان القرى والمداشر - وكثيراً ما تعلق الأمر بشخص "القايد" لما يحظى به من سمعة و سطوة - ووظفتهم كأعوان استعلامات؛ فكان بين أولئك "الوشاة" المناهضين للثورة وبين الجهات الرسمية الفرنسية تواصل مستمر ومنتظم، وذلك عبر تقارير سرية كانت ترصد حركة الثوار والمشتبه في انخراطهم في العمل الثوري أو التحمس له، ولا عجب أن تشمل تلك التقارير في كثير من الأحيان على مجرد الوهم والمبالغة، وتصفية الحسابات وغيرها من الأغراض الدنيئة التي مبعثها التزلف للإدارة الاستعمارية.

كان ارتياد المجاهدين للزاوية اليلولية التي يشرف عليها الأستاذ رغم الترتيبات المسبقة وإحاطتها بالتكتم الشديد مبعثاً لشكوك الوشاة، فكان ذلك حافزاً على تحرير المزيد من التقارير المغرضة التي تسببت في التعرض للأستاذ غير مرة في طريق عودته إلى بيته نهاية كل أسبوع، وقد أطلعنا الأستاذ على بعض تلك التقارير؛ منها ما يلي:

- رسالة محررة من قبل مدير الحالة المدنية حاكم البلدية المختلطة (سيباو الأعلى)، بتاريخ 21 ديسمبر 1951م، ومختوم عليها بعبارة "سري"، ويطلب فيها إيفاد وثيقة معلومات حول المسمى محمد الصالح الصديق، المنتسب إلى بلدة أيزار، دوار أيزارازن، فإنه (أي: المعني) يطلب الإذن بتعليم القرءان في زاوية سيدي عبد الرحمن بدوار إيلولة أو مالو (سيباو الأعلى).¹

- تقرير محرر بتاريخ 10 جانفي 1952م، وهو إجابة للرسالة الآنفة الذكر.

¹. ينظر: الملحق رقم (30).

وقد أفاد التقرير بعد الإدلاء بمعلومات شخصية تتعلق بالأستاذ بأن "والد المعنيّ مناضل في حزب الشعب، وهو خطر، والمعنيّ - هو الآخر كذلك - بعد دراسة طويلة في الزيتونة بتونس، أين تعاطف فعلياً مع الدستوريين الجدد، فقد عارضنا صراحةً"¹.

- وثيقة معلومات محررة في 03 جانفي 1953م، من قبل القايد، وهي عن جامع سيدي عبد الرحمن تحت رقم: 71. وفيها إشارة إلى إمام الجامع، وهو آيت صديق محمد الصالح، وتم التأشير على الاسم وكُتِب بجانبه باللون الأحمر عبارة (PPA) وقد لا تكون تلك ملاحظة صاحب التقرير، وذكر المحرر كذلك أن الإمام ذو سلوك وأخلاق حسنة منذ قدومه إلى الدوّار.²

أما بخصوص انتهاء الأستاذ لحزب الشعب الجزائري (PPA)، فباستثناء هذه الوثائق، لم نجد فيما اطلعنا عليه من مؤلفات الأستاذ أو لدى من كتب عنه ما يفيد انتسابه رسمياً لحزب الشعب، رغم القرب الشديد والصلة الوثيقة بينه وبين صديقه في النضال العقيد محمد إعرورن أحد أهم أقطاب الحزب في المنطقة، غير أن هذا الأمر لا ينفي انتساب الأستاذ للحزب بصفة المناضل على غرار والده الشيخ محمد البشير الذي طالما اعتبر الأب الروحي لمناضلي الحزب، وأما الاكتفاء بذلك فكان من باب التمويه فحسب، نظراً للوظائف الرسمية التي كانا يشغلانها، فإن النضال الحقيقي لا تحويه الانتهات المحدودة، وإذا اعتبرنا الإصلاح من هذا القبيل، وجدنا مصلحين على الحقيقة في عهد جمعية العلماء المسلمين ولم يعرف لهم انتساب إليها، وخير شاهد عليه العلامة الرزقي الشرفاوي - رحمه الله -.

¹. ينظر: الملحق رقم (29).

². ينظر: الملحق رقم (28).

المطلب الرابع - الدعاية الإعلامية والسياسية للثورة

عملت جبهة التحرير الوطني منذ أول نوفمبر 1954م على إسماع صوت ثورتها إلى الرأي العام الدولي بصفة عامة، والرأي العام العربي بصفة خاصة، وذلك عبر محطات الإذاعات الشقيقة والصديقة، وقد ناصرت إذاعات تلك الدول الثورة التحريرية وآزرتها منذ الإعلان عنها، بحيث كان لهذه الإذاعات تأثير عميق في شحذ همم المجاهدين والمواطنين، وفضح مخططات العدو ودعايته المضللة للرأي العام الوطني والدولي، وكان كل ذلك عبر برامج وطنية قوية.¹

كما استعملت جبهة التحرير على المستوى الخارجي، إلى جانب القنوات الإذاعية للدول الشقيقة والصديقة المكاتب الإعلامية للتعريف بثورتها، ومواجهة التعتيم الإعلامي الاستعماري؛ فكانت القاهرة أول دولة عربية يفتتح بها مكتب إعلامي للثورة سنة 1955م، ثم توالى المكاتب في دمشق وبيروت وجدة وعمان وطرابلس الغرب، بالإضافة إلى مكنتي تونس والمغرب بعد استقلالهما.²

أولاً- في إدارة البعثة الجزائرية في ليبيا: في إطار مقاومة الحرب النفسية الاستعمارية، كان لجبهة التحرير الوطنية بعثات دبلوماسية ومبعوثون يبذلون الجهود الجبارة لإقناع الرأي العام الفرنسي والدولي، وكانت تلك البعثات منتشرة في ربوع العالم، كما كان للجبهة نشاط سياسي في كل مكان بواسطة الصحف والإذاعات والاتصالات. لكن الجبهة لم تكن تكتفي بتلك الوفود الدبلوماسية، ولا بتلك الصحف والمنشورات، ولذلك فتحت في كثير من البلدان العربية الصديقة والشقيقة إدارات ومكاتب لتمثيل الجبهة، والنطق بآمال الثورة وآلامها، ومقاومة الدعايات المغرضة التي كانت تبثها المكاتب الإدارية والإعلامية الاستعمارية.

¹. أحسن بومالي، أدوات التجنيد والتعبئة الجماهيرية أثناء الثورة التحريرية 1954-1956، مرجع سابق، ص 287.

². بومالي، أدوات التجنيد والتعبئة الجماهيرية أثناء الثورة التحريرية، مرجع سابق، ص 300.

ومن هذه البعثات المقيمة بالخارج، البعثة الجزائرية في ليبيا. فعندما اندلعت الثورة التحريرية، كلفت القيادة السيد علي محساس كـمـمـثـل لها بالأراضي الليبية، وكانت مهمته عسكرية فحسب، ومقره طرابلس، وذلك بعلم ومباركة سلطات البلد التي كانت تحت إمرة الملك إدريس السنوسي. ونظرا لتطور الثورة وتطور مصالحها، بالإضافة إلى ما تكتسبه ليبيا من أهمية خاصة؛ تمثلت في مد يد العون والمساعدة بمختلف أنواعها للقضية الجزائرية، والترحاب اللامحدود لقيادة الثورة، فقد قررت جبهة التحرير الوطني فتح مكتب للثورة بطرابلس متعدد الصلاحيات؛ وقد تولى شؤونه السيد أحمد بودة، وذلك في شهر جوان من سنة 1957م.¹

كان مقر إدارة البعثة بطرابلس في شارع 24 ديسمبر، ولقد تعاقب على إدارة البعثة كل من المناضل المرحوم بشير القاضي ثم المناضل المرحوم أحمد بودة وأصبح القاضي نائباً له بعد أن شغل منصب النيابة الشيخ عبد الرحمان شيبان لفترة وجيزة قبل أن يعود مجدداً إلى تونس.

وكانت البعثة -التي عرفت أيضا بإدارة القاعدة- تتألف من مصالح عديدة، اقتضاها العمل الدبلوماسي والواقع الذي تعيشه الثورة وتقتضيه الظروف الموضوعية بحسب تطور الثورة وتنوع مطالبها عسكرياً وسياسياً، ولا بأس من التعريف بتلك المصالح والقائمين عليها آنذاك، اعتماداً على ما كتبه الأستاذ،² لأن المصادر التي تطرقت للحديث عن البعثة الجزائرية بليبيا ومهامها وأعمالها وظروف نشأتها قليلة جداً وهذا حسب الاطلاع:

1. **مصلحة الدعاية والنشر:** كان المشرف عليها الأستاذ محمد الصالح الصديق،

¹. لزهـر بـديـدة، "نشاط بعثات جبهة التحرير الوطني بالبلدان العربية ما بين 1957 و1959م، من خلال وثائق مؤتمر طرابلس (1959-1960م) ودورها في الدعم العربي للثورة"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المجلد 05، العدد 01، جانفي 2023م، ص 16.

². الصديق، دور الشعب الليبي في جهاد الجزائر (الأعمال الكاملة، مرجع سابق)، مجلد 22، ص 126-135.

وتم تعيينه على رأسها كما سيأتي تفصيل الحديث عنه، وساعده لفترة قصيرة بتحرير الأنباء العسكرية السيد محمد عباس، كما ساعده السيد رابح مشحوذ الذي كان يدرس بالشرق العربي ويقضي عطلة الصيفية بطرابلس وذلك لمدة سنتين أو ثلاث سنوات، ثم عين السيد حسن يامي مساعدا له إلى نهاية الثورة. ودور المصلحة ظاهر من اسمها، فقد تمثلت مهمتها في نشر المقالات والأحاديث في الصحافة والإذاعة اللبنيين عن تاريخ الجزائر، والتعريف بثورتها المباركة، وتطوراتها في الميدانين العسكري والسياسي، ولذلك فقد توزع عملها في الجانب الإعلامي الإذاعي على شقين: الشق العسكري ويتمثل في الأنباء الحربية التي تصور بطولات جيش التحرير في معاركه المختلفة، والشق السياسي وهو تعليق يلقي الضوء على قضية من قضايا الثورة أو حدث من أحداثها. بالإضافة إلى أحاديث إذاعية متفرقة عدا كلمة الجزائر الرسمية. كما كان من أعمال المصلحة القيام بمحاضرات عن الثورة، وذلك بالمركز الثقافي المصري بطرابلس الغرب، والقيام كذلك بأنشطة واتصالات في مختلف الأوساط العلمية والأدبية والسياسية لصالح الثورة. غير أن من أهم منجزات هذه المصلحة إطلاقها "صوت الجزائر" الآتي الحديث عنه.

2. **المصلحة القنصلية:** كلف بهذه المصلحة وتسيير شؤونها السيد حسن يامي. أما المصالح التي كان يتعامل معها فهي: مصلحة المهاجرة (منح جوازات السفر اللبني العادية وتأشيرات الخروج والدخول)، إدارة الجمارك للإفراج عن السيارات المستوردة من قبل البعثة الجزائرية، إدارة المراسيم في وزارة الخارجية (البروتوكول الدبلوماسي). وأما السفارات التي كان السيد يامي يتعامل معها فهي التونسية والمغربية والمصرية واللبانية.

3. **مصلحة الشؤون الثقافية:** مهمتها مراقبة المدارس التي أنشأها محسنون لبنيون (كالسادة يوسف مادي ومحمد بن ساسي والحاج محمد بدري) لإيواء أبناء الجزائر وبناتها وتربيتهم وتعليمهم. كما تقوم المصلحة بمراقبة الطلبة الجزائريين بالجامعات

الليبية. كلف بهذه المصلحة السيد عبد الحفيظ أمقران، وبعد انتقاله إلى تونس أسندت إلى الشيخ محمد الطاهر آيت علجت.

4. **مصلحة المواصلات والاتصالات اللاسلكية:** تتكون من فرعين؛ الأول هو الاتصالات والمخابرات اللاسلكية التي كان يعمل فيها العقيد معاوية¹، والآخر هو المواصلات العامة، ومهمته نقل البريد من تونس وليبيا والقاهرة.

5. **مصلحة التموين والتسليح:** وهي في غاية الأهمية، ويتمثل دورها في عملية إيصال المؤونة الآتية من المشرق العربي أو من البلدان الآسيوية المؤازرة للثورة إلى جيش التحرير الوطني؛ سواء أكانت المؤونة مواد غذائية أم أسلحة حربية. وقد تعاقب على إدارة هذه المصلحة كل من السيد محمد الهادي عرعار والسيد عمر حداد -رحمهما الله-.

6. **مصلحة الهلال الأحمر:** تعمل على جمع التبرعات، واستلامها من المحسنين المؤازرين للثورة. كلف بالإشراف عليها المناضل كمال الساكر، وكان من أبرز العاملين بالمصلحة المرحوم الجلالي عوني.

ثانياً- "صوت الجزائر" من ليبيا: بعد انتهاء مهمة الفيلق في "غاط" بمنطقة فزان بليبيا، وقع توزيع أفراد المجموعة؛ فمنهم من دخل إلى الجزائر لمواصلة الجهاد، ومنهم من دخل إلى تونس للعمل في خلايا الثورة، وكان الأستاذ من هؤلاء. وعند الوصول إلى تونس وزع المجاهدون على مراكز مختلفة، أما الأستاذ فقد صدر الأمر بلزومه الراحة وانتظار ما تسفر عنه أوامر القيادة. وبعد انقضاء المدة المحددة، أبلغ الأستاذ من طريق العقيد أوعمران بتعيينه مسؤولاً عن الإعلام في طرابلس الغرب، وأن مهمته ستحصر في أمرين: إذاعة صوت الجزائر عبر الأثير من الإذاعة الليبية، والكتابة في الصحافة الليبية.

¹. أعلام من منطقة القبائل، مرجع سابق، ص 425.

وفي أواخر أكتوبر 1957م، انطلق الأستاذ في رحلة طويلة من تونس إلى ليبيا بصحبة العقيد أوعمران، وفور وصولهما إلى ليبيا، اتجها إلى إدارة البعثة الجزائرية حيث التقيا كلا من المناضلين بشير قاضي وكمال ساكر، وفي تلك الأمسية تعرف الأستاذ بالتحديد على طبيعة عمله، ووضع الثورة بليبيا، كما تعرف على القائم بالدعاية والتأييد للثورة وهو المناضل الليبي السيد الهادي المشيرقي الذي توسط لدى السلطات الليبية بشأن تأسيس صوت الجزائر عبر أمواج الإذاعة بطرابلس.

وبخلفية رمزية استدعيت فيها ذكرى اندلاع الثورة التحريرية، قام الأستاذ في صبيحة أول نوفمبر 1958م بتدشين "صوت الجزائر"، وكان ذلك بمحضر شخصين اثنين؛ أحدهما المناضل المرحوم بشير قاضي، والآخر المجاهد حسن يامي. وقد ذكرنا في الفصل الثاني على وجه التفصيل المهمة التي أنيطت بالأستاذ في هذا الركن الإعلامي الثوري المهم.

ونظراً للدور المهم الذي كان الأستاذ يؤديه بتفانٍ وحرص، فقد قامت فرنسا بإرسال من يراقب الأستاذ باعتباره القائم على أعمال الإذاعة، ويقتفي خطواته بغية تصفيته، لكن وجود هذا الشخص المرسل من طرفها لفت الانتباه، فأخبر الأستاذ القيادة الليبية آنذاك بالأمر، فأمسك بالشخص وحقق معه وتبين أنه بالفعل جاء خصيصاً لتصفية الأستاذ، وبعدها وضع حرس مرافق له وعلى باب منزله لحمايته وأهله إلى حين استكمل مهمته.¹

على أن من الأمانة أن نضيف كذلك بأن بعضهم شكك في تاريخ الأستاذ المتعلق بوظيفته في البعثة الجزائرية بليبيا ومهامه فيها، فإن الأستاذ أشار² إلى مثل هذا

¹ اكتشف قصة الإذاعة الجزائرية التي بثت برامجهما من ليبيا، بوابة إفريقيا الإخبارية، تاريخ التصفح: 2022/12/30، على الساعة: 00.20، رابط الموقع:

<https://www.afriqatnews.net/a/188060>

² مدارس لولها ما كنت، مرجع سابق، ص 220-221.

التشكيك؛ الذي فيه أن المناضل محمد الأمين دباغين هو الذي دشّن "صوت الجزائر" من ليبيا وليس الأستاذ، والذي ألقى هذه الشبهة هو¹ طالب جزائري كان يتردد في تلك الفترة على ليبيا قادماً من العراق، والتحق بإدارة البعثة بعد تدشين "صوت الجزائر" بعام أو عامين، فكلفه الأستاذ الذي كان آنذاك مسؤولاً عن الإعلام للثورة بتقديم الأنباء الحربية لفترة وجيزة.² وقد ذكر هذا الطالب بإزاء تلك الشبهة أموراً تتعارض مع ما عرف من تاريخ الأستاذ في إدارة البعثة مما تعزز الشواهد والأدلة؛ فمما ذكر ذلك الكاتب:

- ادّعاؤه تلقي رسالة مكتوبة من الأمين دباغين، يكلفه فيها بالذهاب إلى طرابلس لإنشاء مكتب إعلامي هناك.³

- اتهمه الأستاذ بالتغيير في البيانات العسكرية التي تأتيه من الجزائر، ثم نقل عن أحدهم بأن الأستاذ يريد أن يعمل على تزوير تاريخ الثورة الجزائرية. وهذا ما تسبب في الخلاف بين الكاتب والأستاذ، وتغلب الكاتب عليه.

- زعمه بأن الأستاذ غادر الجزائر سنة 1952م إلى باريس، واشتغل مديعاً في إذاعة باريس.

- ادّعاؤه أن تلك المعلومات المتعلقة بذهابه إلى فرنسا ثم إلى تونس ثم إلى ليبيا غير معروفة عند الناس.⁴

1. هو رايح مشحود في مذكراته الموسومة بـ "مذكرات المجاهد والدبلوماسي الجزائري رايح مشحود"، الصادر عن مؤسسة الأمة للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2018م. مع التنبيه إلى أن الكتاب غير متوفر لا ورقياً ولا إلكترونياً، وإنما توفر بعض مواقع البحث صفحات محدودة منه للقراءة فقط. وفي هذا السياق، أخبرني الأستاذ في مقابلة معه بيته يوم الأربعاء 2023/06/07م أن بعض المحيين اجتهد في الحصول على نسخة من الكتاب، ولكن دون جدوى.

2. ينظر: الصّدّق، الجزائر-ليبيا ورحلة لا تنسى (الأعمال الكاملة، مرجع سابق)، مجلد 38، ص 220.

3. مشحود، مذكرات، مرجع سابق، 62/1، 63، 64.

4. المرجع نفسه، 64/1.

- ادّعاؤه أن العقيد او عمران أمره بعرض البيانات عليه قبل إذاعتها.
- ادّعاؤه التمكن من تكوين ذلك المكتب الإعلامي، حتى أصبح يعمل على ما يرام، فعندئذ تركه وغادر.
- اعتقاده أن الأستاذ اليوم يكتب ويدّعي أنه من جماعة أول نوفمبر، وأنه من الثوار الكبار، وأنه من المنظمين الكبار للثورة الجزائرية.¹
- ولا بد عندئذ من مناقشة الدعاوى التي ألقاها الكاتب، والتدليل على بطلانها بما يتيسر من الشهادات والشواهد؛ وذلك على النحو التالي:
- أما ادّعاؤه التكليف من قبل المناضل دباغين بإنشاء مكتب إع لامي بطرابلس، ثم ادّعاؤه كذلك التمكن من إنشاء ذلك المكتب بعد التغلب على الأستاذ الذي كان ينازعه في العمل بدافع التزوير في البيانات، فالواقع أن مثل هذا الكلام الذي لا يستند إلى دليل يبقى مجرد ادعاء واه تردّه أدلة أخرى لصالح الأستاذ، منها ما أثبتناه في الملاحق من شهادات وأوراق ثبوتية²، ومنها ما ذكرته بعض الشخصيات المعروفة من مناضلين ودبلوماسيين سواء في مذكرات³ أو في غيرها، ولعلنا نجتزئ بشهادة شخصية مناضلة لا يختلف فيها، ولا تتطرق إليها مسألة الجهوية البغيضة التي أثارها الكاتب، ويتعلق الأمر بصديق الثورة الجزائرية المناضل الليبي الهادي إبراهيم المشيرقي الذي تحدث عن "ركن الجزائر" في الإذاعة الليبية، وكيف تم تعيين الأستاذ على رأس ذلك الركن، قال المشيرقي -رحمه الله-: "خصصت إذاعة طرابلس جزءا من أوقات بثها للجزائر الشقيقة مثل العديد من الإذاعات العربية في عواصم وأقطار الوطن الكبير" ثم قال: "وقد نهض بـ" ركن الجزائر" في إذاعة طرابلس عدد من المذيعين الليبيين، ولكن مع انتشار الثورة

¹. المرجع السابق، 65/1.

². ينظر الملحق، القسم الثاني: الوثائق.

³. ينظر مثلا: بشيشي، مذكرات، مرجع سابق، 226/1.

واهتمامها بالدعاية والإعلام، وصل إلى طرابلس مسؤول إعلامي للانضمام لمكتب جبهة التحرير بطرابلس، وأيقنت أنه هو الأولى بإدارة ركن الجزائر في إذاعة طرابلس فأبرقت¹ إلى فؤاد الكعبازي وزير المواصلات والمسؤول عن الإذاعة والإعلام حسب النظم البريطانية، وقد جاءني ردّه برقياً أيضاً، وعندما عاد إلى طرابلس قام بتسليم الركن إلى الأستاذ محمد الصالح الصديق مبعوث جبهة التحرير، الذي أثبت وجوده الواعي في إدارة البرامج، ونجح في بث مواد متنوعة بالركن، ضمنت له جمهوراً عريضاً من المستمعين، واستمر الأستاذ بكل حيوية ونشاط إلى أن انتهت الثورة بالنصر المين في 1962م².

- اتهام الأستاذ بالتغيير في البيانات العسكرية: وهذه التهمة متعذرة الوقوع لعدة اعتبارات؛ منها طبيعة المهمة الموكلة إلى الأستاذ فيما يتعلق بالعمل الإذاعي والمتمثلة في التعليق السياسي ولم يدّع فيما كتب بأنه كان يذيع الأنباء العسكرية. ومنها أن للجانب الإعلامي الإذاعي حساسية عالية فلا يتصور أن يوكل إلى أي شخص إلا إذا كان محل ثقة لكفاءته وأمانته، ولا يتصور - في المقابل - أن يجرؤ موظف في جهاز يعبر عن عمل جيش وجبهة التحرير مع وجود كبار قادة الثورة ومناضليها كأوعمران ومحساس وبودة، وكريم وبن بلة وبن خدة (خلال زيارتهم إلى ليبيا) إلا إن كان ثمة تواطؤ³، وهذا الإيراد ينبغي التوجه به إلى الكاتب، خصوصاً في اتهامه الأستاذ بتزوير تاريخ الثورة، ونقل هذه التهمة عن شخص مجهول ولم يسمّه. ومنها ما عرف عن تدين الأستاذ وخلقه، والكاتب قد أقر بذلك فقال إنه رجل مؤمن ومتواضع وعطوف⁴.

¹. ينظر صورة البرقية ضمن الملاحق، الملحق رقم: 27.

². الصديق، دور الشعب الليبي، مرجع سابق، ص 128.

³. ذكر الكاتب بأن بعض التعيينات كانت تتم وفق منطق الجهوية، وذلك عند الحديث عن المناضل بشير قاضي وتعيين العقيد او عمران له على رأس إدارة البعثة بليبيا. ينظر: مشهود، مذكرات، 61/1.

⁴. مشهود، مذكرات، مرجع سابق، 63/1.

- وأما زعمه أن الناس لا يعرفون شيئاً عما ذكره الأستاذ من تنقلاته من الجزائر إلى باريس ثم إلى تونس ثم إلى ليبيا، ومهامه المنوطة به في كل مرحلة، فإن الشهادات والوثائق الثبوتية التي مرت الإشارة إليها قبل قليل، كافية في الرد على مزاعم الكاتب التي يرمي من خلالها إلى التشكيك في أصالة و"رسمية" المهام التي كلف الأستاذ بها.

المطلب الخامس - الثورة ورموزها في كتابات الأستاذ

تحدث الأستاذ عن دور القلم في تاريخ الأمم الناهضة، واستدل له بقول أحمد شوقي -رحمه الله-:

الدهر يقظان والحوادث لم تنم .. فما رقادكم يا أشرف الأمم

هذا الزمان تنادىكم حوادثه .. يا دولة السيف كوني دولة القلم¹

ثم علق على قول شوقي بأن هذا العصر يجب أن يختفي فيه السيف ويحل محله القلم، فإن التطور الذي يشهده الفكر الإنساني والانحطاط الذي يعتزم الإنسان السمو عنه يقتضي ذلك.²

كان السيف والقلم من يوم اندلاع الثورة التحريرية إلى يوم انتهائها متلازمين؛ كل في مهمته، وكل في مجاله، وكل بما يملك من قوة وفعالية. وقبل أن ينزل السيف إلى الميدان، كان القلم يجاهد في استبسال، يوقظ العقول ويفتح الأبصار ويجمع الأهواء ويوحد الميول ويدعو إلى نبذ الخلافات. وهكذا هياً القلم الشعب الجزائري لهذه الثورة التاريخية.³

وإذا كان ما أبدعه القلم خلال الثورة من الكتب، والدواوين الشعرية،

¹. ينظر: أحمد شوقي، الشوقيات، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة-مصر، د.ط، 2012م، ص 307.

². محمد الصالح الصديقي، الجزائر تعود من غربتها، الدار الجزائرية، الجزائر، ط2، 2017م، ص 82.

³. الصديقي، الجزائر تعود من غربتها، مرجع سابق، ص 83.

والمقالات والدراسات، يثير الإعجاب، فإنه بعد انتهائها قد وجد الميدان فسيحاً، والجو مناسباً، والمشجعات متوافرة؛ فكل ما كان من كتب وصحف ومجلات ومطابع ودور نشر، كلها جهاد من أجل حياة أفضل، وغد أكثر إشراقاً واستقراراً.¹

لقد شغلت الثورة الأستاذ بأحداثها ورجالها ومواقفهم وبطولاتهم، فعبّر عن ذلك بالحديث عنها والتأليف حولها، وكان قبل ذلك من الدعاة إليها، بما أسند إليه من مهام من طرف قيادة الثورة؛ والتي منها جمع المال والسلاح، واللقاء بالمناضلين، والتوجيه السياسي والإرشاد الأخلاقي في صفوف المجاهدين، وأخيراً الدعاية الإعلامية والسياسية عبر أثير "صوت الجزائر" من ليبيا، وقد مر تفصيل الحديث عن جميع تلك المهام.

أما في جانب التأليف، فقد احتل الحديث عن الثورة التحريرية قسماً وافراً في كتابات الأستاذ المختلفة سواءً أكانت كتباً أم مقالات أم تقارير أم مقدمات وغيرها، وحسب القارئ أن يعلم أن نصيب الثورة في مؤلفاته ناهز العشرين مؤلفاً².

هذا، عدا كتب التراجم والمذكرات والمقالات الكثيرة ونحوها³، وما ذلك في الواقع إلا لأن حب الثورة والإعجاب بها قد استبد بالأستاذ، وهياًه للحديث عنها في كل مناسبة، وتحت كل ظرف، وقد عُرف⁴ أن ثورة نوفمبر كانت في أيامها محط أنظار العالم، ومثار إعجابه وتقديره، فاحتلت قضيتها الصدارة في الصحف العالمية، وألّف عنها حوالي خمسمائة كتاب باللغات الأجنبية المختلفة، وهذا خلال سنوات

¹. المرجع السابق، ص 84.

². مر التعريف بها في المبحث الثاني من الفصل الثاني.

³. للأستاذ كذلك في كتابه "البيان في علوم القراء" فصل بعنوان ثورية القراء.

⁴. سعيد بورنان، شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830-1962م)، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2004م، 56/3.

الثورة فقط، أما ما كُتِبَ عنها من قصص وروايات ومسرحيات وأفلام فشيء فوق
العد والحصر. أما في العالم العربي، فقد استعرض الأستاذ ما كتبه العرب عن الثورة
فوجد أن العدد لا يكاد يجاوز الخمسة عشر كتاباً فحسب! ولقد كتب الأستاذ في
السنوات السبع الحمراء ستة كتب، وبالرغم من ذلك فإنه يجد نفسه لم يقم بشيء
يذكر إزاء ما يتطلبه الواجب نحو الثورة.¹

فلا يعجب القارئ إذا قرأ عن مثل هذا التسارع والكثافة في الحديث عن الثورة،
حين يعلم أن الأستاذ كلّف في ليبيا بتأليف كتاب في يومين² فقط، ففعل وجاء
الكتاب في ستين صفحة وسماه "الجزائر تعود من غربتها"، وقد ألفه بمناسبة وقف
إطلاق النار وبطلب من الشيخ الأزهري محمود صبحي رئيس لجنة المناصرة الليبية
للثورة الجزائرية.

وإذا كان المؤرخون والمشتغلون بالكتابة التاريخية قد اتجهوا صوب الحديث عن
تاريخ الجزائر في أطواره المختلفة وفق المنهج التاريخي الحاكم لذلك، فإن الأستاذ
أخذ منحى آخر ليس هو منحى تاريخياً خالصاً وإن كان يعنى بالتاريخ، ولكنه
صورة من صور الاعتزاز بالأحداث والمواقف البطولية والإعجاب بالأعلام
الصانعين لها، وعلى هذا فالأستاذ لا يعتبر نفسه مؤرخاً ولا مشتغلاً بالكتابة
التاريخية، وأكثر أعلام الثورة الذين كتب عنهم بشيء من الإسهاب أو التكرار إنما
هم أولئك الذين حظي بالتعامل المباشر معهم؛ مثل كريم بلقاسم والعقيد
عميروش والعقيد أوعمران والعقيد عزورن والرائد إيدير وبشير قاضي وأحمد بودا
وغيرهم.

ولعل شدة اهتمامه بالكتابة عن الثورة عائد لفضلها عليه وعلى كل جزائري؛ فهو

¹. الصديق، من قلب اللهب (الأعمال الكاملة، مرجع سابق) المجلد 22، ص 305، (المقدمة).

². مدارس لولاها ما كنت، مرجع سابق، ص 228.

يعترف بأنها¹ كوّنته، وصنعته، وصّبته في قالب معين، وعلمته من المثل والأخلاق، ومن الفضائل والصفات، ما يظل طوال عمره يعتز به، ويشكر الله الكريم عليه، ويرفع رأسه اعتزازاً وكبرياء حيث خلقه الله تعالى جزائرياً.

غير أن ذلك لا يمنع من ملاحظة اشتغاله بالكتابة حول بعض الأحداث والحقائق التاريخية المتعلقة بالثورة، وبعضها مما كان يجمله أكثر الجزائريين قبل الكشف عنه؛ ولعل هذا من صميم عمل المفكر الذي ينزع إلى استخلاص الدروس والعبر، في مقابل المؤرخ المعني بقراءة الأسباب والنتائج.

فمن إسهامات الأستاذ في التعريف ببعض الأحداث المغمورة² كتابه الذي ألفه حول "عملية العصفور الأزرق"³ وسماه بذات الاسم، ولكنه تلقى في سبيل ذلك اتهاماً من طرف كاتب يدعى عمر جعجاج عبر مقال له بعنوان "عفا الله عما سلف"، نشرته يومية "الشعب" بتاريخ 11/04/1990م، بغض النظر عن مقالات أخرى من نفس المرتبة بعضها من توقيعه، وبعضها من توقيع غيره، في الصحف الوطنية أحياناً، وفي مجلة الوحدة حيناً. وانتقد بمقاله المذكور كتاب الأستاذ نقداً تعسفياً جائراً، متّهماً مؤلفه بالضلال والزندقة، واختلاق القصة⁴. وفي الحقيقة، فإن الحديث عن العملية ليست كما ادّعى بعضهم من أنها من نسج الخيال، وأنها كما قيل محض افتراء أريد به التبوؤ في صدارة التاريخ، ذلك أن معلومات

1. مدارس لولاها ما كنت، مرجع سابق، ص 230.

2. ذكر الأستاذ أن جل المجاهدين -عدا مجاهدي الولاية الثالثة- لا يعرفون شيئاً عن "عملية العصفور الأزرق"، بل لا يسمعون بها، أما الأساتذة وطلاب العلم على اختلاف طبقاتهم فقلّ من يسمع بها. الصديق، محمد الصالح، عملية العصفور الأزرق (الأعمال الكاملة، مرجع سابق)، المجلد 23، ص 111.

3. للتفاصيل حول العملية، ينظر: الصديق، عملية العصفور الأزرق، مطبعة دحلب، الجزائر، ط1، 1990، ص 41 وما بعدها.

4. ينظر: إساعيل ميرة، أضواء كاشفة على محطات بارزة من حياة الأديب محمد الصالح الصديق، (أضواء كاشفة، مرجع سابق)، ص 103، 111، 113.

الأستاذ حول العملية هي الصحيحة، فرغم أنه لم يكن شاهداً¹ عليها، فإنه استقاها من مصادرها التي لا يتطرق إليها الشك، ويتعلق الأمر بشهادات الرجال الذين كانوا وراء العملية تديراً وتخطيطاً أو إدارة وتسييراً؛ أمثال: العقيد كريم بلقاسم، والعقيد محمدي السعيد، والعقيد محمد عزورن. ومن ذلك، أن الأستاذ سأل كريم بلقاسم عن العملية، وأبدى له رغبته في الكتابة عنها مراراً عندما اجتمع به في طرابلس الغرب في إدارة البعثة الجزائرية، وبعد عقد موعد بينهما في مكتب كريم بتونس في شهر رمضان سنة 1960م تقريبا، وتم الحديث عنها بالتفصيل. أما العقيد محمدي فقد حدثه عنها مراراً بمكتبه بتونس هو الآخر، وفي المسجد العتيق بالقبة، وفي بيت الأستاذ في عهد الاستقلال. وأما عزورن، فإنه أعلمه بالعملية على وجه التفصيل، لأن الأستاذ كان يعمل تحت قيادته.² كما اعتمد الأستاذ -فضلاً عن الشهادات الشفوية- على جريدة المقاومة لستتي 1956-1957م، وجريدة المجاهد لسنوات 1957، 1958، 1959، 1960م. وعلى تقرير ولاية تيزي وزو المقدم للملتقى الوطني سنة 1984.³

ولكن لغرابة العملية من جهة، ولضعف الإيمان والوطنية من جهة أخرى، أنكرها بعض المحسوبين على هذا الوطن، وشق عليهم تصور وجود رجال ثوريين

1. ذكر مترجم الكتاب إلى اللغة الفرنسية الأستاذ عبد العزيز لعيون في مقدمته أن مؤلف الكتاب (أي الأستاذ) ليس كاتباً بسيطاً أو هاوياً، ولكنه شاهد على وقوع واحدة من أذكى المعارك بين الثورة والحيش الفرنسي. والحقيقة أن الأستاذ لم يكن شاهداً، وإنما كتب عن الواقعة من خلال شهود العيان الذين أشار إليهم في الكتاب. ينظر: Seddik, Mohamed Essedik, *Opération Oiseau Bleu*, traduit par : Abdelaziz LAYOUNE , Dar El Oumma, Algérie, Ed. 2012, p. 05.

2. الصديق، عملية العصفور الأزرق، مرجع سابق، ص 113.

3. مقال للمرحوم أحمد حماني في الرد على الكاتب عمران جعجاج، بعنوان "عملية العصفور الأزرق أو القضية الهامة" نشره بجريدة الشعب، العدد 8324، أوت 1990م، ينظر: الصديق، عملية العصفور الأزرق، مرجع سابق، ص 117.

في مثل ذكاء فرنسا واستعدادها وتخطيطها.¹ وقد طلب بعضهم من الأستاذ أن يرد على متهمه باختلاق القصة، لكن الأستاذ لم يشأ أن يشتهر أحد على حساب فكره وقلمه كما قال، مكتفياً بردود ثلاثة من الباحثين؛ هم: المرحوم العلامة أحمد حماني² رئيس المجلس الإسلامي الأعلى آنذاك، والكاتب الأستاذ أحمد ساحي³، والسيد إسماعيل ميرة⁴ ابن الشهيد عبد الرحمن ميرة.

ومما أسهم فيه الأستاذ كذلك التأكيد على إسلامية الثورة الجزائرية، ببيان الأبعاد الروحية التي انطوت عليها من الإخلاص وعمق الإيمان وحق اليقين بزوال الوجود الاستعماري، وقد أشارت إلى الموضوع بعض الأبحاث والدراسات التاريخية وركزت على بعض الجوانب، لكن الأستاذ أفرد له كتباً مستقلة؛ منها كتابه "البعد الروحي في ثورة نوفمبر التحريرية" وكتاب "ثورة نوفمبر الخالدة في ضوء الكتاب والسنة"، وهما كتابان حافلان في الموضوع، فضلاً عما تفرّق في كتبه وهو كثير جداً.

ومن إسهاماته أيضاً، حديثه الموسع عن جرائم الاستعمار الفرنسي، في كتابه "كيف ننسى وهذه جرائمهم؟" ذكر فيه صنوفاً متنوعة من تلك الجرائم، وهو بحق موسوعة من العذاب جمعها الأستاذ في كتاب، وهو يجد أن قلة الاهتمام بمثل هذه الجوانب يعد منقصة، ويقول "لقد عني كثير من كتّاب العالم بثورة الجزائر المسلحة، فكتبوا عن جوانبها النضالية، ونواحيها البطولية، ولكن القليل منهم من كتب عن هذه الروح الانتقامية التي طبعت سلوك الجيش الفرنسي في حربهم بالجزائر، وعن تلك الشجاعة الفذة، والبطولة الخارقة، التي كان يواجه بها المناضل الجزائري

1. الصديقي، رحلة في أعماق الثورة، مرجع سابق، ص 107.

2. ينظر: الصديقي، عملية العصفور الأزرق، مرجع سابق، ص 113.

3. مقاله بعنوان "من نبش القبور وقع في إرهاب جعجع"، ينظر: المرجع السابق، ص 118.

4. مقاله بعنوان "ليس بعشك فادرجي". رد على موضوع عفا الله عما سلف لصاحبه عمران جعجع"، ينظر:

المرجع السابق، ص 124.

وحشية النازية الفرنسية التي لا تتصور"¹.

ومن إسهاماته أيضاً في جانب مهم من التاريخ، ترجمته لعدد من أعلام الوطنية على اختلاف عطاءاتهم وتوجهاتهم (مصلحين ومجاهدين وسياسيين)، ممن كان يعلوهم غبار النسيان والتجاهل، وتمثل تعريف الأستاذ بأولئك الأعلام على الأنحاء التالية:

- إما من خلال الذكر العارض الذي يتطلبه السياق في كتبه المختلفة، خصوصاً تلك التي تعرض فيها للحديث عن الثورة، فالذين ذكرهم كثيرون جداً، ولعل الجزء الثاني من مذكراته "رحلتي مع الزمان" يعدّ فهرساً فنياً² لجميع الأعلام المعاصرين الواردة أسماؤهم في كتبه، ويقال مثل ذلك في كتابه "شريط الذكريات".

- وإما في مقالات أو دراسات أو أبحاث تعريفية تتراوح اقتضاباً وبسطاً؛ منها: الدكتور سعدان³، الشهيد علي الحمامي⁴، علي مرحوم⁵، أحمد حسين⁶، المناضل أحمد بودا⁷، أحمد عروة⁸، الشيخ علي أمقران السحنوني⁹، الخ، وهذه التراجم التي مثلنا بها مجموعةٌ كلها في كتابه "أعلام من المغرب العربي"، كما أنه ترجم لشخصيات ثورية أخرى قد تكون أكثر انغماراً عند أغلب الجزائريين، ومنها ما ذكره في كتابه

1. الصديقي، أعلام من المغرب العربي، مرجع سابق، 602/2

2. رتب فيه الأعلام على الأبواب التالية: أعلام الإصلاح - أعلام الأدب - أعلام الثقافة - شعراء - أطباء - أبنائي الروحيون - فنانون - سياسيون - زملاء وأصدقاء - من رجال الثورة - ملوك ورؤساء.

3. أعلام من المغرب، مرجع سابق 279/1

4. المرجع نفسه، 295/1

5. المرجع نفسه، 917/3

6. المرجع نفسه، 949/3

7. المرجع نفسه، 1004/3

8. المرجع نفسه، 1018/3

9. المرجع نفسه، 1129/3

"أعلام من منطقة القبائل" كالعقيد معاوية وبشير قاضي¹.

- وإما في كتب موسّعة مفردة للترجمة، ومثاله: "الشيخ الرزقي الشرفاوي"، "العقيد عميروش وقصص أخرى"، "رحلة في أعماق الثورة: مع العقيد إغزورن محمد (بريروش)"، "الأستاذ مولود قاسم نيت بلقاسم: خواطر وذكريات ومواقف وشهادات"²، "المناضل الليبي الهادي المشيرقي"، الخ.

ولربما طال الزمن بتلك الشخصيات، فظلت مغمورة في مجاهل التاريخ لو لم يوفق الأستاذ للكشف عنها وتعريف الناس بها.

المبحث الثاني: الأستاذ مجاهداً

المطلب الأول- المرابطة في صحراء فزان

بعد أن تواصلت الوشايات لدى السلطات الاستعمارية، وتأكدت الشكوك حول انتماء الأستاذ للثورة والعمل معها، قام بإخبار القيادة بالموضوع، فتلقى الأمر بالكموث في البيت وإعفاء اللحية وانتظار أوامر القيادة، وكان ذلك بتخطيط من المناضل كريم بلقاسم، أما الغرض من إعفاء اللحية -كما عُلّم فيما بعد- فهو أن يقوى الشبه بين الأستاذ وبين الشاب الذي أعدمته الثورة بسبب موالاته لفرنسا وعمله لصالحها، وكان ذلك غرضاً تمويهاً وهو تسهيل استخدام بطاقة هويته لصالح الأستاذ "الشبيه"، حتى يعبر بها إلى تونس مروراً بفرنسا.³

سافر الأستاذ بتنظيم من الثورة إلى وهران ثم إلى باريس، حيث أقام بأحد

¹. ينظر: 395/2، 421.

². الأستاذ مولود قاسم ليس شخصية مغمورة، لكن النخب المثقفة قد لا تعرف عنه سوى ما يتعلق بمسيرته المهنية ومكانته العلمية والقليل من فكره وثقافته، أما القدر الذي أضافه الأستاذ وكشف عنه فإنه يتناول سيرته الشخصية وكثيراً من مواقفه وما يتعلق بشخصيته.

³. علي بن غانم، رمز العلم والجهاد والتضحية (أضواء كاشفة، مرجع سابق)، ص 192. وميرة، أضواء كاشفة على محطات بارزة، (أضواء كاشفة، مرجع سابق)، ص 49.

الفنادق لمدة تسعة عشر يوماً، ثم انتقل إلى بيت المناضل علي البسكري وزوجته الفرنسية التي تعمل في أحد البنوك وكانت تكنّ عداً شديداً للثورة، وقدّم إليها زوجها الأستاذ باسمه المتحل على أنه هارب من الثوار بسبب مناصرته لفرنسا، وذلك على سبيل التمويه حتى تعتني به، وكانت قيادة الثورة قد أرسلت إليها بوسائلها الخاصة تعلمها بشأن الشاب الذي حكم عليه الثوار بالإعدام، وأنه لا سبيل إلى نجاته إلا بالاختباء عندها¹. وحيث إن الأستاذ لا يتحدث اللغة الفرنسية فقد كان المناضل الوطني علي البسكري يترجم لزوجته ما يرويه الأستاذ، ويضيف إليه وبأسلوبه ما يعزز مكانة الشاب الفارّ في قلب زوجته الفرنسية باعتباره نصيراً لفرنسا وعدواً للثورة. وظل الأستاذ في تلك الدار الكائنة بشارع كبير في قلب باريس يدعى (*Avenue Félix Faure*) مدة تسعة عشر يوماً كذلك، إلى أن هيأت الجبهة وثائق سفر الأستاذ من باريس إلى تونس بذات الاسم المتحل².

وفي تونس، وتحديدًا في 07 جوان 1956م، كان أول ما بدأ به هو الاتجاه إلى قاعدة الثورة لتسليم رسالة من القيادة إلى المجاهد محمود الشريف الذي كان على رأس القاعدة بتونس. ثم التقى بعد أيام بالمجاهد المرحوم بشير قاضي، الذي حدثه عن المجاهد علي محساس وضرورة اللقاء به، وإثر عودة محساس من طرابلس الغرب اقترح على الأستاذ الانضمام إلى أسرة التحرير بالقسم العربي في جريدة "المقاومة"، مؤكداً له أنها في حاجة إلى دعم وتوسيع، لأنها لسان الثورة الذي يعبر عن زحفها العسكري واتجاهها السياسي³. وقد تقدم في الفصل الثاني تفصيل الحديث عن الجريدة والمحربين بها.

في صيف سنة 1957م، ارتأت قيادة جيش التحرير الوطني أن ترسل فرقة من

1. رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 1/334.

2. بن غانم، رمز العلم والجهاد والتضحية (أضواء كاشفة، مرجع سابق)، ص 192.

3. رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 1/340.

الجيش إلى أقصى الجنوب، للمرابطة بمنطقة غاط على الحدود الليبية-الجزائرية، والقيام بعمليات حربية في صحراء الجزائر، لتحقيق جملة أهداف؛ منها:

- تعميم الثورة في منطقة الصحراء الجنوبية، وخلق مشاكل للقوات الفرنسية في هذه المناطق النائية.

- كسب سكان المنطقة الصحراوية التوارق من أجل مواجهة المخططات الفرنسية، والمشاركة في ثورة بلادهم.

- إيجاد منافذ لإمداد الداخل بالأسلحة والمؤونة، شبيهة بالمنافذ الاستراتيجية على الحدود التونسية والمغربية.¹

وفي السادس عشر من أوت 1957م، أي بعد مضي ما يقرب من عام من التحاقه بصحيفة "المقاومة"، عينت قيادة الثورة للأستاذ مهمة جديدة وهي كونه مرشداً سياسياً وموجهاً أخلاقياً لفيلق من جيش التحرير الوطني وتحت القيادة العسكرية للرائد إيدير، للمرابطة بالصحراء الليبية المحاذية لصحراء الجزائر وتحديدًا في مكان يدعى "فوات" بمنطقة "غاط" التي تبعد مسافة 70 كلم من مدينة سبها بولاية فزان²، على أن تقوم هذه المجموعة بعمليات حربية في التراب الجزائري ثم تنسحب إلى التراب الليبي، وكانت فرنسا في تلك الفترة تستبعد أن تصل الثورة إلى هذا الجزء من التراب الجزائري، لقساوة طبيعته. وقد اكتنف العملية سياج من الكتمان التام والحذر الشديد، والتخفي البالغ، مما جعلها لحد الآن مجهولة غير معروفة حتى عند الطبقة المثقفة التي تتعامل مع الثورة، لكن ما يمكن استخلاصه حسب ما عايشه الأستاذ وعرفه هو أن العملية كان يقصد منها فتح جبهة ضد القوات الفرنسية، وكذا بغرض تعزيز الوحدات المرابطة في غاط بوحدات أخرى،

¹. عبد الله مقلاتي، "جبهة جيش التحرير الجزائري بالحدود الليبية ومعركة إيسين في أكتوبر 1957م، عنوان تضامن ليبي-جزائري"، بحث منشور على شبكة الأنترنت، ص 03.

². مدارس لولاها ما كنت، مرجع سابق، ص 215. والصدیق، دور الشعب الليبي، مرجع سابق، ص 72.

حتى يتحقق الهدف على أكمل وجه وأوسع نطاق، ولكن حادثة "إيسين"¹ نهت السلطات الليبية إلى أن في التراب الليبي فرقا من جيش التحرير الوطني، فجعلها ذلك تحتج احتجاجا صارخا لدى السلطات الليبية، وكاد أن يتأزم الوضع بين البلدين لولا تدخل أهل الحكمة، ولكن ذلك تسبب في منع وحدات الجيش الجزائري من الالتحاق بـفزان.²

فالتحق الأستاذ رفقة الدكتور العمري بان في رحلة طويلة وشاقة، مروا خلالها بطرابلس حيث كان اللقاء بالمناضل بشير قاضي. ورابطت المجموعة هناك مدة خمسة أشهر، قام فيها الرائد يذير بتنظيم مناورات حربية تدريبية بين فرقتين من الجيش المرابط،³ وكان ذلك في إطار التدريبات العسكرية التي امتدت في البداية طوال الشهر الأول في مكان يدعى "أم العبيد" قبل الانتقال إلى منطقة "فوات"، والمكوث بها الأربعة أشهر المتبقية.

وكما يدل عليه عنوان المهمة التي كلف بها الأستاذ في فزان؛ وهي الإرشاد السياسي والتوجيه الأخلاقي، فقد قام الأستاذ بالمهمة على أكمل وجه طوال إقامته بتلك الناحية مع حسن سلوك ونزاهة وإخلاص كما شهدت بذلك قيادة الثورة التي سلمته بالخصوص "شهادة كفاح"⁴ وقّعها الرائد يذير، وقد تمثل دوره في إلقاء كلمات تشبه المحاضرات، ولكنه لاقى في سبيل تحقيقها مشقة بالغة من حيث إنه

1. معركة إيسين: قامت بالقرب من غاط في 1957/10/05م، بين قوة فرنسية من القوات المرابطة بجنوب الجزائر مكونة من بعض الدبابات والسيارات المصفحة والجنود، تؤيدها الطائرات بمهاجمة قرية "إيسين"، فاضطرت حامية "غاط" للتصدي بإحدى سراياها للقوات المعتدية. ينظر: موقع الموقف الليبي، تاريخ التصفح: 2023/08/03م، على الساعة 20:33. الرابط: <https://libyanstand.net>

2. دور الشعب الليبي، مرجع سابق، ص 90.

3. المرجع السابق، ص 78. وقد تضاعف عدد المجموعة عن طريق التجنيد، ومع أن عدد جنود الجبهة كان مجهولا، فإن المصادر الفرنسية تقدر أعدادها ما بين الأربعمئة والخمسمائة جندي. ينظر: مقالاتي، جبهة جيش التحرير الجزائري بالحدود الليبية ومعركة إيسين، مرجع سابق، ص 05.

4. ينظر: الملحق رقم: 20.

كان مطالباً بالتوعية الدينية التي تثبت أفئدة الجنود، وبالتحريض العسكري الذي يدفع لقتال العدو دون مهابة أو تردد، غير أن الخطاب الموجه ينبغي أن يكون مناسباً لأشتات متفرقة من المستويات والذهنيات والتوجهات؛ إذ¹ كان في المجاهدين أطباء، وكان فيهم الطلبة الذين يدرسون في القاهرة، ومنهم غير ذلك كثير، بل لقد كان فيهم أميون أيضاً.

فرع/ أسماء بعض الجنود المرابطين في صحراء فزان 1957م: كان عدد الجنود المرابطين كبيراً جداً، بحيث يتعذر على المرء الإحاطة بأسمائهم جميعاً، ولكن هؤلاء هم بقية ما علق بذاكرة الأستاذ على طول العهد، يذكرون من غير ترتيب:²

– علي السوياعي (1932-1961م): كان ضابطاً في جيش التحرير، تولى قيادة الولاية التاريخية الأولى من 1960 إلى 1961م، قبل أن يستشهد -رحمه الله-.³

– محمد أرزقي أوشارف: دكتوراه في طب أسنان، كان من أطباء القواعد الخلفية بتونس.⁴

– العمري بان: دكتوراه في الطب العام.

– توفيق بوعتورة: كان مسؤولاً في البعثة الجزائرية بالأمم المتحدة، ويذكر الأستاذ أنه كان ذا ثقافة أجنبية، ولذا لم يختلط به كثيراً.⁵

– معاوية (1925-2012م): اسمه الحقيقي محمد الشريف بن صادق، درس

¹. رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 365/1.

². دور الشعب الليبي، مرجع سابق، ص 80-81.

³. ينظر: موقع ويكيبيديا، تاريخ التصفح: 2023/08/03م، على الساعة 20:48، الرابط:

<http://ar.m.wikipedia.org/wiki/>

وينظر: رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 341/2. والملحق رقم: 08.

⁴. ينظر: المرجع نفسه، 205/2.

⁵. ينظر: المرجع نفسه، 341/2.

بمعهد ابن باديس على يد جماعة؛ أبرزهم الشيخان أحمد حماني وعبد الرحمان شيبان، ثم انتقل إلى الزيتونة حتى تخرج فيه بشهادة التحصيل سنة 1953م.¹

- محيي الدين عميمور: كان طالباً يدرس في القاهرة، ثم أصبح طبيباً وكاتباً ومستشاراً في رئاسة الجمهورية ثم عضواً في مجلس الأمة.²

- سعيد شايب: ضابط سام، كان من الطلبة الذين يدرسون في القاهرة.³

- حسن يامي: كان بوزارة الخارجية.

- رشيد بن إدريس: كان في إحدى الفترات ملحقاً عسكرياً في سفارة الجزائر

بمصر.

- مسعود بزة: ضابط في البحرية، وهو الذي تسلم القاعدة البحرية من القوات الفرنسية سنة 1964م.

- مصطفى الأكلح: استشهد - رحمه الله -.

- محمد زعطوط: تقلب في مناصب بوزارة الخارجية، ثم عين سفيراً.

- سعيد صحابي: استشهد - رحمه الله -.

- نور الدين خلادي (ت: 2010م): كان سفيراً بالصين.⁴

- عبد القادر بن قاسي: كان إطاراً بوزارة الخارجية.

- عبد الله رباع: كان إطاراً بوزارة الداخلية.

¹. أعلام من منطقة القبائل، مرجع سابق، ص 421-428.

². ينظر: المسار السياسي والمهني للدكتور محيي الدين عميمور، منشورات الجيب (من إصدارات المجلس الأعلى للغة العربية)، الجزائر، د.ط، 2009، ص 10. وينظر: رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 288/2.

³. ينظر: رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 346/2.

⁴. ينظر: المرجع نفسه، 340/2.

المبحث الثالث: الأستاذ دبلوماسياً

المطلب الأول: بين الإعلام والدبلوماسية:

لم يكن الأستاذ يمارس في البعثة بليبيا دوراً إعلامياً فحسب، بل إنه كان يعتبر وجهها دبلوماسياً ممتازاً، وذلك بالنظر إلى المشاهد السياسية المهمة التي ظهر فيها، ولا شك أنه احتيج إليه لا لنقص الرجال، ولكن لما توسم القادة في شخصه من خصائص مميزة، جمعت بين العلم الشرعي والخلفية الثورية والنباهة السياسية والحس الأدبي والممارسة الإعلامية، فضلاً عما يتمتع به من علاقات اجتماعية طيبة في الوسط الليبي آنذاك.

ولذا، فإننا نجد في شهر جانفي 1958م، برفقة المرحوم بشير القاضي -رئيس البعثة- كممثلين لجهة التحرير الوطني على منصة الملعب الرياضي بجانب ممثلي الحكومة الليبية وأعضاء من مجلس الشيوخ، وكان ذلك للحضور لمقابلة في كرة القدم بين فريق جبهة التحرير والفريق الوطني الليبي.¹

وتارة مع المرحوم أحمد بودا -رئيس البعثة- يرافقان "الزعماء الخمسة" خلال إقامتهم بطرابلس بصفة رسمية، في كل تنقلاتهم، وفي جميع الحفلات والاستقبالات التي أقيمت ونظمت على شرفهم.²

المطلب الثاني: موقفه من المؤتمر المشؤوم:

بعد رجوع الوفد المفاوض من "إيفيان"، وبعد توقيع المعاهدة مع فرنسا، ووصول الأحرار الخمسة إلى طرابلس إثر خروجهم من المعتقل، وحرصاً على مصلحة الجزائر. تقرر عقد مؤتمر للمجلس الوطني للثورة الجزائرية في مدينة طرابلس ابتداءً من 1962/05/17م إلى غاية 1962/06/07م، وذلك بقصد

¹. الصديق، دور الشعب الليبي، مرجع سابق، ص 58.

². المرجع نفسه، ص 239.

مناقشة وإثراء مشروع برنامج طرابلس والمصادقة عليه، ولتعيين قيادة جديدة لتتسلم مقاليد الأمور من الهيئة التنفيذية في بومرداس،¹ وقد جهزت الحكومة الليبية للوفود المقر المعهود، وتواترت التوقعات بأن الجلسة ستكون حامية ومحفوفة بكل المخاطر والاحتمالات، وقد تنتهي بطلقات الرصاص، وانقضى الاجتماع وافتضحت النوايا والمطامع، وبعد منتصف الليل بقليل تحرك الركب المعارض لبن بلة، ودخلوا تونس ثم الجزائر، ولعلنوا استباقاً من بينهم رئيساً للدولة، ولكنهم فيما يبدو لم يتفقوا فيما بينهم على مرشحهم.²

ولقد كان لهذا الصراع آثار بليغة سواء على مستوى الإمداد والتمويل "الدعم اللوجستي" وعلى المستوى الإعلامي والدعائي كذلك؛ أما لوجستياً، فعندما اشتد³ الصراع على السلطة داخل الجزائر، وتفرق الشمل، وتعددت الجماعات التي تدّعي لنفسها الحق والمشروعية، وحاولت كل جماعة الاستيلاء على المساعدات لتوفير الإمكانيات لمقاومة الأطراف المنافسة، فعندئذ اجتمعت لجنة التبرعات لمساعدة الجزائر في طرابلس، وقررت تجميد كل أموال اللجنة، وتم اختيار بعض الأعضاء لتصفية أعمال اللجنة، وتجميد كل أموالها حتى تتضح الرؤية ويجري حسم الموقف لصالح فريق من المتناحرين.

وأما إعلامياً، فإن الثورة التي شغلت العالم، وحركت أذهان المفكرين والمبدعين، واستدرّت قلوب المحسنين، وحفزت همم الأمم المغلوبة نحو التحرر، وتناقلتها الدبلوماسية في المحافل الدولية، إن هذه الثورة غدت في آخر أيامها للأسف مطيةً للسلطة عند بعض صانعيها من الثوار والسياسيين، وذريعة لأخطائهم المرتكبة، وانتشر الحديث عن مطامع ما بعد الثورة في الوسائل الإعلامية

¹. بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر، مرجع سابق، ص 506.

². المشيرقي، قصتي مع ثورة المليون شهيد، مرجع سابق، ص 598.

³. المرجع نفسه، ص 601.

المختلفة، وكان على الأستاذ أن يواصل مهامه بدبلوماسية عالية وهو الذي بقي حتى الاستقلال وبأمر من القيادة على رأس المكتب الإعلامي بليبيا من باب التمويه وتحسباً لأي طارئ قد يحدث غداة الاستقلال؛ فقد دعي الأستاذ للحضور إلى الاحتفال السنوي بافتتاح البرلمان الليبي في بنغازي من 05 إلى 12/07 1962م، ورافقه إليها عبر الطائرة، ثم إلى البيضاء عبر السيارة كل من السيد محمد الطاهر آيت علجت (المسؤول عن الشؤون الثقافية بإدارة البعثة) والسيد حسن يامي (الزميل بالمكتب الإعلامي)، والتقى بإدارة البعثة الليبية في بنغازي المناضل محمد الأمين دباغين الذي كان على رأسها يومئذ. ولاقى الأستاذ في الأيام الثلاثة التي قضاها ببنغازي وبرقة والبيضاء "متاعب حمة ومضايقات خانقة على حد تعبير دباغين له، وظهر ذلك في اللقاءات الكثيرة مع وزراء ليبيا وأعيانها والسفراء المعتمدين فيها ورجال الصحافة، وأسئلتهم جميعا واستفساراتهم وملاحظاتهم وانتقاداتهم فيما يتعلق بالخلافات بين قادة الثورة، وما آلت إليه البلاد بعد الاستقلال.¹

وعلى كل حال، فإن الأستاذ لم يعدم في تلك الظروف العصيبة لقاءات من الطراز الممتاز؛ من ذلك لقاءه مع سفراء كل من العراق والمغرب وتونس والسعودية والصين، والمستشار الفرنسي، ووزراء بالحكومة الليبية كوزير الخارجية ووزير الأنباء ووزير الشؤون الاجتماعية ووزير المالية. كما قابل ولي العهد وشكره باسم الجزائر وحكومتها، وقابل كذلك رئيس الوزراء وقدم إليه الت شكرات على غرار ما فعل مع ولي العهد.²

¹. الصديق، دور الشعب الليبي، مرجع سابق، ص 251.

². دور الشعب الليبي، مرجع سابق، ص 253.

المطلب الثالث: الأستاذ ممثلاً للجزائر

شرعت الجزائر غداة الاستقلال في ثورة جديدة على المستويين الداخلي والخارجي، أما داخلياً فكان الرهان أن تثبت على أقدام راسخة؛ تؤكد بها جدوى الثورة وجدارة الاستقلال، وكان من مشتقات ذلك التحدي أن اعتمدت على سياسة التخطيط المركزي، فأنشئت الدواوين والشركات الوطنية، وأمت الأراضي والشركات البترولية والبنوك، وضبطت آليات مراقبتها، وأعطيت الأسبقية في التنمية والتطوير لقطاع المحروقات وللزراعة¹، وقد عبّر عن ذلك الشاعر الكبير مفدي زكريا قائلاً:

فقمنا نشيداً اقتصاد البلاد .:. ونعلي المصانع فيه ونبني

ويزرع فلاحاً أرضه .:. بذوب الشرايين لا بالتمني²

وأما على المستوى الخارجي، فقد سعت -حكومةً ونخباً- لأن تجد لها مكاناً في المجتمع الدولي، بعد أن التحقت بالأمم والشعوب المتحررة، فشاركت في كل مناسبة تمكنها من إسماع صوتها وإثبات ذاتها، فمع أنها التزمت الحياد وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول، إلا أن ذلك لم يمنع من دعم مسعى التحرر الاقتصادي، وتحقيق التنمية والتعاون مع البلدان النامية.

وفي ذات السياق، أوفد الأستاذ من طرف وزارة الشؤون الدينية إلى عدة دول عربية وإسلامية للقيام بمهام مختلفة، ثقافية، معرفية، دينية، ولكنها كانت جميعاً في الإطار الدبلوماسي الذي يتم فيه تمثيل البلاد في شتى المناسبات، فزار الأستاذ كلاً من الكويت (1981م) وكانت الزيارة لمرافقة طالب مترشح لمسابقة دولية في القرءان الكريم أقيمت هناك حيث أقام اثني عشر يوماً، ثم إلى الأردن (1982م)،

¹. ينظر: سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، 4/13.

². زكريا، مفدي، إلباظة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1987م، ص 87.

وقطر ومصر، وكان الغرض من تلك الجولات البحث عن كفاءات علمية للتعاقد معها بغرض التدريس بالجامعات الجزائرية بما فيها جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية بقسنطينة، ثم حظي الأستاذ بثلاث زيارات للاتحاد السوفياتي (سنتي 1983م، وسنة 1986م)، وأما آخر زيارة خارجية "رسمية" للأستاذ فكانت إلى فرنسا (1998م) برفقة صديق العمر محمد نسيب -رحمه الله-.

وفما يأتي بسط للحديث عن زيارته للاتحاد السوفياتي باعتبار تكررها من جهة، وبالنظر إلى أهميتها وخطورة الموضوعات التي شارك بها الأستاذ ممثلاً لبلاده في مثل تلك المحافل الدولية.

فرع- الأستاذ في الاتحاد السوفياتي: توجه الأستاذ إلى روسيا ضمن مهام سياسية رسمية ثلاث مرات وفي مناسبات مختلفة؛ كانت أولها في صائفة سنة 1983م، إذ تلقت الحكومة الجزائرية في السابع عشر من ماي نفس السنة دعوة رسمية من نظيرتها في الجمهوريتين السوفياتيتين "أوزباكستان" وكازاخستان، عبر إدارتيهما الدينيتين، وبياعاز من السلطات الجزائرية، في إطار التبادل المعرفي والثقافي حول الإسلام والمسلمين في العالم. واستجابة للدعوة تألف وفد رسمي من أعضاء بارزين في المجلس الإسلامي الأعلى، في وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، وكان الوفد بقيادة الأستاذ محمد الصالح الصديقي، وعضوية كل من الأستاذين محمد فارح وخالد قويدري، ورافقهما السيد عبد القادر شياد المفتش الرئيسي بولايات الشرق الجزائري.¹ وكان في استقبال الوفد الجزائري بمطار موسكو الدولي كل من مندوب المجلس الأعلى للأديان لدى رئاسة الحكومة السوفياتية، والسيد عبد الغني عبد الله نائب مفتي جمهوريات آسيا الوسطى، وإمام مسجد موسكو، فيما لوحظ غياب غير متوقع لسفير الجزائر بموسكو عن حضور مثل هذه المناسبات

¹. إسماعيل ميرة، الأستاذ محمد الصالح الصديقي بين صرير الأقلام وقعقة السلاح، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2008م، ص 101.

الرسمية.¹

وقد توجت هذه الدعوة المباركة بزيارة معالم تاريخية واقتصادية وثقافية مهمة. وفي التاسع عشر أوت من نفس السنة، انتقل الوفد إلى "طشقند" عاصمة أوزبكستان، وكان في استقبالهم المفتي شمس الدين بابا خان، ونائبه للعلاقات الخارجية الدكتور يوسف خان شاكر، وجماعة من مسؤولي الإدارة الدينية، ومدير الشؤون الدينية ممثل الحكومة، كما رافق الوفد في جميع تنقلاته مندوب عن مجلة المسلمين التي تصدر هناك، وممثل عن وكالة الأنباء السوفياتية، ونفر من المصورين، وكان الأستاذ يلقي خلال ذلك كلمة بالمناسبة كلما طلب منه، واشتملت الرحلة على زيارة إلى عدة مرافق ومعالم.² وفي الثاني والعشرين من نفس الشهر، توجه الوفد إلى "سمرقند"، وكان في الاستقبال كالعادة جماعة من أعيان المسؤولين، وبعد يومين غادر الوفد سمرقند متجها إلى "باكو" عاصمة أذربيجان، وكان في استقباله نائبة رئيس المجلس الشعبي البلدي، رفقة رئيس جمعية صداقة الشعوب الشاعر نبي خزري، وقام الوفد بزيارة العديد من المرافق والمعالم، قبل أن يؤديوا صلاة الجمعة في أحد المساجد، حيث طلب من رئيس الوفد الأستاذ الصديق إلقاء درس، فشرح فيهم قوله تعالى ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا...﴾ (آل عمران: 103)،³ وفي السابع والعشرين من ذات الشهر، غادر الوفد مدينة "باكو" إلى "لينينغراد" عاصمة روسيا القديمة، وكان في استقبالهم أيضا جماعة من المسؤولين، وحظي الوفد كذلك بزيارة إلى عدة معالم، وفي صباح اليوم الموالي كان الوفد في موسكو وفي استقبالهم مدير الشؤون الدينية، ومسؤول العلاقات الخارجية، وبعد ذلك كان استقبالهم من طرف نائب

¹. ميرة، إساعيل، أضواء كاشفة، مرجع سابق، ص 77.

². المرجع نفسه، ص 78.

³. المرجع نفسه، ص 80.

رئيس المجلس الأعلى للأديان مع كبار مساعديه.¹

ثم عاد الأستاذ مجدداً في زيارة ثانية ليحل ضيفاً على الاتحاد السوفياتي، فلقد كانت الزيارة في ذات الغرض، حول "حوار الأديان"، وانهقد المؤتمر بموسكو في صيف سنة 1986م، وكان استقبال المدعوين في نزل "سوفيات سكاي" العظيم، وأما مشاركة الأستاذ في المؤتمر فكانت بكلمة حول مكانة الأديان في حياة الإنسان، وبعد ثلاثة أيام من العنت الفكري المتعب اختتمت أشغال المؤتمر.²

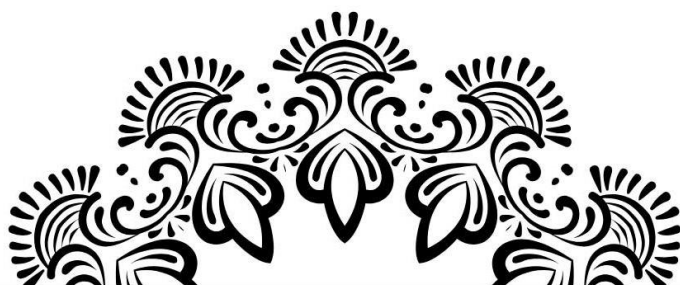
أما الزيارة الرسمية الثالثة إلى الاتحاد السوفياتي، فكانت في مستهل شهر أكتوبر (من 01 إلى 04) من سنة 1986م، للمساهمة في فعاليات مؤتمر "حوار الأديان" بباكو عاصمة جمهورية أذربيجان السوفياتية، الذي شارك فيه أكثر من ستين دولة؛ منها الجزائر، وكان تحت شعار "المسلمون في النضال من أجل السلام"، وفي هذا المؤتمر عين الأستاذ ممثلاً رسمياً وحيداً للجزائر.³ ولا شك أن إعادة ترشيح الأستاذ للقيام بهذه المهمة يعود إلى جودة أدائه في المهمة السابقة من عدة نواح؛ من الناحية الدبلوماسية التي تخضع للحس السياسي الدقيق، وقد سبق للأستاذ التعامل الدبلوماسي في أحلك الظروف التي مرت بها الجزائر إبان الثورة، ومن الناحية الثقافية والمعرفية التي تبين عن مقدار اطلاع الأستاذ وقراءاته المتنوعة، فمن المؤكد أنها أسهمت بشكل مباشر في مد جسور التواصل من الأوساط الثقافية المختلفة هناك، ومن الناحية الشخصية التي تتطلب اتزاناً ومراقبة ذاتية⁴، خصوصاً وأنه في مهمة رسمية لتمثيل البلاد في محفل عالمي.

1. ميرة، إسماعيل، أضواء كاشفة، مرجع سابق، ص 81.

2. المرجع نفسه، ص 82، 86.

3. المجاهد محمد الصالح الصديق بين صرير الأقلام وقفعة السلاح، مرجع سابق، ص 113.

4. ذكر الكاتب إسماعيل ميرة أن الأستاذ تعرض لمحاولة إغراء عن طريق دعوة تعارف عبر هاتف غرفته بالفندق من طرف إحدى الفتيات، والتي تبين حسبها أفاد به الأستاذ من تحريات أنها إحدى جواسيس الجهاز الاستخباراتي الروسي المعروف بـ K.G.B، بنظر: ميرة، أضواء كاشفة، ص 85.



الفصل الرابع
محمد الصالح الصديق مفكرا



في هذا الفصل، تتبع لأبرز جهود الأستاذ وأعماله الفكرية التي أسهم بها في إثراء الثقافة الإسلامية والعلوم الشرعية والإنسانية واللغوية، وفي هذا التتبع كذلك إشارات إلى بعض الموارد التي أفاد منها في تكوين أفكاره، واستعان بها على استخدام منهجه في العرض والتحليل، وفي هذا الفصل أيضاً انتقاء لنماذج متنوعة من تلك الجهود.

المبحث الأول: جهوده في إثراء الدراسات الإسلامية

المطلب الأول- جهوده في مجال الدراسات القرآنية.

فيما يلي إجمال لجهود الأستاذ في هذا الباب، من خلال تناول صنوف التأليف فيه، وما اشتملت عليه من موضوعات، عرضاً وتلخيصاً وتحليلاً لبعض جوانبها، والإشارة إلى منهجه الذي اتبعه في سبيل ذلك:

أولاً- التجربة التفسيرية: لقد صاحب الأستاذ كتاب الله تعالى صحبة تلاوة وتدبر واهتداء، وتمسك به تمسك من يضمن بهاله، فأثمرت تلك الصحبة الطويلة طائفة من المؤلفات المهمة، والمتفردة أحياناً، وهي التي أراد الأستاذ من خلالها أن يبين عن مقدار تعلقه بالقرءان، ورغبته في الاستضاءة بنوره، والدعوة إلى السير على منهاجه. ولم يقدر للأستاذ كتابة تفسير للقرءان الكريم رغم كثرة اطلاعه على كتب التفسير والتعلق ببعضها كتفسير الرازي والآلوسي -تحديداً-، وتعمقه في فهمه القرءان، ودوام تدبره، وامتلاك أدوات التفسير بشكل عام، وعلاوة على ذلك فإن له "حاسة قرآنية" يعززها ذوق أدبي عال. ومع ذلك، فإن للأستاذ مقاطع تفسيرية كاملة الأركان وصحيحة النسبة لعلم التفسير، وهي متفرقة في بطون مؤلفاته وثنايا كتاباته، ولا يكاد يخلو منها كتاب من كتبه، ولو جمعت بالتتبع والتعديل والتنقيح بما يناسب أن يأتي في كتاب مستقل لربما عمّت كتاباته التفسيرية سور القرءان الكريم كاملاً، مع أنه قام بذلك في كتابه "ومضات من سورة الفاتحة" التي أتى على تفسيرها

كاملة، كما فعل ذلك أيضاً في كتابه "نور على نور" الذي وضعه على ما يشبه منهاج ابن باديس في تفسيره؛ فقد تعرض فيه لتفسير آيات من القرآن الكريم، معنوناً لكل موضوع منها بعنوان مناسب، ومراعياً فيه ترتيب المصحف الشريف.

أما منهجه في التفسير، فإن الأستاذ من خلال تتبع ما كتب من تفسير لم يلتزم أتباع منهج تفسيري معين من المناهج المعروفة؛ كالتفسير بالمأثور - وإن كان إليه أقرب -، أو التفسير بالرأي، كما أنه لم يلتزم اتجاهاً تفسيرياً معيناً كذلك كالتفسير الفقهي "تفسير آيات الأحكام"، والتفسير البياني، والتفسير الكلامي، أو التفسير الإشاري، الخ، ومع أن الأسلوب الغالب لدى الأستاذ هو أسلوب التفسير التحليلي، فإن من المهم أيضاً التنويه بجهد الأستاذ في الأسلوبين التفسيريين الآخرين سواءً التفسير الموضوعي (الترتيبي أو التجزيئي)، أو التفسير الموضوعي.

أما مدى تأثيره بمن سبقه، فلا شك أن المنهج الإصلاحية الذي عمل به الإمام ابن باديس في تفسيره للقرآن¹ قد ألقى بظلاله على من كتب بعده، وهذه السمة التجديدية الإصلاحية بادية الظهور في التجربة التفسيرية للأستاذ كما سلف ذكره، ويمكن تحديد ملامحها إجمالاً فيما يلي²:

- عدم تقصد الشروع رأساً في تفسير القرآن من الفاتحة إلى الناس، وإنما اكتفى الأستاذ بتفسير الآيات التي رآها مظنة فكرة إصلاحية.

- المراوحة في الأسلوب بين ما تمليه قوة الفكرة من جمال اللغة، وبين ما يستدعيه واقع الحال من إيضاح وتبسيط.

1. استُخلص منه اتجاه بات يعرف فيما بعد بالاتجاه الإصلاحية في التفسير، ينظر: محمد جابري، الاتجاهات المعاصرة في التفسير، موقع ملتقى أهل التفسير، تاريخ التصفح: 2023/08/04م، على الساعة 13:27، الرابط: <http://mtafsir.net>

2. ذكرنا في الفصل الثاني - عند الحديث عن مؤلفات الأستاذ - منهجه العام في تفسير القرآن، وتتناول هنا الحديث عن المحاور العامة التي تضمنها تفسيره لآيات القرآن الكريم.

- الإشارة إلى حال المسلمين، ومن ذلك تملصهم من واجبهم وانحسار دورهم وموقعهم من الإسلام الفاعل المتحرك إلى "الإسلام الجغرافي" الساكن.¹

- استخراج ما في النص القرآني من حقائق وقيم مختلفة: كونية، واجتماعية، وأخلاقية، ونفسية، وسياسية، واقتصادية، وتاريخية، وتشريعية، مركزا في ذلك كله على البيئة الجزائرية بصفة خاصة، وعلى الأمة الإسلامية بصفة عامة، وعلى المجموعة الإنسانية بصفة أعم.²

نموذج من تفسيره: تحت عنوان "الإسلام دين الرحمة ودين الجهاد أيضاً" ساق قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اقْرَبُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا بَعَلُّوهُ إِلَّا فَيْلٍ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾ (النساء: 66) وقال بعد تحليل الألفاظ والتراكيب: ومرابطة الجيوش إذن في الثغور ومداخل البلاد وحدودها أمر واجب مفروض، والذين يرابطون فيها بقلوب يقظة، وعيون مفتحة، وصبر على تكاليف المواجهة، وطوارئ الظروف، لهم أجرهم عند ربهم.. ومن المرابطين رجال الجمارك الذين يقومون بالمراقبة على الصادرات والواردات، ويضبطون ما لا يجوز مروره من البضائع إلى الخارج وإلى الداخل. ومن المرابطين الدبلوماسيون الذين يمثلون بلادهم في الخارج، ويهمون بشؤونها، ويراقبون في يقظة ومتابعة كل ما يعني بلادهم سلباً وإيجاباً، شراً أو خيراً. ومن المرابطين أيضاً رجال الصحافة الذين يقفون عقولهم وألستهم وأقلامهم على خدمة وطنهم، ورفع شأنه بين الأوطان، فلا يرون أحداً يلقي بفرية أو شبهة، أو يثبت مصرة أو مكيدة إلا لقتلوه درساً وألقموه حجراً.³

¹. ينظر: الصديقي، نور على نور، مرجع سابق، 145.

². آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، (مقدمة الشيخ عبد الرحمان شيبان)، إصدار وزارة الثقافة، الجزائر، د.ط، 2007م، 12/1.

³. الصديقي، نور على نور، مرجع سابق، ص 96-97.

ثانياً- علوم القراءان: في الوقت الذي كان طلبة العلم والباحثون في الجزائر يلجأون في علوم القراءان إلى ما كتبه غير الجزائريين، اكتفاءً بالموجود واعترافاً ضمناً في الوقت ذاته بندرة الكتب المطبوعة من هذا الفن في المكتبة الجزائرية، كان الأستاذ قد ألف في هذا المجال -على فترات مばعدة- ثلاثة كتب، أحدها مطول وهو "البيان في علوم القراءان"، ثم اختصره في كتاب "الوجيز في علوم القراءان"، وأبقى فيه على نفس المادة التي في الأصل، لكنه اختصر في العبارة فحسب، ثم وضع كتابه الثالث "هذا هو القراءان" الذي تناول فيه علوم القراءان المختلفة ولطائف وإشارات وفوائد قرآنية بشكل موجز ومقتضب ومركز، وهو أكثر اختصاراً من "الوجيز"، ويعتبر مناسباً كمدخل تعريفى بالقراءان الكريم وعلومه بالنسبة للطلبة الجامعيين والمثقفين ثقافة غير شرعية.

أما مادة هاته الكتب، فإنها لم تخرج عن الإطار العام الذي وضع لهذا النوع من التأليف، وهي نفسها مادة الكتب التراثية والمعاصرة في علوم القراءان، غير أن القارئ لا يعدم وجود إضافات اجتهادية نزع بها المؤلف إلى التميز والتجديد؛ وبما أنه شديد الولوع بالثورة التحريرية، فإنه لا يفتأ يشيد بها في كل مناسبة، ويؤسس لإسلاميتها بكل طريق، ومن ذلك مثلاً حديثه عن "ثورية القراءان"، واستدل له بأيات كريمة تدعم ما ذهب إليه؛ أما مقصوده من "ثورية القراءان" فليس ما يتبادر إلى الذهن ما يروج له المستشرقون المغرضون بأن الإسلام انتشر بحد السيف، وإنما المقصود -كما يرى الأستاذ- هو طبيعة المواجهة. إن القراءان يطلب من الإنسان بإلحاح أن يكون قوياً في كل شيء؛ في بدنه وتفكيره وإيمانه وأخلاقه وعمله، وفي كل جانب من جوانبه، وفي كل حالة من حالاته.. من أجل حراسة الحق، وصيانة الحدود، ورعاية الحرمات، ونصر الفضيلة، وإرساء مكارم الأخلاق.¹

وقد وجد الأستاذ وهو يؤسس لهذا المفهوم شواهد كثيرة من القراءان الكريم

¹. الصديق، البيان في علوم القراءان، مرجع سابق، 265-266.

تدعم رأيه وتعزز ما ذهب إليه؛ فقد نقل تحت عنوان "ثورية القراءان كما تنطق آياته"¹ عدة آيات تبيّن - كما قال - بوضوح ما ذهب إليه؛ منها قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمُدْتَرِكُ فَمُ الْبَازِرُ﴾ (المدر: 01-02)، وقوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَفِئَتُمْ فِيَّةً فَابْتُتُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُبْلِحُونَ﴾ (الأنفال: 45)، وقوله سبحانه: ﴿فِيمَا تَثَقَّفَتْنَاهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَن حَلَبَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكَّرُونَ﴾ (الأنفال: 57)، وقوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْفِتَالِ إِنْ يَكُ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ تَكُ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْبَابًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ (الأنفال: 65)، وقوله سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَتَلَوْا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِّنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة: 123)، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَفِئَتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا بَصْرَبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثَخَتْمُوهُمْ بِشُدُّوا الْوَتَاقَ فِيمَا مَتَأَ بَعْدَ وَإِمَّا يَدَاءَ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ، ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَتْصَرَ مِنْهُمْ وَلَآكُ لَيَبْلُوَنَّكُمْ بِبَعْضِ الَّذِينَ قَتَلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُّضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (محمد: 04).

كما وجد بإزاء تلك الآيات المؤسسة لمفهوم "ثورية القراءان" أساليب قرآنية سماها "ثورية"، وهي عنده تلك الأساليب التي استعملها القراءان في تغيير الوضع المتعفن الذي أصابه الانهيار، فذكر منها - مستدلاً لها من القراءان - التهديد، والإنذار، والزجر، والدعاء بقطع اليدين وبالويل وبالهلاك، ولعن الخراصين، والتعريض بالأخلاق الفاسدة، والتشبيه بالأنعام، وغيرها من الأساليب.²

وقد يتوجس القارئ بادئ الأمر من مصطلح "ثورية القراءان" لعدم الإلف له في كتابات المتقدمين ودراساتهم القرآنية، ولكن لدى الكتاب المعاصرين شيئاً من

¹. المرجع السابق، 267.

². المرجع نفسه، 268-270.

ذلك الاستعمال للمصطلح، فليس الأستاذ ببدع في إطلاقه واستعماله، ففي تفسير المنار¹ مثلاً ورد مصطلح "الثورة" و"الانقلاب" في مواضع عديدة منه؛ فمن ذلك قوله في تفسير سورة يونس تحت عنوان "الثورة والانقلاب الذي أحدثه القرآن في البشر": "القرآن كتاب أنزل على قلب رجل أُمي، لأجل إحداث ثورة وانقلاب كبير في العرب. وقال: ثورة تحرر العقل البشري والإرادة الإنسانية من رق المتحليين لأنفسهم صفة الربوبية، أو النيابة عنها في التحكم في الناس واستدلالهم. وقال: مثل هذه الثورة الإنسانية لا يمكن أن تحدث إلا على قاعدة القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: 11). وقال: إن هذه الثورة ما كان يمكن أن تحدث إلا بما حدثت به؛ وهو تأثير هذا القرآن في الأمة العربية التي كانت أشد الأمم البدوية والحضرية استعداداً فطرياً لظهور الإسلام فيها بالإقناع.² وقال: وقد كانت مدة البعثة المحمدية كلها عشرين سنة؛ أي نصف مدة التيه، وكان ذهب نصفها في الدعوة وتبليغ الدين للأفراد بمكة، والنصف الآخر هو الذي تم فيه الانقلاب العربي من تشريع وتنفيذ وجهاد.³

ولا يعدو هذا الاصطلاح الذي يقول به الأستاذ كونه اصطلاحاً تحليلياً لبعض المعاني الموجودة في القرآن والتي هي من سماته؛ كقوة العرض، وشدة الجذب، وسرعة التأثير، وغيرها، وليس هو اصطلاحاً تأسيسياً لما يراد تفسير النص القرآني على وفقه ومنواله؛ كمصطلح "الانقلاب" عند المودودي أو مصطلح "الجاهلية" عند سيد قطب -رحمة الله عليهما-.

ثالثاً- مقاصد القرآن: أَلَّف الأستاذ كتاباً بهذا العنوان، وعُدَّ من أيام صدوره علامة فارقة في الدراسات القرآنية على مستوى القطر الجزائري، لاعتبارين: أحدهما هو جدّة

¹. ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، مطبعة المنار، مصر، ط1، 1921م، 198/11.

². المرجع نفسه، 199/11.

³. المرجع نفسه، 200/11.

الموضوع على ذلك العهد الذي ركن فيه العلماء والباحثون إلى نواحي معينة في الدراسات القرائية التقليدية، والتي انحصرت غالباً في التفسير رغم أهميته البالغة، فقد طرق الأستاذ موضوعاً بكرةً، وهذا ما قد يكون شفيحاً له في مقابل ما انتقد عليه، وأما الاعتبار الآخر فهو توسُّع المؤلف في تناول الموضوع، بما يوحى نضجه عنده واستواءه لديه، فجاء كتاباً ضخماً في نحو ستمائة صفحة، في حين تقتصر الكتابة في الأفكار الأولى في كثير من الأحيان على قدر محدود من الصفحات.

ولقد تحدث عن الكتاب المؤرخ الراحل أبو القاسم سعد الله، وأثنى عليه، لكنه في معرض الحديث عن منهج مؤلفه فيه توقف في مدى استفادة الأستاذ في تناول موضوعات كتابه من أسلوب ابن باديس ورشيد رضا¹، فكأنه جعلهم جميعاً بمثابة واحدة، وهذا غير صحيح، فليس كتاب الأستاذ تفسيراً وقد أقر الدكتور سعد الله بهذا الشأن، وليس تفسير ابن باديس في المقابل كتاباً في مقاصد القراءان.

لكن ما يهمننا بالأساس هو حكم النقّاد²، والمتتبع لأثر هذا الكتاب في الحركة العلمية والفكرية في الجزائر يقف على استحسان له، وتثمين لجهد صاحبه، ولعل أهم ما يمكن أن يستخلص بشأنه ما وصف بأنه "لم يتناول الآيات القرائية تناولاً تقليدياً جامداً، وإنما هو تناول يسير في تيار الإصلاح الذي نادى به ابن باديس"³.

رابعاً- إعجاز القراءان: كان حب الأستاذ لكتاب الله طريقاً له لطلب التشرف بخدمته، والتفضل بالاعتناء به، فجسد ذلك الحب من خلال التعريف بالقراءان، وتعداد علومه، وتفسيره، وتحليل بلاغته وبيانه، وتتبع مقاصده، وعرض وجوه إعجازه، ووسّع نطاق خطابه القرائي، فعرضه عبر المقالات والكتب والمحاضرات

¹. ينظر: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، 33/7.

². رأى بعض المراجعين للكتاب بأنه "تفسير توجيهي" لبعض آيات القراءان الكريم، ينظر: سعد الله، تاريخ

الجزائر الثقافي، 33/7.

³. المرجع نفسه، 34/7.

والأحاديث الإذاعية والتلفزيونية. ومن ذلك موضوع إعجاز القرآن، فقد تناوله الأستاذ فيما كتب من علوم القرآن باعتباره أحد أنواعه وعلومه، ثم بحثه بحثاً مستقلاً موسعاً (نحو مئتي صفحة)، تعرض فيه لنواحي الإعجاز القرآني المختلفة؛ وهي كثيرة، ومن مباحثها: أي الناحيتين هي الرئيسية في الإعجاز: الأسلوب أم المضمون، القرآن معجز رغم ما فيه من أسباب تقتضي نقصان فصاحته، جاذبية النغم القرآني، الحجر الصحي، الإعجاز النفسي، وغيرها.¹ ولقد وضع مسرداً لأسماء خمسة وسبعين شخصية إسلامية مشيراً إلى إسهاماتهم جميعها - كل بحسبه - في موضوع إعجاز القرآن، وهم من الأدباء واللغويين والمفسرين والفقهاء والأصوليين والمحدثين والمفكرين والدعاة المعاصرين.

المطلب الثاني- جهوده في مجال السنة النبوية.

السنة النبوية قرينة القرآن الكريم، ولازمة له قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقَرُونَ ﴾ (النحل: 44)، فمن وظيفة الرسول أن يبين للناس ما أشكل ويفصل لهم ما أجمل ويشرح بفعله وقوله، وهذه الوظيفة من الله سبحانه وتعالى، وهو الذي عيّن رسوله شارحاً ومبيناً لكتابه، ومن البديهي أن الشرح والبيان هو شيء زائد على التلاوة، وقد فعل ذلك رسول الله ﷺ.² ولعظيم مكانة السنة في الإسلام تمالأ عليها المسلمون وأهل العلم منهم خاصة - وعلى غرار القرآن الكريم - بالعناية الفائقة والاحتفاء منقطع النظير، فخدموها جمعاً وتدويناً، ورواية ودراية، وشرحاً وتعليقاً، وحفظاً واستنباطاً.

وكان الأستاذ ممن ضرب بسهم وافر في خدمة السنة المطهرة في كتاباته المختلفة؛

¹. ينظر: محمد الصالح الصديقي، من روائع الإعجاز (الأعمال الكاملة، مرجع سابق)، المجلد 50، ص 25، 56، 98، 95.

². محمد مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 1400هـ-1980م، 12/1.

وقد سبق في المبحث المتعلق بمؤلفاته¹ التعريف بطائفة من الكتب التي ألفها في هذا المجال. وبمناسبة صدور كتاب "مقاصد القراءان" سنة 1955م، تمنى الشاعر الكبير الشيخ أبو اليقظان من الأستاذ أن يشفع "مقاصد القراءان" بكتاب في مقاصد السنّة²، وربّما كان اقتراحاً جيداً، ولكنه إن كان سيؤلّف ويُطبع ويُنشر في مثل تلك الظروف الشاقة التي مرّ عليها "مقاصد القراءان"، فإن الأمر سيكون متعذراً بلا شك، خصوصاً وأن الأستاذ قد تقيّد آنذاك بمهام ثورية بأكثر ما تكون الحساسية والجدية فضلاً عن التفرغ وبذل الوسع، ولذلك اعتذر الأستاذ بأنه قد "كتب في السنّة ثمانية كتب، وهي عن مقاصد السنّة في الجملة، وإن لم تكن على سنن مقاصد القراءان"³.

أولاً- الدعوة إلى التمسك بالسنّة: كتب الأستاذ في تعزيز اليقين بالسنّة، والدعوة إلى العمل بها، وتصحيح المفاهيم المغلوطة المتعلقة بشأنها كتابات كثيرة جداً، وفي مواضع متفرقة من كتبه، فهو يرى أن من التلمذ على النبي الكريم، أن يكرّس المسلم جهده على قراءة الحديث الشريف، ويحاول ما استطاع أن يفقه معانيه، ويستجلي أسرارها، فبقدر ذلك الاجتهاد تكون متابعة المسلم للرسول ﷺ، وعلى حسب هذه المتابعة تكون الهداية والفلاح، وتكون الولاية والتأييد؛ قال الله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (آل عمران: 31).⁴

ثانياً- التعريف بالسيرة النبوية: لقد وجد الأستاذ أن المسلمين "أحوج في معاشهم ومعادهم أن يسترجعوا سيرة نبيهم العطرة، ويترسموا مواقفهم النبيلة المثالية، ليأخذوا منها عبراً، ويستلهموها دروساً وعظات"، ووجد أن "الحياة بدون

¹. ينظر: الفصل الثاني، المبحث الرابع بعنوان: مؤلفاته.

². الصّدّيق، أعلام من المغرب العربي، مرجع سابق، 725/2.

³. المرجع نفسه، 744/2.

⁴. الصّدّيق، سبيل الرشاد، مرجع سابق، ص 107-108.

تعاليمه وقيمه وفضائله فراغ وجفاف ويأس¹، فألف كتاباً بعنوان "مواقف من حياة الرسول ﷺ" صدره بشذرات من السيرة العطرة، وخصص القسم الثاني من الكتاب لعرض أكثر من مائة موقف من مواقفه المثالية النبيلة عليه الصلاة والسلام، استلهمها المؤلف من كتب السنة وكتب السير.

ولا شك أن الاهتمام بمثل هذا النوع من التأليف إدراك واع لأهمية السيرة النبوية تدارساً وتفهماً وتطبيقاً في حياة المسلم، والتأليف فيها إسهام في الدعوة إلى ذلك التدارس والتفهم والتطبيق، فضلاً عما في دراسة السيرة من التأريخ للحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي ظهرت فيها الدعوة المحمدية، والتعريف بأشهر شخصيات السيرة وأماكنها وأحداثها.

وبما أن الأستاذ عادةً لا يقصر خطابه فيما يكتب من عقيدة وفكر على فئة المؤمنين الموقنين برسالة الإسلام والمعظمين للشخصية المحمدية فحسب، بل إنه يتوجه بخطابه إلى المؤمن والمتردد، وإلى الموقن والمتشكك، ومن هذا المنطلق يجد القارئ أن النفس الدعوي حاضر في مجال السيرة أيضاً، ومن ذلك أن الأستاذ كتب في إبطال نظرية المادية الجدلية² ونظرية المادية التاريخية³ من زاوية إثبات عظمة الشخصية المحمدية النبوية؛ فقال في مقال له بعنوان "دين قويم ورسول كريم": "بأي قوة استطاع محمد ﷺ وهو الأمي اليتيم الذي عاش على هامش المدينة والحضارة، وفي قوم غلاظ جفاة أن يصنع مجتمعاً مثالياً لم يعرف التاريخ نظيراً له من

1. الصديقي، مواقف من حياة الرسول ﷺ، مرجع سابق، ص 18.

2. المادية الجدلية: وهي التي تدخل على المادة حركة جديدة تجمع بين التغيرات الكمية والتغيرات الكيفية، وتؤدي في نهايتها إلى قيام حياة روحية مستقلة عن الظواهر المادية، وإن كانت في بدايتها ناشئة عن المادة. صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، د.ط، 1982م، 310/2. وينظر: جمال الدين بونقاب، مفاتيح اصطلاحية، أدليس، باتنة-الجزائر، ط1، 2024م، ص 96 و166.

3. المادية التاريخية: هي القول بأن الوقائع التاريخية، والظواهر الاجتماعية تنشأ عن أسباب اقتصادية خاصة. المعجم الفلسفي، مرجع سابق، 310/2.

مختلف عصوره؟ سؤال طرحه غير واحد من أهل العلم وسيظل يطرحه كل من يفكر في المجتمع الإسلامي الأول، وللمؤمنين بالمادية الجدلية أو المادية التاريخية رأي في ذلك، ولكنه أقرب إلى الهراء منه إلى رأي يحظى بالالتفات! فهم يقولون إن البطل أو الزعيم ثمرة بيئة، وحصيلة التفاعل البشري في المجتمع الذي ينشأ فيه، ويضيفون إلى ذلك أن العنصر الأساسي في كل تطور تاريخي اجتماعي يعود في الواقع إلى تغير وسائل الإنتاج الذي يقتضي تغيراً في النظم الاجتماعية. وهذه النظرية قد تسلم بالنسبة إلى بعض الزعماء والأبطال، ولكنها بالنسبة إلى محمد ﷺ ليست إلا مجرد قول يساق بغير وعي ولا بصيرة، ومن غير نظر إلى الواقع والحقيقة¹.

ثالثاً- شرح السنة النبوية: سبقت الإشارة إلى أن الأستاذ وطّن نفسه منذ مرحلة مبكرة على أن يكون كاتباً من طراز كبار الأدباء والأساتذة الذين قرأ لهم وتأثر بأساليبهم، ولهذا بات فيما بعد قليل الاحتفاء بطريقة المتقدمين من حيث العناية بكتب التراث شرحاً وتعليقاً وإن كان قد مارس ذلك في المعهد اليلولي تدريساً لا تأليفاً، غير أن هذا لم يمنع من التعامل وفق الطريقة التراثية في بعض مؤلفاته، ففي مجال العناية بالسنة النبوية التي نحن بصدد بيان إسهام الأستاذ فيها، نجده يعنى بشرح طائفة كبيرة من الأحاديث وفق طريقة الشراح المتقدمين، والتزاماً بمنهجهم في ذلك، فيما يتعلق بتخريج الحديث وعزوه وتفسير الألفاظ المهمة، وغير ذلك، وإن كان شرحه للأحاديث - كما قال - شرحاً وافياً يوافق الحياة المعاصرة، ويجعل القارئ يعيش حياته في ظلال ذلك الشرح بكل معالمها وألوانها وأبعادها.²

وللأستاذ في مجال الشرح والتعليق على الأحاديث النبوية ثلاثة كتب هي "جوامع الكلم النبوية" و"توجيهات نبوية" و"السراج المنير"، وقد مر التعريف بها وبموضوعاتها ومنهج المؤلف فيها.

¹. الصّدّيق، بصائر، سلسلة ما قل ودل، مرجع سابق، 1/175.

². سبيل الرشاد، مرجع سابق، ص 108.

نموذج من شرحه للسنة:

كمال رحمة الله تعالى وشمول رحمته

عن أنس - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: "يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك ما كان منك ولا أبالي. يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرتُ لك. يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة". (رواه الترمذي وحسنه).

في الحديث ألفاظ يحسن شرحها قبل التكلم عن الحديث، لتوقف فهمه عليها: (آدم) مأخوذ من أديم الأرض، وهو ظاهر وجهها لأنه أصل خلقتها، وقد جاء في الخبر "خلق آدم من أديم الأرض". (ولا أبالي) لا أكثرث بذنوبك ولا أستكثرها. (عنان السماء) العنان السحاب. (أتيتني) أنتهي أجلك وقرب جزاؤك. (بقراب) بضم القاف، وقد نُكسِر، ولكن الضم أشهر، [قراب الأرض] ملء الأرض من سعادة الإنسان أن يوفقه الله تعالى إلى التوبة والإنابة، فيستغفر كلما أذنب، ويرجع إلى الجادة القويمة كلما انحرف وزاغ؛ فإن الله تعالى يحب التوابين ويغفر للمذنبين التائبين مهما كانت ذنوبهم ولآثارهم، وقد قال أحدهم:

إذا كنتَ الكريمَ فلا أبالي... ولو بلغت ذنوبي القطرَ عدًّا

وجاء في الصحيح: "إنَّ اللهَ عزوجل يبسطُ يده بالليل ليتوبَ مُسيءُ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوبَ مُسيءُ الليل"¹.

وروى الترمذي عن ابن عمر أن الرسول ﷺ قال: "إن الله يقبل توبة العبد ما لم

¹. أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، كتاب التوبة، باب: في الخس على التوبة، رقم: 2759، ص 1196.

يُعْرِغِر¹.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني، والله! لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، ومن تقرب إليّ شبراً تقربتُ إليه ذراعاً، ومن تقرب إليّ ذراعاً تقربتُ إليه باعاً، وإذا أقبل إليّ يمشي [أقبلتُ إليه أهراً]"².

وحسبنا في هذا المقام قول الله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدِي الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَيَّ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: 53).

والآية الكريمة تدل على كمال رحمة الله تعالى وشمول عفوه وغفرانه، وقد ذكر الإمام الرازي في تفسيره³ أموراً عشرة تدل على هذا، وهي هذه:

- أنه سمي المذنب بالعبد، والعبودية مفسرة بالحاجة والذلة والمسكنة، واللائق بالرحيم الكريم إفاضة الخير والرحمة على المسكين المحتاج.

- أنه تعالى أضافهم إلى نفسه بياء الإضافة؛ فقال: "عِبَادِي"، وشرف الإضافة إليه يفيد الأمن من العذاب.

- أنه قال: "لَا تَقْنَطُوا"، نهاهم عن القنوط فيكون هذا الأمر أمراً بالرجاء، والكريم إذا أمر بالرجاء فلا يليق به إلا الكرم.

- أنه لما قال: "إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا" كان الواجب أن يقول إنه يغفر الذنوب، ولكنه لم يقل ذلك، بل أعاد اسم الله وقرن به لفظة "إِنَّ" المفيدة لأعظم وجوه التأكيد، وكل ذلك على المبالغة في الوعد بالرحمة.

¹. أخرجه الترمذي برقم (3537)، من حديث عبد الله بن عمر، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (454/3).

². أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب التوبة، باب: في الحظ على التوبة والفرح بها، برقم: 6952، ص 1189.

³. الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط 1، 1401هـ-1981م، 03/27-05.

- أنه لو قال " الذُّنُوبُ " لكان المقصود حاصلًا لكنه أوردفه باللفظ الدال على التأكيد؛ فقال " جميعاً "، وهذا أيضاً من المؤثرات.

- أنه وصف نفسه بكونه غفوراً، ولفظ الغفور يفيد المبالغة.

- أنه وصف نفسه بكونه رحيماً، والرحمة تفيد فائدة على المغفرة، فكان قوله: " إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ "، إشارة إلى إزالة موجبات العقاب، وقوله: " الرَّحِيمُ " إشارة إلى تحصيل موجبات الرحمة والثواب.

- إن قوله: " إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ " يفيد الحصر، ومعناه أنه لا غفور ولا رحيم إلا هو، وذلك يفيد الكمال في وصفه سبحانه بالغفران والرحمة، والآية والحديث الذي نحن في ظلاله يفيدان واسع عفو الله وعظيم رحمتهم ولو بلغت الذنوب عنان السماء [أو] أتى الإنسان ربّه بقراب الأرض خطايا ومعاصي.

فعلى المذنب مهما كثرت معاصيه ألا ييأس من رحمة الله، وألا يستكثرها ولو بلغت ملء الأرض والسماء، فإن عفو الله تعالى أعظم، ولكن على شرط الاستغفار باللسان، والإقلاع عن الذنوب بالفعل، وتصميم القلب على عدم الرجوع إلى الذنوب، ومجاهدة النفس دأباً حتى تروض وتستقيم على الحياة.¹

المطلب الثالث- جهوده في مجال العقيدة الإسلامية.

تكمُن أهمية التوحيد -الذي هو رأس مباحث العقيدة- وفضله من حيث كونه هو الغاية التي خُلق لأجلها الخلق، وأنه أصل الدين، وأساس دعوة المرسلين؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يُوجِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء: 25)، وأن الإيمان شرط لصحة الأعمال وقبولها، لقوله عز وجل ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة: 112)، وأن فساد الإيمان سبب لرد الأعمال

¹. محمد الصالح الصديق، السراج المنير (الأعمال الكاملة، مرجع سابق) المجلد 07، ص 53.

وحبوطها في الآخرة، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَبَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ﴾ (التوبة: 54)، كما أن تحقيق التوحيد وتصحيح العقيدة شرط أساسي لحصول النصر والتمكين للأمة وتحقيق النصر؛ قال تعالى: ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (النور: 55).¹

وللأستاذ عناية واضحة بالعقيدة الإسلامية؛ تجلت في إرشاد المسلمين إلى تقوية العلاقة بالله تعالى، والتنويه بالخصائص المثلى لدين الإسلام، والتأكيد على ضرورة الأخذ بالأسباب الموجبة لتمتين الإيثار، وبيان أسباب الانحراف ومناشئها ومظاهره والدعوة إلى منابذة أهله، والمقطفُ به أن الأستاذ قد استفاد ذلك كله من القراءان الكريم لشدة تعلقه به وطول مصاحبته له؛ ومن السنة المطهرة كذلك، ومن دعوات المصلحين قبله؛ لا سيما أعلام الإصلاح في الجزائر، فقد كان تصحيح الاعتقاد هو جوهر دعواتهم ومحور كتاباتهم.

واتسم "الدرس العقدي" لدى الأستاذ بجملة سمات يمكن الاجتزاء بذكر بعضها كما يلي:

- سهولة الأسلوب ووضوحه، ومنطقية الأفكار وتسلسلها، "لأن الغاية منه لفت الأنظار إلى هذا الدين العظيم الذي عرفه مفكرو الغرب فأشادوا بفضله، وأخذوا يدخلون فيه، لأنه دين العلم والعقل والحضارة الحقيقية"².
- اصطبغ بحوث الأستاذ ومقالاته العقديّة عامة بالصبغة القرآنية، وهذا أصل

¹. زياد بن حمد العامر، المدخل إلى العقيدة الإسلامية، دار التحرير للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط3، 1441هـ-2020م، ص57-58.

². الصديق، هذا هو الإسلام، مرجع سابق، ص23.

جليل اتسمت به كتابات المتقدمين فازدانت بأنوار الحق، لأن القرءان -لمن آمن به وعلم مكانته ووقف على منهاجه- هو أصل الاستدلال وإمام الحجج وأم البراهين.

- عدم الاكتفاء بالتقرير والتنظير -مع أهميته وشدة الحاجة إليه- والانتقال إلى طور التطبيق، من خلال تنزيل الأحكام على الوقائع بما يمكن من الاستفادة بشكل أكبر وأعمق من النصوص الداعية إلى تصحيح الاعتقاد؛ ذلك أن "علم العقيدة لا ينبغي أن يكون علماً نظرياً جافاً لا روح فيه، بل هو الذي ينبغي أن يوقد روح الإيمان في سائر أفعال المكلفين وأخلاقهم، وأن يكون واقعاً عملياً في حياة المؤمن"¹.

- التجاني عن الدخول في المعارك الكلامية بين الفرق الإسلامية، وتلك المعارك منها ما عفى الزمن على أكثرها فلم يعد لها في الغالب وجود أو أثر، ومنها ما يزال موجوداً ولكن لم يعد لإثارته داع؛ بحيث يمكن أن يستفاد بعرضها أو يترتب عن التفريط في تناولها تقصير في بيان العقيدة الإسلامية الصحيحة؛ أو أن مجرد إعادة عرضها والتأليف فيها مما يشغب على الحالة الدينية لبلد ما، ومن ذلك مثلاً مسألة خلق القرءان، ومسألة خلق أفعال العباد، وغيرها من المسائل الشائكة.

- تعزيز إيمان الفطرة في القلوب، والإشارة إلى شواهد من الوجود؛ لقوله تعالى: ﴿سَرَّبْنَاهُمْ دَرَأَيْنَا فِي الْأَبْوَاحِ وَيَتَذَكَّرُونَ أَنفُسَهُمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَّهُمْ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت: 53)، ويستغل الأستاذ هذا السياق للإشارة إلى تفاهة الملحدين وسخف عقولهم؛ فهو يرى أن الإلحاد ضعف وانسلاخ من الإنسانية الكاملة، يجعل الملحدين تافهاً، والملحدون والوجوديون - وهم جنس واحد- شذوا شذوذاً أعمى عن قانون الفطرة السليمة.

¹. العامر، المدخل إلى العقيدة الإسلامية، مرجع سابق، ص 67.

- نقل أقوال الغربيين المنصفين من فلاسفة ومفكرين وأدباء ومستشرقين ومشاهير حول دين الإسلام، وصدق دعوته، ومكامن قوته، ومجالات تأثيره. وهذا الاتجاه - في الاحتفاء بإقرار الغربيين بسماحة الإسلام وأصالة شريعته - سائد في عامة كتب الأستاذ التي يتحدث فيها عن الإسلام وكتابه العظيم ورسوله الكريم ﷺ.

وفيما يلي عرض لثلاثة نماذج من كتاباته العقديّة في ثلاثة محاور مختلفة، وهي الشرك ومظاهره، ومنهج التلقي، والبدع والخرافات.

نماذج من كتاباته العقديّة:

- مقال بعنوان "مظاهر الشرك" يقول فيه الأستاذ: "ما يزال الإيمان ببعض التقاليد البالية، والخرافات المنكرة، شائعاً في بعض البلدان - وخاصة أريافها - إلى اليوم، رغم انتشار العلم والمعرفة.. فهناك مثلاً البناء على القبور، وإبقاء السرج عليها لإنارتها، والمبيت عندها، والطواف حولها، والتمسح بها وباعتابها، والتدحرج عند المقابر تبرُّكاً، وربط الخيوط والخرق على الأشجار بقصد الشفاء، ورفع العرائض لأرباب القبور، والاستغاثة بالأنبياء والأولياء، والتوسل بهم.. وكذلك ما شاع بين الناس من الاستشفاء بالتائم والعزائم والبخور،.. وكذلك ما شاع من أنواع الدجل والتضليل والتعمية والتليس؛ كعلم الرمل وأسرار الكف وفتح الفنجان والمندل وفتح الكتاب.. كل هذا باطل منكر يتنافى ومكانة الإنسان في هذه الأرض كعاقل مفكر، كما يتنافى والتوكل على الله، الذي هو التفويض لأمره بعد استنفاد الوسع في طلب الأسباب ومحاولة تحقيق المطلوب. وأيضاً في الاعتماد على الوهم والخرافة والجهاد.. إهمال للعقل وتعطيل للإرادة وإشراك بالله وزهد في الأسباب العلمية التجريبية.. على الإنسان أن يعمل ويجاهد.. ولا يغتر بكواذب الآمال وسفاسف الأمور، والمعول في كل هذا على صلاح العقيدة وقوة الإيمان

وسلامة القلب: فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور"¹.

- مقال بعنوان "إيمان الطهر" وفيه أن شاباً سأله عن معنى قولهم "اللهم إيماناً كإيمان العجائز"²، فأجابه الأستاذ بما يلي: "إن السلف الصالح كانوا يتحاشون الفلسفة، ويجافونها على أنفسهم، يقولون هذا القول، ويريدون به إيماناً قوياً، راسي القواعد، ثابت الوطائد، لا تهزه الشبهات، ولا يزعزعه الجدل الفلسفي. فإيمان العجائز ثابت راسخ لأنه إذعان طبيعي، لا دخل لدليل فيه أو حوار ومجادلة.. ولذا لا يترزع"³.

- كتب الأستاذ في التنفير من البدع، والتمثيل لبعض المخترعات في الدين مقالاً بعنوان "أفعال ينكرها الشرع ويرفضها العقل"، قرب فيه الموضوع بمشاهدات حية لبعض زملائه ممن وقف على تلك البدع؛ جاء في المقال ما يلي: "كثير من الناس يصلون ويصومون ويمجّون، ولكنهم ليسوا في مستوى الإيمان الصحيح الذي يجعلهم يرون الحق حقاً والباطل باطلاً، بل هم ينقادون للعادات البغيضة والبدع الضالة المقيتة.. وتعجب أن يبقى في القرن العشرين من لم يصل إلى أذنه صوت الحق. ذكر لي زميل أن شيخاً تحدّث في مآثم وقال: إن روح الميت تبقى في ثيابه التي مات فيها، ولا تخرج منها إلا بعد ثلاثة أيام من دفنه، ولذا لا يجوز أن تغسل أو تهدى إلا بعد هذه المدة. وهذا معتقد باطل لا يقبله عقل ولا يقرّه دين سماوي. وحدّثني آخر؛ قال إنه حضر هذه الأيام جنازة بقصيدة البردة بصوت مرتفع، وهذه بدعة لم تكن معروفة في زمن الصحابة والتابعين وغيرهم من السلف الصالح، والسر في المشي مع الجنازة للتفكير في الموت وما بعده، ورفع الصوت

¹. الصديقي، سلسلة ما قلّ ودلّ، مرجع سابق، 4/334-335.

². نقلت هذه العبارة عن جماعة من المتكلمين كالجويني والرازي والشهرستاني، ينظر: بشير عبد العال، "دين العجائز أو مذهب العجائز"، ملتقى تفسير، تاريخ التصفح: 2023/09/05م، على الساعة 00.29. الرابط:

<http://mtafsir.net/forum>

³. الصديقي، نور على نور، سلسلة ما قلّ ودلّ، مرجع سابق، 2/423.

بالذكر ينافي هذه الحكمة.. أما الموائد الحافلة بما لذ وطاب في المآتم، فأمر ينافي الشرع والذوق معاً، وكل هذه الأمور يجب أن تختفي من حياة المسلمين إن كانوا مسلمين حقاً¹.

المطلب الرابع- جهوده في خدمة التراث

إن الاحتفاء بالتراث مظهر من مظاهر الاعتزاز بالماضي التليد لأمة ما أو بحقبة مضيئة منه، والاعتناء بالتراث فعل ثقافي وحضاري تقوم به جميع الأمم التي تريد أن تربط حاضرها المعاصر بجذورها التاريخية، ولا يقتصر الأمر في إحياء التراث على مجرد ذلك فحسب، فلعل طول الانشغال بالماضي ومنجزاته قد ينسي الالتفات إلى الحاضر المعيش، ويبطئ بالعودة إليه، لمعالجة مشكلاته، لأن حركات إحياء التراث الناجحة كثيراً ما يرتبط نجاحها بمدى ملاءمة النواحي المعالجة للواقع المعيش، ويمكن للقارئ أن يستشف بوضوح علامات التوفيق في ما قام به الأستاذ في مجال إحياء التراث.

رغم عدم تفرغ الأستاذ -من قبيل التخصص الوظيفي- لمجال التحقيق، بسبب انصرافه المبكر إلى الكتابة والتأليف استقلالاً، ورغم زحمة أعماله الفكرية استطاع أن يستخلص فرصاً ثمينة للمشاركة في حركة الإحياء العلمي، وبدت مشاركته في تلك الحركة بشكل يسمح للقارئ بتحصيل انطباع جيد عن علاقة الأستاذ بالعلوم التقليدية المختلفة، التي حفظ فيها أيام الطلب متوناً كثيرة، ودرّس بعضاً منها كذلك في الفترة التي تولى فيها الإشراف على المعهد الليولي. هذا فضلاً عن اطلاع فكري عميق، وذوق أدبي رفيع. وعلى أي حال، يمكن إجمال الإسهام العلمي للأستاذ في خدمة التراث فيما يلي:

أولاً- تراث الإمام عبد الحميد بن باديس: جُمع تراث الإمام ثلاث مرات؛ أولها

¹. مرايا، سلسلة ما قل ودل، مرجع سابق، 3/331.

ما قام به الدكتور عمار الطالبي في غرة الاستقلال وجاء جمعه في أربعة أجزاء¹. وُجِع بعض تراث الإمام مرة ثانية من طرف المرحوم الشيخ محمد الصالح رمضان والشيخ توفيق شاهين، وتعلق الأمر بتفسير الإمام المسمى "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير" في جزء ضم زهاء خمسمائة صفحة²، كما جمع الشيخ رمضان أيضاً ما رواه عن الإمام من دروس في العقائد وسماه "العقائد الإسلامية". ثم لما ولي الشيخ الراحل عبد الرحمان شيبان وزارة الشؤون الدينية، رأى أن يقوم بجمع تراث الإمام مرة ثالثة³ وبشكل أوسع، فأسند مهمة الجمع والتحقيق لهئية علمية، عين على رأسها للإشراف عليها الأستاذ محمد الصالح الصديقي (العضو بالمجلس الإسلامي الأعلى)، وضمت نخبة من الباحثين ممن لهم صلة وثيقة بتراث الجمعية؛ وهم: الشيخ علي شنتير (العضو بالمجلس الإسلامي الأعلى) الذي وضع تحت تصرف الهيئة مجموعة الشهاب التي كانت عمدة العمل، والشيخ علي مرحوم (الأمين العام للمجلس الإسلامي الأعلى سابقاً) الذي ساهم في إعداد الجزء الثاني، والشيخ محمد نسيب الذي شارك في الجزء الأول⁴، والشيخ عمار سفسوف، والأستاذ محمد الهادي الحسيني الذي شارك في إنجاز الجزأين الثالث والرابع، بالإضافة إلى نخبة من الأئمة بقسنطينة - حيث كان عمل الهيئة - وتمثل عملهم في نقل ما في الصحف الموجودة في مصلحة الأرشيف بالولاية، وكان مع هؤلاء السيد الهادي بالعباس مدير الشؤون الدينية بقسنطينة، وكذا الشيخ الهاني البسطانجي بمطبعة البعث لمواكبة ما تم إنجازه. فقامت الهيئة بالمهمة على أحسن قيام، وأخرجت تراث الإمام ابن باديس من مختلف ما كتبه أو أملاه فيما تفرق من صحف ومجلات ومخطوطات، وانطلقت العملية من "الشهاب"، وكذا من صحف الجمعية

¹. نشر بالاشتراك بين دار ومكتبة الشركة الجزائرية لأصحابها مرازقة وبوداود، بمطبعة دار اليقظة العربية.

². طبع بمطبعة الكيلاني الصغير بالقاهرة.

³. أعيد نشر الآثار على نفقة وزارة الثقافة بمناسبة سنة "الجزائر عاصمة الثقافة العربية" سنة 2007م.

⁴. ينظر: آثار الإمام ابن باديس، مرجع سابق، 15/1.

ك "السنة"، و"الشريعة"، و"الصراط"، و"البصائر"، ومن غير صحف الجمعية ك "الجزائر"، و"النجاح" التي كتب فيها الإمام هي الأخرى قبل أن يؤسس صحيفته "المنتقد" سنة 1925م.¹

وأخرج تراث الإمام بعد ثلاث عشرة سنة متواصلة من العمل الدؤوب، والجهد المضني، وكان محصوله ستة أجزاء تمثلت فيما يلي:

- الجزء الأول: بعنوان "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، وهو التفسير المعروف الذي نشر للإمام في حلقات تباعا على صحيفة "الشهاب". وطُبع التفسير حسب رغبة الشيخ عبد الرحمان شيبان -وزير الشؤون الدينية آنذاك- تحضيراً للاحتفال بالذكرى العشرين لاستقلال الجزائر.

- الجزء الثاني: لم يكن بحسبان فريق العمل أن تتواصل عملية الجمع والتحقيق بعد إنجاز الجزء الأول، لأن الرغبة كانت متوقفة عند إخراج تفسير الإمام فحسب، ولكن شدة إقبال القراء من أهل العلم والمثقفين على الإصدار الأول للهيئة، وإلحاحهم على مواصلة العمل دفع هيئة إحياء التراث لتجديد عزمها، فشرعت رأساً في جمع مواد عمل آخر للإمام في السنة النبوية، وصدر هو الآخر في مدة وجيزة تحت عنوان "مجالس التذكير من حديث البشير النذير".

- الجزء الثالث: طبع هذا الجزء سنة 1984م تحضيراً للاحتفال بالذكرى الثلاثين لاندلاع الثورة التحريرية، واشتمل على أربعة أقسام؛ وهي: "رجال السف ونسأؤه"، و"تراجم أعلام"، و"القصص الديني"، و"فتاوى ومسائل فقهية".²

- الجزء الرابع: صدر هذا الجزء سنة 1985م، وتضمن الأقسام التالية: "التربية والتعليم"، و"الخطب"، و"الرحلات"، وألحق بهذه المحاور مجموعة من المقالات

¹. رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 422/1.

². المرجع نفسه، 423/1.

والنصوص لجماعة من العلماء لاتصالها بموضوعات الكتاب.

- الجزء الخامس: فرغت الهيئة من جمع مادة هذا الجزء سنة 1986م، لكن ظروفاً حالت دون إخراجها، فصدر سنة 1991م، وتضمن ستة موضوعات؛ وهي: الإصلاح، والسياسة، والاجتماعيات، والتاريخ، والبرقيات والاحتجاجات، والفواتح والخواتم، والمقصود بها الافتتاحيات التي صدر بها الإمام أو الكلمات التي ختم بها أعداد بعض الصحف كالشهاب والبصائر وغيرهما.¹

- الجزء السادس: تواصل عمل الهيئة في تتبع آثار الإمام، وخصص هذا الجزء لنشر كل ما اعتقد أنه من كتابة الشيخ ابن باديس، وتعلق الأمر بالمقالات التي أمضاها الإمام بغير اسمه الصريح؛ وحملت الإماءات التالية: العبسي، وابن الإسلام، والقسنطيني، والجزائري، والصنهاجي، ولم تقم الهيئة بنشر كل ما حمل تلك الإماءات إلا بعد دراسة استقرائية وتحرراً قصد فيه جماعة من المشايخ والأساتذة الذين لهم دراية بالإمام تتلمذاً أو صحبةً أو زمالةً كالشيخ أحمد حماني، والشيخ محمد خير الدين والشيخ حمزة بوكوشة، وقد اطمأن فريق الهيئة إلى صحة ما نسبوه من كتابات غير ممضاة باسم الشيخ بالنظر إلى الدراية التي اكتسبها خلال اثنتي عشرة سنة من ملازمة تراث الإمام، والتعود على أسلوبه. وقدّم لهذا الجزء العلامة أحمد حماني نزولاً عند إلحاح زميله الأستاذ محمد الصالح الصديقي، فنشط لكلمة التقديم رجاءً في "حسن ظن صديق عزيز جاداً في عمله، كفاء لكل ما يتولاه، صبور على ما يعترض سبيله من عقبات، دؤوب على إنتاجه المفيد، متقن لعمله، محقق بقدر استطاعة أمثاله من العلماء"²

وقال الشيخ حماني مشيداً بهذا العمل الكبير، بعد أن أجرى الشكر للأستاذ على

¹. رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 425/1.

². آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، مرجع سابق، 05/6 (المقدمة).

عمله: "ولو لم تكن له -أي: للأستاذ- من أعمال سوى بعثه لآثار ابن باديس، لكفاه أنه بعث هذه الشخصية من جديد ليعرفها الأجيال، كيف وله آثار كثيرة تخلد ذكره وتجعله بحق من رجال التفكير والتدبير في أجيالنا، وتمحو عار الكسل والعقم والتقصير عن معاصرنا"¹.

ثانياً- تراث العلامة الرزقي الشرفاوي: كان للأستاذ الفضل بعد الله تعالى في التعريف بهذا العلم الإصلاحي الكبير، فقد كتب عنه مقالاً نشر في مجلة "الثقافة" سنة 1974، ثم وسعه في كتاب مستقل طبع سنة 1998م، وجاء في مئة وثلاث وتسعين صفحة، ثم باشر الحديث عنه في كل مناسبة تسنح له، سواء في الكتابات أو المحاضرات أو اللقاءات المختلفة، خصوصاً ما تعلق منها بسيرة الأستاذ الخاصة. وأصبح الأستاذ هو الوسيط المباشر لجميع من ترجم للعلامة الشرفاوي -رحمه الله تعالى-. أما خدمة تراث هذا العالم من قبل الأستاذ فلم تكن عملاً كبيراً وموسعاً لاعتبارين مهمين:

- الاعتبار الأول: انحسار تراث الشرفاوي بعد ضياع أكثر أعماله بين تخريب ونهب وتلف ومصير مجهول، ولم يبق سوى بضع رسائل في مكتبات خاصة.
- الاعتبار الآخر: أن مجرد التعريف بالعلامة الشرفاوي قد يعتبر في حد ذاته إنجازاً مهماً، بالنظر إلى التجاهل الذي طال هذا العلم لفترة طويلة، بالرغم من كونه عالماً أزهرياً أمضى شطراً من حياته خارج بلده لطلب العلم، وكانت له إسهامات في عدة صحف إصلاحية، فضلاً عن لقاءه التاريخي بالإمام ابن باديس ودعوة هذا الأخير إياه للعمل في الجمعية.

ولذلك، فإن قصارى ما استطاع الأستاذ تحقيقه من تراث الشرفاوي هو التعليق على رسالة شيخه والتقديم لها؛ وهي الموسومة "إثبات هلال رمضان بالطريقتين

¹. آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، مرجع سابق، 6/13.

الشرعية والفلكية"، وهذا الكتاب في الأصل سلسلة مقالات نشرها الشيخ الشرفي في "البصائر" سنة 1936م، تحت عنوان "إثبات هلال رمضان وتعميم ذلك بالتليفون واختلاف المطالع"، وقبل وفاة الشيخ بأربعة أشهر بدا له أن يجمع تلك المقالات، فأمر تلميذ محمد الصالح بأن يقوم بذلك ويقدم للمجموعة بمقدمة، ويحتفظ بها إلى أن يحين الوقت لطباعتها، فقام الأستاذ بجمعها والتقديم لها، لكنه لم يوفق لطباعتها إلى بعد عودته من الزيتونة وانتصابه مدرّساً بالزاوية اليلولية، حينها كتب مقدمة جديدة للكتاب إذ لم يرتض المقدمة التي كتبها أولاً، وعرض رغبته على المجلس الاستشاري في طباعة الكتاب بهال الزاوية فتم الاتفاق، وصدرت الطبعة الأولى في الجزائر العاصمة سنة 1955م، ثم أعيد طباعة الكتاب سنة 2012م، بدار طليطلة بالجزائر، في أربع وستين صفحة من القطع المتوسط، منها خمس وثلاثون صفحة لترجمة الشيخ الشرفاوي.

ثالثاً- تراث العلامة طاهر الجزائري: لم يكن من نية الأستاذ تحقيق تراث هذا العلامة الموسوعي الشهير، ولكنه أثناء بحثه في الجانب العقدي للكتابة فيه -رغم إفراده له كتباً خاصة- لم يجد أفضل من تعريف القارئ الجزائري بكتاب مبسط في الموضوع ككتاب الشيخ طاهر الموسوم بـ "الجواهر الكلامية"، وهذا في حد ذاته خدمة للشيخ طاهر، فضلاً عن أنه خدم كتابه المذكور خدمة علمية، قُرب من خلالها الدرس العقدي في أسلوبه المبسط، البعيد عن تكلفات المتكلمين، وتمحلات الفلاسفة، وتخرصات الخرافيين. أما عمل الأستاذ فقد تجلّى في التعليق على كلام الشيخ طاهر في كتابه المذكور؛ أي على شاكلة المتن والشرح. وأما منهجه في التعليق، فيمكن إجماله في ما يلي:

- يعرّف بالمصطلحات العقدية تعريفاً لغوياً -واصطلاحياً أحياناً- يقرب المراد منه.

- يعرف بالمسألة في تعليق موجز، متجنباً ذكر الخلاف والخوض فيه إذا لم يكن له ثمرة، أو لا يناسب طبقة القراء المخاطبين بالكتاب وشرحه.

- ينقل عن الأئمة ما يعزز قول صاحب المتن، أو ما يعقب به عليه، مع عدم الالتزام غالباً بالعزو إلى مورد النقل، فلعله اعتماداً على حفظه.

- يعلق بما يؤكد معنى جليلاً قصرت عنه عبارة المتن بسبب الاختصار والإيجاز.

نماذج من تعليقاته: تم اختيار مجموعة من التعليقات التي وضعها الأستاذ على "الجواهر الكلامية"، وهي تعليقات من مواضع مختلفة وفي أبواب متفرقة من العقائد؛ فمنها:

- أجاب الشيخ طاهر بأن "مذهب السلف أرجح لأنه أسلم وأحكم"، فقال الأستاذ تعليقاً: لما في طريقتهم من السلامة من تعيين معنى قد يكون غير مراد لله تعالى.¹

- وقال معلقاً في مسألة الاستواء: والذي ترتاح إليه النفس، ويطمئن إليه القلب هو أن نثبت الاستواء، ونؤمن به على ما يليق به تعالى بلا كيفية أو هيئة مخصوصة، وللآية أمثلة كثيرة.

وقال معلقاً في مسألة اليدين: ولا يمكن حمل اليدين في قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (ص: 75) على القدرة؛ فإن الأشياء كلها - حتى إبليس - خلقها الله بقدرته، فليس هناك لآدم خصوصية يتميز بها. وأيضاً فلفظ اليدين بالثنائية - كما في شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية - لم يعرف استعماله إلا في اليد الحقيقية، ولم يرد قط بمعنى القدرة أو النعمة؛ فإنه لا يسوغ أن يقال خلقه الله بقدرتين أو بنعمتين. والحكمة أن نثبت لله تعالى ما أثبتته لنفسه ونزهره عن التشبيه بالمخلوقات، وهذا ما

¹. الجزائري، الجواهر الكلامية، مرجع سابق، ص 333.

عليه أهل السنة.¹

- وتعليقا على قول الشارح عند تفسير الكوثر في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (الكوثر: 01) بأنه نهر في الجنة. قال الأستاذ معلّقاً: الكوثر فَوْعَلٌ من الكثرة؛ قال الكميّ:

وأنت كثير يا ابنَ مروانَ طيّبٌ .:. وكان أبوك ابن البعائل² كوثرًا

فسّر بعض العلماء الكوثر بالخير الكثير، وهو أعمّ مما فسره به الآخرون بالنهر في الجنة.³

- وتعليقاً على جواب الشارح بأنه لا يُقبل من العبد الاعتذار بالقدر، لا عند الله سبحانه وتعالى ولا عند الخلق، لوجود الإرادة الجزئية له، والقدرة والاختيار والعقل. قال الأستاذ: من العصاة من يحتجون بالقدر لعصيانهم؛ تقول لشارب الخمر: لم شربت الخمر؟ فيقول: شربتها لأنها قدرت عليّ، وتقول لتارك الصلاة: لم لا تصلي؟ فيقول قدر عليّ ألا أصلي!! وهو احتجاج باطل مردود بوجود الإرادة الجزئية على الفعل والترك. ولأن شارب الخمر مثلاً لم يطبع على اللوح المحفوظ حتى يرى أن شرب الخمر مكتوب عليه كما يدّعي، وإنما لبّى نداء الشهوة، وانصاع لأمر النفس، ووقع تحت تأثير الشيطان. وقد احتج المشركون هذا الاحتجاج فقالوا: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُنَا﴾ (الأنعام: 148)، فردّ عليهم الله بقوله: ﴿فَلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ يَتَخَرَّجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ (الأنعام: 148)، أي: من أين لكم أن الشرك مقدر عليكم؟

1. الجواهر الكلامية، مرجع سابق، ص 332.

2. البيت في ديوان الكميّ، وفيه قوله في العجز "العقائل" دون "البعائل"، والبيت في أغلب كتب اللغة، ينظر: ديوان الكميّ بن زيد الأسدي، تحقيق: محمد نبيل طريفي، دار صادر، ط 1، 2000م، 177.

3. الجواهر الكلامية، مرجع سابق، ص 371.

إن هذا إلا إفك وبهتان.¹

المطلب الخامس - جهوده في مجال الفكر الإسلامي.

أولاً- بيان أصول الإسلام وخصائصه ومزاياه: يكاد أن يكون هذا المجال هو أخصّ اهتمامات المفكر، والسبب كما هو معلوم هو كثرة اطلاع المفكر الإسلامي على أعمال المستشرقين وأطروحات الغربيين حول الإسلام، ومدى حرص المفكر الإسلامي على تحليل الخطاب الغربي وتوجيهه وردّ الشبه الواردة فيه، بيان حقيقة الإسلام وأصوله وخصائصه ومزاياه، ومن هنا ينزع المفكر من خلال منهج استقرائي "اجتهادي" إلى تعداد تلك الأصول والخصائص والمزايا وحصرها والاستدلال لها، وهو جهد عسير بلا شك، بالإضافة إلى ما فيه من مخاطرة، ليس من جهة الحصر فحسب؛ فإن هذا الأمر مما تختلف في تقديره الأنظار، ولكن من حيث القطع بكون الأمر أصلاً من أصول الإسلام أو خصيصة من خصائص أو مزية من مزاياه، وتصديره على أنه كذلك.

وفيما يلي سرد موجز لأصول الإسلام² كما يجدها الأستاذ تتبعاً واستقراءً، ويعرضها نوعاً وحصراً.

الأصل الأول- التخليص بين الإنسان وخالقه: والمقصود به نفي الوساطة التي فرضها الكهنة على الأتباع، وسيطر بها رجال الدين على العقول، واستبدوا بها على المشاعر والأحاسيس، حتى جاء الإسلام فخلّص بين الإنسان وخالقه، وقرر أن الله تعال قريب من عباده؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ اجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا ۗ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: 186)، وبهذا الأصل العظيم، تحرر الإنسان من التبعية المرذولة، إلا من تبعيته

¹. الجواهر الكلامية، مرجع سابق، ص 377.

². الصديق، هذا هو الإسلام، (الأعمال الكاملة، مرجع سابق)، المجلد 10، ص 68 وما بعدها.

لخالقه.¹ ويدخل في هذا الأصل ما عبّر عنه الأستاذ في موضع آخر بـ "التجريد ثم التوحيد"، ونقل فيه قول ابن عطاء الله السكندري في الحكم "كيف يشرق قلبُ صور الأكوان منطبعة في مرآته، أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبّل بشهواته"، ثم شرح الأستاذ هذا الأصل العظيم بأن من يقبل الله إسلامه هو من يتبرأ من الشرك ظاهره وباطنه، ويتبرأ من الشبهات والأوهام.²

الأصل الثاني- تحكيم العقل والاحتكام إليه والاعتراف بحقوقه: لقد أكثر القرءان من ذكر العقل بصيغ مختلفة؛ منها قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: 75)، كما ورد التعبير بـ "أفلا تعقلون" و "لعلكم تعقلون" مرات عديدة. ويرى الأستاذ أن السنّة ليست إلا كالقرآن في العناية بالقرآن والإشادة به، وساق بعض الآثار للاستدلال على ذلك؛ منها "الدين هو العقل، ولا دين لمن لا عقل له"³، ومنها "لا يعجبكم إسلام رجل [امرئ] حتى تنظروا ماذا عُقِدَ عقله"⁴، ومنها "يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم، وتواضعوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم به وما نُهيتم عنه، واعلموا أنه محذركم عند ربكم"^{5,6}.

الأصل الثالث- محاربة التقليد: يأخذ الأستاذ من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي عَادَ مَ ﴾ (الإسراء: 70) مغالاة الإسلام بقيمة الإنسان، ودعوته إلى النظر والاستدلال، وتحذيره من التقليد والانقياد دون علم، ومطالبته للاهتمام بعقله، وتحقيق سيادته

1. المرجع السابق، ص 68.

2. الصّدّيق، الإسلام والحرية، مرجع سابق، ص 16.

3. قال الألباني: باطل، ينظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة، مكتبة المعارف، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط 1، 1412هـ-1992م، 53/1. وقال ابن القيم: أحاديث العقل كلها ضعيفة، ينظر: المنار المنيف في الصحيح والضعيف، دار عطاءات العلم للنشر، ط 4، 1440هـ-2019م، ص 25.

4. رواه ابن حبان في "المجروحين"، 142/1.

5. ضعيف، أخرجه العراقي في "تخريج الإحياء"، 230/1-231.

6. هذا هو الإسلام، مرجع سابق، ص 69.

على بقية المخلوقات، ويسوق الأستاذ للنعي على التقليد بعض الآيات؛ كقوله عز وجل: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْفِلُونَ ﴾ (البقرة: 170)، وقوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَٰئِكَ عَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (المائدة: 104)، ويستدل لشؤم التقليد على صاحبه بقوله تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ۗ ﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَّبَرًا مِثْلَ مَا تَّبَرْنَا مِمَّا كَذَلِكِ يُرِيهِمْ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ (البقرة: 166-167).¹

الأصل الرابع- طلب الدليل على كل ما يتطلب التصديق: يقرر الأستاذ أن الإسلام لا يقبل الأقوال التي يعوزها الدليل، لا يقنع بمجرد الانطباعات أو الفروض، بل يطالب بالبحث الموضوعي النزيه القائم على العقل المؤدي إلى اليقين والاعتقاد، ويسوق من القرآن الكريم ما يدل على أن الإسلام دين حجة وبرهان؛ قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ۖ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة: 111)، قال الرازي -رحمه الله-: "دلت الآية الكريمة على أن المدعي سواء ادعى نفيًا أو إثباتًا، فلا بد له من الدليل والبرهان، وذلك من أصدق الدلائل على بطلان القول بالتقليد"². وهذا الأصل لو ألحق بسابقه فلعله يكون أنسب من إفراده، فإن طالب الدليل تارك للتقليد على كل حال.³

الأصل الخامس - النظر في الكون وما فيه من عجائب وأسرار: إذا كانت الفلسفة

¹. هذا هو الإسلام، مرجع سابق، ص 72.

². ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، 03/4.

³. ينظر: هذا هو الإسلام، مرجع سابق، ص 74.

اليونانية، التي سادت العالم القديم وسيطرت على الفكر الإنساني آنذاك، قد قامت على أساس التفكير النظري المجرد، وأغفلت الواقع المحسوس، فإن القرآن الكريم قد جاء بفلسفة تقوم على توجيه العقول والأبصار إلى عالم الحس والواقع، وربط الفكر بما في الكون من مظاهر وآيات، ومن تتبع القرآن وجد الآيات الكونية تربو عن سبعمائة آية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْبُلُوكِ الَّتِي نَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْبَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَضْرِيحِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: 164).¹ وقد أقر فلاسفة الغرب ومؤرخوه للمسلمين بهذا الشأن؛ فقال العلامة سيديو (Sé dillot): لقد كان المسلمون متفردين بالعلوم في تلك القرون المظلمة، فنشروها حيث وطئت أقدامهم، وكانوا هم السبب في خروج أوروبا من الظلمات إلى النور.²

الأصل السادس - استشعار التبعة الشخصية والاعتقاد بأن الإنسان ليس له إلا ما سعى: يقصد بهذا الأصل ارتباط سعادة الإنسان وشقائه بذاتيته وعمله دون نظر لقراءة أو جاه أو وسيلة، وهذه العقيدة ترسخ في النفس الحرية وتقرير المصير وترك التواكل. ولقد كان الناس قبل الإسلام يعتقدون أن أمر العالم الروحاني بيد رؤساء الدين، وأن بيدهم الإسعاد والإشقاء، والرِّزق والإيلاء، واستدل الأستاذ لهذا الأصل بما وجد في القرآن من دلائل، منها قوله عز وجل: ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَبَعَةٌ وَلَا يُؤَخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (البقرة: 48)، وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ (الانفطار: 19)، بل إن نبي الله نوحاً - عليه السلام - وهو أحد أولي العزم من الرسل توسل إلى الله تعالى في لهفة الوالد المفجوع يستشفع لولده: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ وَ

¹. المرجع السابق، ص 76.

². الإسلام والحريية، مرجع سابق، ص 17.

فَقَالَ رَبِّ إِنِّي بَنَيْتُ مِّنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ (هود: 45)، وبعد أن هدأت العاصفة، وسكن الهول، واستوت السفينة على الجودي، دعا ربه يستنجز عنده وعده في نجاة ابنه، فجاءه الردّ بالحقيقة الكبيرة التي ترجع إليها الخيوط جميعها، وتتلاقى فيها الحقائق كلها: ﴿ قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنِّ أَهْلِكَ إِنَّهُ وِعْمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (هود: 46).¹

الأصل السابع - طلب العلم: يرى الأستاذ أن الإسلام يستهدف صنع الإنسان، وتوجيهه نحو الكمال، وأن ذلك لا يتحقق إلا في ضوء العلم والمعرفة، ومن ثم اهتم الإسلام بالعلم اهتماماً بالغاً، فحثّ على تحصيله، والجدّ في طلبه، ولا غرو، فإن أول ما نزل من القرآن الكريم كان قوله تعالى: ﴿ إِفْرَأْ بِأِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، إِفْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق: 1-5).²

الأصل الثامن - تصيّد الحكمة من جميع مظانها: اهتم القرآن بالحكمة اهتماماً عظيماً، فتكرر فيه ذكرها عشرات المرات، وذكر الأستاذ المعاني المختلفة للحكمة التي ورد بها القرآن، وأشار إلى بعض أهل العلم ممن عُنِيَ بذلك كابن سلام والرازي وغيرهما، واستفاد الأستاذ من مجموع ما نقل من أقوال أن الإسلام يدعو إلى تصيّد الحكمة، من غير نظر عقيدة إلى صاحبها أو جنسه أو لغته، ما دامت الحكمة نافعة وصالحة.³ وهذا الأصل فرع عن سابقه، ولعل الأستاذ أفرد له لحكمة.

الأصل التاسع - المؤاخاة بين الدين والمدنية: يقرر الإسلام أن الدين لا ينافي المدنية، وليس هو عدوّاً لها، وقبل أن يستدل على ذلك من القرآن، نقل الأستاذ

¹. هذا هو الإسلام، مرجع سابق، ص 78.

². المرجع نفسه، ص 82.

³. المرجع نفسه، ص 83.

بضعة نصوص من الإنجيل تؤكد دعوة المسيحية أتباعها إلى التجرد عن الدنيا والانتقطاع إلى الملكوت. أما القرءان فإنه يعنى صراحة على من يحرم ما أحل الله تعالى من الطيبات؛ قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (الأعراف: 32)، وقال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: 77).¹

الأصل العاشر - للوجود الإنساني سنن لا تتبدل: يرى الأستاذ أن "السُّننية" أصل من أصول الإسلام، ولعله يقصد التنبيه عليها، والاهتمام بها، وقراءتها، والانتفاع بها، لا مجرد تأصيل الإسلام لمبدأ "السُّننية"، فإن الأمم تقرُّ بتعاقب الأحداث عليها وإن لم تسمَّها سنناً، ولكن الإسلام تفرد بالدعوة إلى النظر في السنن والاعتبار بها، لأن للمجتمعات الإنسانية أدواراً لا تتحول ولا تتبدل، وأن تلك السنن منسحبة على الملوك والأفراد دونها تفريق أو تمييز؛ قال سبحانه: ﴿فَذَخَلْتُ مِنْ فَئِكُمْ سُنَّتٍ بَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (آل عمران: 137)، وقال عز وجل: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي فَذَخَلْتُ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (الفتح: 23).²

الأصل الحادي عشر - الاعتراف بناموس الترقى: والترقى المقصود به هنا - على ما بيَّنه الأستاذ واستدل له - هو التدرج في الكمالات التي طريقها العلم وسبيلها المعرفة، وإذا كان الأمر على هذا النحو، فإن هذا الأصل ملتحق بالأصل السابع (طلب العلم).

الأصل الثاني عشر - حرية البحث والنظر: هذا الأصل باعتبار كلام الأستاذ فيه تتنازعه عدة أصول، منها ما ذكره كالأصل الثالث والرابع والسابع، ومنها ما سيأتي

¹. المرجع السابق، ص 87.

². المرجع نفسه، ص 89.

كالأصل الثالث عشر، ومنها ما لم يُذكر؛ كأن يكون مثلاً "حرية الاعتقاد" أخذاً من قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: 256).

الأصل الثالث عشر - الاجتهاد: عرف الأستاذ بالاجتهاد عند الأصوليين، وأشار إلى بعض مواصفات المجتهد، وأهمية الاجتهاد في الأمة، وأثره على الفكر الإسلامي.¹

الأصل الرابع عشر - القصد في الأعمال: المراد بالقصد في العمل مراعاة المقدرة عليه، وعدم المغالاة فيه، تحقيقاً لرؤية الإسلام في مخاطبة المكلفين بما يطيقون، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: 185)، ولقوله عز وجل: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: 286)، ولقوله سبحانه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء: 28)، ولقوله عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: 78).²

الأصل الخامس عشر - تقديم العقل: يراجع الأصل الثاني.³

الأصل السادس عشر - تقدير كثير من الأحكام بالعرف المألوف: رغم أن العرف من مصادر التشريع الموهومة - كما يعبر عنه -، إلا أنه حكم فيها لا نص فيه في كثير من النوازل والأقضية التي تحدث للناس، وفي هذا دلالة على ساحة التشريع الإسلامي واتساع أفقه.⁴

الأصل السابع عشر - تقرير مبدأ الشورى: كانت طاعة الحكام قبل الإسلام شديدة الوطأة على المحكومين، حتى جاء الإسلام فأبقى للحاكم حق الطاعة، ولكنه كفل للمروؤوس حق الرقابة والمساءلة للحاكم، من خلال نظام الشورى

1. هذا هو الإسلام، مرجع سابق، ص 94.

2. المرجع نفسه، ص 96.

3. المرجع نفسه، ص 97.

4. المرجع نفسه، ص 98.

الحكيم، وأشار الأستاذ إلى أهمية الشورى بجامع اقتران ذكرها بالصلاة والصدقة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (الشورى: 38).¹

الأصل الثامن عشر - إيثار السلام على الحرب: يرى الأستاذ أن السلام هو الغاية من الحياة في نظر الإسلام، ولكن السلام المطلوب هو الذي يقوم على الحق والعدل، لا الذي تمتهن فيه الكرامة ويسقط فيه الشرف، وهذا المعنى مقرر بأجود ما يكون الوصف في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُمُوهُ وَأَعْمَلَكُمْ مَآءًا ﴾ (محمد: 35). وقد أطال الأستاذ النفس في هذا الأصل مقارنة بما سبق، لأنه عني فيه بالرد على ما يثيره خصوم الإسلام من شبهات حول انتشار الإسلام بالقهر والغلبة وحدد السيف، وساق لذلك طائفة من الآيات التي تبين عن سماحة الإسلام، مشيراً إلى الحالات التي حق للمسلمين إشهار السيف فيها؛ كالدفاع عن النفس، ومحاربة الظالمين المعتدين، وغير ذلك، أما ما عداه فعلى المسلمين الالتزام بقوله سبحانه: ﴿ فَإِنِ عَتَزَلُوكُم مِّنْ بَلَمَةٍ يَغْتِلِبُوكُمُ وَالْفَوَاقِلِ إِلَيْكُمْ أَسَلَّمْ مِمَّا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ (النساء: 90).²

الأصل التاسع عشر - تقريره لحقوق الإنسان: لقد تفرد الإسلام بالدعوة إلى المساواة بين جميع بني الإنسان في الحقوق العامة، مؤكداً على إلغاء الفوارق الظاهرة في الجنس والعرق واللون واللغة، ومحافظاً في الوقت ذاته على نوع من "العلوية" والتميز القائم على التقوى، قال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ إِنَّ اللَّهَ

¹. هذا هو الإسلام، مرجع سابق، ص 99.

². المرجع نفسه، ص 100.

عَلِيمٌ حَبِيرٌ ﴿ (الحجرات: 13).¹

الأصل العشرون- وحدة الإنسانية: يعتبر الإسلام الإنسانية كلها أسرة واحدة متشابكة الأجزاء، متكافلة الأعضاء، قال تعالى قد يصلح أن يلتحق هذا الأصل بسابقه، لأن آية التعارف المذكورة آنفاً شاملة لهذا الأصل كذلك.

الأصل الواحد والعشرون- السياحة في الأرض للنظر والاعتبار: لعل هذا الأصل لو أُلحِق بالأصل العاشر (سنن لا تتبدل) لكان أنسب، فقد تطرق هنا للنظر في الأمم، والتعرف على أسباب رقيها وانحطاطها، والوقوف على سنن الله في شؤون الأفراد والجماعات، كما أن فيه أيضاً شرطاً يتصل بالأصل الخامس (النظر في الكون وما فيه من عجائب وأسرار).

الأصل الثاني والعشرون- الأخذ بالأحسن: يستدل الأستاذ لهذا الأصل بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الصَّالِحِينَ﴾ (الزمر: 17)، ويرى أن في الآية دعوة صريحة إلى سماع كل قول، واستعراض كل مذهب، في غير عنصرية وتعصب، ثم تدبّر ما يقع في السمع، وتمييز طيبه من خبيثه، وصحيحه من فاسده.² وقد مرّ الحديث عن هذا المبدأ في الأصل الثامن، فلعلها يكونان أصلاً واحداً.

أما خصائص الإسلام ومزاياه، فقد صرح الأستاذ بأنها كثيرة، فاكتفى ببيان بعضها، وذكر منها تسعاً؛ وهي³:

- ملاءمته لجميع الأجناس البشرية: وهذه مأخوذة من عالميته، في الحجّة والخطاب والتشريع والزمان والمكان.

¹. هذا هو الإسلام، مرجع سابق، ص 103.

². المرجع نفسه، ص 105.

³. يلاحظ أن ثمة تداخلاً فيما ذكره الأستاذ بين خصائص الإسلام ومزاياه وبين أصوله الآنف الذكر، وسنشير إلى ما تكرر ذكره من ذلك.

- وسطيته الجامعة لمطالب الروح والجسد معاً: وسبيلها تحقيق التوازن بين العبادة والعمل الصالح والتحلي بمكارم الأخلاق (باعتبارها مطالب روحية) وبين الطعام والشراب واللباس والوقاع (باعتبارها مطالب جسدية)، واستدل لهذا المبدأ بقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: 31-33). وهذه الخاصية امتاز الإسلام عن دعاة المادة المفرطين من جهة وعن دعاة الروح المفرطين من جهة أخرى؛ فقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: 143).

- هدفه إلى سعادة الدنيا والآخرة:

- دعوته إلى التعارف والتألف.²

- كونه يسراً لا حرج فيه³: وهذه واحدة من أهم خصائص الإسلام، وأظهر الدلائل المفسرة لسرعة انتشاره، وقوة جاذبيته، وحسن قبوله، ويتصل بهذه الخصيصة قاعدة مهمة من القواعد الكلية الكبرى وهي أن "المشقة تجلب التيسير"، ومثل الأستاذ لهذه الخصيصة بأن الذي يشق على المكلف أدأؤه يسقط عنه إلى بدل كالمريض الذي يرجى برؤه يسقط عنه الصوم ويقضيه، أو يسقط مطلقاً كحالة المريض الذي لا يرجى برؤه، فلا يقضي ولكنه يطعم مسكيناً.

- منعه للغلو في الدين.

- قلة تكاليفه.

- انقسام تكاليفه إلى عزائم ورخص: استدل لها الأستاذ بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ

¹. ينظر: الأصل التاسع من أصول الإسلام، ص 221.

². ينظر: الأصلان التاسع عشر والعشرون، ص 223.

³. ينظر: الأصل الرابع عشر، ص 222، وهو للميزتين الموالبتين كذلك.

أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ إِصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ (فاطر: 32)، قال الأستاذ: كان ابن عباس يرجح الرخص، وابن عمر يرجح العزائم، والناس درجات في التقصير والتشمير والاعتدال، فيوافق البدوي الساذج والفيلسوف الحكيم، وما بينهما.

ثانياً- الدعوة إلى التجديد: موضوع التجديد والاجتهاد من أهم الموضوعات التي اشتغل عليها العلماء والمفكرون، وعامة من يكتب في هذا الموضوع يستند إلى قوله ﷺ: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"¹، وهذا الحديث أصل في الباب وتمسك قوي عند من يقول به، بل إنه يعدُّ "إحدى البشائر بحفظ الله لهذا الدين مهما تقادم الزمان، وبكفالاته سبحانه إعزاز هذه الأمة ببعثة المجددين الربانيين الذين يحيونها بعد موات، ويوقظونها من سبات، بما يحملونه من الهدى والنور، وأن هذا البعث والإحياء يتجدد كل قرن من الزمان. والحديث يمنح المسلم طاقة من الأمل الأكيد، بأن المستقبل للإسلام، مهما تكاثرت قوى الشر، وتعاضم طغيان الباطل"².

ولعظمة أمر التجديد في الدين، تناوله العلماء -على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم- تفسيراً لألفاظه وشرحاً لمعانيه وتأليفاً فيه، فتناوله الأصوليون في مبحث الاجتهاد والتقليد والفتوى، وتناوله المحدثون من جهة الرواية، وشرّاح الحديث عند الكلام عن فقه الحديث السابق وما كان في بابه، كما تناوله أصحاب الطبقات والتراجم والسير، وغيرهم. وعلى غرار أولئك العلماء، تناول مترجمنا

1. أخرجه أبو داود في السنن من حديث أبي هريرة برقم (4291)، وصححه الألباني، ينظر: صحيح سنن أبي داود، مرجع سابق، 23/3.

2. عدنان محمد إمامة، التجديد في الفكر الإسلامي، دار ابن الجوزي، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط1، 1424هـ، ص55.

كذلك موضوع التجديد باعتباره رافداً مهماً من روافد الدفاع عن الفكر الإسلامي، فلقد أُلّف الأستاذ في هذا المجال أكثر من كتاب؛ من ذلك كتابه "الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي"، وكتابه "الإمام السيوطي وكتابه في الاجتهاد"، فضلاً عما نثره في مختلف كتبه ومقالاته من أحاديث ونقول في هذا الباب، ولا شك أن في عدم الاكتفاء بكتاب واحد في الموضوع تأكيداً على أهميته، ورغبةً في إيفائه حقّه من الدراسة والبيان، وهذا¹ الجهد بصّر الأستاذ بعمق الاجتهاد في الفكر الإسلامي، وسعة أفقه، وغزارة أفكاره ومناحيه، وأهميته في بقاء الإسلام قوياً يواكب الحياة، ويلبي حاجة الإنسان في كل زمان ومكان.

أما إسهامه بالكتابة في موضوع الاجتهاد والتجديد، فإنه قد لامس فيها نواحي مختلفة تعريفاً وإيضاحاً ومناقشةً وإثراءً، وسنركز فيما يلي على عرض ما يبدو أكثر أهمية:

1. **مفهوم التجديد:** يرى الأستاذ أن التجديد من خصائص الإسلام، ومن أروع مظاهر حيويته وفتوته، ومرونة مبادئه، ونزعة الدائمة إلى مواكبة الحياة في تجديدها وحركتها وتطورها. وقد صوّر الأستاذ التجديد تصويراً بديعاً، وهو أن² مثل التجديد مثل المجرى الطويل من النهر، حين يُترك مندفعاً لا تحوطه وسائل الحماية، من شواطئ عالية، أو سدود تحول بينه وبين أن يفقد محتواه الأصلي، بل قد تعلق به أعشاب وأوساخ تتكدس وتعوقه عن المسير، فإذا أزيلت صفا الماء، واندفع في طريقه قويا إلى الأمام، ومن هنا كان ظهور المجددين للفكر الإسلامي أمراً ضرورياً، للحيلولة بينه وبين التوقف، أو ترك مجراه الأصلي، أو طغيان الأعشاب عليه فتختفي حقائقه.

2. **من هو المجدد؟** في حديثه عن الفرق بين النبي والمجدد، أشار الأستاذ بأن

¹. الصديق، الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي (الأعمال الكاملة، مرجع سابق)، المجلد 17، ص 42.

². المرجع نفسه، ص 44.

هذا الأخير ليس كالنبي مأموراً من عند الله، بل إنه كثيراً ما لا يكون عالماً بكونه مجدداً، وإنما يعلم الناس ذلك بعد موته، فينشرون أعماله، ويعرفون مآثره ومناقبه، وقد يؤمنون بكونه مجدداً حال حياته ووجوده بينهم، فيجتمعون حوله، حسب تأهلهم بالوعي والفقه والصلاح، ولا يتأخر عنه إلا من في طبعه عوج أو في نظره قصوره. أما المجدد ذاته، فإن فكرة التجديد إنما تأتيه من شدة شعوره بسوء الوضع مثلاً، فيدعو إلى فكرته "التجديدية"، ويستدل لها، ويبرهن عليها، ثم إنها -على غرار غيرها من الأفكار- قد تجد آذاناً صاغية وقلوباً واعية فتقبلها، وقد تتعارض مع مصالح وتصادم أهواء فترفضها، وغالبا ما تسفها وتكيد لها.¹

وكان الأستاذ استشعر استنامة كثير من الناس إلى الاكتفاء باتباع الرجال الأموات الذين قضوا صادقين، وذلك عملاً بالأثر المشهور عن ابن مسعود -رضي الله عنه-: "من كان مستنّاً فليستنّ بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة"²، ودلالة الأثر ظاهرة في ترك التمسك بالحي لطروء الفتنة عليه وعلى من يتبعه، فلزم الاستئناس بمن مات إن كان قد قضى ثابتاً على دينه، ومع ذلك فإن حاجة الأمة للأحياء تظل متأكدة، لما يعرض لها من نوازل وظروف تستدعي من يجدد لها دينها كما جاء في الحديث، وقد نقل الأستاذ في هذا السياق كلاماً مهماً للعلامة الندوي يؤكد هذا المعنى.³

وتحت عنوان "نظرات في حديث التجديد"⁴، تساءل الأستاذ عن السنة التي أشير إليها في الحديث، هل هي الهجرية أم غيرها، وتساءل أيضاً عن طبيعة المجدد هل هو فرد واحد أم هو جماعة بحيث يمكن أن يتعدد، فيبعث الله تعالى على رأس

¹. ينظر: الاجتهاد والتجديد، مرجع سابق، ص 46.

². الفاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، كتاب الإيمان، باب: الاعتصام بالكتاب والسنة، رقم: 193، ص 397.

³. الاجتهاد والتجديد، مرجع سابق، ص 79.

⁴. المرجع نفسه، ص 114.

المائة سنة جماعة من العلماء الذين يتميزون بمرونة العقل وذاوة الفؤاد وعمق الإدراك والشجاعة الأدبية والجزارة العلمية، أم إن المجدد كلاهما؟ ومال في الجواب إلى عدم تقييد الحديث لذلك، واستأنس لرأيه بأن "مَنْ" الموصولة تفيد العموم ولا تختص بالفرد ولا بالجماعة، وساق لذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ إِبْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (الأنعام: 25)، والصلة بعد الموصول "ي"، إما أن يراعى فيها الموصول فيفرد فيها الضمير نحو الآية السابقة، وإما أن يراعى فيها معنى الجمع، فيؤتى بالضمير جمعاً نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَلْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (يونس: 49). وجريا على هذه القاعدة، يرى الأستاذ أن التجديد مثلما يكون للأفراد، فإنه يكون كذلك - كما سماه - "تجديداً متعدياً"، ومثل له بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومثل له أيضاً بعلماء الأزهر الذين يقومون بحركات فكرية من أجل العودة بالمسلمين إلى الوسطية الإسلامية.¹

ولعله استأنس بمن سبقه لمثل هذا الرأي، فنقل عن العلامة الحجوي قوله: "فالظاهر عندي أن كل من قام بخدمة نافعة للدين، علماً أو سياسة، يصدق عليه هذا الحديث"، إلى أن قال "فمن خدمها في أصول الدين أو فروعها، أو علم الأخلاق أو الأدب واللسان العربي، تعليماً أو تأليفاً، أو شد أركان الدين سياسة بالملك والسلطان، يصدق عليه الحديث، سواء أكان أوّل المائة أو وسطها أو آخرها".² وخلص الأستاذ في هذه المسألة إلى أن المجدد يمكن أن يكون واحداً أو أن يكون متعدداً، كما خلص إلى أن التجديد لا يكون بالضرورة دينياً، ولا يكون المجدد بالضرورة كذلك، فزعم التجديد لغير أصحاب الشريعة، ومثل لذلك بطائفة من مشاهير الأعلام في مختلف مجالات الحياة، قال: فكل من الأمدي، وابن

¹. المرجع السابق، ص 115.

². المرجع نفسه، ص 119.

حزم، وجلال الدين المحلي، والشاطبي، والقرافي، والزمخشري، والآلوسي، وابن خلدون، وابن خلكان، والمسعودي، والرافعي، والزيات، وشكيب أرسلان، والعقاد، ومحمد الخضر حسين، وشلنتوت، وأمثالهم مصلحون مجددون.¹

3. **مجالات الإصلاح والتجديد:** يتجه التجديد إلى كل ناحية من النواحي التي يطرأ عليها الفساد بتحريف أو تبديل أو تأويل، ولا شك أن كل مجالات الدين من عقائد وتشريع وأخلاق هي الأخرى عرضة لذلك الفساد، فهي إذاً خليقة بالإصلاح والتجديد، وقد أشار الأستاذ في حديثه عن ميادين التجديد، إلى أهمية العقيدة وخطورة فسادها وضرورة الاتجاه إلى إصلاحها والتجديد فيها بما يعيدها إلى سيرتها الأولى، وذلك بتحريرها من التقاليد الموروثة الزائفة، والتفسيرات المنحرفة الخاطئة، والأوهام والخرافات، ومن تلك الأوهام والانحرافات الخوف من غير الله تعالى، والخضوع لغيره، والتقرب إلى الأولياء طمعا في نفعهم. ومن ذلك ما يمارسه الزائرون للقبور والأضرحة، من البدع والمنكرات، بعد أن كانت تزار للاعتبار، ومنها تشييع الجنائز بقراءة البردة وغيرها، ومنها الاجتماع لقراءة الدلائل والأوراد برفع الأصوات.²

4. **وظيفة التجديد:** نقل الأستاذ عن بعض المفكرين عمل التجديد، وقد حصره في ثماني شعب، فجاءت كما يلي:

- تشخيص أمراض البيئة التي يعيش فيها المجدد تشخيصاً صحيحاً.
- تدبير الإصلاح، ويكون بتعيين مواضع الفساد.
- اختيار المجدد نفسه وتعيينه لحدود عمله، وتقديره لقوته ومقدرته، واختياره ناحية الإصلاح التي يراها مناسبة.

¹. المرجع السابق، ص 125.

². المرجع نفسه، ص 56.

- تغيير أفكار الناس وطبع عقائدهم ومشاعرهم ووجهات نظرهم الخلقية بطابع الإسلام، وإصلاح نظام التعليم والتربية، وإحياء العلوم والفنون الإسلامية، وبالجملة بعث العقلية الإسلامية الخالصة من جديد.
- محاولة الإصلاح العملي، وذلك كإبطال التقاليد الجاهلية، وتزكية الأخلاق، وإشباع النفوس، وترشيح رجال يصلحون أن يكونوا زعماء من الطراز الإسلامي.
- الاجتهاد في الدين.
- الكفاح والدفاع، ومناضلة القوى السياسية الناهضة.
- إحياء النظام الإسلامي، وإقامة الحكم كما سماه الشارع "الخلافة على منهاج النبوة".¹

5. **طبيعة التجديد:** وقف الأستاذ في "حديث التجديد" عند عبارة "أمر دينها"، فتساءل من خلالها عن طبيعة التجديد، هل هي ما يشير إليه ظاهر العبارة فحسب، وأن كل إصلاح خارج مجالات الدين المختلفة (عقيدة وشريعة وأخلاقاً)، كأن يكون في السياسة واللغة والتعليم وغيرها لا يعتبر من قبيل التجديد؟ فرأى أن الصواب في المسألة هو أن كل من يقوم بحركة واعية إصلاحية، في أي مجال من مجالات الحياة يعدّ مصلحاً، لسبب واضح هو أن كل ما يحقق سعادة الإنسان في هذه الدنيا، ويحقق رضا الله تعالى هو من الدين،² وأشار الأستاذ إلى أن التجديد المنوط بالمصلحين يتمثل في الدعوة إلى الاهتمام بالقرآن الكريم، وشرحه شرحاً صحيحاً يتفق وأهدافه ودوره في الحياة، وتوجيه المسلمين إلى الأخذ به وبما يدعو إليه.³

أما الميدان الثاني فهو ميدان التشريع، ففي حديثه عن هذا المجال ألمح الأستاذ

¹. الاجتهاد والتجديد، مرجع سابق، ص 51-52.

². المرجع نفسه، ص 118.

³. المرجع نفسه، ص 67.

إلى القواعد التي تركز عليها الشريعة الإسلامية، والسمات التي تميّزها، ورأى أن دور الصالحين في ميدان الشريعة هو التوفيق بين حياة الناس والتشريع، حتى يؤدي دوره في الحياة، وقد عبّر عن هذا العدل الاجتهادي الدائب المتحرك، والدائم النشاط، المصلح الاجتماعي الأول والمجدد العظيم عمر بن عبد العزيز، بقوله: "تُحدّث للناس أفضية بقدر ما أحدثوا من فجور"¹.

وأما الميدان الثالث فهو ميدان الأخلاق، فلا أهميتها لم تجتمع النفوس على شيء اجتماعها على الأخلاق، فقد ارتابت في الإله، وكذبت الرسل، وأهملت الشرائع، ولكنها لم يأت عليها يوم زعمت فيه أن الصدق والأمانة والصبر أمور ضارة، وأن الكذب والخيانة والجزع أمور نافعة، لذلك كانت رسالة الأنبياء في مختلف العصور تحث على الأخلاق الفاضلة.²

¹. ينظر: القيرواني، ابن أبي زيد، متن الرسالة، بيت الحكمة، الجزائر، ط2، 2013م، ص 128.

². الاجتهاد والتجديد، مرجع سابق، ص 75.

المطلب السادس - جهوده في مجال التراجم والسير ومنهجه فيها.

لقد أسهمت المكتبة الجزائرية إسهاماً ملحوظاً في أدبيات التراجم، بأعمال جلييلة ما تزال محط الأنظار ومحل الدراسة، واختلفت تلك الأعمال هي الأخرى على غرار سابقتها في العالمين العربي والإسلامي تبعاً لها وتأثراً بها، فتعددت مناهج الكتابة فيها، وتنوعت موادها، وتباينت مواردها، فنزع بعضها إلى العالمية طلباً للشمولية في الزمان والمكان، ولم يقتصر على قطر دون قطر، ولا على فترة دون أخرى، أو تخصص دون غيره، ولقد اختار الأستاذ أن ينوع في كتاباته الترجمة؛ من حيث الموضوع والمادة والمنهج والأسلوب؛ على أن مجموع ما كتبه في هذا المجال يمكن تقسيمه إلى شعبتين كبيرتين؛ هما: الترجمة الذاتية والتراجم العامة، وفيما يلي تفصيل الحديث عن تلك الشعبتين.

أولاً- الترجمة الذاتية: أما هذه، فلم يشرع الأستاذ في كتابتها في فترة مبكرة، وهذا الأمر -رغم بدايته- طبيعي، لاتصاله بالمرحلة العمرية الحافزة على تدوين "سجل العمر" قبل الرحيل، إلا أننا نجد جماعة من مشاهير الفكر والأدب والسياسة قد ألفوا مذكراتهم في مرحلة مبكرة نسبياً، ولكن تأخر كتابة الأستاذ لمذكراته راجع كما قال¹ إلى تمسكه بخلق التواضع وهضم النفس الذي اجتهد في التحلي به لمدة طويلة، ومع ذلك فقد بدرت بوادر حملته على التعجيل بتدوين سيرته بنفسه، حتى لا يفتات عليه غيره، فينسب إليه ما لم يكن، وقد حدث ذلك² فعلاً من بعض الكاتبيين، كما أن في الركون إلى التواضع تضييعاً للحقوق ودفناً للحقائق.

¹. الصديق، رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، 09/1.

². ذكرنا أمثلة في مواضع متفرقة من هذا البحث؛ منها ما كتبه المدعو عمران جعجع حول عملية العصفور الأزرق في مقال بعنوان "عفا الله عما سلف" في جريدة الشعب اليومية بتاريخ 11/04/1990م، ومنها ما كتبه المدعو رابح مشحود في مذكراته 1/62، 64، وقد عرضت على الأستاذ في مقابلة أجريتها معه في بيته بتاريخ 07/06/2023م، جل ما ادّعه في حقه ذلك الرجل ففند ما نسب إليه، وأخبرني بأن الأستاذ إساعيل ميرة يحضر لطباعة كتاب كبير يرد فيه على المدعو رابح مشحود.

دوّن الأستاذ سيرته في ثلاثة كتب "رحلتي مع الزمان" (2010م) في جزئين، و"شريط الذكريات" (2016م) في أربعة أجزاء، و"مدارس لولاها ما كنت" (2017م)، كما ترجم نفسه في صدر كتابه "الله أكبر" (2023م) في 116 صفحة، وفي القسم الأول من كتابه "خواطر وذكريات" (2023م) في خمس عشرة صفحة، وهي جميعاً وإن اتفقت في الغرض وتشابهت في المضمون وهذا ما يفسر التكرار الموجود فيما بينها، فقد تباينت من حيث المادة والمقدار والمنهج.

وهذا العدد من الكتابات كفيلاً بعدم التزيد على الأستاذ من قبل من يكتب عنه مادحاً أو قادحاً، مستحسناً أو ناقداً، بالقدر الذي يثلم به سيرة الأستاذ، خصوصاً وأن لكتاباته شواهد من كلام العلماء والأدباء والكتّاب الذين عرفوه طوال مسيرته الجهادية والقلمية.

كما أن في هذا الكمّ من الكتابات "السيريّة" إبطالاً لدعوى أن أهل العلم لا يكتبون مذكراتهم¹، وفتحاً لباب الكتابة لمن يريد ذلك من العلماء وتشجيعاً لهم، فقد كان هذا النوع من الكتابة منحصراً لوقت طويل في فئة الأدباء والمفكرين والسياسيين أيضاً، باعتباره لوناً من ألوان الأدب المتحرر من عقدة المصارحة والمكاشفة وذكر التفاصيل التي يبحث عنها القراء عادة في الحياة الشخصية للمشاهير، بالإضافة إلى أن في هذا النوع أيضاً قدراً من الاعتداد بالجهود والقدرات

¹. تكاد هذه الدعوى أن تكون صحيحة، فلا يعرف في سير العلماء والفقهاء والمفكرين والدعاة سوى عدد قليل؛ من ذلك "ذكريات" للشيخ علي الطنطاوي، و"ابن القرية والكتاب" للشيخ القرضاوي، أما في الجزائر فالأمر دون ذلك، ولا يكاد القارئ يعرف سوى "مذكرات" الشيخ محمد خير الدين، و"مذكرات شاهد للقرن" للمالك بن نبي، و"حياة كفاح" لتوفيق المدني باعتبار انتسابه لجمعية العلماء، أما التراجم الذاتية فلا نعرف سوى ما كتبه العلامة البشير الإبراهيمي تحت عنوان "أنا" وهو مقالة عرف فيها بنفسه بمناسبة تعيينه عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، والمقالة منشورة بمجلة الثقافة، السنة الخامسة عشرة، العدد 87، 1405هـ-1985م، ص 11-37، وتقع في ست وعشرين صفحة فقط رغم حياة الإبراهيمي الحافلة بالإنجازات والمزدهمة بالأحداث.

التي تصل عند بعض الكتّاب أحياناً إلى حد الادّعاء¹ المزيّف، ومن هذه الناحية "الأخلاقية" فإن علماء الشريعة يجتنبون غالباً كتابة مذكراتهم، ليس في الجزائر فحسب بل في جميع البلاد الإسلامية.

وكأن الأستاذ اطمأن إلى ما سيكتب عن سيرته لما تضافرت حولها الأدلة والشواهد والشهادات، فرأى أن يوجه همته وتفكيره حول أمر آخر لا يقل أهمية، وهو تضمين مذكراته ترجمة شخصيات علمية وأدبية وفكرية وسياسية ووطنية عرفها وعاش معها، وكان لها الأثر الإيجابي الفعال في الإسلام والعروبة والوطنية، وجلّ تلك الشخصيات قد التحقوا برهبهم، ولا يزالون يعيشون في القلوب صوراً مشرقة عن حب الوطن وصدق الجهاد، ولكن لهم أو لبعضهم أخطاء أو عيوباً أو عثرات، بحكم البشرية، فهل من الأمانة ذكر ذلك؟ هذا ما يقتضيه التاريخ والمنطق والمنهج العلمي.² ومن ثم، فإن اختيار المصارحة المستندة إلى الحقائق الثابتة والأدلة الظاهرة، فضلاً عن الالتزام بالصدق في القول والأمانة في النقل والتعفف في النقد والدقة في التحليل لا يضير الرجل لو كتب مذكراته على منوالها، لكن المرء إذا فعل ذلك، فسيزعزع في النفوس الثقة، ويقوض فيها الأمل، ويطفئ عاطفة الوطنية، ويخمد جذوة الاعتزاز بالماضي المجيد، فيدب الريب بعدها في كل شيء، هذا ما رجحه الأستاذ، فمال إلى الاقتصار على بث حسنات أولئك الأعلام والرموز، إشفاقاً على ذهابها، خصوصاً وقد انفتح الناس على عالم الإعلام، وكثرت الكتابات التاريخية، وفيها كثير من الطعن في القيم الروحية والوطنية، والتشكيك في الهوية والانتماء، والتشكيك في الأحداث والوقائع، ومحاولة إسقاط الرموز والقدوات، كل ذلك تحت

¹. مثلنا آنفاً على هذا الادّعاء بمذكرات رابح مشعود، وينظر أيضاً: فضلاء، محمد الحسن، التحريف والتزييف في حياة كفاح، ص 305، 309، 317، وينظر: المدني، أحمد توفيق، حياة كفاح، الجزء الثالث: مع ركب الثورة التحريرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، 1982م، ص 302-305، تحت عنوان: مقابلة حاسمة مع ملك ليبيا، وقد أشار إليها الأستاذ واستغربها، ينظر: رحلتي مع الزمان، 31/2-32.

². رحلتي مع الزمان، مرجع سابق، ص 12/1.

غطاء حرية التعبير، والبحث العلمي، وغيرها من الأغراض المغرضة.

ثانياً- التراجم العامة: تقدم تحت العنوان السابق، تردد الأستاذ في كتابة التراجم العامة بين عرض الحقائق المتعلقة بالرموز والأعلام من حسنات وسيئات، ومن مناقب ومثالب، فرأى بعد دراسة متأنية، وتفكير في العواقب، أن يقتصر على ذكر الجانب المضيء فحسب. بقي أن يعرف القارئ "الصناعة الترجمية" لدى الأستاذ، وشيئا عن مواردها ومادتها وترتيبها وبنائها.

1. مادتها: تنوعت مادة تراجم الأستاذ من حيث الزمان والمكان؛ أما من حيث الزمان فالغالب عليها تراجم لشخصيات معاصرة أو حديثة لم يعاصرها (الأفغاني ومحمد عبده والمراغي وظاهر الجزائري والحداد، الخ)، ولكن له كذلك تراجم انتقى شخصياتها من التاريخ الإسلامي، وهذا الصنف يكاد ينحصر في كتاب واحد هو "شخصيات ومواقف"، أما شخصياته التي في كتابه "الرافضون عبر التاريخ" فتكاد أن تكون من قبيل القصص التاريخي، لشدة تركيزه فيها على جانب المواقف. وأما من حيث المكان، فجّل تراجمه جزائرية باستثناء مجموعة شخصيات عربية وإسلامية، وفيها من لم يكن كذلك وهو جد قليل (روجي جارودي، فرانز فانون، ملفين، الخ). كما أنه كتب تراجم جزائرية أكثر تحديداً في كتابه "أعلام من منطقة القبائل" الذي احتوى على تسع وأربعين علماً.

2. مواردها: تعددت مصادر تراجمه بشكل عام؛ بين مصادر مكتوبة وهي محدودة، ومصادر شفوية وهي قليلة أيضاً، وأكثرها في كتابيه "أعلام من المغرب العربي" و "أعلام من منطقة القبائل"، ونوع ثالث من المصادر وهو الانطباعات الشخصية التي رصدها من خلال الصلة المباشرة بمن يترجم له، وهذا النوع من المصادر هو الأكثر مصداقية بالنسبة للكاتب والقارئ كذلك، على أنه من غير الضروري اطلاع الكاتب على تفاصيل كثيرة من حياة المترجم، حتى يكون صادقا في الكتابة عنه، بل المطلوب هو تحصل صورة إجمالية تكشف عن شخصية المترجم

وتسمح للقارئ بالنفوذ إلى عالمه، وقد أشار الأستاذ إلى هذا المعنى في حديثه عن الشيخ حمزة بوكوشة؛ فقال: "لم أسافر معه، ولم أزماله في العمل، ولم يكن مسكنه قريباً من مسكني حتى أعرف منه الظاهر والباطن، والكبيرة والصغيرة، ولكنني جالسته مراراً، وحاورته كثيراً، وواكبته في جل ما نشر من الصحافة، ووقفت على صور صادقة من فكره تجلو حقيقته، وترفع الستار عن شخصيته"¹.

3. ترتيبها: وبالنسبة لمنهج العام في كتابة تراجم من حيث الوضع والترتيب؛ فإن القارئ إذا استعرض كتب التراجم والطبقات وجدها لا تجري في ترتيب الأعلام على نهج واحد، فكل مؤلف يختار الطريقة التي يجدها أوفى بالغرض وأسهل في التناول وأدّل على المقصود بأدنى جهد، وقد جرى أكثرهم في ترتيب الأعلام حسب ترتيب المعجم، فيما اختار غيرهم طريقة الترتيب على سنيّ الوفاة وهو ما يعرف بطريقة "الطبقات".

أما الأستاذ، فقد اختار لنفسه في عامة ما وضع من تراجم التحرر من تلك المناهج المتبعة، فلم يأخذ بأيّ منها، بل إنه أرسل تراجمه من غير ترتيب، ولقد قصد بذلك إعمال التشويق في نفس القارئ من جهة، والانسحاق لما اتفق له من دوافع نفسية مختلفة من جهة أخرى²، وهو بهذا يضع مترجميه كما يقول العقاد "بغير مفاضلة مقصودة بين الذين ذكرناهم والذين لم نذكرهم، ممن نعرفهم كمعرفتنا بهؤلاء الأعلام والأقطاب، وربما جمعت المناسبة بين طائفة أخرى كهذه الطائفة في مكانتها وحق الكتابة عنها، فلا تحسبها مسألة تقديم وتأخير، ولا مسألة موازنة وترجيح"³.

1. أعلام من المغرب العربي، مرجع سابق، 1099/3.

2. جمال الدين بونقاب ومحمد الصديقي قادري، "محمد الصالح الصديقي وكتابه أعلام من المغرب العربي"، مجلة المنهل، جامعة الوادي، الجزائر، المجلد: 09، العدد: 01، 1444هـ-2023م، ص 294.

3. عباس محمود العقاد، رجال عرفتهم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، المملكة المتحدة، د.ط، 2013م، ص 09 (المقدمة).

4. بناؤها: وأما بناؤه للتراجم، فليس هو الآخر مطرداً، والسبب فضلاً عما ذكر أن الأستاذ إنما يُعنى برصد المواقف، وتتبع صور البطولات في حياة المترجم، أكثر من العناية بالترجمة لحياته نفسها وإن كانت ضرورية، فهو إذن "لا يصرف عنايته فيها لكتابة فصول ومشاهد تتابع السيرة من الميلاد إلى الوفاة، وما يتخللها من أحداث فحسب، وإنما هو يقدم صورة تستكشف الخصال والمكونات والشمائل والطباع، وتشخص الملكات والأخلاق، وتغوص إلى الأعماق، لتسبر مفاتيحها التي دفعت أعمالها"¹.

فرع/ عقائد الأدباء: كان الأستاذ حاضر الإجابة في كثير من المسائل وفروع العلم؛ بفضل اتصاله الوثيق بالمجلات العربية الشهيرة، فقد كان دائم النظر فيها، واستفاد منها بالإحالة عليها في مواضع متفرقة من كتبه ومقالاته؛ ويأتي على رأس تلك المجلات: الهلال والرسالة ومنبر الإسلام وغيرها. وكان يسعفه في النقل حافظة قوية، لكنه عندما يجيل بذكر الجزء والصفحة فلا شك أنه يعود إلى الموضوع من باب الثبوت، أو أنه قد يكون من مقيّداته وقد رأينا بعض ذلك على ظهر أغلفة كثير من أعداد مجلة "الهلال"² التي في مكتبته. ومما يقف عليه القارئ لأعمال الأستاذ في مجال التراجم، ليس هو التذوق الفني للأعمال الإبداعية والفكرية فحسب، وإنما التعرض أيضاً لعقائد المفكرين والأدباء والشعراء والكتّاب، والمباحث المتعلقة بعقائد هؤلاء وفلسفاتهم غالباً ما تكون للأستاذ من قبيل التأمل في كتاباتهم، وأحياناً تكون نقلاً عن من تحدث عنهم، ويأتي هذا العمل على غرار ما يكتبه العقاد مثلاً في "عقائد المفكرين". وفيما يلي عرض لناذج من عقائد الأدباء كما يراها

¹. رجائي عطية، "منهج العقاد في كتابة العبقريات والتراجم"، موقع الأستاذ رجائي عطية، تاريخ النسخ: 2023/08/01م، على الساعة 12:22، الرابط:

<https://www.ragaiattia.com>

². ينظر: الملحق رقم: 54.

الأستاذ، وسنقتصر على ستة أعلام؛ وهم بحسب ترتيب سني الوفاة: ابن المقفع، والمعري، وتولستوي، والزهاوي، والرصافي.

1. عبد الله بن المقفع (ت: 142 هـ): أشكل على بعض الباحثين إسلام ابن المقفع، واستكتبوا الأستاذ في ذلك، فأجاب بالإحالة على ما كتب في هذا الشأن على صفحات الهلال، وهي أجوبة لجماعة من كبار الكتّاب مثل شكيب أرسلان، وشبلي النعماني، وجرجي زيدان، ولويس شيخو، نشرت في أعداد من المجلة سنة 1900م، ورأى الأستاذ أن ينقل عن "الفهرست" لابن النديم وهو من قدماء المؤرخين؛ إذ نص على إسلام الرجل، فقال: "اسمه بالفارسية (روزبه)، وهو عبد الله بن المقفع، ويكنى قبل إسلامه أبا عمرو، فلما أسلم تكنى بأبي محمد".¹

2. أبو العلاء المعري (ت: 449 هـ): سئل الأستاذ غير مرة إن كان الشاعر والفيلسوف أبو العلاء المعري مؤمناً، فكان مما أجاب به أنه مؤمن، ولكنه أحياناً يتأرجح بين الإيمان والشك؛ ومثل الأستاذ لذلك بقول أبي العلاء:

والعقل زين، ولكن فوقه قدرٌ . . . فما له في ابتغاء الرزق تأثير
ما باختياري ميلادي ولا هرمي . . . ولا حياتي فهل لي بعدُ تحيير²

ولكنه يرى أن الجبر ما دام هو كل شيء في الحياة، فالإنسان لا يسعه إلا أن يستسلم، ولكن مع الصبر لإرادة الله، وهذا إذ يقول:

رضاً بقضاء ربك فهو حتم . . . ولا تُظهر لحادثة وجوما³

ونراه في حيرة من مصير الأرواح بعد الموت، فيقول:

1. الصديق، أوراق في الدين (الأعمال الكاملة، مرجع سابق)، مجلد 20، ص 123.

2. ينظر: المعري، أبو العلاء، اللزوميات، تحقيق، أمين عبد العزيز الخانجي، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، د.ط، د.ت، 1/315.

3. اللزوميات، مرجع سابق، 2/299.

أما الجسومُ فللتراب مآلها .:. وعَيَّيتُ بالأرواح أنِّي تسلك¹

وله في التزندق رأي يعبر عنه في بيتين؛ هما قوله:

إن كان لا يحظى برزقك عاقل .:. وترزق مجنوناً وترزق أحمقا

فلا ذنب يا رب السماء على امرئ .:. رأى منك ما لا يشتهي فتزندقا²

ويلخص رأيه في الدين بقوله:

الدين إنصافك الأقوام كلهم .:. وأي دين لآبي الحق إن وجبا³

ما الخير صوم يصوم الصائمون له .:. ولا صلاة، ولا صوف على الجسد

وإنما هو ترك الشر مطّرحاً .:. ونفضك الصدر من غل ومن حسد⁴

ويعتقد الأستاذ أن لفقد المعري بصره، وعيشه طوال حياته في ظلام دامس، قد

أسهم بنصيب وافر في حيرته وقلقه، ومع ذلك فإن المعري يبقى أعجوبة زمانه في

جبروت العقل، وسعة الخيال، والحيرة والشك، ويظل يشد العقول بمثل قوله

معرضاً بالباطنية التي تقول بعصمة الإمام: ⁵

يرتجي الناس أن يقوم إمام .:. ناطق في الكتبية الخرساء

كذب الظن، لا إمام سوى العقل .:. مشيراً في صبحه والمساء⁶

3. ليو تولستوي (ت: 1910م): ذكر في إحدى مجالس الأستاذ الفيلسوف

تولستوي، هل أسلم أم بقي على حاله؟ فأجاب الأستاذ بأن الرجل تأثر بالإسلام

ونبيه محمد ﷺ تأثراً عميقاً، تجلى فيها كتبه عنهما، وذكر الأستاذ أن تولستوي أخذ من

1. المرجع السابق، 153/2.

2. لم أجده في ديوان اللزوميات.

3. اللزوميات، مرجع سابق، 95/1.

4. المرجع نفسه، 272/1.

5. الصديق، خواطر وذكريات، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، د.ط، 2023م، ص 63-65.

6. اللزوميات، مرجع سابق، 55/1.

جوامع النبي ﷺ ثلاثة وعشرين حديثاً جامعاً، نشرها في رسالته التي عُرِّبت في القاهرة منذ أكثر من قرن، وقد اتخذ منها ومن غيرها سلاحاً يرافع به عن الإسلام. ثم تساءل الأستاذ: هل كان تولستوي الفيلسوف مسلماً بعد كل هذا؟ وقال: إن ذلك كان سرّاً بينه وبين نفسه، ولكن من يصاحبه في حياته الفكرية عبر ما سجله عن الإسلام بقلمه، وما صاغه فكره، يعتقد أنه مسلم، والعلم عند الله وحده.¹

4. جميل صدقي الزهاوي (ت: 1936م): طرح كذلك سؤال حول هذا الشاعر العراقي الكبير، عن إيمانه الذي ظل منذ أن مات موضع جدل ونقاش، ومناطق تساؤل؛ فإن من شعره ما يعكس إيمانه، ومنه ما يصور كفره وإلحاده، ونقل الأستاذ أبياتا من شعره الرقيق الناطق بإيمانه، وفيها قوله:²

إليك إلهي في بكاء أجيده .. قصيدا إذا ما نابني الخطب أضرع
قرأت اسمك المحمود في الليل والضحى .. إذ الشمس تستخفي إذا الشمس تطلع
فأيقنت أن الكون بالله قائم .. وأمنت أن الله للكون مبدع
تعاليت أنت الله مقتدرا فما .. يضرك نسيان ولا الـذكر ينفع

5. معروف الرُّصافي (ت: 1945م): جرى ذكر الرُّصافي في مجلس من مجالس الأستاذ، وطلب إليه أن يوجه الموضوع إثر احتداد النقاش بين من يرى إيمان الرصافي وبين من يرى إلحاده، فرأى أن يحيل على ما كتبه الكاتب الإسلامي المعروف محيي الدين سعيد البغدادي الذي اشتهر في الثلاثينيات بردوده القيّمة الصارمة، وقد عثر على قصيدة اجتماعية من نظم هذا الشاعر، نشرت في المنار، وقدم لها العلامة رشيد رضا بكلمة ثناء وتقدير، فكتب إلى الأستاذ محمد أمين هلال يسأله إن كان هذا الشاعر مؤمناً أم ملحداً، لأن أبيات قصيدته تدل على إيمانه، فأجابه بأننا لا زلنا نجزم أن هذا الرجل الذي اتهم الرسول ﷺ بما لا يخطر لعقل على

1. خواطر وذكريات، مرجع سابق، ص 188.

2. المرجع نفسه، ص 57.

بال، وقال في القراءان ما أوحى به شيطان المال الأمريكي إليه، يتزعم عصابة في بغداد تحاول أن ترفع الإلحاد مناراً، وتطعن في الأديان جهاراً، وتؤكد للأخ العالم الجليل بأن حرفة "حرية الرأي" التي يدعيها أولئك المبطلون، إن هي إلا ثوب شفاف ينمّ عما تحته من كيد للإسلام وأهله، سار عليه عصابة المجددين، على آثار أسلافهم من القرامطة والباطنيين، وهو أن هذا الفيلسوف كفر بعد إيمان.¹ وسكت الأستاذ عند هذا النقل ولم يزد عليه في شأن عقيدة الرصافي.

المطلب السابع - جهوده في خدمة اللغة العربية وآدابها ومنهجه فيها

أولاً- اللغة روح الأمة وسرّ وجودها: في مقال له بعنوان "التهاون بقواعد اللغة العربية"، يقرر الأستاذ أن التهوين من شأن القواعد العربية - وهو عند الله وعند العارفين عظيم - جعل الكتاب وخاصة الناشئين منهم الذين أفسحت لهم الجرائد صفحاتها، يخبطون خبط عشواء فيما يكتبون؛ فيرفعون المجرور ويخفضون المرفوع، مما يؤدي إلى انبهام وانطماس في المعاني! إن أكبر المصائب في ميدان العلم والمعرفة أن يريد الكاتب أن يكون أشهر الكتاب، ولكن بلا عناء، ولا انضباط أو التزام وتقيّد بالقواعد التي غيرها لا يستقيم المعنى ولا يتضح.

بل إنه يرى أن اللغة مظهر استقلال الذات، وعنوان الوجود للأمة والفرد، وهي التي تلهم العزة، وتملي الكرامة، وتشعر بالوطنية، والمحافظة على ألفاظها وقواعدها وبلاغتها محافظة على العزة والكرامة والوطنية.²

ومن هذا المعنى وهذا الاعتبار، كان الاحتلال اللغوي أخطر على الأمة من الاحتلال الأرضي، ذلك أن الاحتلال اللغوي يعني في مدلوله العميق احتلال الفكر والوجدان والثقافة، وهذا عين ما دأب عليه المستشرقون، وهو ذاته ما دأب

¹. أضواء وظلمات، سلسلة ما قلّ ودلّ، مرجع سابق، ص 453.

². نبضات، سلسلة ما قلّ ودلّ، مرجع سابق، ص 331.

على دفعه العلماء والمصلحون. وفي بيان تميز اللغة العربية عن سائر اللغات من حيث الكيد لها، وبشاعة الأثر المترتب عن زوالها، ينقل الأستاذ عن العقاد قوله: إن زوال اللغة في أكثر الأمم يبقئها بجميع مقوماتها عبر ألفاظها، ولكن زوال اللغة العربية لا يبقئ للعربي أو المسلم قواماً يميزه عن سائر الأقوام، ولا يعصمه أن يذوب في غمار الأمم، فلا يبقئ له باقية من بيان، ولا معرفة ولا إيمان.¹

ولكن مثل هذا التميز لا يجد مكاناً في قلوب الجاهلين بمكان اللغة العربية في سائر اللغات من حيث الأصل والثراء، فإن أصواتاً نشازاً ما تزال ترتفع من حين لآخر، بادعاءات سافرة ضد العربية، وللإيضاح يرى الأستاذ أن العقبة الكؤود التي تواجه اللغة العربية في عصرنا الحاضرة هي في الإعلام العلماني، وهو بمختلف أجهزته يحاول أن يهون من شأن العربية، ويبعد عنها الشباب العربي، ويقنعهم بشتى الأساليب والحيل الشيطانية بأن هذه اللغة قد تجاوزها الزمن.² ليس هذا فحسب، بل يضيف الأستاذ إلى جناية الإعلام الضال كذلك جناية المدرسة التي تغفل حق الدين الإسلامي والتاريخ المجيد الذي طريقه اللغة العربية، وإذا اقترن هذا التكريس البغيض من طرف المدرسة ببغض الكتاب والجفاء فيه، كانت النتيجة غاية في السوء.³

فهي مجرد لغة تاريخية فحسب، فضلاً عن كونها معقدة، وغير قادرة على مواكبة الحضارة، بل إن الخصوم يوسعون الدعوى لتكون أخطر مما ذكر، فيزعمون أن هذه اللغة بعيدة عن مجرى الحياة العملية، لا تعبر عن حاجات الناس، ولا تهتم بمشكلاتهم، إنها في واد والحياة في واد آخر، مما جعل المتحدثين بها يلجؤون إلى

1. أوراق في الدين، مرجع سابق، ص 60.

2. الصديق، العربية لغة العلم والحضارة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 2009م، ص 102.

3. العربية لغة العلم والحضارة، مرجع سابق، ص 103-104.

اللغات العامية، يعبرون بها عن شؤونهم ويومياتهم¹.

وأما الإعلام الضال الخطير - كما وصفه الأستاذ - فلقد نجح في التهوين من شأن اللغة العربية، إذ ارتبطت في المخيال العام للشباب المتهالك على اللغات الأجنبية دون لغته بالشعر والخيمة والصحراء والأطلال، واستقر هذا التصور إعلامياً في المناسبات التي يراد فيها الحديث عن اللغة العربية وما يتعلق بها من تظاهرات ثقافية كالأمسيات الشعرية والصالونات الأدبية ومعارض الكتاب والمسابقات، وغيرها، ونجح الإعلام كذلك فنياً في "تنميط" ذلك التصور، من خلال توظيف نفس التصاميم الفنية والموسيقى التصويرية والأشكال والزخارف والخطوط والألوان، وما إليها.

ولكن الأستاذ يرى أن مثل ذلك الزعم الباطل أسخف من أن يتكلف المرء الرد عليه، فلقد استوعبت هذه اللغة في الجاهلية حياة البادية والحاضرة، وواكبت في العصر العباسي علوم الفرس والإغريق ونقلت حضارتها، ولكنها إن تأخرت عن مواكبة عصر ما، فليس العيب عيبها، ولا يعود إليها، وإنما يعود إلى أهلها،² وكثير من اللوم إنما يتجه إلى المجامع اللغوية والقائمين عليها والعاملين بها، أما بخصوص التعبير عن مشكلات الناس، فإن من نافلة القول التذكير بأن النهضة العربية الحديثة - على سبيل المثال - لم تعرف طريقها إلى المسلمين إلا بواسطة اللغة العربية الفصحى وصحفها السيارة، وخطبها المؤثرة، وشعرها الأسر، وأدبها الفذ، وهكذا. هذا في وقت ساد فيه الجهل، وتفشت فيه العامية ووجدت لها دعاءً، ومع ذلك فلم يعرف للمصلحين صحيفة واحدة - يعتدُّ بها - بالعامية.

ثانياً - رسالة الأديب: الأديب كما يراه الأستاذ هو ذلك الإنسان المتميز دون غيره بالانفتاح على الجمال أين كان مظهره، وحيثما كان مجلاه: في النفس، وفي

¹. أوراق في الدين، المرجع نفسه، ص 63.

². المرجع نفسه، ص 64.

الأرض، وفي السماء، ويحسن الحديث عن مشاعره وخواطره، ويجيد الوصف، فإذا الصورة تنطق وتحيا، وإذا القارئ ينفعل بالصورة ويحيا في أعماقها. وسئل الأستاذ عن دور الأدباء في تحرير الشعوب، فأجاب بأن الأدباء هم الذين يمهدون للثورات الشعبية، بما يثيرون في النفوس من إحساس بالظلم، وشعور بالحرمان، وكراهية للمستبد الغاشم، وذهب الأستاذ كذلك إلى أن جميع الثورات والانتفاضات الشعبية تسبقها دائما إرهابات أو هزّات شعورية مشبوبة بالمرارة والملل، يثيرها الأدباء ويفجرها الشعراء في أعماق القلوب ويلهبون حماسها في النفوس، فيشيدون ببسالة الشعوب المناضلة، ويصورون في فخر مواقف الأبطال، وكل شعراء الالتزام لهم نفثات حرّى، وخوالد رائعة في الموضوع، ومن ذلك مثلاً شعر محمد العيد في الجزائر، وصلاح الأسير في لبنان، ومحمد مهدي المجذوب في السودان، وإبراهيم فودة في السعودية، وغيرهم كثير.¹

ثالثاً- الثر الفني للأستاذ: مر بنا أن للأستاذ إسهاماً كذلك في الثر الفني، وإن كان قليلاً جداً مقارنة بالكم الضخم من كتاباته، ولقد تردد نثره الفني بين القصة والقصة القصيرة أو الأقصوصة والمراسلات الأدبية التي كانت تعرف قديماً بـ "الرسائل الإخوانية"، ولم يكن له اشتغال بالشعر رغم قوة علاقاته ووثاقتها بأبرز شعراء عصره كمحمد العيد آل خليفة وأبي اليقظان في الجزائر، وكأمير الشعراء محمد الشاذلي خزنة دار ومحمد أبي شربية في تونس، وليس مطلوباً من المتأثر بشاعر ما أن يكون شاعراً مثله أو محاكياً له، ولكن موضوع الشعر وغرضه وجرسه، وذوق الشاعر وحسّه وهمّه، لا بد أن يكون جميع ذلك أو أكثره بادياً على ذلك "المتأثر".

إن القارئ لأعمال الأستاذ يقف من دون شك على الجملة الشعرية الآسرة، والتركيب اللغوي البديع، ولكنه لا يستطيع أن يجدد ملامح تأثره بقلب أديب أو

¹. شعل هادية، سلسلة ما قل ودل، مرجع سابق، 3/29-30.

شاعر أو كاتب ما، رغم إلماح الأستاذ إلى تأثره بأسلوب بعض أولئك الكتّاب كالزيات والرافعي والعقاد، على اختلاف واضح فيما بينهم، ذلك أن الأستاذ لم يشأ أن يكون نسخة مكررة لواحد من أولئك، مع أن الأمر كان شائعاً على ذلك العهد (أيام شببته)، فكان العلماء يدربون الناشئة أو من هم فوقهم على معارضة كبار الأدباء والكتّاب والشعراء، بل إن كبار الشعراء كمحمد العيد كان له بعض المعارضات وهي معروفة، ولعل عدم ركوب الأستاذ موجة "المعارضة" والتقليد آنذاك كان مرجعه إلى جملة أسباب؛ منها:

- انتفاعه بنصيحة أستاذه وشيخه الشاعر التونسي الكبير محمد بوشربية في مقدمته النقدية المركّزة التي صدر بها الشاعر لكتاب تلميذه الموسوم "أدباء التحصيل"، وقد وجه فيها نحو ترك التأنق في التعبير والتولع بالمجاز والاستعارة والهيام باستقصاء المعنى باستعمال مترادفاته، فإن ما يكتبه الأستاذ من دراسات تاريخية وتحليل نصوص تاريخية يرجع إلى أبحاث علمية، يجري فيه القلم طلقاً غير مقيد بالصناعة البيانية، غايته إدراك المعنى وكشفه وتحليله وتقريبه بكل طريقة سلسلة تتسرب إلى النفوس في غير ما عنت. واستحسن الشاعر بوشربية من تلميذه أن لو أتبع ما وظفه من طريقة في الكتاب في الأدبيات البحثية.¹

- حياده الذي ألمعنا بناهج منه في السياسة والفكر والثقافة والأدب، ومن بواعث حياده اجتهاده في المحافظة على شخصيته وذاتيته، ومن ذلك أن الراحل مولود قاسم طلب من الأستاذ تدوين رحلته الحجّية² بأسلوب الرافعي، فقبل الأستاذ بشرط أن يكون الكتاب بأسلوبه هو لا بأسلوب الرافعي، ومن المؤكد أن ذلك لم يكن زهداً في "معارضة" أسلوب كاتب عملاق الرافعي، ولكن مثل تلك

¹. ينظر: الصديق، أدباء التحصيل (الأعمال الكاملة، مرجع سابق)، مجلد 21، ص 359.

². وهي رحلته الأولى إلى البقاع المقدسة سنة 1976م، ولقد طبعت الرحلة في كتاب بعنوان "في أرض النبوة"، ومّرت الإشارة إليه في الحديث عن مؤلفاته.

المعاني السامية والارتسامات اللطاف التي يجدها الحاج في البقاع المقدسة لا يُطلب فيها التكلف والتصنع.

- انخراطه في العمل الصحفي الذي أخذ منه وقته وجهده وتفكيره، وحتى يستقيم له أسلوب صحافي يمكنه من التواصل مع شرائح مجتمعية أوسع خصوصاً في ظروف خاصة كظروف الثورة، فمن الطبيعي أن يتنازل عن أسلوبه الفني القديم، الذي كان يعنى خلاله بالتأنق في الألفاظ الفخمة الجزلة، والحرص على التراكيب الرصينة، وتقصد البيان والبديع، ونحوها من سمات النثر الفني، وقد أخبرني¹ الأستاذ أن له أعمالاً أدبية -بعضها مطبوع- ضاعت في فترة الثورة التحريرية لانشغاله بمهامه كمسؤول عن الإعلام للثورة بليبيا آنذاك، وقد سمينا ما ذكره الأستاذ من تلك الأعمال.

أما محاور أعماله الأدبية، فلم يتيسر طلب تفاصيل الحديث عنها من الأستاذ نظراً لحالته الصحية أثناء المقابلة التي أجريت معه، ولكنها لا تخرج عن الإطار العام الذي كان يمليه الظرف التاريخي في الفترة التي كتبت فيها تلك الأعمال؛ فإن عامتها كان حول عظمة الثورة التحريرية، وبطولات المناضلين، ومعاناة الشعب، وتصوير الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وغيرها من الموضوعات الثورية، فلقد كانت² علاقة الأدب الجزائري بالثورة علاقة حميمة، وكان الكاتب الجزائري الممتزج بالأرض روحاً ودماءً، قد سخر قلمه لينفث من ذاته أجمل ما تقوله الكلمة، اعترافاً لهذا الوطن بجميله. وكان فن القصة قد أطلق من أسره لينافس الشعر، بل وليتجاوزه بخطاب أكثر مصداقية وواقعية، بعد أن وجد الأرضية التي طالما بحث عنها، والفضاء الذي اكتفى به لأن يكون كمتنافس. لقد فتقت الثورة مواهب

1. مقابلة هاتفية أجريتها مع الأستاذ يوم الأربعاء 24/05/2023م.

2. محمد بوزيدي، "سرد معالم الكتابة القصصية الجزائرية"، مجلة تاريخ العلوم، جامعة معسكر، العدد السابع، مارس 2017م، ص343.

الكتاب، فكانت لهم الدافع لخوض غمار الكتابة في هذا الجنس الأدبي. ودفعت بالقصة خطوات إلى الأمام، بأن جعلتها تتجه إلى الواقع، وتستمد منه مضامينها وموضوعاتها، فتحول محور الارتكاز من التقاليد والحب والمرأة إلى الإنسان والنضال والروح الجماعية.

وأما البنية الفنية لقصص الأستاذ فإن القدر الذي أمكننا الاطلاع عليه منها¹، يسمح بالقول بأنها هي الأخرى لم تتجاوز النموذج الذي ميّز القصة أثناء الثورة، فإنها² بقيت محافظة على البناء الكلاسيكي، ولم تتخلص كلياً من بعض السمات التي ظلت متحكمة فيها حتى تلك اللحظة؛ ومن ذلك اللغة الوصفية الموغلة في التقريرية، والحوار الخارجي الذي ظل يطفو على السطح ولم يمس عمق الذات، ومنها البقاء في دائرة المضمون الثوري. ولقد اعتبر بعض النقاد شخصيات ذلك النوع من القصص "شخصيات واسطة"، وهو ما جعل فن القصة في الجزائر في تلك الآونة يخضع لنمطية سكونية لا يبرحها.³ غير أن تلك السمات التقليدية لم تكن معيقة عن تصدير واقع الثورة إلى القراء العرب في قالب أدبي سليم، فقد استطاع الأستاذ - في نظر بعض النقاد - بفضل ما يتمتع به من سلاسة وبساطة وشفافية في سرد الأحداث بواقعية كلاسيكية، دون السير في دهاليز المدارس الأدبية المرتبة، أن يقدم في كتابه "صور من البطولة" على سبيل المثال جزءاً من واقع الثورة على لسان أبطال قصصه.

نماذج من نثره الفني: ذكرنا في مواضع متفرقة أن أسلوب الأستاذ مرّ بمراحل؛ وأولها المرحلة التي تمثل الطالب الزيتوني النّهم في العلم والمكّب على المطالعة

¹. القصص التي اختيرت للحكم عليها هي: تحيا الجزائر، عميروش وقصص أخرى، طريق النصر، صور من البطولة في الجزائر.

². بوزيدي، "سرد معالم الكتابة القصصية الجزائرية"، مرجع سابق، ص 343.

³. المرجع نفسه، ص 344.

والمصاحب للشعراء والكتاب والأدباء، وقد اصطبغت كتاباته الأولى بأثر ذلك كله، فجاءت على نمط الكتاب المتقدمين، وما اتسمت به من توظيف البديع والبيان، واستخدام الألفاظ القوية الجزلة وإن جاءت غريبة وحشية أحياناً.

وأما المرحلة الثانية، فتمثل الكاتب الإعلامي المناضل في صفوف الثورة التحريرية والمتحمس لنصرتها، "وكان قبل هذه اللحظة يريد أن يخلص لفنّه أو لدراسته ولكن الثورة أعجلته عن ذلك كلّه فانخرط فيها، فإذا هي تطبع موضوعاته وأفكاره وأسلوبه، وإذا هي تحدّ من قدرته الفنية لتعمّق إحساسه بقضاياها أو لتصرفه إلى تعميق إحساس الناس بها"¹، فتخلى عن كثير من سمات أسلوبه القديم، وظهرت كتاباته الجديدة بلبوس جديد مختلف اقتضته أمور كثيرة؛ منها تنوع علاقاته الأدبية والثقافية، وولوجه عالم الإعلام والصحافة، ولكن أهمها كما أسلفنا ومن دون شك هو الرغبة الملحة في التعبير عن الإعجاب بالبطولات والشعور بالتححر الذي استبد به حيال الثورة المجيدة، فوضع أكثر كتاباته القصصية على هذا النمط.

وأما المرحلة الأخيرة، التي لم تتمثل في مجموعات قصصية وإنما هي قصص متفرقة في كتبه المختلفة، فقد غدت أكثر انفتاحاً على أذهان المتلقين من مختلف الشرائح المجتمعية، وربما أسهم في ذلك -علاوة على المشاركة الإعلامية القوية والمتنوعة- اتساع نطاق القراءة لدى الأستاذ أكثر من ذي قبل، والاطلاع على قدر إضافي من أعمال كتّاب المقالات، بالإضافة إلى الانتفاع بالكتابات النقدية والانطباعات التي أحيطت بأعماله المتقدمة، ككتابات شكري فيصل (السوري) ومحمد فريد أبو حديد (المصري) وأبو القاسم كرو (التونسي) وعز الدين بوكردوس (الجزائري) وغيرهم، فاتجهت كتاباته حينئذ نحو الوضوح والمباشرة

¹. شكري فيصل، وقفات ونبضات (أضواء كاشفة، مرجع سابق)، ص 344.

والاهتمام بالفكرة مع المحافظة على القالب اللغوي الرصين. وفيما يلي عرض لثلاثة نماذج تمثل المراحل المشار إليها.

نموذج 1: من حديثه عن عقلية الشاعر صفي الدين الحلي:

شاعرنا راضته التجارب، وعجمته الخطوب، فرأى أن امتطاء المجد وبلوغ المعالي، قسُطُ الذي يعشق الأهوال، ويكَلِّفُ بقوارع الدهر، وأما الذي يستوطني مهاد الخمول، ويخُلدُ إلى الصَّغار، ويرضى من دهره بالدُّون، فذاك قاعد الهمة، مُصمَّتُ القلب، صلْدُ الذهن، لا تسمو نفسه إلى منقبة، ولا يدفعه طبعه إلى مكرمة، وإن تحركت همته يوماً، فسرعان ما يرجع إلى طبعه، ساخرًا بمن يبتسم بصروف الزمن، كلما ناغاه المجد، أو عبثت بلبّه نشوة الأمل.¹

نموذج 2: من قصة "الراعي الحزين"²

على ربوة شاحبة، وقف مذهولاً، ينظر إلى الغربان، وهي تحوم على جث متعفنة، وأشلاء مبعثرة بجانب الوادي السحيق. ويحدق النظر بالخصوص، في جثة مربوطة على جذع شجرة، تلفحها الشمس، وتهوي عليها الطيور..

ولأول مرة، خرج به جده منذ أن أصابته شظية قنبلة في يده اليسرى شوهتها إلى الأبد، ولما كانت هذه المناظر المريعة تنفطر منها القلوب، وتتشعر منها الأبدان، أراد الشيخ أن يبعد عنها الصبي، فوضع يده على كتفه، واتجه به نحو قطع من الغنم، كان يرعى بالقرب من الربوة، وأخذ يلهمه بالحديث عن نزهة الغد، التي سيقوم بها معه إلى إحدى الغابات الصنوبرية، ليشاهد العلم الجزائري، وهو يخفق فوق مركز لجيش التحرير الوطني.

ولكن الصبي لم يعر أذانا لحديث جده، بل كان شاردا الذهن، يجاهد القشعريرة

1. أدباء التحصيل، مرجع سابق، ص 386.

2. هذه القصة ملخص لقصة مطولة بذات العنوان، طبعت ببيروت سنة 1964م.

المؤلمة، ويطارد الأخيلة الرهيبة، التي تتعاقب فيها الذكريات العابسة السوداء.¹

نموذج 3: من قصة قصيرة بعنوان: "طيش ثم ندم"

ولكن الغادة الحسناء التي ليس لها إلا جمال الجسم، وخلاصة المظهر، والافتتان بالحضارة الغربية ومباهجها، رفضتهم جميعاً، وآثرت عليهم شاباً طائشاً ورث عن أبيه من حطام الدنيا مالاً وافراً، وكان همه أن يتحدث عن مغامراته في ميدان الهوى مع المتهتكات الخليعات.

لم يكده يعرض عليها رغبتة، ويمد لها من الحباثل أطولها، ويُسمعها من الأمانى الدُّها وأحلاها، ويوقظ في قلبها من الأحلام أنداها وأنعشها، حتى ارتمت بين أحضانها، ورأت أنها قد دخلت الجنة قبل أن تموت: شاب مدلل طائش، ومال وافر، وسيارة فاخرة، وحرية إباحية لا حد لها، وماذا تبتغي الغادة المفتونة بالحضارة الغربية غير هذا؟²

المبحث الثاني: جهوده في مجال القيم.

لقد تناول الأستاذ بعض القيم الفلسفية بعقل المفكر وبأسلوب الأديب، وقدمها بطرح مبسط بعيد عن التعقيد الفلسفي المثقل بالاصطلاح الأكاديمي؛ فإن من شأن الكاتب الاجتماعي الذي يريد أن يكون قريباً من جمهور القراء على اختلاف طبقاتهم وتعدد ثقافتهم، أن يتوفر على أسلوب سلس يمكنه من إيضاح الفكرة بأيسر طريق. لأن أكثر³ الألفاظ ذبوعاً وشيوعاً - كما يقول الأستاذ - هي أصعبها تحديداً، وأشدُّها تعقيداً، وأكثرها غموضاً، وأحوجها عند تحديد معانيها إلى النظر والكلام الطويل، فخذ مثلاً هذه الألفاظ: الحب، والجمال، والعدل، والسياسة، والديمقراطية، يكثُر

¹. الصديق، عميروش وقصص (الأعمال الكاملة، مرجع سابق)، مجلد 32، ص 337.

². الصديق، سلوكات، سلسلة ما قل ودل، مرجع سابق)، مجلد 21، ص 17.

³. الصديق، صور من الحياة (الأعمال الكاملة، مرجع سابق)، مجلد 20، ص 173.

استعمالها في مختلف الأزمنة والأمكنة، ويلوكها الناس بألستهم، من غير حذق ولا فهم، ولا إحاطة بالشُّعب والمسالك.

وأما القيم التي تناولها الأستاذ فعديدة؛ أبرزها ما يتعلق بالحرية والجمال والمسؤولية والفردية والزمن والعقل والحق والعمل والتدين، الخ. وسنقتصر فيما يلي على التعرض لثلاث منها فحسب؛ وهي قيمة الحرية والتدين والجمال.

المطلب الأول- قيمة الحرية:

سؤال الحرية من أهم الأسئلة التي شغلت الفكر الإنساني، نظراً لكونها حاجة ملحة من الحاجات التي تتوق البشرية إلى تحقيقها، وضرورة من الضرورات التي تبرهن على صدق وجودها، وقد اشتغل العلماء والمفكرون والفلاسفة والكتّاب منذ وقت بعيد بالبحث في كنه هذا المفهوم باعتباره "قيمة مثلى"، وما زال "موضوع الحرية من أشد الموضوعات التي يشغب بها أعداء الإسلام والحاقدون عليه، فكُتبت كتابات تعترض عليه في هذا المجال، وتوجه إليه النقد في عدة قضايا؛ منها الرق، والجهاد، العقوبة على الردة، والموقف من حرية التعبير عن الرأي"¹، وغيرها. ولقد أسهم الأستاذ من موقعه ككاتب إسلامي معروف باهتمامه بالقضايا الفكرية بالحديث عن الحرية في كتبه ومقالاته ومحاضراته، ولكنه لم يتناول الموضوع من وجهة نظر فلسفية صرفة، أو وجهة نظر شرعية خالصة، إنما تناوله كقيمة اجتماعية تُستلهم من آراء عقلاء الفلاسفة، وتستند على صريح النصوص الشرعية، ولهذا جاء بحثه لموضوع الحرية واضحاً في الأفكار بسيطاً في العرض. على أن من نافلة القول الإشارة إلى النفس الثوري التحرري الحاضر في كل مناسبة يناقش فيها الأستاذ مفهوم الحرية؛ وذلك من منطلق كونه مجاهداً عاين شؤم الاستعمار وبلاء الاستعباد، كما أن من المفيد أيضاً القول بأنه لم يتعرض لكثير من قضايا الحرية التي

¹. سلطان العميري، فضاءات الحرية، المركز العربي للدراسات الإنسانية، القاهرة-مصر، ط2، 2013م، ص

انتُقد فيها الإسلام من قبل الخصوم، بسبب ضعف الأصوات المنادية بها في الجزائر على الأقل، لأنه ركز في المقابل على القضايا التي لها بعض الرواج كقضايا المرأة وحرية التعبير، وكقضية "الفردانية" أو الفردية المطلقة وإن كان تناوله لها بدرجة أقل.

أولاً- كلمة في الحرية: يرتكز الأستاذ في حديثه عن الحرية على قول علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: "لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً"؛ ويتصل مفهوم الحرية عند الأستاذ بمنزلة العقل عند صاحبه، وهذا الذي يراه الأستاذ يتوافق مع ما يقرره العلامة الخضر حسين؛ إذ يقول عن الحرية "ينصرف هذا اللقب الشريف في مجاري خطابنا اليوم إلى معنى يقارب معنى استقلال الإرادة، ويشابه معنى العتق الذي هو فك الرقبة من الاسترقاق"، زمن لوازم استقلال الإرادة عنده "أن يعيّن لكل واحد من أفرادها حد لا يتجاوزه، وتُقرّر له حقوق لا تعوقه عن استيفائها يد غالبية"¹. ولذا، يربط الأستاذ تلك العبودية المشوهة التي نهى عنها الإمام علي -رضي الله عنه- بذهاب العقل، وعدم الالتفات لعظمته، ثم التفريط فيه، والسبب في ذلك هو الارتهان بالقيود التي تقعد بالعبد عن أن يكون حراً، ومن تلك القيود التي يراها الأستاذ:

- قيود الوراثة: اكتفى فيها بالنقل عن الأديب والمفكر الفرنسي أناتول فرانس (*France Anatole*) قوله: إننا نولد شيوخاً؛ أي متقلبين بحمل الوراثة، وخلفنا ماض أثره مطبوع في ذهننا، ماض بعيد لا ينتهي عند الوالدين أو الأجداد.
- قيود البيئة: أي الوسط الذي ينشأ الإنسان فيه، فيتقبل في بيئته عاداتها ونظمها وقوانينها وسائر عوامل التقدم والتأخر.
- قيود النفس: وهي قيود الميول والعواطف والمصالح، فلا بد لمن يتفاعل مع

¹. محمد الخضر حسين، الحرية في الإسلام، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، د.ط، 2021م، ص 16.

الحياة إيجاباً وسلباً أن ينظر لنفسه وشخصيته وما تنزع إليه من طلب مصالح وإرادة منافع.

إن غاية الإسلام البعيدة ومطمحه الأعلى هو التخلص من تلك القيود والتبعات التي تحط من قدر الإنسان وترسف به في مهاوي الانحطاط في القول والعمل والسلوك، فحينها لا يمكن لمثل هذا الإنسان أن ينعم بالحرية.¹

يرى الأستاذ بأن الحرية قد أسيء استغلالها عندنا، والحرية إذا أسيء فهمها واستغلالها كانت شراً على أهلها، وقد يكون وبالها أشد وأسوأ من الاستعمار. ويضيف الأستاذ بأننا صرنا مع الأسف الشديد مثار النقد والسخرية، بعد أن كنا مثار الإعجاب والتقدير، وقبلة تتجه إليها الأنظار من كل ناحية. ويستقرئ لهذه النتيجة ضعفَ العناية بالقيم والأخلاق، لحساب شؤون الحياة المادية، حيث ساد الاعتقاد لدى الناس بأن المرء لن يحترم ولم تكون له مكانة بين الأمم إلا إذا استبحر عمرانه، وكثرت مصانعه، وتوفرت معاهده ومدارسه، وتنوعت أماكن اللهو والترف في حياته، وفاتهم أن الأمم بأخلاقها.²

ثانياً- حرية المرأة: كانت المرأة المسلمة في عافية وستر، يملكها الحياء ويجللها الأدب ويصونها الحجاب، وما إن تغير الواقع بانفتاح عوالم الإعلام وانتشار الأدب الرخيص، يغذو ذلك فكر متحرر واجتهادات جريئة باطلة، حتى تلونت بما يناسب الوضع الجديد، وصارت تعتبر الحياء ضعفاً والأدب تخلفاً والحجاب رجعية، فهوت المسكينة إلى الحضيض، ونزعت عنها حياءها وأدبها وحجابها، ولم تكتف بذلك حتى راحت تسخر من كل ما له صلة بالحياء والاحتشام، وانخرطت في الحركات التحررية، فابتذلت وتحللت فيها طباع الآدمية، تلك هي ثمرة الحرية المطلقة التي من حقوق المرأة فيها أن تحاصر من الرجال من تريد، وتغشى من

¹. ينظر: الإسلام والحرية، مرجع سابق، ص 65.

². في ضوء الإسلام، سلسلة ما قل ودل، مرجع سابق، 92/3.

الأماكن ما تريد، وتحارب الفضيلة جهاراً، وتسخر من قوانين السماء في وقاحة.¹ وهي لا تدرك أن مجال الحرية أوسع مما تتصور، وفوق ما تأمل، فها هي الحركات النسوية (*féminisme*)، في جيلها الثالث، وقد ألفت على الساحة الفكرية تساؤلات فلسفية، جعلت الفلسفة ذاتها تعيد صياغة نفسها²، وباتت تلك التساؤلات عصية على منظري الجيلين السابقين أنفسهم، وقد كانت مطالبهم مدنية وسياسية في المقام الأول.

وهي³ كذلك لا تقبل الكلام المكرر المعاد؛ وهو أن الإسلام قد كفل للمرأة من الحقوق ما لم تظفر به المرأة الغربية المتحضرة حتى هذه اللحظة التي تحتج فيها هذه المسكينة على شريعة الإسلام، إذ منحها حق إبداء الرأي في يتقدم إليها، وحق التصرف في مالها، وجوز لها أن تكون العصمة بيدها فتطلق زوجها متى ما صح منها السبب الداعي لذلك، ورتب لها من حقوق الإرث ما يفوق في كثير من الحالات مقدار ما يأخذه الرجل، وأعطاهما الكثير مما لا يحصى.

ولكن - كما عبّر الأستاذ - "يبقى العود ما بقي اللحاء".

ثالثاً- الحرية في التعبير عن الرأي: مع الانفتاح الإعلامي الذي فرض على العالم ركوب موجة النظام الجديد، والذي كان من نتائجه كفالة حرية إبداء الرأي والتعبير عنه من دون رقابة أو توجس من متابعة، ودوننا اعتبار للأطر والنظم والمراجع التي تنظم كلمة الإنسان سواء أكانت تلك الأطر دينية أم تقليدية أم قانونية، ولكن الأمر بات مجرد ادعاء تلبس به كل مرید للشهرة، متدثراً بصنيع كثير من القذوات الفاسدة في المجالات الفكرية والثقافية والإعلامية، وفي هذا الصدد، يقول العلامة

¹. كلمات طيبة، مرجع سابق، 176/2.

². أمل بنت ناصر الخريّف، مفهوم النسوية، مركز باحثات لدراسات المرأة المملكة العربية السعودية، ط1، 1437هـ-2017م، ص 200.

³. كلمات طيبة، سلسلة ما قلّ ودلّ، مرجع سابق، 176/2.

الخضر حسين: يخال بعض الناشئة أن الحرية حق يبيح لصاحبه أن يجهر بكل ما يقدره في فكره من الآراء، وينشر في مقاله كل ما يؤلفه من الهجاء والأوصاف الشائنة، كما يفعل الشاعر الخطيئة.¹ غير أن الأمر لا يقف عند الحد الذي مثل به الإمام الخضر، وإنما طال ما تواطأ الناس على العمل به في باب الأقوال والأفعال، بل إنه طال بعض أبواب العقيدة والشريعة.

المطلب الثاني - قيمة التدين:

التدين قيمة دعا الإسلام إلى التحلي بها، ليس بذات العنوان ولكن بلوازمها التي إذا اجتمعت في إنسان تحقق له لبوس الإسلام الصحيح. ومن تلك اللوازم تحقيق التوازن بين مطالب الروح والبدن، والتحقق بالإخلاص والصدق في القول والعمل، وقد رصد الأستاذ كثيراً من الظواهر التي تتنافى مع ما يتطلبه التدين الصحيح، فتؤول بالنتيجة إلى ما يعرف بالتدين "المغشوش".

والمقصود بالتدين المغشوش هو عدم التقيد بالمقاصد الشرعية، وعدم توظيف النصوص في تحقيق العبودية الكاملة لله تعالى، والحووم حول مواطن الشبه، واستخدام الدين سلماً لقطف الدنيا من حطام الدنيا. وهو كذلك تقديم العاجلة على الآجلة، والشخصي على العام، وهو أيضاً صلاح الظاهر وقبح الباطن، وشعاره "حيثما تكون مصلحتي فثم ديني"، وهو كذلك ومن باب المفارقة القدرة على عدم تفويت الحضور في مجالس الوعظ ومجالس اللهو.²

في مقاله عن "الدين المعاملة"، يقرر الأستاذ أن كثيراً من المسلمين ينتسبون إلى الإسلام ظلماً، ويبيان ذلك أن الواحد منهم يدهشك بأداء الصلاة في الوقت، ويروعك لسانه الرطب بالذكر، وحرصه على تلاوة القرآن، وحديثه عن القيم والأخلاق،

¹. محمد الخضر حسين، الحرية في الإسلام، مرجع سابق، ص 17.

². عبد الباسط الشيخ إبراهيم، "التدين المغشوش"، موقع مجلة البيان، تاريخ النصف: 2023/09/15م، على

الساعة 23:26، الرابط: <http://www.albayan.co.uk/MGZArticle2.aspx?ID=4838>

وإشادته بالفضائل والمحامد، وتنديده بأولئك الذين لا يشرفون الإسلام بالانتساب إليه، غير أنه عند المعاملة يكون شخصاً آخر متحققاً بحديث النفاق؛ إذا أوّمن خان، وإذا وعد أخلف، وإذا حدّث كذب، وإذا خصم فجر. إن هؤلاء المساكين بعداء عن الإسلام غرباء عنه، لا يمتّون إليه بأي صلة.¹ وأمثال هؤلاء هم الذين سهاهم في مقال له "مسلمون بلا إسلام"، فما أكثرهم في المساجد وفي البقاع المقدّسة وفي الأيام المقدّسة من حج ورمضان، ما دام الإسلام صلاةً وصياماً وحبّاً لا يكلفهم ذلك سوى وضوء وامتناع مؤقت عن الطعام والشراب وكثيراً من المال كيفما اتفق، ولكن ما أقلهم في ميدان المعاملة والتضحية ونكران الذات.²

وميزة التدين كما يرى الأستاذ أن الإنسان حسبها أكد الاختبار البشري إذا تمسك بالدين تمسكاً صحيحاً تجبو في قلبه نار الرذيلة، وتتفجر فيه عين الفضيلة، فيتحوّل من الجبن والبخل والفساد والشيطانية إلى الشجاعة والسخاء والصلاح والملائكية، وهكذا. والمتدين تدينا صحيحاً سليماً هو الأجدر بتكوين المجتمع، وعمارة الأرض؛ لأنه ينهض بالحياة ولا يناهضها، ويعدّها لها ولا يعادياها.³

ولا شك أن هذا الواقع المؤسف هو تجسيد لصدق نبوته ﷺ القائل: أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال: "المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام، وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طرح في النار".⁴

1. واحة الإيمان، سلسلة ما قل ودل، مرجع سابق، مجلد 40، 39/1.

2. زاد المعاد، سلسلة ما قل ودل، مرجع سابق، 59/2.

3. بصائر، سلسلة ما قل ودل، مرجع سابق، 193/1-194.

4. أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة، كتاب: البر والصلة، باب: تحريم الظلم، رقم (2581)، ص 1129-1130.

المطلب الثالث- قيمة الجمال:

لئن كان الأستاذ قد عُرف عند قرائه ومجالسيه ومحاوريه بشدة العناية بالظاهرة القرائية، وتدبر معانيها، وتصريف وجوه الآي بما تحتمله اللغة ويعضده الشرع، وتنزيلها على واقع الناس، فإن كثيراً من أولئك القراء قد لا يدركون أن للأستاذ كذلك اهتماماً بـ "الظاهرة الجمالية"، ولعلمهم لم يقفوا على مقدار كتابته فيها، ومن وقف للأستاذ على نص في الجمال أو الإشادة به، فقد يوجهه وجهة الناحية الأدبية الفنية فحسب، ولعل هذا راجع لأمرين؛ أما أحدهما فهو أهمية الموضوعات والمحاور التي اشتغل بها الأستاذ تقريراً وكتابة ودعوة، كموضوعات الدراسات القرائية، والإيمانيات، والتاريخ الوطني، وتراجم الأعلام، وغيرها مما يتسم أكثره بطابع الجد أو بطابع "الرسمية" أحياناً، أما الأمر الآخر، فهو السكينة والوقار اللذان يسيطران على مجالس الأستاذ، فلا ترد غالباً موضوعات خارج الإطار السابق، باستثناء المناسبات العابرة التي تدعو إلى تناول قيمة الجمال، وذلك كموضوعات المرأة والزواج، أو الحب كذلك ولكن من منظور فلسفي. وفيما يلي مزيد إيضاح لقيمة الجمال عند الأستاذ، وكتابته حول هذا المفهوم المهم، فهو "أحد المفاهيم الثلاثة التي تنسب إليها أحكام القيم؛ أعني الجمال والحق والخير"¹.

1. **الجمال ظاهري وباطني:** يرى الأستاذ أن للإنسان جمالين: جمالا ظاهرياً وجمالاً باطنياً، وهذا ما يقرره العلماء؛ يقول القرطبي (ت 671 هـ) -رحمه الله تعالى: قال علماءنا: فالجمال يكون في الصورة وتركيب الخلق، ويكون في الأخلاق الباطنة، ويكون في الأفعال. فأما جمال الخلق، فهو أمر يدركه البصر ويلقيه إلى القلب متلائماً، فتعلق به النفس من غير معرفة بوجه ذلك، ولا نسبته لأحد من البشر. وأما جمال الأخلاق، فكونها على الصفات المحمودة من العلم والحكمة والعدل والعفة وكظم الغيظ وإرادة الخير لكل أحد. وأما جمال الأفعال، فهو وجودها ملائمة

¹. صليبا، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، 407/1.

لمصالح الخلق، وقاضيةً لجلب المنافع فيه، وصرّف الشّرّ عنهم.¹
وأجدر الناس بالإعجاب كما يقول الأستاذ هو من يحظى بالجمالين كليهما،
وأسوأهم بالرتاء والعطف من حرمهما جميعاً، ولكن الجمال الباطني هو مطلب
العقول السليمة، ومهوى النفوس الكريمة، والهيم العالية، مهما اشتد إعجاب
الناس بالجمال الظاهري "الحسي" القائم على الحسن والاتساق والانتظام،² ومن
تتبع كلام العرب؛ شعره ونثره، وجد عناية كبرى بالجمال الباطني، وتفنناً في تمجيده،
والتنويه به، مما يستثير الدهشة، كما قال الشاعر الحكيم:

ليس اليتيم من مات والده .. إن اليتيم يتيم العلم والأدب

بل إن هناك من يعتبر الإنسان بجماله الباطني، فإن فقدته فالموت أليق به:

ما وهب الله لامرئ هبة .. أفضل من عقله ومن أدبه

هما حياة الفتى فإن فقدا .. فإن فقد الحياة أجمل به

وجاء في الحديث الصحيح "إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن
ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"³. والنظر الوارد في الحديث دليل المحبة، وترك النظر دليل
البغض، قال البخاري⁴ -رحمه الله-: قد أبان هذا الحديث أن محل القلب موضع نظر
الرب، فيا عجباً ممن يهتم بوجهه الذي هو محل نظر الخلق، فيغسله وينظفه من القدر
والدنس، ويزينه بما أمكن لئلا يطلع فيه المخلوق على عيب، ولا يهتم بقلبه الذي هو

1. أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة،
بيروت-لبنان، ط1، 1427هـ-2006م، 274/12.

2. زاد المعاد، مرجع سابق، 100/2.

3. أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة، كتاب البر والصلة، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره
ودمه وعرضه وماله، رقم: 2564، ص 1124.

4. صاحب العبارة هو أبو حامد الغزالي (ت: 505 هـ)، ينظر: المناوي، عبد الرؤوف، فيض التقدير شرح الجامع
الصغير، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط2، 1391-1971م، 278/2، الحديث رقم: 1832، ومحمد بن عبد
الوهاب، الكبائر، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة، دار الصميعي، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط1،
1416هـ-1996م، ص 28 (حاشية).

حل نظر الخالق، فيطهره ويزينه، لئلا يطلع ربّه على دنس أو غيرة فيه".¹
يقول الأستاذ بأنه جبل على حب الجمال، وهوى الجمال يجعله دوماً يهفو وراءه في ظمياً وتلهف، كلما خطأ خطوة استفزه الجمال وحفزه، وهذا ما جعل حياته خالية من الفراغ، لأن من الجمال أن تعمل وتثري الحياة وتخصبها، ويقرر بأن الجمال هو الذي يجعله يقضي على مكتبه طوال مسيرته مع الفكر والقلم ساعات متتالية، ولا يشعر بأي وجود، إلا لجمال اللفظ، والعبارة، وجمال الأناجى بالقلم والقرطاس. وهو في كل ما أنجزه في حياته من كتب، ومقالات في الصحافة، وأحاديث في برامج إذاعية، ولقاءات تلفزيونية، مدينٌ لهذا الجمال الذي هو أرقى من الحياة.²

ومن يقف على الكلام السابق، يفهم أن الأستاذ ممن يستهويه الجمال الحامل على العمل والجد والنشاط، وقد ينتهي المتأمل إلى هذا الحد من الفهم ولا يتجاوزة، على أن من غير الدقيق توجيه اهتمام الأستاذ بـ "الظاهرة الجمالية" وجهة الفيلسوف الذي يتناول هذه القيمة من منظور فلسفي جاف، بما يحشر له من اصطلاحات ومقدمات وتساؤلات، أو وجهة العالم الشرعي الذي يعنى - أكثر ما يعنى - بما يترتب عن التعلق بالجمال الحسّي من أحكام شرعية، أو وجهة المفكر الإسلامي المهموم بالتأمل في الجمال المذكور في القرآن والسنة وما يستخلص فيه من هدي تربوي كما في قوله تعالى: ﴿بَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ (يوسف: 18) وقوله ﷺ: "إن الله جميل يحب الجمال"³، وغيرهما من النصوص، ذلك أن الأستاذ وإن كان قد وظف كثيراً من ذلك، إلا أنه لم يستطع في أحيان كثيرة مغالبة الحس الأدبي، وهو الذي كانت بداياته الأولى في مجال الكتابة أيام الزيتوننة من جنس المحاولات الأدبية الغزلية التي لم ترض بعض مدرّسيه "الفقهاء"، فيجده القارئ منساقاً بحكم البشرية للنواحي

¹. زاد المعاد، مرجع سابق، 101/2-102.

². مدارس لولاهما ما كنت، مرجع سابق، ص 08-09.

³. أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود، كتاب الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانها، رقم: 147، ص 54.

الجمالية في الإنسان، بل ويكون خادماً لإظهار تلك النواحي بقلم الأديب وذوق الفنان، بما يسوق من أبيات أو مقاطع أدبية أو قصص تاريخية، وهو كثير في مقالاته خاصة.

من ذلك مثلاً ما كتبه تحت عنوان "يا ذا الجلال، لا تعذب هذا الجمال"¹؛ وساق فيه قصة أبي حازم العابد المشهور في موسم الحج، وقد وعظ امرأة حسناء شغلت الناس عن دينهم، فأشدت إذ سمعت الوعظ:

أماطت كساء الخبز عن حُرِّ وجهها . . . وأرخت على الكشحين برداً مهلاً
من اللائي لم يَجُجْنَ يبعين حسبةً . . . ولكن ليقتلن البريء المغفلاً²

فسكت أبو حازم، وقال لأصحابه: "تعالوا ندع الله ألا يعذب هذه الصورة الحسنة بالنار". وتوجه الأستاذ باللوم إلى من ينظر إلى القصة نظراً سطحياً، فيعتقد أن هذا العابد مجرد شيخ خرفٍ متصابٍ قد أفن عقله، وسباه الجمال، فتظاهر بالهيام بجمال الله المنعكس على هذه الحسنة، ولكن بعد النظر وعمق التفكير يقتضيان عند الأستاذ أن يرى ذلك الشيخ في صورة مرهف الشعور، رقيق الإحساس، ذكي الفؤاد، واضح الرؤية مع نفسه ومع ربّه، وأنه أدرك الجمال في أفقه البعيد، وتذوقه حتى تجاوز حدوده "المادية" في المرأة الحسنة، فما إن رأى الجمال حتى نطق بروعة الجلال.

فإن كان هذا التعليل من الأستاذ لموقف الشيخ من الحسنة يبدو لدى القارئ متكلفاً بعض الشيء أو غامضاً على أقل تقدير، فإن للأستاذ في مواضع أخرى من كتبه ما يرفع هذا الغموض الذي لم يتبين منه القارئ من قبل موقفاً محدداً للأستاذ في "الظاهرة الجمالية"، وهل هي عنده روحية بحتة أم لا، فإن في القصة التي ساقها وفي حسن التماسه للشيخ العابد توافقاً مع ما يتناقله الصوفية من بعض الآثار

1. سوانح-سلسلة ما قلّ ودلّ، مرجع سابق، المجلد 41، 285/2-286.

2. البيتان للحارث بن خالد بن العاص المخزومي، ينظر: يحيى الجبوري، شعر الحارث بن خالد المخزومي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف-بغداد، ط1، 1392هـ-1972م، والبيتان في ص 25، 85.

الواردة في الوجه الحسن؛ قال ابن القيم-رحمه الله-: كحديث "ثلاثة تزيد في البصر: النظر إلى الخضرة، والماء الجاري، والوجه الحسن" وهذا الكلام مما يُجْلُ عنه أبو هريرة وابن عباس، بل سعيد بن المسيب والحسن، بل أحمد ومالك، وحديث "النظر إلى الوجه الحسن يجلو البصر" وهذا ونحوه من وضع بعض الزنادقة، وحديث "عليكم بالوجوه الملاح، والحدق السود، فإن الله يستحيي أن يعذب مليحاً بالنار"، وحديث "النظر إلى الوجه الجميل عبادة"، وكل حديث فيه ذكر حسان الوجوه، أو الثناء عليهم، أو الأمر بالنظر إليهم، أو التماس الحوائج منهم، أو أن النار لا تمسُّهم، فكذب مختلق وإفك مفترى¹.

ومما يدل على عدم موافقة الأستاذ لنظرة الصوفية للجمال المغرقة في الحسي منه؛ فإنه عند إيراده لمثل تلك الآثار يوجهها وجهة المعاني السامية لا المعاني الموصولة بالجمال الحسي القائد إلى الإيمان المزيّف والعبادة المتكلّفة، فيجعل المراد بحسن الوجه طلاقة المحيّا عند الطلب وعند الاعتذار، وهو من كمال الخلق².

2. حب الجمال: ولا يجد الأستاذ حرجاً من الحديث لقرائه وجلسائه عما تقرّه الفطرة الإنسانية، ورُكّب في النفس البشرية، من حب الجمال، والتأثر به، والاستكانة لسلطانه، فيقرر أن هناك³ رجالاً يفرضون أنفسهم في ميادين القوة، ومجالات القتال، ويواجهون المشاق والمهالك بقوة وشجاعة، ولكنهم أمام ربّات الجمال، الساحرات بالدلال، يفقدون الشجاعة، ويذوبون أمام أعينهن، وينشد في ذلك قول الشاعر⁴:

1. ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، المنار المنيف في الصحيح والضعيف، دار عطاءات العلم للنشر، ط4، 1440هـ-2019م، 53/1-55.

2. الصديقي، تأملات، سلسلة ما قلّ ودلّ، مرجع سابق، ص 230.

3. خواطر وذكريات، مرجع سابق، ص 229.

4. نسبها كثيرون إلى أبي فراس الحمداني ولكنها ليست في ديوانه، وإنما هي لأبي دلف العجلي، ينظر: موقع الديوان، أبي دلف العجلي، تاريخ الزيارة: 2023/07/26م، على الساعة 12:23.

نحن قوم تذيئنا الأعينُ النَّجْمُ .:. لُ على أننا نذيب الحديد
طوع أيدي الأطباء تقتادنا الغي .:. مد ونقتاد بالطَّعان الأُسودا
نملك الصيد ثم تملكنا البيـ .:. ضُ المصونات أعيناً وخدودا
فترانا يوم الكريمة أحـرا .:. رأ وفي السلم للحسان عبيدا

ولم يكن الكلف بالجمال بليّة المقاتلين الشجعان فحسب، بل لقد كان للعلماء
والمصلحين أيضاً نصيب من الإسهام في التعبير عن هذه القيمة الإنسانية العالية،
يذكر الأستاذ في سياق حديثه عن الشاعر الكبير محمد العيد، وكان في إحدى
خارجات الاستجمام برفقة الشيوخ أحمد سحنون وجلول البدوي وعبد الرحمن
الجيلالي، فإذا بفتاة أوربية تمر بهم وكانت غاية في الجمال والدلال والسحر، فإذا بهم
يتوقفون عن الحديث ويتابعونها بأبصارهم في إعجاب، وبعد أن غابت عن أعينهم،
تتابعوا على غير ترتيب منهم وبعفوية في إيراد أبيات شعرية، ولم يفيقوا إلا وقد تجمع
لديهم قطعة شعرية صالحة، احتفظ بها الأستاذ البدوي، وكان قد فكر في نشرها في
"الشهاب"، ولم يمنعه من ذلك سوى الهيبة من الشيخ ابن باديس، ولكنه أرسلها
إليه على وجل مغفلة من العنوان، فما راعه إلا أن وجدها منشورة في العدد الأول¹
إثر إرسالها، وقد اختار لها ابن باديس عنواناً جميلاً "غزل عفيف في غزال ظريف"².

ولرہافة حسّه، ودقة انتباهه، لاحظ الأستاذ أن القارئ قد يستشكل صدور مثل
هذا "التصابي" من أمثال العالم والداعية والمصلح، فيجيب الأستاذ بأن ذلك من
قبيل المزاح المشروع الذي يسرّي به الأديب عن نفسه، وفرقٌ بينه وبين الفعل الذي
يعتدى به على حدود الله تعالى، ويكون الإنسان به ظالماً لنفسه،³ ومن هذا الباب،

1. ينظر: الشهاب، ج 3، م 14، ربيع الأول 1357هـ - ماي 1938م، ص 114.

2. خواطر وذكريات، مرجع سابق، ص 60-61. والأبيات تحت عنوان "مساجلة أدبية" ولا وجود للعنوان

المذكور، فلعله عنوان مناسبة أخرى.

3. أوراق في الدين، مرجع سابق، ص 120.

ما نقل عن الشافعي وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أحد فقهاء المدينة السبعة، الذي قيل له: أنقول الشعر على شرفك؟ فكان يجيبهم: "لا بد للمصدر أن ينفث"¹، ويبدو أن مسألة الولوع بالجمال، وإبداء الرأي فيه، والتغني به وفق الضوابط الشرعية لدى زمرة العلماء بخاصة كان شائعاً عند المتقدمين، ولم يُستهجن إلا حديثاً، فاستدعى ذلك بيانه، وكتب فيه بعض المتأخرين، كالشيخ علي الطنطاوي في رسالته المسماة "غزل الفقهاء"، وكما فعل الأستاذ في كثير من مقالاته، وقد مرّ تفصيل الحديث فيه.

3. النظر إلى الجمال: أقر الأستاذ في موضع آخر²، وبمنطق بشري أن من العجيب انصراف العيون عن فتاة حطّ الجمال الطبيعي رحاله في جسمها، فكانت به فتنة في صورة إنسان، إذ مثلها لا يمكن أن يتجاوزه الحس الصحيح!

وإجمالاً، فإن بإمكان القارئ أن يستخلص رأي الأستاذ في الجمال والتعليل لجواز النظر إليه، إذا قرأ ما كتبه في رحلته الحجية "في أرض النبوة"، أو قرأ خاطرته التي كتبها قديماً بعنوان "مع أديب كبير"³، وأجرى فيها حواراً مع صديق أديب متدين معروف بذلك، وله وزن كبير في الأوساط الأدبية، وكان موضوع الحوار فتاة مرّت بالرجلين، فاختلف نظرهما إليها وإن اتفقت نظرتهما فيها، وقد أبان الأستاذ في هذه الخاطرة غاية الإبانة عن مذهبه في التعاطي مع الجمال والاستدلال له والدفاع عنه، رغم إirاده لحجج صديقه القاضية بالمنع من إدامة النظر وتكراره، خصوصاً في حق

1. ينظر: الحصري، أبو إسحاق إبراهيم، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، لبنان، ط 1، 1372هـ-1953م، 170/1.

2. خواطر وذكريات، مرجع سابق، ص 226.

3. وقفات ونبضات، مرجع سابق، مجلد 19، 234-240. وأغلب الظن أن ذلك الأديب الكبير هو العلامة محمد البشير الإبراهيمي، لأن الأستاذ أورد ذات القصة في موضع آخر وسمى فيها الشيخ الإبراهيمي، إلا أنه موّه عنه هنا بأنه كان يكتب في "الرسالة"، وكان مدخناً، وأن الحوار جرى بالقاهرة سنة 1965م، وجميع ذلك لا يتوافق مع سيرة الإبراهيمي، وإنما هو من قبيل العمل الفني فحسب.

أمثال مؤلف "مقاصد القراءان".

ومما احتج الأستاذ به في جواز النظر إلى الجمال حسن النية؛ استدلالاً بالحديث المشهور "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى"¹، فهو لا يستهدف من وراء النظر إلا ما يستهدف الناظر البصير في صنعة الحكيم، المشدوه بإبداع قادر عظيم. فإن الصورة الجميلة ينظر إليها بليد الإحساس فلا يراها إلا جسماً فتعتلج في نفسه عواطف ومشاعر، وينظر إليها الحيوان الجائع فلا يراها إلا مرعى صالحاً لغرائزه الجنسية الجائعة، وينظر إليه الإنسان بفكره الواسع ونظرته البعيدة فيراها صورة لصانعها الحكيم. وإن في تأملنا في الجمال استكناها وتعبداً للجميل المطلق.²

أما النظر المحرم فهو غير هذا، إنه التهام محاسن المرأة، والتغلغل في مفاتها، بدافع من الشهوة والرغبة، وذلك ضرب من التلذذ والإشباع للغريزة الجنسية بطريق غير شرعي، قال الله تعالى: ﴿فَلِِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فَرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (النور: 30)، ففرق بين نظرة بريئة وبين نظرة جائعة ما هي إلا رسول فتنة وبريد زنا؛ كما قال الشاعر:

كل الحوادث مبداهها من النظر .:. ومعظم النار من مستصغر الشرر³

ورغم إقراره بما جاءت به النصوص الشرعية من وجوب غض البصر عما يثير الفتنة ويحرك في القلب نوازع الشر والهوى، إلا أن الأستاذ وجه ذلك المنع كما سبق وجهة أخرى وربط محلها بالقلب ونيته، إلا أن ذلك لم يمنع من الاعتراض عليه بأن ربط الموضوع بحسن النية متعذر في هذا الزمان، فأقر الأستاذ كذلك غاية الإقرار

1. أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم: 01، ص 03.

2. الصديق، في أرض النبوة، (الأعمال الكاملة، مرجع سابق)، المجلد 06، ص 87.

3. المرجع السابق، ص 88.

بفساد الأهواء وتغير النفوس وغلبة المادية التي أجهزت على العقيدة والإيمان.¹ ومثل هذا الرأي الذي ذكر حول الجمال والتأثر به لا يقال من قبيل الاستنتاج العابر، وإنما هو مصداق قول النقاد الذين اطلعوا اطلاعاً فاحصاً على كتابات الأستاذ وأسلوبه فيها؛ يقول الكاتب الكبير شكري فيصل -رحمه الله-: "على أن جانباً ذاتياً يبدو بارزاً في مقالات الصديق وقصصه هذه، وذلك هو طراوة قلبه؛ فأنت تحس أنك أمام رجل لا يزال أو يريد أن يبقى غض القلب، يؤخذ بالجمال، وينبهر به، وتنبض له جوارحه، ويسري في الحديث عنه قلمه، وأنه كيدافع عن ذلك دفاعاً حاداً في واحدة من هذه المقالات، أخشى أن يكون قد جاوز فيه الحد"².

المبحث الثالث: رأيه حول الواقع الثقافي

المطلب الأول- الكتابة والتأليف:

1. الكاتب كائناً مبدعاً: القلم أحد اللسانين، وهو أخطرهما وقعاً وأثراً، وإذا كان حفظ اللسان واجباً، فإن حفظ القلم أوجب لذهاب أثر الأول وبقاء الثاني، فقد قيل:

الخط يبقى زماناً بعد كاتبه .:. وكاتب الخط تحت الأرض مدفون

ومن هنا، فالكاتب العاقل هو من يتعفف عن الإثم والفجور، ويسمو بقلمه عن مواطن الإثم والفجور، ولا يكتب إلا ما يرفع ذكره، ويرضي ضميره. فقد قيل:

وما من كاتب إلا سيئ .:. ويبقى الدهر ما كتبت يده

فلا تكتب لنفسك غير شيء .:. يسرُّك في القيامة أن تراه

أما من يتجرأ بقلمه على حدود الله، فيغري بالوقوع في المعاصي والمنكرات، أو يدعو إلى صرف الناس عن دينهم أو إلى التشكيك فيه، أو المساس بالوحدة

¹. في أرض النبوة، مرجع سابق، ص 89.

². وقفات ونبضات، مرجع سابق، ص 137.

الإسلامية، وتفريق كلمتها، والإعانة عليها، فهذا قلم ينفث السموم، ويفرّق الأدواء، ويكدر الأحوال، فالحرّيّ به كما يرى الأستاذ أن تُكسر سِنُّه، ويهدر سُمُّه، وأن يعامل صاحبه معاملة العدو الضار لا معاملة الابن البار،¹ وقد مثل الأستاذ لتلك النماذج العاقبة -ونادراً ما يذكر الأسماء- بالكاتب سلمان رشدي الذي أسرف في الجراءة على الرسول ﷺ وعلى كتاب الله تعالى، ومن تلك النماذج القليلة التي سماها الأستاذ كاتبة مغربية تدعى سمية نعمان، نشرت صحيفة المجاهد اليومية أن لها كتاباً سيوزع في الجزائر قريباً، بعد أن لقي في المغرب رواجاً منقطع النظير، واسم الكتاب "بعيداً عن كل حياء"²،³ وأياً كان مقصد المؤلفة من العنوان، فإن العنوان قد صيغ بلا شك وفق رؤية معينة، بهدف الترغيب في الكتاب، خصوصاً وأن المحاور التي تسقط الحياء معروفة لدى القراء.

ومما يتصل بالحديث عن الكتاب المنحرفين، الحديث كذلك عن مآل كتبهم المسمومة؛ أي المكتبات العمومية والتجارية؛ فإن بها أعداداً كبيرة من الكتب التي لا تصلح إلا طعمة للنار، لما تحويه من انحراف، وما تحتمله صفحاتها من فساد في العقائد والأفكار، وقد أشار الأستاذ إلى بعض ذلك في إحدى مقالاته بعنوان "وكتب مسمومة"⁴، ولم يسعفه المجال لبسط أمثلة كثيرة، فاكتفى بضرب مثالين من كتب التفاسير المحشوة بالموضوع والمنكر وما سواه.

ولاحظ الأستاذ أنه كلما توالى صيحات الكتاب العقلاء في شأن هؤلاء، كلما أمعنوا في الإسفاف والخلاعة وفجروا في الخصومة، ويجمال الأستاذ غاية فساد أولئك الكتاب المنحرفين في قصة داعرة، وقصيدة عابثة، وصورة ماجنة، ولكنه

1. جولة فكر، سلسلة ما قلّ ودلّ، مرجع سابق، مجلد 41، 27/2.

2. هذا العنوان مترجم عن العنوان الأصلي "Au-delà de toute pudeur"، لكنه نقل إلى العامية العربية بعنوان "بلا حشومة- الجنسانية النسائية في المغرب".

3. لفحات، سلسلة ما قلّ ودلّ، مرجع سابق، مجلد 42، 162/3.

4. جولة فكر، سلسلة ما قلّ ودلّ، مرجع سابق، 35/2.

توجه بلفت الانتباه لمن بأيديهم الحل والعقد، ومن يملكون وسائل التوجيه لذلك الخطر العظيم،¹ إبراءً للذمة ونصحاً لله ولرسوله وللمؤمنين.

2. الكاتب كائناً اجتماعياً: كثيراً ما يتوجه الأستاذ بالنصح للكتّاب الناشئين، بأسلوب لا يقتل في نفوسهم الطموح، وفي فكرهم التجدد، وفي أعمالهم الابتكار، ولكنه يبصرهم بالحقيقة المرّة التي يعيشها الكاتب في البلدان العربية، وخاصة عندنا. ومن ذلك النصح، أن لا يفكر الكاتب تفكيراً مادياً، بحيث يتبغي أساساً فيما يكتب أو يؤلف تحقيق كسب أو تحصيل مورد رزق، لأنه إن فعل ذلك فسيؤول إلى تحطيم قلمه، وهجران الكتابة إثر التجربة الأولى.²

كما تحدث الأستاذ كذلك عن الكاتب من ناحية اجتماعية أخرى لافتة للانتباه؛ وهي الحديث عن الخصام الذي يكون عادة بين الكتّاب أو العلماء الذين شقوا بزوجاتهم، ومثل بشخصيات عديدة في الأدب والفلسفة والعلوم المختلفة، استلهمها من مجلة الهلال التي كانت قد أعدت بحثاً استطلاعياً بهذا الشأن³، وأرجع سبب الخصام بين الكتّاب (والعلماء) وأزواجهم في الغالب إلى أمرين؛ أحدهما أن الكاتب يقضي معظم وقته في بيته، فتكون أسباب الخلاف بينه وبين زوجته أكثر مما لو كان يفارقها صباح مساء، والأمر الآخر هو أن الكاتب أكثر نباهة وأدق ملاحظة وأكثر نقداً، وهذا مما يكدر صفو الحياة الزوجية. يضاف إليه، ما ينجم عن الأعمال العقلية من إتعاب الفكر وإرهاقه وتعريضه للتأثر، والكاتب الجزائري له النصيب الأوفر من ذلك، في بيته وهو يكتب، وفي الشارع وهو يضيع وقتاً طويلاً في الطوابير، وفي سعيه بين المطابع بحثاً عن يقبل إنتاجه. إن الحياة لمن يعيشون بعقولهم وأقلامهم عندنا مأساة ومهزلة، أما الحياة لمن يعيشون بأزواجهم

1. جولة فكر، مرجع سابق، 2/28.

2. أوراق في الدين، مرجع سابق، ص 81.

3. ينظر: "الزواج ورجال العلم"، مجلة الهلال، مصر، العدد: 01، 01 أكتوبر 1909م، السنة: 18، ص 56.

فهي الحياة حقاً.¹

المطلب الثاني - الطباعة والنشر:

في مقال له بعنوان "إنما الحياة بالخبز والكتاب معاً"، لاحظ الأستاذ للقارئ أن الكتاب في الجزائر غال مهما كان ثمنه زهيدا؛ لأن آخر ما يفكر فيه معظم الناس في بلادنا هو الكتاب وما كان سييلا إلى العلم والثقافة والمعرفة، وهذا يبين بالنظر إلى ما ينفق في سبيل الشهوات والملذات دون استعظام لما ينفق فيها. وكان الأصل أن يسعى في تحقيق التوازن بين الغذاء المادي القائم على الطعام والشراب، والغذاء الروحي القائم على العلم والمعرفة،² والوعي بهذا الأمر قائد إلى إدراج المعنوي منهما في جملة المصاريف. وحسب المرء أن يرى طوابير طويلة على المواد الغذائية، ولا يرى طابوراً على الكتاب، وهذا النوع الأخير من الطوابير مشاهد في العالم المتقدم فليس هو من باب الخيال أو المبالغة في المثالية، أما في بلادنا، فإن مما يثير الأسى أن هناك مكتبات حولت في السنوات الأخيرة إلى مطاعم ومحلات تجارية وغيرها مما يدرّ مالا وفيراً.³

إن أكثر أفراد المجتمع في وضع مؤسف من حيث الاهتمام بالكتاب اقتناءً وشراءً وقراءةً، وليس المؤلف - وهو صاحب الكتاب وجامع مادته والمنفق عليه والحريص على نشره - بأحسن حالاً من المواطن العادي الذي يطلب منه الاهتمام بالكتاب وهو معرض عنه، وإن كانت هذه الظاهرة منسحبة على كثير من "المثقفين" أيضاً ممن يكتفون بقدر من التحصيل العلمي، ولا يعرفون قيمة القراءة والكتاب.

أما بشأن معاناة المؤلفين مع الطباعة والنشر والتوزيع، فإن هذا الداء قديم، ولقد تحدث الأستاذ في مقدمة "مقاصد القراءان" عن القصة المؤثرة لسعيه الحثيث في

1. شعل هادية، سلسلة ما قلّ ودلّ، مرجع سابق، 28/3.

2. شعل هادية، مرجع سابق، 59/3.

3. العلم والعلماء، سلسلة ما قلّ ودلّ، مرجع سابق، ص 350.

طباعة كتابه، وما لقي في سبيله من عنت مالي ومعنوي،¹ كاد أن يكون بالنسبة له عائقاً عن الاستمرار في عالم الكتابة والتأليف، لولا لطف الله سبحانه به وتوفيقه له. على أن الاعتداد بالطبقة المثقفة من القراء قد لا يكون سليماً، إذا ما طلبت الدقة في الإحصائيات والأرقام والنسب، فليست نسبة المقروئية التي تعلن عنها الدراسات خالصة للقراء باللغة العربية، فإن القراء باللغة الفرنسية يشكلون قسماً معتبراً في تلك النسبة،² وهذا ما يسبب عبئاً إضافياً ومزاحماً للطباعة باللغة العربية، وقد صرح بهذا الأمر للأستاذ أحد مديري دور النشر؛ فقال إنه يطبع من الكتاب الفرنسي عادة عشرة آلاف نسخة، وقد يطبع أكثر من ذلك، فلا تكاد تنقضي ثلاثة أشهر حتى تنفذ في السوق، فيستعد لإعادة الطبع، أما الكتاب العربي فلا يطبع منه سوى ألفي نسخة، ومع ذلك فغالباً ما تمضي هذه المدة دون أن تباع منه ثلاثون نسخة. ويرى هذا المدير من خلال خبرته الطويلة في المجال أن السبب قد ينحصر في أمرين اثنين؛ أحدهما أن المثقفين بالفرنسية يتأزرون فيما بينهم، ويشجع بعضهم بعضاً، ويفاخرون بإنتاج بعضهم، ويعملون على نشره وترويجه، فيما ترى المثقفين بالعربية شيعاً وأشتاتاً، لا يعرفون التشجيع والمؤازرة. وأما الأمر الآخر، فهو شدة ولوع قراء العربية في بلادنا بنتاج الشرقيين، والإقبال على كتبهم، والتواصي بها، والباعث على ذلك هو اعتقاد الكمال والرفعة في الشرقي، واعتقاد ما دون ذلك في ابن الوطن.³

1. ينظر: الصديقي، مقاصد القراءان، دار البعث، قسنطينة-الجزائر، 2، 1403هـ-1982م، ص 36-38.

2. أشارت الدراسة التي أعدها "المركز العالمي للاستشارات الاقتصادية والاستطلاع" بالجزائر أن لغة القراءة بالعربية جاءت بنسبة 51.5٪، فيما بلغت بالفرنسية نسبة 35٪. ومع ذلك، يرى البعض أن هذه النتائج مضللة؛ لأن هناك خلطاً بين قراءة المناهج الدراسية التي هي إجبارية وتدرس باللغة العربية، وبين المطالعة الحرة التي تكون غالباً بالفرنسية. ينظر: أميمة أحمد، دراسة ميدانية تكشف تراجع نسبة القراءة في الجزائر، موقع الجزيرة نت، تاريخ الزيارة: 2023/08/01م، على الساعة 20.46، الرابط:

<http://www.aljazeera.net/culture/2009/3/15>

3. أضواء وظلال، سلسلة ما قلّ ودلّ، مرجع سابق، 3/275-276.

والذي قاله هذا السيد صحيح بحكم خبرته التي تجاوزت الأربعين سنة في مجال النشر، لكنه حكم متعلق بالفترة التي قيل فيها، أما اليوم فإن دور النشر التي تتولى الطباعة باللغة العربية بلغت في بلادنا حدًّا من الكثرة يصعب ضبطه بالنسبة للقارئ المتتبع لحركة النشر، ولم تعد الطباعة باللغات الأجنبية أو اللغة الفرنسية تحديداً تشكل عبئاً، خصوصاً مع انتشار حركة الترجمة لأكثر الأعمال التي تصدر باللغة الأجنبية.

المطلب الثالث- حول وسائل الإعلام

غداة انسلاخه من العمل بالوزارة سنة 1997م، لزم الأستاذ بيته وانكفاً أكثر من ذي قبل على الإنتاج الأدبي والفكري، غير أن ذلك الانكفاء لم يثنه يوماً عن متابعة الأخبار والأوضاع العامة للبلاد، عن طريق وسائل الإعلام المختلفة من صحف وإذاعة وتلفزيون، وكان رأيه في هذه الوسيلة الأخيرة مختلفاً عن غيرها، لما لها من سحر وقوة جاذبية وسرعة تأثير، ولم يتيسر للأستاذ أن يتابع حركة تطور الأنترنت ومدى تأثيرها، فلو كان له ذلك لكتب في الموضوع، ولكن ما كتبه حول التلفزيون ورسالته وتأثيره، كاف وكفيل بأن ينسحب على جميع الوسائل الإعلامية المماثلة.

التلفزيون في نظر الأستاذ مجرد وسيلة تثقيفية، ولكن أثرها قد يفوق ذلك إذا إتخذ التلفزيون عالماً مرشداً، وناصحاً أميناً، وطيباً مداوياً، فهذه هي حاله "الصحية" التي يكون عليها في البيت، ووسط الأسرة المسلمة،¹ ويبدو أن الأستاذ أدرك من خلال درايته المسبقة أن هذه الشروط والمواصفات غير متحققة الوجود، فاستدرك على نفسه بأن التلفزيون إن كان شيطاناً مريداً، هدفه التلوين والترقيع، والتخنيث والتميع، والمسح والتشويه، فإن اقتناءه جريمة لا تغتفر، لأنه حيثنذ يعدّ

¹. نظرات، سلسلة ما قلّ ودلّ، مرجع سابق، مجلد 42، 411/3.

جيلاً مرَّع الأفكار، مرَّمَّ النظريات، مهزوز الإرادة، مذبذبا بين الرجولة والأنوثة، وبين الإيمان والكفر.¹ ونقل الأستاذ عن أحدهم قوله "إنها يبنيه المسجد في سنة، يهدمه التلفزيون في ساعة"، ليلفت الأنظار إلى خطورة هذا الجهاز الإعلامي على الأبناء والبنات، حتى تُتقى أخطاره، واتقاؤها إنما يكون بانتقاء طيبه من رديئه، وصالحه من فاسده.²

وقد يرى القارئ أن ما يعتقده الأستاذ في شأن "رسالية التلفزيون" ضرب من المثالية التي لا تتحقق على أرض الواقع، ولكن الأستاذ يذكر تجربة له في بلاد الغرب، ففي إحدى زيارته إلى الاتحاد السوفياتي، استرعى انتباهه ما كانت تعرضه الشاشة الصغيرة حين عودته إلى الفندق، إذ إنه لم ير خلالها طوال تلك المدة ما يتنافى والأخلاق العامة، أو يمجّد الإجرام، أو يصور الحياة كأنها للشباب فقط، ولما كانت هذه الظاهرة مثار إعجابه وإعجاب زملائه، عُرض الموضوع على المكلف بشؤون الأديان على مستوى جمهوريات الاتحاد، فكان جوابه أن للشاشتين الصغيرة والكبيرة خطراً كبيراً على الناشئة التي ستتولى قيادة الأمة، ولذا فالحكومة حريصة كل الحرص على انتقاء ومراقبة ما يعرض على الشاشة، وإن من الغباوة بمكان أن نشترى بأموالنا ما نهدم به كياننا.³

المطلب الرابع: مكانة العلماء والمثقفين ودورهم

من يقرأ للأستاذ حول مكانة العلماء والمثقفين يجد أن الواقع الثقافي الفكري في بلادنا واقع مؤسف، وعسير المعالجة، وكثيراً ما يمثل الأستاذ في هذا الشأن بمكانة الكتابة والتأليف والمحاضرة في مقابل مكانة الغناء والتمثيل والرياضة، من باب المقارنة بين الأشياء التي تكوّن مفهوماً واحداً؛ وهو هنا مفهوم "الثقافة"، ثم تتنازع

¹. المرجع السابق، 411/3.

². المرجع نفسه، 412/3.

³. المرجع نفسه، 326/3.

في النسبة إليه، على أن الغلبة دائماً هي - كما يصورها الأستاذ- لصالح "ثقافة الجماهير" لا "ثقافة النخب".

ويقرر الأستاذ في أسى أن الكاتب وإن كان أعلى درجة وأسمى مكانة في المجتمع الإنساني نظرياً، فهو في بعض البلدان في المؤخرة عملياً وواقعياً، وكونه أجدر الناس بالاحترام والتقدير والتشجيع والمكافأة، لا لشيء سوى أن المثقف الواعي، والكاتب الملتزم هو بمثابة المصباح في الأمة، يبدد ظلماتها، وينير جوانب حياتها، وهذا هو دور المثقف، فإذا لم يكن للأمة علماء ومثقفون ومفكرون، يصنعون المعرفة، ويدلّون على المنهاج، ويعطون النموذج في الإبداع، فلن تكون تلك الأمة سوى هيكل بلا روح. ورغم ذلك،¹ فإن من السخرية المؤلمة أن تعرض الأمة عن تلك المصاييح الواجبة، وتلتفت إلى اللاعبين والمطربين والممثلين تهتدي "بنورهم" وتستدفع "بنارهم".²

ورغم أن كثيراً ما يدافع عن العلماء، فإنه يعود على هذه الفئة من الناس باللائمة، لما علم في بعضهم من تشويه للإسلام بالانتساب إليه ظلماً وزوراً، وإذابته بالكذب والافتراء، وإلحاق ما هو بريء منه. إن أنماطاً من المنتسبين المزيّفين لهذا الدين العظيم مجرد دراويش خرافيين³، أو فقهاء متأكّلين، فمن لم يورثه علمه الخشية، فلا بد أن يكون علمه علم لسان، وهو علم لا ينفع لأنه لا قرار له في القلب، ولا أثر له في نفع العباد والبلاد، بل هو شقشقة على اللسان، لا تجاوز الأذان، فهو حجة الله على عبده، ليورده النار وبئس القرار، وبالجملة، فقد أبقى هؤلاء إلا أن يكونوا شاهدين بالإسلام على اعتلاله، ودالين لخصومه على اختلاله.

ويرتب الأستاذ لهذا الخلل آثاراً جسيمة، فيرى أن كثرة الفساد في هذا العصر،

¹. العلم والعلماء، مرجع سابق، مجلد 39، ص 341.

². المرجع السابق، ص 342.

³. شؤون وشجون، مرجع سابق، مجلد 42، ص 293.

وفشو الانحلال والميوعة، وارتفاع الحياء، واختفاء الفضيلة، وحلول الغرائز الحيوانية في كل مكان، وتبدل الحقائق.. إن ذلك كله بسبب غياب العلماء، وخفوت أصواتهم، وتراجع أدوارهم، ذلك أن علمهم علم لسان لا علم قلب، وكيف يكون الصلاح أو كيف يتم التغيير إن كان هؤلاء أيضاً أوعية لعيوب غيرهم من الخلق؟¹

المبحث الرابع: رأيه في قضايا الأسرة والمرأة

لم ينقطع الحديث عن قضايا المرأة في الفكر الإسلامي خلال القرن الأخير، فقد كان لمثل هذه القضايا في حقل الدراسات الفكرية والثقافية ذات النسق الإسلامي اهتمام واسع يفوق من الناحية الكمية كثيراً من القضايا الأخرى، وهو ما يكشف عن مدى حضور قضايا المرأة في الذهنية الإسلامية، فلا يكاد القارئ والمتابع يجد كاتباً أو مفكراً أو فقيهاً أو مصلحاً إلا وقد كتب في هذا الموضوع بصورة من الصور. ولعل من أبرز ما يفسر هذا الاهتمام النشط هو ما أثارته قضايا المرأة من احتدام لمعارك فكرية ساخنة بين المنظومات المتنازعة في رؤيتها الاجتماعية والثقافية والسياسية، وذلك لارتباطها بالحياة العامة والخاصة للفرد.²

المطلب الأول- مكانة المرأة

وتحقيقاً لهذه الرؤية، كتب الأستاذ من قبيل الإسهام في التعريف بجملة من القضايا المتعلقة بالمرأة والشبهات المثارة حولها وحول الأسرة المسلمة، حتى إنه تعرض لطائفة من المسائل التي تشكل اهتماماً لدى المرأة أو اهتماماً بالمرأة ذاتها كالجمل والموضة والحلاقة والخمار والعاطفة والتبرج والرضاعة وغيرها. ولقد تعددت نواحي مناقشاته بين أدبية واجتماعية وصحية وبين شرعية وعقلية، ولم ينس وهو يعرف بالرؤية الإسلامية أن يدعمها بأقوال لفلاسفة ومفكرين غربيين. وفيما

¹. الصديقي، أوراق في الدين، مرجع سابق، ص 43-44.

². زكي الميلاد، الفكر الإسلامي - قراءات ومراجعات، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت-لبنان، ط1، 2012م، ص 141.

يلي عرض لأبرز القضايا التي اشتغل الأستاذ بإيضاحها أو دفع الشبه عنها. يؤكد الأستاذ من جهته على أن المرأة المظلومة التي اتهمت بإخراج آدم من الجنة، وبأنها ناقصة عقل ودين، وبأنها رثة معطلة ورجل مشلولة، لم ينصفها إلا الإسلام، ولم تجد سعادتها إلا في شريعته السمحة.¹

وقد يكون الرجل متقدماً في السن، قامة في العلم، قمراً منيراً في الإضاءة والشهرة، واقفاً عند حدود الشرع، ولكن المرأة عنده ضرورية، تكيّف جوّه وتلطفه، وترتقي به إلى حيث الراحة النفسية، وقد تفجر طاقته العلمية والأدبية بما فيها من السحر وقوة الجاذبية.² وهذه المواصفات هي عين ما طلب الشارع وجوده في الزوجة عند حديثه عما يرغب فيها؛ فقد يظن³ البعض أن المراد بذات الدين هي التي تلازم الوضوء ولا تفارق السجادة، ولكن المراد أنها التي قال فيها الرسول ﷺ: "إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرّته، وإن أقسم عليها أبرّته، وإن غاب عنها نصحتة في نفسها وماله"⁴.

أولاً- عمل المرأة: ينطلق الأستاذ في مناقشته لموضوع عمل المرأة بتوجيه أولوية عملها في بيتها وما يتطلبه من رعاية للزوج وتربية للأولاد، ثم يتناول الحديث عن عملها خارج البيت من جهة الحاجة الماسة، ومن جهة حيازتها على كفاءة علمية فإن الحكمة تقتضي استثمار تلك الكفاءة وعدم تضييعها. وهذا يفهم منه أن عملها في بيتها قد يجب ويتحتم في حال عدم امتلاكها لكفاءة تدعوها للخروج بها من

1. نظام الأسرة في الإسلام (الأعمال الكاملة، مرجع سابق)، مجلد 12، ص 153.

2. الصديق، مع الله في الحرمين، موفم للنشر، د.ط، 2023م، ص 50.

3. خواطر وذكريات، مرجع سابق، ص 79.

4. رواه ابن ماجه في السنن من حديث أبي أمامة، كتاب النكاح، باب أفضل النساء، رقم: 1857، قال الألباني: ضعيف، ينظر: ضعيف سنن ابن ماجه، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط1، 1417هـ-1997م، ص 145.

البيت، فضلاً عن مراعاة بعض الظروف والأحوال التي لا تتفق وتكوينها البدني.¹ ثم استطرد في ذكر مزايا عمل المرأة في بيتها، وما رتب عليه الشرع من أجر وصدقة وتكفير للذنوب ورفع للدرجات وساق في بيان ذلك طائفة من النصوص والآثار عن السلف، نجتزئ منها طلباً للاختصار بما رواه الطبراني: "المرأة في حملها إلى وضعها إلى فصالها كالمرباط في سبيل الله، فإن ماتت فيما بين ذلك فلها أجر شهيد"². بل إن الأستاذ يذهب إلى أبعد من مجرد الحديث عن قناعة شخصية - كما يراها غيره - فيجعل المسألة مما قرره الإسلام وآثره.

غير أن الأستاذ يعلم أن كثيراً من نساء هذا العصر الذي طغت فيه المادة وتضخمت فيه الحريات لا يمكن أن تنفذ إلى قلوبهن معاني الأجر والاحتساب، فقال: "وأين لنساء هذا العصر عقول مستبصرة حتى يفهمن هذا ويدركن أبعاده؟ إن أكثرهن يبالغن في التجميل والتزين إذا خرجن إلى الأسواق، لكنهن في البيوت يهملن أنفسهن ويرتدين الثياب الخلقة المهلهلة"³، وكأنه يرمي إلى أن مقصود المتهالكات على العمل خارج البيت من غير حاجة إنما هو مجرد الخروج والمخالطة، ودليل ذلك المبالغة في التزين في مقابل إهمال حق الزوج فيه، ويؤكد هذا قوله: إننا لو استعرضنا النساء العاملات لوجدنا النسبة الضئيلة منهن يعملن لأنهن محتاجات، ونسبة كبيرة يعملن لقضاء الوقت، وليهربن من الوحدة وأعباء الحياة الزوجية⁴.

وحتى تكون الحجة أكد وأبلغ، فقد نقل الأستاذ كثيراً من أقوال العلماء والفلاسفة والمفكرين الغربيين، ومن آراء الباحثات والخبيرات الغربيات، ومن

¹. الصديق، رحلة في حياة المرأة - بطلات في مواكب الشهداء، منشورات نسيب، الجزائر، د.ط، د.ت، ص 99-100.

². ضعيف، وهو في العلل برقم (2804) عن ابن عمر مرفوعاً. ينظر: الدراقطني، العلل الواردة في الأحاديث النبوية، تحقيق وتخرّيج: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، دار طيبة، ط1، 1405هـ-1985م، 377/12.

³. نظام الأسرة، مرجع سابق، ص 309.

⁴. المرجع نفسه، ص 323.

استطلاعات الرأي والاستفتاءات، تبين في مجموعها جملة من الآثار السيئة لارتقاء المرأة في سوق العمل على حساب الأسرة والمجتمع، وتستخلص حقائق حول الزواج والأسرة والمساواة.¹

ولقد أثر هذا الوضع على الأسرة المسلمة المعاصرة التي بدأت تتحول شيئاً فشيئاً إلى مجتمع سكني أو مبنى فندقي، أو مطعم متعدد الوجبات والزابائن، إضافة إلى التقاليد والعادات والمسلسلات التي تحمل معها نماذج رديئة للعلاقات الزوجية، وتغري بالافتداء بها، عدا عما يقدم للأطفال ويشكل خيالهم، ويعبث بعواطفهم، وينمي بعض الخصائص النفسية التي قد تتحول لتكون وباء عليهم وسبباً إلى الجنوح إلى الجريمة.²

ولكن الرأي النهائي للأستاذ في هذا الموضوع يمكن أن يُستخلص من الأحوال³ التي يستساغ فيها عنده عمل المرأة خارج البيت؛ وهي:

- حالة العنوسة؛ لأن العمل يصرف ذهنها عن الأفكار السيئة، والنزوات الفاسدة، والقلق الخانق الماحق، ولعل في هذا الرأي تفسيراً لقولهم "الراحة للرجال غفلة، وللنساء غُلْمَة"⁴، وهي الشهوة المتأتية عن الفراغ المصاحب لهوى وميل إلى الفساد.

- حالة مرض الزوج المقرون بالحاجة الشديدة إلى المال.
- حالة بطالة الزوج، أو إقالته من عمله، وتعذر الإنفاق من طريقه.
- حالة الاضطرار إلى إعالة الأسرة عقب الطلاق، أو وفاة الزوج أو الولي

¹. نظام الأسرة، المرجع السابق، ص 323-328.

². عمر عبيد حسنة، العولمة فرص وتحديات (الأعمال الكاملة)، المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 1432هـ-2011م، 7/4324.

³. ينظر: الصديق، ورود وأشواك (الأعمال الكاملة، مرجع سابق)، مجلد 21، ص 165-166.

⁴. تنسب المقولة للخليفة الراشد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، ينظر: أبو الحسن الماوردي، أدب الدين والدين، دار المنهاج، المملكة العربية السعودية، ط1، 1434هـ-2013م، ص 165.

المعيل.

- حالة النبوغ في فرع من فروع العلم والمعرفة، بحيث تكون نافعة للوطن بتخصصها.

ثانياً- ولاية المرأة: أسأل هذا الموضوع حبراً كثيراً وشغل عقولاً وأقلاماً عديدة، وتجاذبته الأفهام من زوايا مختلفة، بل إنها تواطأت أحياناً في الاستدلال له على ذات الأدلة، ولقد ناقش¹ الأستاذ هذه المسألة، ومال فيها إلى توهين رأي المانعين المرتكز على "ظاهر" الحديث الذي رواه البخاري وهو قوله عليه الصلاة والسلام "لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة"²، حيث نقل فيه الأستاذ تعليل النووي لعدم الفلاح المشار إليه بنقص المرأة وعجز رأيها، وقد سلّم الأستاذ بهذا التعليل مضيفاً إليه ما يعتري المرأة من موانع تحول دون ممارستها أعمال الخلافة وشؤون القضاء كالطمث والحمل والولادة والتربية، ثم ألمع بالذكر كمنشئاً للخلاف بين الفقهاء في صحة الخلافة، وتطرق للخلاف بين أهل العلم في توجيه الحديث المذكور، ونقل سبب وروده، وخلّص إلى نفي الأخذ بعمومه مستدلاً بالقاعدة الأصولية "العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ"³، ومنه فإن الحديث لا تنهض به الحجة في منع المرأة من تولي رئاسة الدولة، ويرى أن هذا الرأي يتعزز بالواقع المعاصر الذي أثبتت فيه المرأة جدارتها وكفاءتها في تولي مختلف المناصب، فضلاً عما ثبت في

1. الصديقي، من مناهل النبوة (الأعمال الكاملة، مرجع سابق)، مجلد 09، ص 355-356.

2. أخرجه البخاري، من حديث أبي بكر، كتاب المغازي، باب: كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، وهو برقم (4163)، مرجع سابق، ص 1610.

3. أثار القول بهذه القاعدة جماعة من المعاصرين، خلافاً للقاعدة الأصولية المعروفة وهي أن "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"، لمناقشة المسألة ينظر: أبو حامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تحقيق: أحمد زكي حماد، دار الميمان للنشر والتوزيع، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط1، د.ت، ص 443-446. وأبو الحسن الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط1، 1434هـ-2003م، 291/2-296.

التاريخ الإسلامي، وأبرز النماذج فيه سيرة أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-. ولا يبدو أن هذا الرأي -بالنظر إلى مجموع ما كتبه الأستاذ في شؤون المرأة- هو رأي خالص له، ولعله استفاده من أقوال وآراء بعض المعاصرين كمحمد عزت دروزة، وقد أشار إلى بعضها في ثنايا هذه المناقشة بالإحالة على كتاب "أحكام الحكم في الشريعة"¹ لظافر القاسمي.

ثالثاً- الاختلاط بين الجنسين: يرى الأستاذ أن شهوة الاتصال متأصلة في الجنسين، فكل منهما يميل إلى الآخر برغبة قوية، ويميل شديد، وشهوة متأججة، فالعقل مع قوته وضيائه وسلطانه، قد يضعف أمام هذه الشهوة، ويعجز عن مقاومتها. وقد يميل الإنسان أمام هذا الوضع إلى استحسان الاختلاط؛ لأن فيه لذته وميله ونزوعه، فيقول: ماذا في الاختلاط، إن التزمت الحدود، واعتمد العقل، وحكم الضمير، وفكر في العواقب؟ ولكن الواقع يشهد أن الاختلاط يقضي غالباً على التحكم العقلي أو يضعفه.² فيكون هو السبب في كثير من الفواحش والمفاسد التي تنقل خبرها الصحف اليومية.

ويستخلص الأستاذ مما تقدم منع الإسلام للاختلاط وتحذيره منه، تبعاً لأولى خطوات المنع في قول الله سبحانه ﴿ فُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فِرْجَهُمْ ﴾ (النور: 30)، ويقر الأستاذ بأن غض البصر صعب عسير، فيرى أن من الحكمة البعد عن الاختلاط وما يفضي إليه كالحلوة، ويسوق ما رواه الشيخان من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: "لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم" فقام رجل فقال: يا رسول الله، إن امرأتي خرجت حاجة، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا، قال: "انطلق، فحجَّ

¹. ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، دار النفائس، عمان-الأردن، ط3، 1986م، 341-344.

². الإسلام والحريّة، مرجع سابق، ص 50. وينظر: الصديق، أضواء وظلمات، مرجع سابق، ص 563.

مع امرأتك"¹.

وإذا كان الاختلاط في الماضي محرماً، فهو - كما يقول الأستاذ- في هذا العصر أشد حرمة وأعظم خطورة وأسوأ عاقبة، خصوصاً مع اقترانه بانتشار الأخلاق الفاسدة، والتقليد السافر للغرب، وضعف التدين، والبعد عن القرآن والعلم الصحيح، والانكفاء على التعليم "الصوري" الذي لا يبتغى منه سوى الشهادة.

ومع أنه رأي معزز بأدلة من الشرع ونظر من العقل واختبار من الواقع، فإن الأستاذ يتوقع أن يقابل مثل هذا الرأي بالإعراض والازدراء، ويُجعل من قبيل "الدروشة"، فبيراً الأستاذ إلى الله تعالى كلما وقعت امرأة في محذور.²

رابعاً- الصداقة بين الجنسين: في إحدى مجالسه الخاصة، سألته سيدة إن كان ممكناً أن يصادق الرجل المرأة دون أن يكون بينهما خطر الحب، فأجاب بأن هذا السؤال وضعته إحدى الصحف الأوربية منذ مدة، بعد أن ذكرت ظروف الحضارة الراهنة التي تجبر النساء على العمل في المكاتب، جنباً إلى جنب مع الرجل. ومما قالته تلك الصحف إن الصداقة بلا حب غير ممكنة، فإذا اتفقت الأذواق رَفَعَتْ بالأذواق الاتفاق في العمر والرأي والتعليم والتربية والوسط الاجتماعي، فإن هذه الدواعي تفضي إلى تطور الصداقة إلى حب، وقد تفضي إلى عواقب وخيمة. وكم من جرائم أخلاقية تكاشفنا بها الصحف اليومية، والطريق إليها هذه المصادقة.³

المطلب الثاني- قضايا الزواج والأسرة

أولاً- العزوبة: يرى الأستاذ أن تعطيل الزواج طريق إلى الفناء البشري، وصدام مع الميل الفطري، وحرمان للإنسان السكينة والطمأنينة والمودة والرحمة ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً

¹. متفق عليه. واللفظ لمسلم، برقم: 1341، ص 566.

². الإسلام والحرية، مرجع سابق، ص 51.

³. ورود وأشواك، مرجع سابق، ص 151-152.

وَرَحْمَةً ﴿ (الروم: 21).¹

وتحدث عن العزوبة، وخطأ المائلين إلى مدحها من وجوه متعددة طبيعية واجتماعية وأدبية وصحية، بل إنه نقل عن الأمم الغربية موقفها المتحفظ من العزوبة وقوانينها المضيقة على العزاب.²

غير أن الأستاذ يرى أن الحكم الفصل في الموضوع هو أن العزوبة قد تكون اضطراراً يلجأ إليه لفقر أو لعدة فلا يكون صاحبها ملوماً لأجل ذلك. ويخلص الأستاذ إلى أن العزوبة شر يجب تجنبه واتقاؤه، لأن الأعزب وإن كان صالحاً فهو معرض نفسه لشر من الفتنة.³

ثانياً- الزواج بالأجنبية: خصص الأستاذ القسم الثاني من كتابه "رحلة في حياة المرأة"⁴ للحديث عن زواج الشرقيين بالغربيات، وهو في الأصل فصول مأخوذة من مجلة "الهلal" لصاحبها جرجي زيدان بداية من العدد 30 الصادر في 1923/12/01م، استكتب فيه صاحب المجلة جماعة من مشاهير الأدب والفكر في تلك الفترة؛ كالعقاد والرافعي والزهاوي والريحاني ومي زيادة ومصطفى عبد الرازق وغيرهم، وقد تراوحت آراء أولئك الأدباء تبعاً لتوجهاتهم ومناشئهم.

التعبير بالأجنبية تعبير متأخر غير معهود في لغة الفقهاء المتقدمين، والمقصود به غير المسلمة مطلقاً سواء أكانت مشركة أم كتابية؛ أما المشركة فلا جدال في حرمة الزواج بها لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يَوْمٍ وَلَّامَةٌ مَّوْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ (البقرة: 221). وأما الكتابية - يهودية أو مسيحية - فقد حكي الإجماع على إباحتها الزواج بها، لأن أهل الكتاب يقولون بأصول التشريع

1. مرايا- سلسلة ما قل ودل، مرجع سابق، مجلد 42، 307/3.

2. نظام الأسرة في الإسلام، مرجع سابق، ص 171.

3. المرجع نفسه، ص 172-173.

4. رحلة في حياة المرأة، مرجع سابق، ص 171-224.

وكلياته والقول بالألوهية¹، ومفسدتهم -كما يقول الدهلوي- خفيفة مقارنة بغيرهم، ومن حقه أن يرخص فيه ولا يشدد.

وقد خالف بعضهم، فذهب إلى أن الآية المذكورة تعم الكتابية أيضاً، واستدل بها رواه البخاري من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه قال: "لا أعلم شركاً أعظم من أن تقول ربها عيسى"². وقد وجه الإمام الطبري ذلك وجهة الكراهة فحسب، لثلا يزهد الناس في المسلمات³. وساق الأستاذ في شأن هذا التعليل جواب عمر الذي رد به على حذيفة وهو قوله: لا أزمع أنها حرام، ولكن أخاف أن تعاطلوا المؤمنات منهم.

وبعد عرض مقتضب للخلاف الذي مهد به لتناول المسألة، اختار الأستاذ القول بالمنع، استناداً إلى الفرق بين البيئة التي قيل فيها بالجواز وهي بيئة تتسم غالباً بقوة العقيدة والاعتزاز بالدين وعلو الهمة، وهذا لا يكاد أن يتحقق في مجتمعاتنا المعاصرة التي تتسم في المقابل بضعف العقائد وخور النفوس وفساد الهمم. ثم نقل ما أفتى به العالمان الجليلان ابن باديس والتبسي وهو حرمة الزواج بالكتابية مقررين أن عموم قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (النساء: 141)، يشمل تزوج المسلم بالكتابية لما لها من سلطة على زوجها في العصر الحاضر خصوصاً، ولما يستتبعه من تأثير على الأولاد، حتى لقد قال الشيخ العربي التبسي: "من تزوج بفرنسية فقد أدخل إلى داره (آدمينستراتورا)⁴".⁵

1. نظام الأسرة، المرجع السابق، ص 239.

2. أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر، كتاب الطلاق، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ﴾، رقم: 4981، مرجع سابق، ص 2024.

3. ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، ط2، 1420هـ-1999م، 583/1، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ﴾ (البقرة: 221).

4. أي: مديراً، وكان المتزوج بفرنسية قد أدخل إلى بيته رجلاً ينازعه في قوامته التي هي أخص خصائص الرجل في الأسرة الإسلامية.

5. نظام الأسرة في الإسلام، مرجع سابق، ص 241، 244.

ثالثاً- أهمية الولي في الزواج: على الرغم من أن وجود الولي ركن ركين في عقد الزواج؛ لا يصح إلا به، لقوله ﷺ: "لا نكاح إلا بولي"¹، إلا أن في اشتغال العلماء والكتّاب بتناول هذا الموضوع دليلاً على وجود تساهل فيه على أرض الواقع، وهو وإن لم يكن منتشرًا فإن التنبيه على خطره متأكد في حق أهل العلم، وقد أسهم الأستاذ بالكتابة في الموضوع والتنبيه على أهميته، وتساهل كثير من النساء فيه، لا من جهة الجهل به، فإنه العمل الذي تواطأ عليه المسلمون منذ عرفوا الإسلام، ولكنه عائد إلى الانسياق وراء موجات تحرير المرأة، واعتبار شرط الولي في صحة زواجها من قبيل التدخل في شؤونها والحدّ من حريتها والخط من قيمتها²، وهذا الزعم شائع القول به في كثير من البلاد الإسلامية، أما في الجزائر فهو عائد إلى القبول ببعض التعديلات القانونية المتعلقة بالمادة الخاصة بتغيب ركن الولي في عقد الزواج، أو إحداث تغيير في صفته، وقبول من يرضين به عائد إلى جملة أسباب اجتماعية حالت بحسبهن دون تحقق وجود الولي "المناسب"³.

غير أن الواقع أثبت أن المرأة كثيراً ما تخضع لحكم العاطفة، لا تحسن الاختيار، تقع في أسوأ العواقب، وتدخل الولي ضروري حتى يظهر أنها لم تتول الركون إلى رجل وحدها دون علم ذويها؛ فذلك أول الفروق بين النكاح الشرعي وبين أنواع أخرى من النكاح الحرام كالزنا والمخادنة والبغاء والاستبضاع.

ولا يقف الأمر في نظر الأستاذ عند مجرد الاختيار فحسب، وإنما يهيئ للولي وعشيرته وأنصاره وجيرته ليكونوا حماة المرأة والذائدين عنها. هذا من حيث

¹. صحيح، عزاه الألباني للبيهقي من حديث عمران بن حصين وعائشة -رضي الله عنها- ينظر: الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، المكتب الإسلامي، ط3، 1408هـ-1988م، رقم (7557)، ص 1254.

². مرايا، سلسلة ما قلّ ودلّ، مرجع سابق، مجلد 42، ص 305.

³. "الشارع تحت الصدمة.. جزائريات يتزوجن دون فاتحة ولا ولي!"، موقع الشروق اون لاين، تاريخ التصفح:

2023/07/16م، على الساعة 13:19، الرابط: <https://echoroukonline.com>

الأصل، أما من حيث القبول والرفض فليس للولي أن يفرض على الفتاة من عرض عليها، وإكراهها على قبول من ترفضه، إلا أن تكون الفتاة ساذجة أو خيالية تنظر بعين المثالية الزائفة، أو أن تكون الثيب قليلة الخبرة ضعيفة التجربة، فهنا تستشأر أمها باعتبارها أدرى الناس بحال ابنتها وأحرصهم على سعادتها.¹

أما² إن ركبت الفتاة رأسها، واختارت وحدها من ليس أهلاً، وتبين وليها أن إمضاء الزواج سيسبب المشاكل ويؤدي إلى نتائج غير محمودة، فإن له استناداً على الشارع الحكيم أن يقضي بفساد الاختيار وبطلان العقد، فقد قال الرسول الأكرم ﷺ: "أيما امرأة تزوجت بغير إذن وليها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل".³

رابعاً- تعدد الزوجات: يرى الأستاذ أن تعدد الزوجات هو من قبيل المباح، ويعبر عنه بقوله إن "الإسلام إنما أجاز التعدد لأسباب وأمور تعرض للزوجية فيكون من المصلحة التعدد" ثم ذكر من بين تلك الأسباب عقم المرأة في مقابل قوة الرجل، ومنها عدم رغبة الزوجة في الإنجاب بخلاف الزوج، ومنها مرض قد يصيب الزوجة يمنع الرجل من موائعها.⁴

خامساً- تحديد النسل: يرى الأستاذ كذلك أن تحديد النسل أو تنظيمه أمر لا يقره الإسلام كمبدأ يجب على الناس أن يعملوا به، ولا يجوز لهم أن يجيدوا عنه، وإنما يبيحه للأحاد في ذات أنفسهم؛ فالناس مختلفون في واقع حياتهم، لأن ثمة القوي والضعيف، والغني والفقير، والإسلام دين رحمة يراعي الظروف

1. مرايا، مرجع سابق، ص 305.

2. مرايا، مرجع سابق، ص 306.

3. رواه الحاكم في المستدرک من حديث عائشة -رضي الله عنها- برقم: 2744، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ينظر: الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، دار التأسيس، القاهرة-مصر، ط 1، 1435هـ-2014م، 3/443-444. ولفظه من حديث عائشة -رضي الله عنها-: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فإن أصابها، فلها مهرها بما أصابها، وإن تشاجروا فالسلطان ولي من لا ولي له".

4. مرايا، مرجع سابق، ص 308.

والأحوال، ولكل مقام ما يناسبه.

غير أن الأصل في تحديد النسل التحريم، لأن العمل به يناقض الحكمة من الزواج، ويفوت الغرض من خلق آدم، وهذا التحريم ينسحب على الحالات العادية التي لا تستدعي ضرورة حيث يقال فيها بالإباحة، وقد تؤول إلى الوجوب كما يرى الأستاذ مستعيناً بالنقل عن الفقهاء.¹

ثم يسخّف الأستاذ رأي دعاة تحديد النسل، المستندين إلى قلة دخل الفرد وانحطاط المستوى الاجتماعي، بقوله إنها دعوة خرقاء لا تتم إلا عن سطحية في التفكير، أو ضلال في التخطيط، وأن الأولى بهم أن يدعوا إلى تجنيد السواعد البشرية لخدمة الأرض واستخراج ذخائرها، بدل الإمعان في التذمر وشكوى الفقر.²

سادساً- الرضاعة: في مقال له في هذا الموضوع بعنوان "في الرضاعة الطبيعية صحتان: بدنية ونفسية"³، ساق الأستاذ من التراث قصة عن إمام الحرمين الجويني (ت: 478 هـ) وفيها: أنه كانت تلحقه في بعض الأحيان فترة في مجلس المناظرة، فيقول: هذه من بقايا تلك الرضعة. ويقصد بها تلك الرضعة التي ناولته إياها إحدى النساء على حين غفلة من أمه، وكان زوجها أبو محمد الجويني (ت: 438 هـ) قد أوصاها بعدم تمكين أي امرأة من إرضاع الصغير. ويأخذ الأستاذ من هذه القصة وجوب العناية بتربية الأطفال، ورعايتهم، وأن التهاون في رضاعتهم يعرضهم لسوء العواقب. بل إنه يرى أن ما شاع في العصر الحاضر من عزوف الأمهات عن إرضاع أولادهن من صدورهن طمعاً في بقاء الجمال أو طلباً للراحة، مقاومة للفتنة ومفسدة للنسل، وتخل عن واجب الأمومة.⁴

1. نظرات، سلسلة ما قل ودل، مرجع سابق، ص 374/3.

2. المرجع نفسه، ص 375/3.

3. سوانح، سلسلة ما قل ودل، مرجع سابق، ص 260/2.

4. المرجع نفسه، ص 261/2.



خاتمة



بعد الانتهاء من هذا البحث الذي أرجو أن يكون مرجعاً موثقاً وشاملاً في التعريف بالأستاذ وجهاده وفكره وأدبه، تم التوصل إلى جملة نتائج، أذكرها مشفوعة ببعض التوصيات والاقتراحات على النحو التالي:

1. أسهم الأستاذ بمكتبة متكاملة ومتنوعة من حيث العطاء المعرفي، وتقاطعت جهوده مع جهود الحركة الإصلاحية بما تناول من موضوعات رسخت معالمها تلك الحركة الإصلاحية فيما تركت من أعمال، والتي في مقدمتها الصحف والمجلات. ولم ينتم الأستاذ لأيٍّ من فروع ومدارس جمعية العلماء المسلمين بحكم الحساسية الشديدة التي كانت تحوط عمله كمناضل في المنطقة ثم كصحافي تونس، ثم كعسكري في فزان، ثم كدبلوماسي في طرابلس الغرب، غير أن خطه الذي ارتضاه لنفسه وخطته التي رسمها في حياته لم يخرجها عن الإصلاح الذي طالما نادى به الجمعية ودعت إليه واستمات رموزها في سبيل تحقيقه، وقد كان للأستاذ شرف اللقاء ببعض أولئك الرموز والتعامل معهم (العربي التبسي، حمزة بوكوشة، محمد العيد آل خليفة، أحمد حسين، الخ).

2. للأستاذ جهود ضخمة في إثراء الثقافة الإسلامية؛ وهي جهود واضحة المعالم، بيّنة الأهداف، تجمع إلى عمق النظر بساطة الفكرة، وتزواج بين علمية الطرح وإشراقه الأسلوب. ويتمثل وضوح مشروعه في توظيفه للأدوات "العمومية" المتاحة لا "النخبوية" المحددة، أي من خلال الاستعانة بالقراء والتفسير ومهاتم العقائد والإيمانيات والتزكية وشرح الحديث والتاريخ الإسلامي والوطني، واجتتاب أصول الفقه ودقائق علم الكلام وعلوم الحديث رغم اشتغاله بجمعيتها في فترة الطلب ثم في الفترة التي تولى فيها التدريس بالمعهد الليولي، ولم يشذ عن ذلك المنهج سوى كتابه "مقاصد القراء"؛ فإنه وإن كان في تخصص مبتكر إلا أنه ليس بتلك الدقة الصارفة عن الانتفاع بالكتاب وموضوعاته، بفضل سلاله أسلوبه ووفرة مادته المستمدة من القراء الكريم.

3. كما أن للأستاذ جهوداً كبيرة في مجال القيم (العمل، التدبُّن، الحرية، الجمال،

المسؤولية، الزمن، الخ)، فهو كاتب اجتماعي من الطراز الأول، وبالرغم من انخراطه في معالجة ما تقتضيه النظرة الإصلاحية من تقوية الإيمان وتصحيح العقائد وتزكية الأخلاق والتحذير مما يصاد جميع ذلك، فإنه أبدى اهتماماً بالغاً بالبعد الاجتماعي، من خلال احتفائه بمجال القيم، وقد أشار البحث إلى أن ذلك الاحتفاء لم يكن فلسفياً بحتاً، ولكنه كان يجيء غالباً بحسب ما تتطلبه الكتابة الصحفية الموجهة إلى أخلاط القراء المختلفة. ولم تسهم عزلته الطوعية بمكتبه ومكتبته في ابتعاده عن شعور الناس ومشكلاتهم وهواجسهم، فكتب عن الهجرة غير الشرعية "الحرقه" للتحذير منها، وكتب عن كورونا للاعتبار بها، وكتب عن الحراك "السلمي" تذكيراً من خلاله بمظاهرات الشعب الجزائري أثناء فترة الاستعمار، وهكذا في كل مناسبة، يثبت أنه كاتب مهموم ومتحرك ومتفاعل ولم يكن قط كاتباً مشرفاً على الناس من برج عاجي.

4. كتب الأستاذ من موقعه كعالم شرعي ومفكر إسلامي وكاتب قيمي وأديب ملتزم ما تخرج غيره من التطرق إليه، مما يتصل بالمرأة والحب والجمال، وتفسير تلك المعاني وإبداء الرأي فيها والتعاطي معها وتوجيهها وتصحيح المفاهيم الشائعة حولها.

5. استفاد الأستاذ من خبرته الطويلة مع الكتاب تأليفاً وطباعة ونشراً وتوزيعاً، ومن خبرته كذلك مع الإعلام المرئي والمكتوب إعداداً وتقديماً، وأكسبته تلك الخبرة مزية إبداء رأيه بارتياح ودونما تردد، ولذا فإنه يورد رأيه في هذا الموضوع أثناء تقييمه للحالة الثقافية في الجزائر، ومكانة أهل العلم والفكر والمثقفين وانحسار أدوارهم فيها وتراجع تأثيرهم لحساب غيرهم، حيث يرى أنها حالة مؤسفة ومزرية.

6. كان الأستاذ هو المرجع الأول بالنسبة للباحثين في جملة من الموضوعات التي لم تنل حظها من الدراسة الموسعة قبل إشارة الأستاذ إليها في كتبه؛ ومنها: زاوية "سيدي عبد الرحمن اليلولي"، وعملية العصفور الأزرق، وإدارة البعثة الجزائرية بليبيا، و"صوت الجزائر" بطرابلس الغرب، والمرابطة بصحراء "فزان" ومعركة "إيسن"، فضلاً عن التعريف بكثير من الأعلام كالشيخ الرزقي الشرفاوي والشيخ

المولود الحافظي والشيخ السعيد اليجري وعمر أو عمران ومحمد إغزورن والشاعرين التونسيين محمد بوشربية ومحمد الشاذلي خزندار، وعرف القراء بشخصيات عفى عليها الزمن وأنتها عوادي الدهر وأهملتها حسابات السياسة.

7. ولجميع ما مر ذكره، حظي الأستاذ منذ فترة مبكرة من حياته بربط عدد كبير من العلاقات المختلفة ذات المستوى المرموق سياسياً وفكرياً وأدبياً وثقافياً، وهذا التنوع مما لم يتيسر حصوله لكثير من مثقفي عصره.

وفي ضوء ما تقدم، يوصي البحث بجملة مقترحات؛ وهي:

- للأستاذ في كتاباته أسلوب سلس وبيان مشرق حقيق بأن تضمّن نصوص منه في المناهج التعليمية، حتى يوقف بها على مقدار الإبداع في بلادنا، وحتى يُعرف الفضل لأهله، ففي المقدمة التي صدر بها العلامة مبارك الملي لي لكتاب الأستاذ موسى الأحمدي (نويوات) الموسوم بـ "المتوسط الكافي في علمي العروض والقوافي"، عاب الشيخ الملي في الكتاب وفي حسرة بالغة إغفال الأدب المغاربي والكتب المتصلة به والرافدة له، وقال إن الزهد في الإنتاج المغربي عيب قديم في أدبائنا، ومثّل لذلك الزهد والتقصير بنماذج مثل "العقد الفريد" لابن عبد ربّه، و"زهر الآداب" للحصري. ثم قال إن قدم هذا العيب في كتابنا لا نراه شفيحاً مقبولاً، واللائق بنا أن نحرر أنفسنا من تراث يُنسي أنفسنا، ويشلّ نشاط العاملين منا، ويزهد أعقابنا فينا.

- الإسهام بترجمة بعض أعمال الأستاذ التي تدخل ضمن نطاق العمل الدعوي إلى اللغات الأجنبية الشائعة؛ كاللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية تحديداً، وعرضها بأحجام تساعد على الاستفادة منها خصوصاً بالنسبة للمسلمين المغتربين أو الأعاجم حديثي العهد بالإسلام، ممن لا ثقافة واسعة لديهم حول الإسلام، وللاستاذ عناوين جديرة بمثل هذا الجهد لو تحقق ككتابه "هذا هو الإسلام"، و"توجيهات نبوية"، و"محمد ﷺ في نظر المفكرين الغربيين"، و"الإسلام مبادئ وسلوك"، و"عالمية الإسلام"، وغيرها، فإن ذلك أقل ما يمكن أن يجازى به الرجل

من اعتراف له بالفضل وإقرار له بالجميل.

- الاستفادة من الجهود الضخمة التي بذلها الأستاذ في مجال التراجم، للبناء عليها في إعداد أرضية رقمية لأعلام الجزائر، على غرار ما تفعله الأمم التي تعزز بتاريخها المجيد.

- توسيع البحث والدراسة في بعض الأحداث التاريخية المهمة التي أثار الأستاذ الحديث عنها مثل "عملية العصفور الأزرق"، التي ثبت صحة وقوعها من طريق الشهادات الحية لكبار المناضلين والمؤرخين، والهدف هو إظهار عبقرية النضال الوطني من جهة، وإزالة اللبس من جهة أخرى بين هذه العملية وبين ما عرف بالزُرُق (la bleuite). وما أشار إليه الأستاذ كذلك ولو بشكل عارض "معركة إيسن" التي أثبتتها الوثائق الأرشيفية وبعض الدراسات الأكاديمية رغم قتلها واقتضاب ما قدمت حولها من معلومات.

- توسيع البحث كذلك فيما يتعلق ببرنامج "صوت الجزائر" من طرابلس الغرب، وإدارة البعثة الجزائرية بليبيا.

- وما يجب التأكيد عليه - وهو من باب الرجاء - أن يقوم الأستاذ بنفسه وبمعية من يثق فيه من أهل الدراية أو الاختصاص على أرشفة ما يحوز من وثائق ومخطوطات سواء أكانت مراسلات أم كتباً أم صوراً، كما أن في مكتبة الأستاذ كذلك كثيراً من نفائس الكتب بطبعاتها الأصلية، وعدداً معتبراً من المجلات والصحف (الوطنية منها خاصة) حَرِيَّةٌ جميعُها بالعناية بها وأرشفتها لغرض الاستفادة منها.

- كما يوصي هذا البحث بتوجيه الاهتمام نحو المقالات الغزيرة والثرية في مجلتي "الأصالة" و"الثقافة" الجزائريتين، بغية التنبيه على الإسهام البنائي للثقافة الإسلامية في الكتابات الجزائرية المعاصرة.

والحمد لله رب العالمين.



ملاحق



أولاً: الصور

ملحق رقم (01)



الأستاذ يافعا



الأستاذ في غرفة شبابا



الأستاذ أيام صدور "مقاصد
القرآن"



الأستاذ طالبا في الزيتونة

ملحق رقم (02)

Ar'erib.		574
	Tazrout (le petit rocher).	
	Rebodh.	
	Boujelil	
	Tamássith (le corps de garde)	
	Agueraradj (endroit caillouteux)	
	Aït Ouchchen (les fils du chacal).	
Aït el-Adeur.	Taouint Oudafal (la petite source du lierre).	2,585
	Ibskriën (les descendants du Bis-kri)	
	Azrou bou Ammar (le rocher de l'épervier)	
	Hendou.	
	Total.	6,258

ابسكرين
القرية التي ينتسب إليها الأستاذ



قرية إيسكرين التي يعود أصل الأستاذ إليها. المصدر:

Hanoteau. A, Letournoux. A, *la Kabylie et les coutumes kabyles*, T1, Paris, s.d, p 325



خريطة تبين حدود منطقة زاوأة، وفيها تحديد لمنطقة عرش آث جناد

ملحق رقم (03)



حفل في الزاوية اليلولية سنة 1938



الأستاذ علي اليمين أيام تدريسه بالزاوية اليلولية



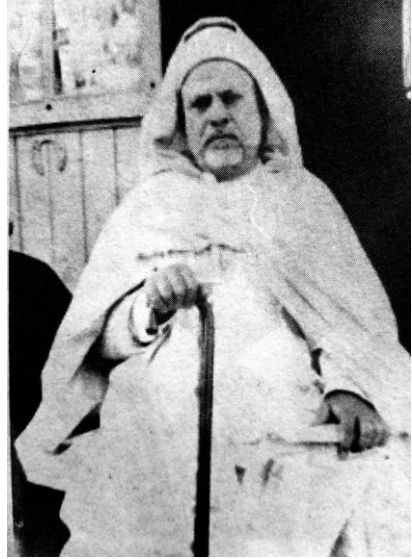
الشيخ الإفليسي جد الأستاذ



الشيخ محمد البشير والد الأستاذ



الشاعر محمد بوشريية شيخ الأستاذ
بالزيتونة



العلامة الرزقي الشرفاوي شيخ
الأستاذ بالزاوية

ملحق رقم (08)



في صحراء فزان وعلى يساره الشهيد علي سويبع 1957

ملحق رقم (09)



الأستاذ يساراً والمناضل بشير قاضي يمينا والعقيد إعزورن جالساً

ملحق رقم (10)



الأستاذ على يسار رئيس الحكومة يوسف بن خدة

ملحق رقم (11)



الأستاذ على اليمين وفي الصورة أحمد بن بلة ومحمد خيضر

ملحق رقم (12)



الأستاذ الرابع يسارا مع شخصيات علمية في موسكو

ملحق رقم (13)



الثاني على اليمين مع وزير الشؤون الدينية الشيخ عبد الرحمان شيبان في جلسة عمل -

قسنطينة 1986

ملحق رقم (14)



الأستاذ يحاضر وعلى يمينه الشيخ عبد الرحمان شيبان

ملحق رقم (15)



في إحدى المحاضرات وإلى يمينه الشيخ عبد الرحمان شيبان والشيخ علي المغربي

ملحق رقم (16)



الأستاذ مع مجموعة من طلابه بإحدى ثانويات العاصمة

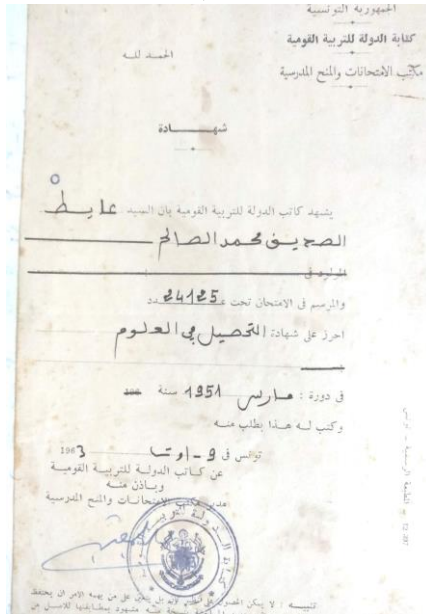
ثانياً: الوثائق

ملحق رقم (17)



شهادة التحصيل في العلوم من الزيتونة عليها إمضاء الإمام ابن عاشور سنة 1951م

ملحق رقم (18)



شهادة إدارية تثبت حصول الأستاذ على شهادة التحصيل

ملحق رقم (19)

A. L. N. & F. L. N. بطاقة شخصية
 Carte Individuelle

اسم المصور ولقبه محمد الضالع
 الصدقي 1967

Nom SEDDIK العمر
 Prénom Mohamed Seddik المقر
 Né 1966 الصفة
 Qualité Président العائنة والدائمة والإزاعة
 Département Alger العمالة
 Commune Belt. Gueyson الدائرة
 Section رضند الفرع
 Domicile " " "

Commandant Supérieur
 de l'Armée de Libération Nationale

00013

بطاقة شخصية للأستاذ صادرة عن القيادة العليا لجيش التحرير الوطني

ملحق رقم (20)

ARMÉE ET FRONT DE LIBÉRATION
 NATIONALE ALGÉRIENNE جيش وجهة التحرير
 الوطني الجزائري

1957
 1956

شهادة كفاح
 بيشهد المصنف اسفله ان الحاج بدير قائد الولاية اساهة أه
 في العديد من المراحل تجند مع جيش التحرير الوطني في 1956 بجزائر بجزائر
 بيشهد سياسي وموفقا لمدلتك. كمنلة رئاسة البيت الوطني بجزائر
 في 1956 فادورها. وذلك سنة 1956. وقد أوتت مهمته هذه في الكفاح
 حسب مملوكه، وتضمنه وانكس.

بإمضاء

عادل
 محمد

شهادة كفاح تثبت مشاركة الأستاذ في القتال بمنطقة فزان كمرشد سياسي وموجه أخلاقي، محررة
 ومعضاة من طرف الرائد إيدير

مصلحة الصحافة والنشر

تونس ١٨ ماي ١٩٥٤ سنة

يشهد مكتب الصحافة والنشر بمصلحة
التحرير الوطني الجزائري بتونس، بأن
الأخ محمد العالم الصديق « أيت مديون العالم »
كأن يعمل بالمصلحة المذكورة عمرا
الرائع عاد ومما انت العماء ليقوم بالكفاح
المسالح هناك، يوم ١٨ أوت ١٩٥٤ سنة
وأعطيت له هذه السمادة ليستخدمها
عند الحاجة اليها. ويرى
١٨ / ماي - سنة ١٩٥٤

عبد الوهاب



ملحق رقم (22)

RECUEIL LOUË ALGER EN 1964

DEPARTEMENT DE LA GRAND KARYLIE
ARRONDISSEMENT D'AZAZGA
COMMUNE DE TIMIZART

Nous, soussignés, certifions que le frère
NOM: ALI BEDI
PRENOMS: MOHAMMED YIS HALAN
NE LE: EN 1925 ALIZAR COMMUNE DE TIMIZART
FILS DE: MOHAMMED-BEN MOHAMMED-BE ALI ALISA PAKA

A été
---MILITANT
DU 1954 JUSQUA LA FIN DE LA GUERRE 1964
PAYER A TIMIZART LE 15 JANVIER 1964

LE PRESIDENT DE LA DELEGATION SPECIALE
(CACHET ET SIGNATURE)


Les Membres de la COMMISSION COMMUNALE

Le Représentant du Parti
N O M: ABDELLOU
PRENOMS: ALI
SIGNATURE: [Signature]

Le Représentant de l'Association
des Anciens Moudjahidines
NOM: ALIZAR
PRENOMS: HAÏD MOHAMMED
SIGNATURE: alizer

Le Représentant de la Délégation Spéciale
NOM: OUKARA
PRENOMS: HAÏD
SIGNATURE: [Signature]

2023/6/7 13:08



شهادة كفاح تثبت مشاركة الأستاذ في الثورة منذ 1954م

ملحق رقم (23)

- II - E C L A R A T I O N sur II ' H O N N E U R - 0 -
=====000\$000=====

JE SOUSSIGNE : BEHAPPTA Abdelrahmane.....

NE LE :7.....

DEMEURANT : ALGER (Officier de l'A.N.P.).....

RESPONSABILITES AU SEIN DE LA REVOLUTION : Officier de l'A.L.N....

RESPONSABILITES ACTUELLES S'IL Y A LIEU : ?... DIRECTION CENTRALE DU MATERIEL
de l'A.N.P. (D.N.G.A.)

DECLARE SUR L'HONNEUR QUE LE FRERE : AIT-SHEDDIK Mohamed- SALAH....

NE LE : 1921 - à ABIZAR, Commune de TIMIZART, Départ de GRANDE-KABYLIE

DEMEURANT : 20, rue Levacher à ALGER.....

FILS DE : Mohamed et de AIT-ISSA Fatima.....

A PARTICIPE AU SEIN DE LA REVOLUTION ALGERIENNE EN QUALITE DE :

Responsable propogande et diffusion (O.C.F.L.N.) de mil neuf cent cinquante
neuf (1959) à la fin de la guerre de libération en mil neuf cent soixante deux
EN TERRITOIRE LYBIEN à TRIPOLI


CARTE D'IDENTITE N° . 36476 / 348476.....

DELIVRE LE : . 8 novembre 1963.....

PAR J. PREFECTURE D'ALGER.....

- Falsifié de fausses déclarations ou de faux témoignages la rigueur de la justice le poursuivra impitoyablement par le décret : 66/37 du 2.2.1966

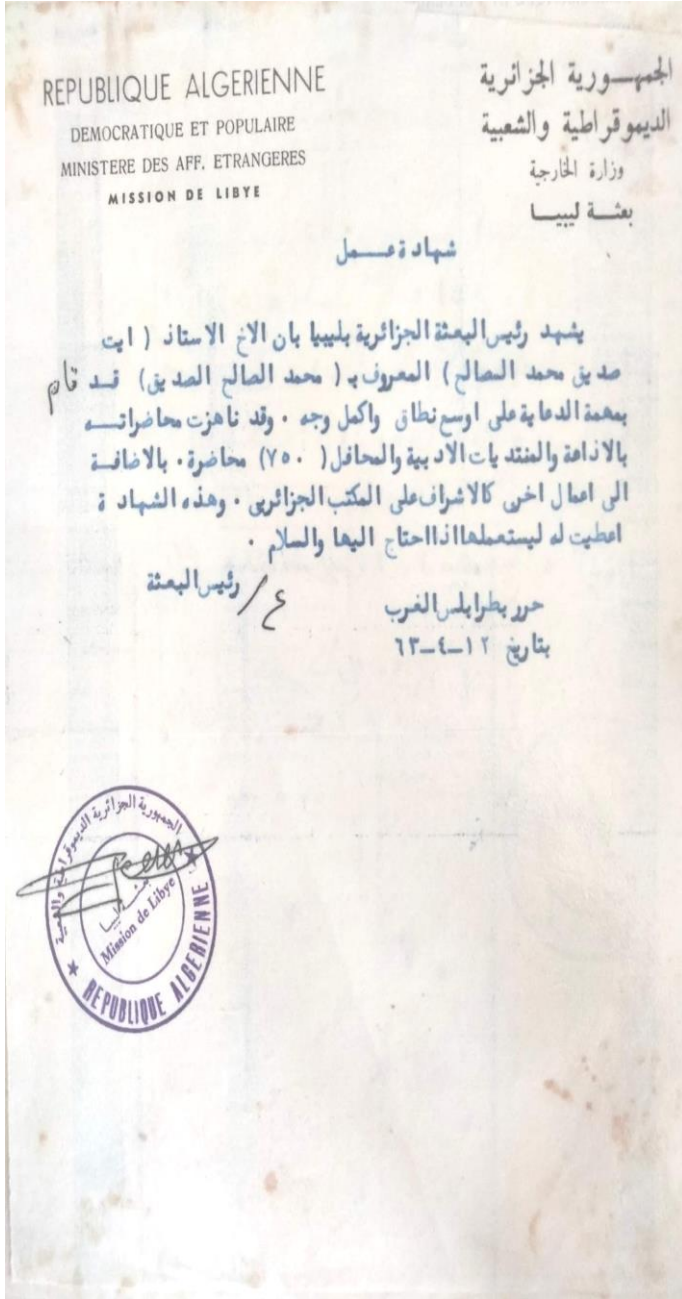
LE TEMOIN
SIGNATURE



2023/6/7 13:09

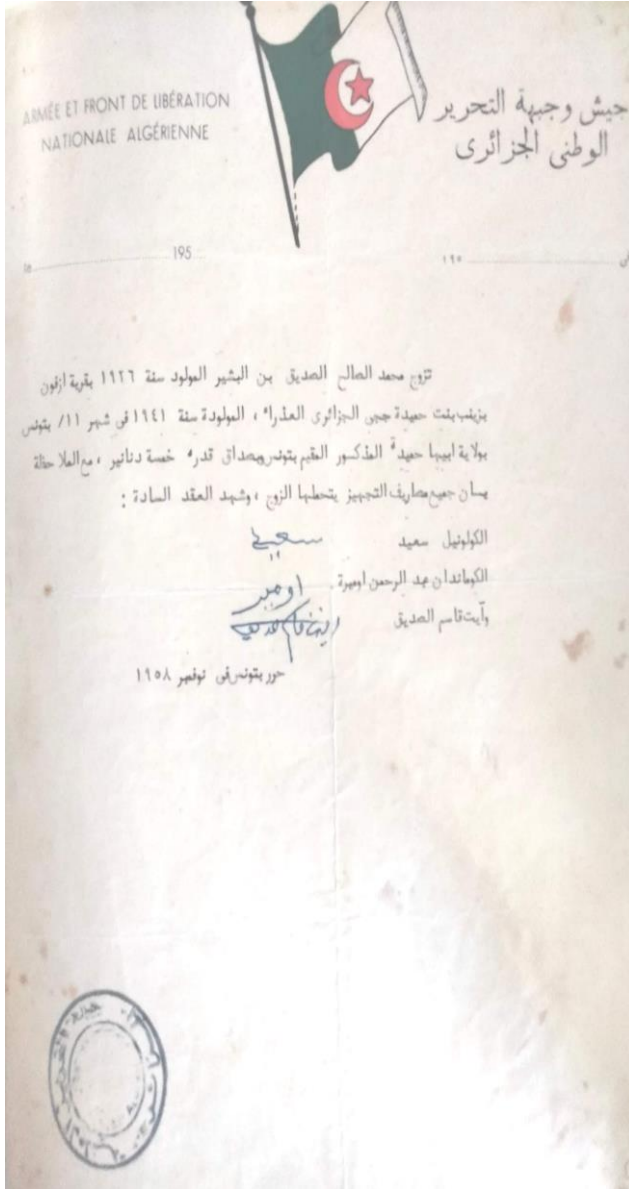
تصريح شرعي يثبت مشاركة الأستاذ في الثورة كمسؤول عن الدعاية والنشر في الفترة المذكورة

ملحق رقم (24)



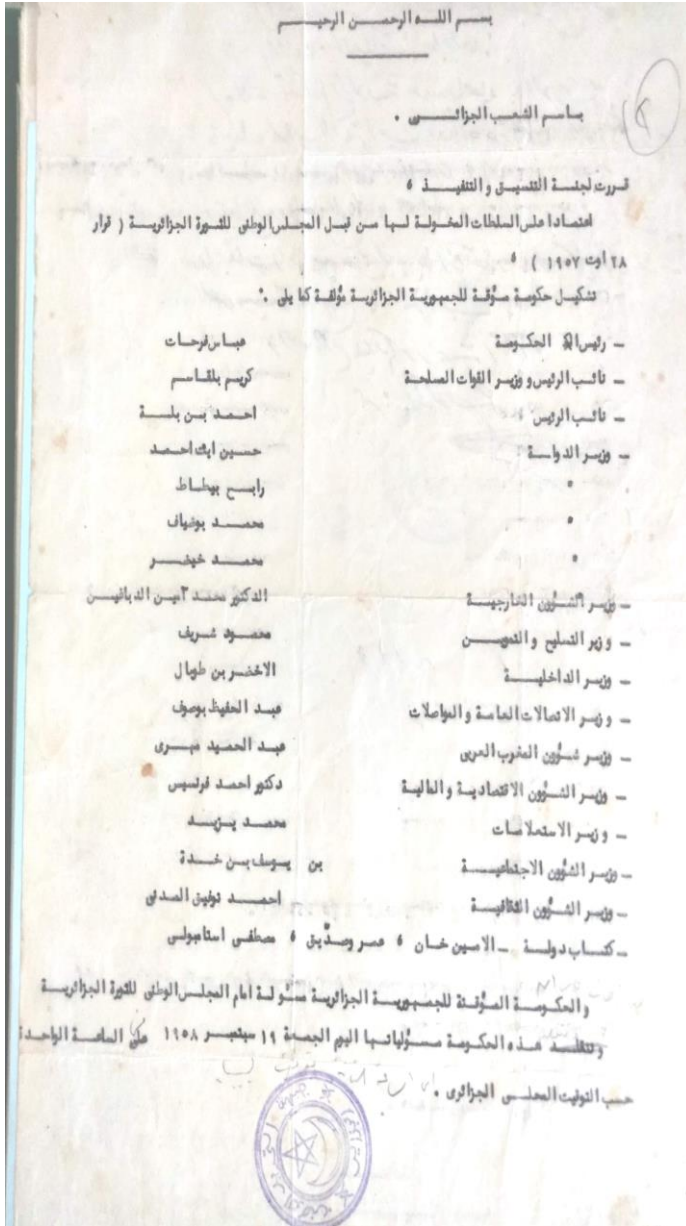
شهادة عمل محررة من طرف إدارة البعثة الجزائرية بليبيا

ملحق رقم (25)



عقد زواج الأستاذ سنة 1958 م. محرر من طرف قيادة الثورة

ملحق رقم (26)



بيان تشكيل الحكومة الجزائرية المؤقتة سنة 1958م، استلمه الأستاذ من قبل قيادة الثورة

ملحق رقم (27)

Post & Telecommunications Dept., Libya مصلحة البريد والتلغراف والتلفون ليبيا

تلغراف - TELEGRAM - TELEGRAMMA

No	رلم	SENT AT	رسم	Office	طابع
Cash	القيمة	TO	توصيل	Date Stamp	التاريخ
Prefix	مصلحة	Office of origin	الكتب المصدر	Words	كلمات
		Date	تاريخ	Time	الوقت
		Remarks	ملاحظات		

PLEASE WRITE IN BLOCK LETTERS - PREGASI SCRIVERE IN STAMPATELLO - المرجو الكتابة بحروف واضحة

To السيد فؤاد الكمباري
وزارة المواصلات
بنغازي

جبهة يقوم على وعيه يسمع وطاكم	التحرير بالركن استجداد ارجوكم ليس الهادي	سبب سالف للقيام الاتصال بذلك المشيوي	جأت الذكر به بالمحطة حفظكم	يمن وهم لو حدهم حتى الله
-------------------------------	--	--------------------------------------	----------------------------	--------------------------

برقية السيد المشيرقي إلى وزير لاتصالات الليبية سنة 1957م يخبره فيها بتعييننا الجزائرية لأعوان المكتب الإعلامي الجزائري

ملحق رقم (28)

Commune mixte du Haut Seboua
Davao, Illanao ou Misau
n° 71 de la Province

Notice de renseignements pour la succession

Nom de la succession	Sidi Abderrahmane
Adresse	Quartier Illanao ou Misau
Nom du propriétaire	Sidi Abderrahmane
Nom du propriétaire	Sidi Abderrahmane
Origine de la propriété	Sidi Abderrahmane
Etat de la succession	Non
Observations diverses en ce qui concerne l'héritage	Contributif et moralité les uns requir son avis au Soud
Depuis quand est-il en fonction?	Depuis 1950
Qu'elle est la contribution?	40,000 20 roubles de figues, 5 q. de blé, 1 q. de riz
Par qui est faite cette contribution?	par les kolbas et la gascina
Signé de l'investisseur et la succession	De une

3 Janvier 1953

تقرير سري يحتوي بيانات شخصية للأستاذ، وفيها إشارة إلى انتبائه إلى حزب الشعب

ملحق رقم (29)

DEPARTEMENT D'ALGER
ARRONDISSEMENT DE TIZI-OUZOU
COMMUNE MIXTE D'AZEFOUN

RÉPONSES

Bulletin de Renseignements
concernant le nommé **AÏT-SEDDIK Mohamed-Salah**

fils de **Mohamed dit Bachir**
et de **Aït-Aïssa Fatma bent Hadj-Cherif**
demeurant à **divers Izarajine (village Abizou)**

Nom

Age **né en 1921 jour: n°10 du 31/1/1934**

État civil

Célibataire, marié, veuf **marié**

Nombre et âge de ses enfants **1 fille âgée de 3 ans.**

A-t-il des parents à sa charge ?

En indique le nombre et l'âge

Profession **Taleb**

Combien gagne-t-il ? **vit avec son père, marabout à Abizou**

Combien gagnent les enfants qui sont avec lui ?

Est-il Docteur ?

Antécédents judiciaires **rien à ma connaissance**

A-t-il l'habitude des boissons ? **non**

Classe de recrutement : **1942.**

A-t-il été soldat ? Quand ? **rien**

Conduite habituelle

Moralité

Vit-il en concubinage ?

Observations particulières

Le père de l'intéressé marabout au village Abizou, est un militant P.P.A. dangereux. L'intéressé lui-même, après de longues études à la Zitouna de Tunis, où il a vraisemblablement sympathisé avec le Néo-Destour, nous est franchement hostile.

10 janvier 1953

L'Administrateur,

Pour l'Administrateur des Services Civils
Chef de Commune,
L'Administrateur en Second,

كشف بيانات (سري) حول الأستاذ ووالده الشيخ البشير، محرر سنة 1952م

ملحق رقم (30)

21 décembre 1951

n: 88/c

Monsieur l' ADMINISTRATEUR
Chef de la Commune-Mixte d'AZZEFOUN

PORT-GUEYDON

CONFIDENTIEL

OBJET : Cheikh AIT SEDDIK Mohand Salah ben Bachir

J'ai l'honneur de vous demander de vouloir bien me faire parvenir une notice de renseignements sur le nommé :

AIT SEDDIK Mohand-Salah ben Bachir, originaire du village Avizan, douar Izarazene.

L'intéressé sollicite l'autorisation d'enseigner le Coran à la Zaouia SIDI-AEDERRAHMANE du Douary Illoula-Ou-Malou (Haut-Sebaou).

Meilleurs sentiments

L'Administrateur
Chef de la Commune-Mixte,

طلب كشف معلومات (سري) حول الأستاذ، بتاريخ 1951/12/21 م

ملحق رقم (31)

ALGERIE
Département d'Alger
Arrondissement de Tizi-Ouzou
COMMUNE MIXTE
D'AZEFFOUB

Port-Guydon, le 11 Janvier 1952

L'Administrateur des Services Civils
Chef de la Commune Mixte d'Azeffou

N° 10 / 0
OBJET : CONFIDENTIEL

à Monsieur l'Administrateur des Services Civils,
Chef de la Commune Mixte du HAUT-SERAGU

à A Z E F O U B

Objet : a/s du nommé AIT-SENNIE Mohamed-Salah
Référé : votre lettre n°88/0 en date du 21 décembre 1951.
P.J : un bulletin de renseignements confidentiels.

MU = B

Comme suite à votre lettre dont l'objet et la référence sont rappelés ci-dessus, j'ai l'honneur de vous adresser ci-joint un bulletin de renseignements confidentiels concernant le nommé AIT-SENNIE Mohamed-Salah, fils de Mohamed dit Bachir

meilleures salutations
L'Administrateur des Services Civils
Chef de Commune,
Bunely

LE PRÉFET MIXTE DU HAUT-SERAGU
N° 3/5
14 1 52

COMMUNE MIXTE D'AZEFFOUB

كشف معلومات (سري) حول الأستاذ، بتاريخ 1952/01/11م

بسم الله الرحمن الرحيم و صلوات الله على سيدنا محمد وآله
 الفسرة م المرح ١٣٨٤ - ٣٣٥٤ جوار ١٩٦٤
 الاخ الكريمة الصديقا الاستاذة محمد صالح الوديعي هبكم الله
 سلاما مستورا و تحية هنيئة و تحفا و تشمل من يريدون ذلك من اخوان
 اهدفا.
 وهو وصول رسالة الاربعة وفتها
 هي - كما كتبت الكتاب في ذلب الذهب من البه الى ايات وجودته
 هديا اياك يسوع من ذلب النجيب و كذا التبت منه و جعلت كاد ابيض
 عمرة و التميز كذا كذا في البوصل النالي و كذا هنيئة و اخر الكتاب - و قد اعطيت
 صورة رابعة عظيمة لمقامات البه ايس و صورة ثالثة كصورة مسودة
 الشياطين و الابالسة و الجلاذير من ابناء البشر السائيا، العظم و المهاجرات
 من بيت باريس بلدم ابوك و صورة باربع بريشة بارعة اعطيتك الله
 و امددك بروح من الله ان تبلغ منتهى اجزاك من عملها ارباب الافلام
 الباردة
 هذا و اني قد كنت اول من اذاع في مختلف المجتمعات ما اعطيت و بمجرا و مفردة في
 يدك و انفس جانك نرجو من اخوانك منقذ - ابريل ١٩٥٧ م و امس
 لالهكم الكتاب
 ابراهيم كنان

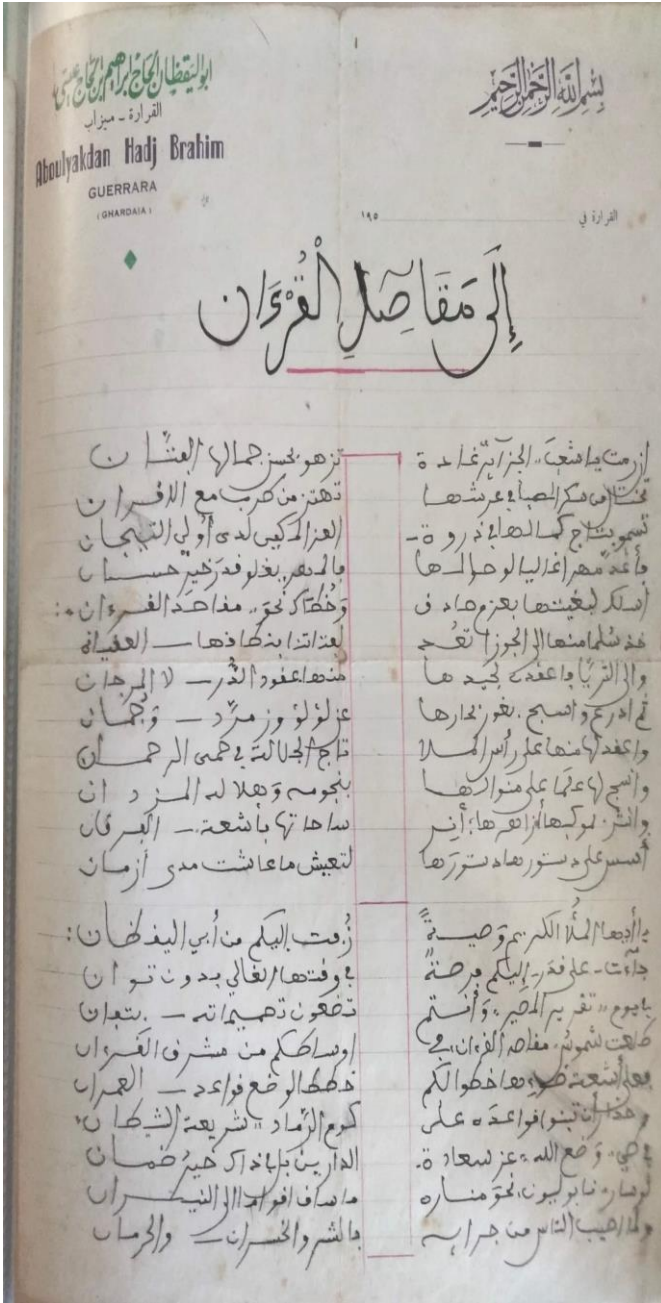
مراسلة من الشاعر محمد العيد آل خليفة بخط يده، بتاريخ 1964/06م

أورد حجاج موارد العرفان
فهي المناهل للحجى الضمان
وإصقل بها مرآة ذهنك داسا
إن العلوم صياقل الأذهان
قد خصها القرآن في آياته
بثناؤه الباقي على الأزمان
وقضى بها الإسلام في أحكامه
فغدا بنة لك سيد الأديان
وأبان أرباب الهدى بجموتها
نهج الهدى للتائه الحيران
وتدارسوا القرآن فاكشفوا بها
ما في مناجمه من العقيان
أفواههم تخرج لأهجة به
وقلوبهم تهتز بالإيمان
وإذا طلبت لهم مثالا صدقا
فاقرأ كتاب (مقاصد القرآن)
واشكر لصاحبه الأديب محمد
الصالح الصديقي في الشبان
هذه أوفى الأوفياء لدينه
ولشعبه هذا فتى الغيتان
هذه أذكي الأذكياء بعمقه
في بحثه وشعوره الوجداني
ومسابق العلماء في أشواقهم
وكفالك بالعلماء من فرسان
شاد رعد

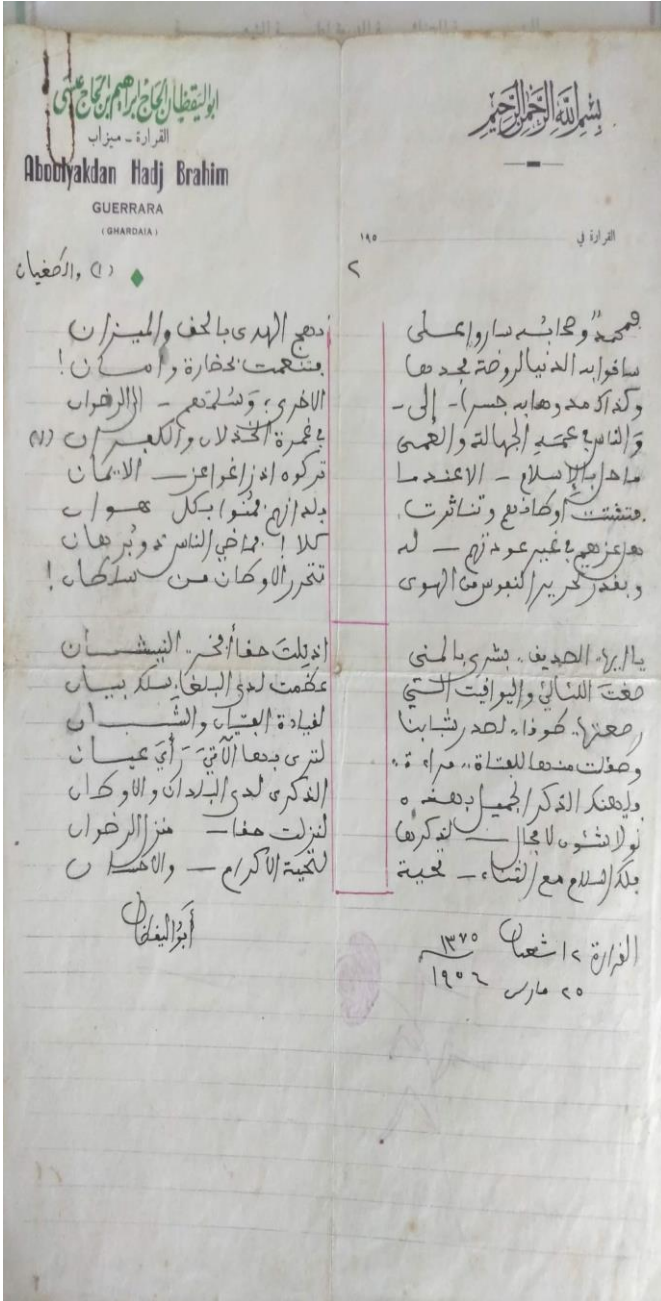
قصيدة لمحمد العيد حول كتاب مقاصد القراء بتاريخ 15 أبريل 1956 (وجه 1)

ومثقف الطلاب تثقيف الهدى
 بدروسه في (المعهد الرحمانى)
 يا مهدى العلى النفيس الذى من
 لى أن أقوم بواجب الشكران
 من الذى يعطيك أجر كمال
 لبضايه جلت عن الأثمان
 إلا الذى أنشاك نشأة عفة
 وسخا عليك بجوده الهتان
 أ خجلتني بجميل فضلك مغمضا
 عينيك عن عجزى وعن نقصانى
 هيئات أن أنسى صنيعك إن
 لمنزهة عندي عن النسيان
 ان الجزائر توجت بك رأسها
 تاجا تتيه به على التيجان
 ليت الشباب بها كمثلك راشد
 متعلق بمفاخر الأوطان
 متعشى للدين والوفان لا
 للمغريات وحسنها الفتان
 بهنك أنك في كتابك حائر : ما شئت من حسن ومن إحسان
 لم تشك الأحداث عنه وأرطت : وكذلك تفعل همة الشجعان
 أفتته وضعا وطبعها فانتهى : رغم الظروف لقمة الاتقان
 وأصل نشأته بعد أول جزئه : حتى تعقبه بجزء ثانما
 أرضيت ريك في تدبير ذكره : فجزأك ريك منه بالرضوان

قصيدة لمحمد العيد حول مقاصد القراءن بتاريخ 15 أفريل 1956 (وجه 2)



قصيدة لأبي القبطان بخط يده في مقاصد القراءن بتاريخ 25 مارس 1956 (وجه 1)



قصيدة لأبي اليقظان بخط يده في مقاصد القراءن بتاريخ 25 مارس 1956 (وجه 2)

ملحق رقم (38)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إلى الاخ الجليل صاحب الصديق
 حفظه الله وأمدده بروح منته . ونفع المعلمين بعلمه
 ووقته .

هذا ، وبكل سرور وبمعية ، قد بلغني احدائك لتكتاب .
 (صدر من البطولة الجزائرية) وفي داخل الكتاب رسالة لطيفة مؤرخة
 في ٢٠ - جانفي ١٩٦٨م . فامنترك شرا جزيليا على جهك المتواصل في
 ابدالك لصور البطولة الجزائرية .

اخى تلمسني من قصيدة اخرى في الكتاب الكريم ، فاننا اعتد ربه وري
 عن التماثل هذا ، اما اولاً فلتتصور فلتدهر صحتي هذه الايام ، واما ثانياً :
 فلان التماثل هذا يستلزم اهد متقصاد الكتاب من اوله الى آخره ، وهذا متعذر علي
 للسبب الاول ، واما ثالثاً فاني الان لم اري اثرأ للقصيدة الاولى ، فقد نشرت عنها
 في نفس الكتاب (الجزء الاول) ، وفتشت في فهرته عنما لعلي احمد فبيط في باب التتويين
 فلم اجد لها اثرأ (ولعلك اد خرتما الجزء الثاني التاك) واما رابعاً . فان لم اري احد
 الآن من اخواني المسلمين الجزائريين وبالاخص تبدلا محسوما في قيم الاملاذ في الجزائر
 نأرباب القصر والحانات مفتحة ولا تزال ، وأرباب العواخير كذلك السر والعلاقي لم
 تزال غير مغلقة كذلك ودرر القمار مازالت مشهدة البناء ، وأرباب الشور والبيعي
 مشرعة المصاريع . الخ ومع كل هذا فالدولة يعترف قانون الاما^{لها} وولادة اسلامية
 عربية لجا واما ، فالشورة العالمية للعبان في الجزائر انما هي انشاء في صميمها لباداة
 الاستعمار واستئصال رواجه الاستعمار وقدوة في الله الصادق الوعد للشورة وهو التوي العزير
 ولكن لم يوفى التنا تون لما انتصروا
 لله التوي الذي يقول في كتابه العزيز (ولينصرون الله من ينصروه ان الله لتقوي عزيز)
 الذين ان مكانهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله
 عاقبة الامور الخ)

أخى اراك تستعرف انواع البطولات الجزائرية ، ولكن لم تستعرف انما الرفاد منهم له
 تعال ولعله يرجد عرضا في نفس الكتاب الذي لم ابلغه للاسباب الملائمة ، فأرجوك معذرت
 عن ابداء ملاحظاتي الباقية

وه مت للاحبيك الصديق التدييح
 ابراهيم اليقظان

الستارة يوم ١٤ - ٢ - ٦٨

مراصة من أبي اليقظان ولعلها كتبت إملاء منه باتثناء الإمضاء آخر الجواب وهي في 1968

ملحق رقم (39)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محمد الغزالي

الأخ الكريم الأستاذ محمد صالح المنجد
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد وصلتنا رسالتكم واطمأننت
فرا على أحوالكم وأنشطتكم فوالله ومشتا زركم
إذ صحتي ليست على ما يرام، ولكن استغللت الفقد المنعرج
في خدمة الإسلام عبر طريق الأناضول، ولا أتمنى البلاد إلا قليلا
وأرجو الله حسنة القبول وحسن المآب
سرى ما أتيت به، وأعتت الأيام بمرور كفت تقدمت برؤوفها
بشخصي عندما رشت لجائزة الدولة التقديرية - وقد نلتها بفضل الله
لعل فريما ترحموا، أنا كنت أرى كسبت عم الجزائر، لا نظير أنه
في كتابي ظلام بالترتيب شيئا خفيف الوزن، والكتاب ليس يبدى حتى
أرسله وكل ما أملك المبعوث بالتوقيع والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد الغزالي ١٩٩٤/٢/٤

مراسلة من الشيخ محمد الغزالي بتاريخ 1992/02/02

ملحق رقم (40)

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة الأوقاف
الإدارة العامة للدعوة
مكتب المدير العام

المفتي على جميل أنه المقالات التي كتبها الأستاذ محمد صالح المنجد
فوجهها لها عبارة بالعبارة الإسلامية الجيدة ومنه قوله تعالى عليه
وسمته من الكتاب الكريم والسنة المطهرة ..
وسرنا أنه يكون الكاتب بصيرا بالموازين التي تدبر للإسلام
الحسنة ومحمد السليم من القول الشريعة التي تنبئ عن
البدائر كما سرنا أنه تكونه عبارته سائفة رفيعة
نيرة الديباجة لطيفة الدرس
وفق الله الخ في هذا الجهاد وسدد فطاه

محمد الفواز

تقرير الشيخ الغزالي لمؤلفات الأستاذ

1
 اسم الة الرض الرشم
 ذفا النعز وخذ ابي فلتت خرايدة
 وزنت يا تمام الزمان فصايدة
 يمش به صدري لدا اجد خاديت
 فتفاد عاصيه ونشروا وايدة
 نراى بدنا اللهم قل ربك
 تما نقر الالباب من قبلنا ايدة
 اطلق و جيد الخالدين بعفديه
 وانظمه ذرا شبع ولا ايدة
 بها اقرت نعر كالمنا نصاب ايدة
 ترى تركت مني الكوا من سمة
 اوان سيم الروض هت مؤرجا
 قامت سنا وى من سده امل ايدة
 اوان السوا في السد من غير رها
 حوشا باصغى الزهر والهدر ما ايدة
 اوان الضنا يخرى بن ظلاله
 فتوزد اذ منهن اذ هال امل ايدة
 لعرك ما انها جت لهد امتاعى
 ولله الفدين لاحتا (مصادره)
 حتى غالب الاخذ ان واشد ساعدا
 وما هاله خطب روم سدا ايدة
 فى شوي سبل العلى منلج الهدى
 يواكب الاخلاص والصدق رائده
 احوهية بوق السماك تحملها
 ودر فيم نزهى بين محامده
 بعالم بالزوى السديد متباحسا
 بقلي عويص المضلاد سدا ايدة
 له في جمال البكر ابعده عايه
 اذ اجال فيه البقه سوارده

قصيدة للشاعر التونسي محمد مزهود حول مقاصد القراءن (ص 1)

٢
 وَعَنْ تَابِلِ بُسَيْكٍ بِعَرَبِيَّةِ
 وَتُسَيْكٍ فَشَابِي عَمَّا ذُكِرَ
 يُفَارِمُ بِالْمَرْهَانِ عَمْرٌ مَكَايِرِ
 إِلَى أَنْ يَفْرُقَ الْقَوَايِمَ بِجَاهِدِهِ
 أَحْضَاءُ بَابِي الذِّكْرِ كَوْنُكَ سَعْدِيهِ
 وَتَشَعَّتْ بِهَدْيِ الْمُحْكَمَاتِ بِرَأْدِهِ
 أَلَا أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَهْدِي تَحِيَّتِي
 وَتَذْ شَهَدْتَ بِالْبُصْلِ مِنْكَ شَوَاهِدِهِ
 فَهَذَا كِتَابٌ أَنْبَعَتْ ثَمَرَاتُهُ
 وَعَمَّتْ سَمِيحَ النَّاحِيَّتَيْنِ قِوَايِدُهُ
 كِتَابٌ لِسَبِيلِ الرُّشْدِ كَهْدِي بِصَوْلِهِ
 تَسَامَتْ مَرَامِيهِ وَحَلَّتْ مَقَاوِدُهُ
 تَضَمَّنَ قَوْلَ الْفَصْلِ فِي عَمْرٍ مَسْرُورِ
 وَشَيْدَتْ عَلَى نَفْوَى إِلَهِي قِوَاوِدُهُ
 بِعَرَفَةِ سَعْدِيهِ وَلَا عَزْرَ أَسَدِهِ
 خَلِيقُ يَا نَزَّحِي إِلَيْهِ حَرَائِدُهُ
 وَقَدْ أَهْبَرَ السُّلْطَانَ ثَائِفِ رَأْيِهِ
 لِيَسْتَعْبُدَ دُبُولَ الْخَيْرِ وَأَنْكَ بَالِغِ
 ذُرَى فِرْعَانَ الْمُتَمِّدِ الَّذِي أَنْتَ تَأْسِدُهُ
 تَبَيَّنَتْ مِنْ ظِلِّ الْكِنَانِ وَرَيْبِهِ
 وَخَضَتْ حِضْنًا قَلَمًا مِنْ خَافِ لِحْيَتِهِ
 وَجَعَتْ لِيَوَاءَ الْبِكْرِ تَحْقِيقُ عَالِيَتَا
 وَجَعَتْ لِيَوَاءَ الْبِكْرِ تَحْقِيقُ عَالِيَتَا
 بَيْنَكَ هَذَا الْفَطْرُ يَا سَعْدِيهِ
 تَنْبِيهِ نَوَادِي عَمْرٍ وَمَعَاهِدِهِ
 النُّبْرَانِ ١٩٥٧/٩/٢٥ محمد مزهود

قصيدة للشاعر التونسي محمد مزهود حول مقاصد القراءن (ص 2)

ملحق رقم (43)

بسم الله الرحمن الرحيم
القبة يوم الأحد سابع شعبان ١٣٩٤
الموافق ليوم ٢٥ غشت ١٩٧٤

محمد الصالح
جان اين عمر . رقم ٤٠٣
القبة - الجزائر

الاخ العاقل الكريم صديقنا وجارنا وسميتنا.
الاستاذ محمد الصالح الصديق الاديب الممتع الصادق
والكاتب البارح المحقق بعد التمنية والسلام للائمين بالمقام :
ما رأيكم على هذا اللون من آداب الأطفال الذي يفتقر ليد
أبناءنا في لغتهم العربية والذي تخرجه مكتبات الغرب
وأما تارة البروميون فأجادوا فيه وآدموا، فقد موا لأبنائهم
من نلله كل ما أرادوا لهم من لفادة وتربية ثم تعليم مع المتعة
والتسلية والتشويق في صور من الخيال والادب والذوق بشبه
الأساليب والتعبير التي تناسب مداركهم وآذواقهم في مختلف
أعمارهم، يزيد كل ذلك ويزيده بجملة و حياة الصورة الواضحة
المعبرة واللون الزاهي الجميل مع جودة الطبع وحسن التخرج
مما لا طفل يتهاكوا عليه ويلتصمونه التهاما في أوقات قليلة
محبب اليهم القراءة والاطلاع وحب المعرفة طول حياتهم
فاعتبروها غذاء روحيا ضروريا وبذلك سميت آرواحهم وذكرت
مداركهم فتقد موا نجي مبادئ العلم والمعرفة وسبقوا كل من سواهم
نعم لقد سلك هذا المسلك من لواننا الشوقيين العرب بعين
الأدباء والمربين من أمثال الكيلاني والابراشي والسحار وغيرهم
فأجادوا وأخادوا صفارنا وناشئتنا ولكن ذلك غير كاف لأطفالنا
المتطلعين لكل جديد مفيد يسائر ركب الحياة المتطورة الزاحف
الذي لم يكنه ركب الارض فتطلع إلى الفضاء الواسع بسد نممه
في حب المعرفة واكتشاف أسرار الكون البعيدة في غير المتناهية
أعوامكم الاعمى لكم بالتوفيق والمحبب! نتاجكم السراير
محمد الصالح رضاه

مراسلة من الشيخ محمد الصالح رمضان بتاريخ 1974/08/25م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تفسير ووفار

عند زيارته للزمائر الوطية الاسديين الكريم سعدت بجمعونه الرفع العالم
الاربع الاستاذ محمد الصالح الصديقي واستغفرت له حبيته الذي يظنهم
ايامنا وغيره ويستحب لسمعة الاطلاع على الفقه الاسديين علوم المختلفة
وقد اهداني الرفع الكريم بعينه من الطعام فدعوت له شاكرًا ثم قرأت لفظه
فوجدت فيها اسرارًا كثيرة المفيد والظرفه على الاسم واولاها بالقرآن
كما وجدت فيها عمقًا في التفكير وبالانتم في التفسير وتنظيمها جزايا في العروة
وكتابه لهذا (نفاضة القران الكريم) مما في بالسواند والادلة في السلب رافع
وجاها انما مع تفسيره وسير للدارس والطالب من المزمرة انما يفتح
للقرآن المطلق مما قد لا تراه الا في كتابه كما وجدته القارى ما يدل على انه القران الكريم
كتاب الحياة ترك وافيًا بما يحتاجه البشر في الدنيا والآخرة والعبارة
من آداب السلوك وهو مفيد من كل النواحي والاصناف والسنن والوجوه
والعقائد وكل ما فيه خير الفرد والمجتمع والمجتمع والكل كما قال تعالى
منزلنا عليك الكتاب بيانًا لكل شئ وحديث رحمة وبشرى للعلماء سوره
من آدابهم قال انه جمع ما اجمع من المصالح وانما بعد الاضمانه تنهيم عن يعرفوا
طريقه العزة والنصر وهو من الله الصديقه الصفة لغير ما جزى به
المجا لغيره الصالحين

مرتبته الغرابوي
صحة علماء الازهر الشريف
توضيح الدعوة سببهم اصحابهم
تجسس التدبير طم القلب الكريم
روايت عام الدعوة والارشاد محضر

٤٨٩/١٠/٥

مراسلة الشيخ محمد نبيه الغرابوي الأزهرى بتاريخ 1982/10/25م

رأب
حمداً وصلاةً وسلاماً
إلى العلامة المنتج أخينا محمد الصالح
الصاديق الصديق المحترم
تحية طيبة مباركة زكية
أخي الكريم كيف حالكم وأحوال أفراد
الأسرة، أتمنى أن تكون على أحسن ما يرام
أخي، إنني منذ مدة وأنا أحاول الاتصال
بكم على طريق الهاتف على هذا الرقم (0258.0000)
فلم أتمكن بالاتصال بكم فظننت أن الرقم استبدل
برقم آخر فكتبتنا إليكم رسالة ولما أتلق
الرد ظننت بأننا لم نصلكم. أخيراً فاضل،
أرجوكم أن تخبرني عما جد فيما يتصلق
بالمحاورات بل وجدتم من ينشر ما
وكم بلغ تمنى تقويمها، وإنني في انتظار الجواب
سالم على الأستاذ محمد نسيم بل سباز وأهل
ولو كنت أعرف عنوانه لكانت به. وعيد هبوك
وأيامه سعيدة ودمتم في عافية وإفية،
ونعمة كافية. محبتكم: موسى الأحمدي نويوات
تحريراً في 25 رمضان المعظم 1417 هـ.

مراسلة من الشيخ نويوات في رمضان 1417هـ.

ملحق رقم (46)

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

Ministère
des Affaires Religieuses

le Ministre

الجزائري 13 ربيع الثاني 1405 هـ

الموافق لـ 05 جانفسي 1985 م

رقة الشؤون الدينية

الوزير

الديوان / رقم : 458

الاخ الأستاذ محمد الصالح الصديق

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

اما بعد

فيطيب لي أن أهنيكم على إنتاجكم الجديد المتمثل في
الكتاب الجليل : ((ومضات من سورة الفاتحة))، الذي ستزد انه به
مكتبتنا الاسلامية ، واني أشكر لكم ، في الوقت نفسه ، تفضلكم
بشارتكم الكريمة ، الى شخص أخيكم في مقدمة الكتاب ولاغرابة
في هذا فان الكتاب ما سجل إلا ما سجله واقعنا الجهادي المشترك ،
منذ سنوات بعيدة ، من أجل عقيدة الجزائر ، وحرية الجزائر ،
وخلود الجزائر !

أمدكم الله بالصحة والعافية والعون لغزيد من الانتاج والابداع .

عبد الرحمن شيبان



مراسلة من الشيخ عبد الرحمن شيبان

ملحق رقم (47)

الكويث ١٧ أكتوبر ١٩٦٨

سيدي الأستاذ محمد صالح البصيري - معظّم له ورعاد - آمين -

خمسة بنوية ، واشواقا قلبية

مه عبد لم يزلح لسانه الا بالثناء عليكم - انتم لروحي : محمد لاده الحسن لورثاني
وبعد !

بعدني ، ام ارفع لقلم لسطر لكم هذه لثمن ، فصفها سم فهدرا عما اكنه ليدانكم
مه شاعر لود ولتقدير ، واطلب مه ليه العلي بقدير الا لصلكم رساني هذه ، وانتم
تتقوم بالصحة الجيدة .

سيدي الأستاذ !

يكاد قلبي يذوب فهدرا ، وأنا بصدر اطلالكم على فنانين ، وذلك لانه هذا لقلم لم يتعود
الا التبشير - وتشيركم بالانفص - ما يتلج لصدرا ، ويشع لقلب ، ويرضي النفس .
لعلكم ادركتم كنه ما اورد قوله ولتخرج به وهو انه النتائج لم تكلم وطالبة لثمن ، وانتم
وقد تقضوبم - سيدي الأستاذ - لذلك ، ولكم تلك هي الحقيقة . وما عدا لسانه الا
انه ليتقبل رضيا مرضيا - قال الشاعر :

خذ حياة كما جادتك بيتما
المهم ، هو اني اطمئنك بأنه غزيتي له زبون ، ولم تستكبر ، ولم تقهرها لثمن
والشجيات .

لا تستسلمن الصب اودرك لثمن فما افادت لثمن الا الصابر .

سيدي الأستاذ !

ناخرت بعض لوقت من مراسلتكم ، وذلك لظروف فاضلة ، والنتائج لثمن لم اكنه التوقر .
واود ان اهديكم بأنه بعض الاخوة لطلاب ، ومنهم - انا - اشاروا على الفارة بأنه نقول
طبع مجلة شهرية تصدر باسمهم ، وسعادة البصيري درس الموضوع حاليا ، والهدف
مه انشاء هذه مجلة هو فخرنا الجيبية بالكتابة عننا ، من الخارج ، من لود ، من لثمن
والشرفون عليه لهم اخوة طلاب .

وسمه لثمن لطلاب شاب راقن ، بز زلاده من الاخوة ، من الدرسة ، وقد هدنتكم
عنه من لصبنا ، واسمه عبد رضم به زمان ، وقد هدنته عنكم أيضا ، وقد هدنتكم على
فطلب مني انه انقل لكم خمياتمه ، واشواقه ولتقدير .
ومن الخيال - اترككم بقلبي لثمن ، تمنيا لكم دوام الصحة والعافية ، ولوانسوا
تبلغ فتيان الى فليلكم الشايبه

مع اصدقكم الشاعر
طالب جزائري ثانوية لثمن - الكويث .

مراسلة من تلميذه الأستاذ محمد الهادي الحسني

ملحق رقم (48)

Духовное Управление
Муусульман Закавказья
Баку-1, ул. Мирза-Фатали, № 7.
Тел. 92-39-21, 92-82-23



الإدارة الدينية
لمسلمي ما وراء القفقاز
شارع ميرزا فتحعلي - 7
بأكو - 1، الاتحاد السوفياتي
تلفون: ٩٢-٨٢-٢٣ ، ٩٢-٢٩-٢١

ЗАГАФҒАЗИЈА МУСЌЛМАНЛАРЫ РҮҲАНИ ИДАРӘСИ

№ 138

19 III

١٧ رمضان ١٤٠٧ هـ

الحمد لله رب العالمين و الصلاة والسلام
على سيدنا محمد واله و اصحابه اجمعين
اما بعد :

السيد محمد صالح صديقي - عضو المجلس الاعلى
الاسلامى لدى الحزب الديموقراطية الشعبية الجزائرية

نيابة عن مسلمي جمهوريات ما وراء القفقاز و باسمي شخصيا اهنتكم و بشخصكم
شعب الجزائرية و موظفي و عاملي مكتبكم بمناسبة عيد الفطر المبارك و اتنى لكم جميعا
كل الخير و السعادة و ارجوكم ان تبلغوا تحياتنا و تمنياتنا الى جميع اخواننا في
دياركم .
و اننا نعيش الى اليوم بذكريات عن زيارتكم الى مدينة باكو لاشترك في مؤتمر
"المسلمون في النضال من اجل السلام" و نشكر على كلمتكم القيمة فيه و تقبلوا تهانينا
مرة و شكرا .

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

رئيس الادارة الدينية
لمسلمي ما وراء القفقاز

شيخ الاسلام
الله شكور باشازاده

مراسلة من رئيس الإدارة الدينية لمسلمي ما وراء القوقاز، رمضان 1407هـ

الإدارة
مجمع سيدنا يوسف
تونس



الزيتوني
تأسيسه لاجاز الشبول
البيبي السائب

مرضية
الزيتوني
ر العلية
و غيرها؟

صَوْتُ الطَّالِبِ الزَّيْتُونِيِّ

جريدة أسبوعية تصدر كل يوم اربعاء - السنة الأولى عدد ٩ - ٢٤ محرم الحرام ١٣٧٠ - الموافق ٢٥ أكتوبر ١٩٥٠

بست اغراضك

أي السويدي إلا الأمر على الزيتونيين الذين يريدون انفسهم
وايه للتبنيء بالهدية التونسية دار الحق كلالا لاهني بالثان والناظر
الأمومة ، وأي الامتداد من ورائه ، لا احاسيا منكم ان كرم للسوي
الان يؤيد برؤسائه وحده الذي حتى تتهم الفرائض التي ان بعد
وطرائق للخدمة الحديثة في فن في عتاد الزيتونيين منسأ ، مرض
الملك العسكري ، في القلاع الوزارية الاول انه مستعد
وأي تلاميذ العروس الا ان ان يتم اسانقة سادس تحت طلب
بشرب رةما قليبيا في وسط خدم التعليم الزيتوني كندوس العلوم
للزوجة التسلسل ، قلب بين عبية التعليم الزيتوني كندوس العلوم
وضعه كرمها على الحانها على الحانها في حرض حقيقك باسمي وبني والواقم انسا
الزيتوني الا ترى من عليه عرض ندم انك ادارة للعارف من قنقة
عائنا المحلول القوية لفضل العام الاستانقة واحاسيا القدام لهم
وخصر كرا عين تسامح السادة واستسلام لربوتنا من اسد للمعان
والعورة في يوم الاعدوة هبت الارض ، وفي وسط عات الحانها للحقيقة
لا باسمي اي انسا لاسمك مرض السويدي الاستانقة على السدام ،
من عتقك لينك في إدخال أسبع لولم يحسن لك مقاصد تنوية هي
إدارة العلم في تنبا جامعتنا للخدمة التعادل بكل الوسائل والمصري في
عزوز جامعتنا ، وإظهار احتباسها دنا ادارة التعليم الحديثة ،
إن كراستنا ان يبع لك تحقيق حلوك وحام من كان مرضا فذلك حلوك ، وإن لا نبي هذا العضم
وزال ناسد سنين علت ، ولا تريد العضم الذي يصدته الامم وقد
ان تأظمن بذلك ندمك من اجابا الرما في الأيمن إن را عودا
زمم الفراء الطيبي ، وخير ان ان طرائقك يوم بعدد شروط التعال
بني على حبيرة من ان نملك هو طلاء الهائلة بوظائف كندوس
تعة في عينك التي انصت لارادتها ، كاتوية قنابة لارادتك
ليرف او تلتقي دوما بمرتك كرتة عد فرعان الهبة

بلاغ من لجنة صوت الطالب الزيتوني

بعد دراسة البلاغ الاول الذي اصدرته الوزارة وارادته من
لجنة صوت الطالب الزيتوني بتتبعياتها التي تضمنتها الاوامر العلية
التي قررت الوزارة اصداها بعد ان درستها دراسة شافية
ياصول نصوصها بين لجنة صوت الطالب الزيتوني والفسم الاول
بالوزارة الكبرى وبعد صدور البلاغ الذي تضمن منح مائتي مليون
قونك التي استقر عليها الراي بعد مفاوضات بينها وبين الوزارة
الكبرى على تكوين لجنة من الطلبة برئاسة سماحة شيخ الجامع
الاعظم ترأب وتشرف على ابواب صرفها لبناء الكليات التي يتقل
البيبا التعليم الزيتوني بتامه .
وننا على ان الحلول المدرجة بالبلاغ الاول والثاني مع اعتبار
التنقيحات ناجرة المنقول .
نعين حلولا مرضية للمطالب الستة عشر التي تقدمت بها
اللجنة الى الدوائر المسؤولة .
واعتبار هذا الحل حلا مرضيا يشرف كفاختنا موقوفا على صدور
الاوامر العلية والتواترات الوزارية وغيرها ناكلنا لما تضمنه البلاغ

صورة الصحيفة التي نشر فيها الأستاذ أولى كتاباته

محمد بوشـريـية

من عادك هناك قامت . عليك كنت اسافر
 صحت صيداً نظري . مني عهد الغفر
 حل الجلب . وضم المصاب يوق
 على القوس حمل نبي . يمشي العون
 وعهد النمل . ويوسف القواد . وليس
 الطبيعة توجب السعداء . وذلك لوفاء
 شاعر الأبداء . ومعه تونس «الجراد»
 محمد بوشريية - إثر حادث بمسقط
 الشاعر الفاتح والمدعو الروحي . الشيخ
 الخلفاء . وصور الزهرة . وبشائر
 دلائل الأسي كالتسحر الحادئ أمال
 الغاب يبع ليلته وسديقه . الصلاة
 الأدب . الشيخ الامجد لدية . مدرس
 الإيب بالمطبعة الزيتونية . ولد بسب
 بمرج حيطرية . الصلاة الشيخ
 عبد الرحمن حليف الأعراب بمرتونة
 والمعلم القائل . الشيخ محمد بوشريية
 مدرس مدرسة الحياة القرآنية بتونس .
 وأنا بغير هذه التكاليف العظمى . ولا
 التي لا تزال قائمة مورثاً . مادامت
 الحاشية في الفن - أشرف وبشكري
 وتدم وتروح .
 ومن البلية أن ينام الخواص
 وهي التلذذ وهو غير عاد
 هذا وقد رأيت أن أقدم قراءاتكم لأخر
 كلفة وبيرة - أوصى به بعض مشرق
 القديهي . وقد أنزلت بعض آية .
 ولديت بعض بوشريية . قسم الحق
 حق بي به مثل استعانة تلك الإلهة ولم
 أعون في هذا الشكال إلا ما مورثاً .
 وهو الأكثر من ستة عشر بوشريية
 مولده - ولد - راحة الله -
 بقصر برون - قسم العمار . ومنبع
 البلاد . سنة ١٩١٤ في أسرة متوسطة
 الحال - ومن أبوين صكركين . ينسب
 نسب الفكر ضمناً إلى اصلاص . ويتعلم
 نسب الآسي في ملك العرف الزيتوي .
 بمكانه الطيبة . وفي سنة ١٩١٤
 انخرط في سلك ثلاثة المدارس القرآنية
 التي أسسها زعيم النهضة العلمية بمرج
 الزيتونية أبو الحزم الشيخ محمد بوشريية .
 وبقي بها إلى سنة ١٩١٨ ومنها انتقل
 إلى المشيخ بقرن العرس . فكان
 يرحم به مثلاً كلك . والأخلاق الكريمة . ثم
 خرج منه سنة ١٩٢٠ بجهادة الابتدائية
 الزيتونية . وفي سنة ١٩٢٢ التحق
 بالدراسات الجامعية بالمطبع بالقرون
 قدس في سنة وسبب أشهر . حيث
 الإلتحاق بالشيخ برفوق . الذي أحسنه
 في سبب سنة ١٩٢٢ فالتحق به
 المشيخ العلمية والأدبية خلفاً وبعثاً
 واستكشفاً إلى سنة ١٩٢٦ فقام ببع
 شهادة التحصيل مستحفاً من المقررين
 بإسلاطته . وأحسن . ثم تابع التعليم
 العالي . والتحق على المدرسين حتى
 أصبح به واستطاع . وكان سنة ١٩٢٤
 دخل في أسرة المشيخ بالمطبعة
 الزيتونية . بعد أن كلفه الإلتحاق من
 جانب والمراعات الفسيف من آخر ثلاث
 حيات بثورات في الشافران وكان له
 فيها القدر العجل

محمد بوشـريـية (تذكرة له)

ولقد درست به هذه الحياة السياسية
 أو قبة إبداء جنبه وتم تهنئ قمره طريا
 الهائلة . إلى التفكير في اصلاح الكلية
 إذكر أن لسان الحسن المرزوقي وبلغت
 الزيتونية . حتى تخرج لملأ الأفريق
 كأنسأ حيا . فأنسا عنه نيسار الجرد
 ساكاسيل الحياة الخفة التي تلقى فيها
 وبعث الدين «وهرة العربية» . والأطلاع
 العلوم المصرية . فأسست في ديسمبر
 سنة ١٩٢٤ هجأة الطلبة التي كانت
 تغالب هذا الإصلاح وكان التقيد
 عرفها الناصر . ولما التقى تحريرا
 ومطالبة . وبشهر هو وأخوة حربيا
 لا هواده فيها بل دعاء الجرد وإلهاد
 ما كان على ما كان . وقد انقسمت إلى ذلك
 الصعقات التونسية بهذه الحرب إلى
 مسكرين جويرو الإصلاح وساست
 أودية من الماد بل عمدتها . ودامت
 هذه الحرب سنة ونيفا . وكانت النتيجة
 ان السطرت هذه المدرسة بإتسار الفكرة
 الإصلاحية فوجدوا فيهم الحياة التي
 تتم بالحياة الزيتونية في عهد المظفر
 قسبي . أن مشي الزيتونية لم يرحل
 الكريم والتي دست قواعدا وثبتت
 وطالدها لا يثنى أن تنجر عن إبداء
 نظريتي فيه من السوجية التقسية
 شعية إن ينسب إلى الخلو والمبالغة فيما
 إسجل . فإن من صده الحيات من
 إبداء واجب مقدس كهذا فهو دعوى
 الإلتحاص مترجم أوباد أولو كان
 خالص الحب لتفوت إرادته وصحت
 عزيمته وصدا بخلق غير عابرين . بين
 هذا وظاهرة أو لذر لشاره على أني .
 التي يتوليا فيمن حيز رايه وسلد دعنه
 فلن أقيم لأي شيء من ذلك ورتأ
 مادت وإفاجعة ما اكتشف بالكارج لهدا
 درست للقد دامة عميقة قسبية
 فوجدته شععية جذابة جمعت بين العلم
 والآداب وقوة الروح وتزاعله القسبي .
 دولة العلم . وتوقد أشبعين . وبرز
 ظاهرة قسبية أمر أن كان يمتاز بهما من
 مساسبرية . أولهسا عزة النفس .
 والترقب بها عن كل ما يحبط من قوته

صورة المقال الذي كتبه الأستاذ محمد بوشريية (صحيفة المنار)

الجزائر قويت باقتصادها وجيئتها وإيمان شعبها
للتناقض بين المفاهيم القديمة والعالم الأساسية لقيمنا الحضارية

حكمة الأسبوع
العقل صوة واحدة، والجور صون كسوة
وأيضا: مهمل ارتكاب الجور، ووصف تحوي
العقل
علي بن أبي طالب

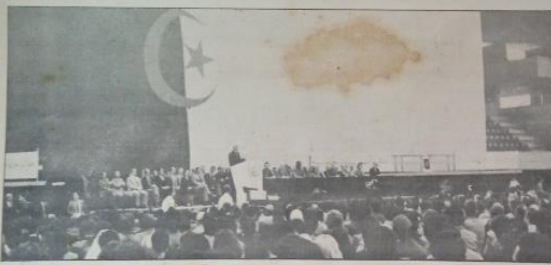
العصر

لسنة العزيم
والعصر: ابن الأثير: لو حشر
الأ الذين ناموا أو عملوا الفضايل
وتواصوا بالفساد

تحقيقه إسرائيلية بجامعة بسمه ماكل بسره شريف البطريرك الخليلي - وصحافة الشؤون الدينية
الطبعة والتوزيع: 11 شارع علي بومدين الجزائر العاصمة - الهاتف: 24.881.45 - الفاكس: 24.881.45 - جادى الأوس 102 هـ الموافق 18 صفر 1427 هـ - العدد: 10 - السنة الثانية - المجلد: 1

لن يتخذ أي قرار يهم الثورة ومستقبل
الشعب الجزائري دون استشارة القاعدة الشعبية

• التهام الثورة بالقاعدة الشعبية ضمان انتصارها
• نحن مع قرار الثورة الفلسطينية وإرادة شعبها



الذي الرئيس السابق من جديد رئيس
الجمهورية الحسن البومدين حزب حبه
الجزير الوطني خطابا جابا أيام الجمع
العام الذي استلم في فاعة حرة بخاصة
الاحتفال بالذكرى السابعة والستون لصدور
الاجتاد العام للعمال الجزائريين والذكرى
الثانية عشرة لتأسيس الجيوش هذا حبه:

طالع ص 3

كلمة العصر

مرحلة الأمانة في تونس

إسلام الشرق الرابع من الأدي
حتى يراى على جوايه الدم
سندت الأمة حاجتها من فونها الذاتية،
ويبرهن ثابها وتعلو مكانتها اعتمادا على
تدريجها الاقتصادية والعلمية والتكيفية لأن
الأمة الفوية العاقرة حرة كريمة وسيدة
سعيدة والأمة الضعيفة مسكنة مستعدة،
تطير منها الأجر، ويمت تبا الرياح.
وهذا الاتجاه واضح في ديمنا الإسلامي
الحبيب الذي يوازم الميوس الفوق على
نظروس التبعيد، وقد سجل ذلك رجولة
الكرام نفال:
الميوس الفوق خير مما في الدنيا
الميوس الضعيف ردى كل خير، وحكمة
ذلك أن الميوس الفوق الملق بالسلام
منه من الميوس الضعيف، وأقدر على
سرمه وحظمه، يواظب على احضان الحق
وأفاد العقل ويضع الأساس الكريمة، ويملك
الأمة الفوية التي لا تفتنى إلا من الأثر
الأخيرة.

اقرأ في هذا العدد

- القضايا الوطنية:
- نومح من دار الفتة ص 7
- حوار العصر مع الفقه ص 10
التفكير الإسلامي:
- الدكتور الطرقي ص 11
- من عهد السويدي ص 12
- التفاروق الشرعية والاجتهاد الفقهاء ص 13
- النواص بحسب تفسيره ص 14
القضايا الاجتماعية:
- الثورة والتغيير العقول ص 11
- سواين المنطق في العالم ص 15

المرحلة الدقيقة وإمداد فلسطين

فنان عبد الرحمن شيبان

كل يعتقد بأن فلسطين قد أصبحت
في برحلتها الدقيقة الخطيرة الحاسمة وإذا
لنا فلسطين فلنا نحن: العالم العربي
والأفريقي والاسلامي، آسيا
وجنوبا، هم اليوم في انتظار نصر
حظنا، تماما النجاح التام للتحريك، وأيا -
لاصم الفد - الزبون التنازل للصحح -
جميع القوى لحوس الحركة الزاهرة القائمة
اليوم على قدم وثاق، من بلادنا

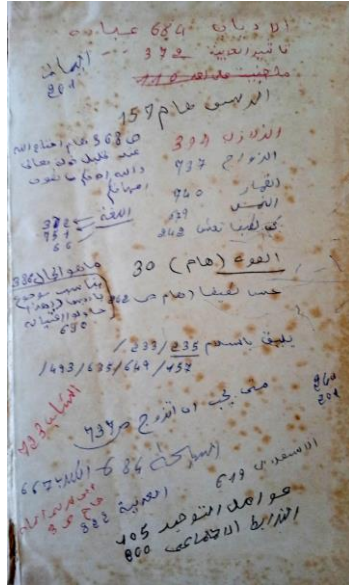
فنان عبد الرحمن شيبان

"العصر" التي كتب الأستاذ فيها في عهدها صحيفة ومجلة



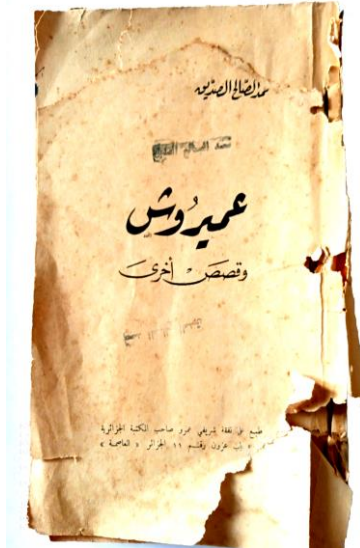
صحيفة المقاومة الجزائرية التي كان الأستاذ ضمن أسرة تحريرها بالقسم العربي

ملحق رقم (55)



جانب من تقييدات الأستاذ على غلاف أحد أعداد مجلة "الهلال"

ملحق رقم (56)



غلاف مجموعته القصصية "عميروش"، الطبعة الأولى بيروت 1964م

المصادر والمراجع باللغة العربية

أولاً: القراءان الكريم برواية ورش عن نافع.

ثانياً: المقابلات:

- مقابلة شخصية مع الأستاذ في بيته بتاريخ: 13 و 14/12/2021م.
- مقابلة شخصية مع الأستاذ في بيته، بتاريخ: 08 و 09/06/2022م.
- مقابلة شخصية مع الأستاذ في بيته، بتاريخ: 29 و 30/10/2022م.
- مقابلة شخصية مع الأستاذ في بيته، بتاريخ: 06 و 07/06/2023م.
- مقابلة هاتفية مع الأستاذ بالتواريخ: 14/10/2022م و 22/11/2022م و 01/04/2023م و 24/05/2022م و 03/09/2023م.
- مقابلة هاتفية مع الأستاذ محمد الهادي الحسني، بتاريخ: 05/09/2023م، على الساعة 19:51.

ثالثاً: الكتب:

1. آل خليفة، ديوان محمد العيد محمد علي خليفة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر، د.ط، 1979م.
2. الأمدي، أبو الحسن، الإحكام في أصول الأحكام، دار الصمعي للنشر والتوزيع، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط1، 1434هـ-2003م.
3. الإبراهيمي، أحمد طالب، من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية، ترجمة: د. حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، د.ت.
4. ابن حبان، محمد البستي أبو حاتم، كتاب المجروحين، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصمعي، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط1، 1420هـ-2000م.
5. ابن عبد الوهاب، محمد، الكبائر، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة، دار الصمعي، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط1، 1416هـ-1996م.
6. ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، المنار المنيف في الصحيح والضعيف، دار عطاءات العلم للنشر، ط4، 1440هـ-2019م.
7. ابن كثير، أبو الفداء، تفسير القراءان العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية-الرياض، ط2، 1420هـ-1999م.

8. ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت-لبنان، ط4، 2005م.
9. اجيرون، شارل روبير، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة: عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت-باريس، ط1، 1982م.
10. احدادن، زهير، مدخل لعلوم الإعلام والاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط5، 2014م.
11. الأحمدي، موسى بن محمد، المتوسط الكافي في علمي العروض والقوافي، دار الحكمة للنشر والترجمة، الجزائر، ط4، 1994م.
12. الإسفراييني الحنفي، عصام الدين، الرسالة العصامية لحل دقائق السمرقندية، المكتبة الهاشمية، بيروت-لبنان، ط2، 2015م.
13. الأعظمي، محمد مصطفى، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 1400هـ-1980م.
14. الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط1، 1412هـ-1992م.
15. = ، صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، المكتب الإسلامي، ط3، 1408هـ-1988م.
16. = ، صحيح سنن أبي داود، مكتبة المعارف، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط1، 1419هـ-1998م.
17. = ، صحيح سنن الترمذي، مكتبة المعارف، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط1، 1420هـ-2000م.
18. = ، ضعيف سنن ابن ماجه، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط1، 1417هـ-1997م.
19. أمقران، عبد الحفيظ، مذكرات من مسيرة النضال والجهاد، دار الأمة، الجزائر، د.ط، 2010م.
20. إمامة، عدنان محمد، التجديد في الفكر الإسلامي، دار ابن الجوزي، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط1، 1424هـ.

21. بادحدح، علي عمر و باجابر، محمد أحمد، الثقافة الإسلامية، دار حافظ، جدة - المملكة العربية السعودية، ط1، 1425هـ
22. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، الجامع الصحيح، ضبطه ورقمه ووضع فهرسه: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، د.ط، د.ت.
23. البستي، أبو الفتح، ديوان أبي الفتح البستي، تحقيق: شاعر العاشور، المورد، العدد الثالث، 2005 م.
24. بشيشي، الأمين، الأمين بشيشي يروي مساره (مذكرات)، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار (ANEP)، د.ط، 2016م.
25. بن نبي، مالك، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط4، 1984م، 1420هـ-2000م.
26. بوبكر، عبد الحليم و بوبكر، عبد السميع، منهج الشيخ المولود الحافظي في التربية والتعليم (من خلال مراسلاته لتلميذه الشيخ علي بوبكر الزموري)، منشورات ألف صفحة، الجزائر، ط4، 2014م.
27. بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 1997م.
28. بورنان، سعيد، شخصيات بارزة في كفاح الجزائر 1830-1962م، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2004.
29. بوعزيز، يحيى، الثورة في الولاية الثالثة، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د. ط، 2012م.
30. بومالي، أحسن، أدوات التجنيد والتعبئة الجماهيرية أثناء الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1956، دار المعرفة، الجزائر، د.ط، 2010م،
31. بينيت، طوني وآخرون، مفاتيح اصطلاحية جديدة - معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة: سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت-لبنان، ط1، 2010م.
32. تركي، رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية 1931-1956م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 1975م
33. الجابري، محمد صالح، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس

- 1900-1962م، الدار العربية للكتاب، د.ط، 1983م.
34. جارودي، رجاء، الإسلام هو الحل الوحيد للأزمات المتصاعدة في الغرب، كتاب المختار، د.ط، 1986م.
35. الجبوري، يحيى، شعر الحارث بن خالد المخزومي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف-بغداد، ط1، 1392ه-1972م.
36. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط2، 1399ه-1979م.
37. حسنة، عمر عبيد، العولمة فرص وتحديات (ضمن الأعمال الكاملة)، المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 1432ه-2011م.
38. حسين، محمد الخضر، الحرية في الإسلام، هنداوي، المملكة المتحدة، د.ط، 2021م.
39. الحصري، أبو إسحاق إبراهيم، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، لبنان، ط1، 1372ه-1953م.
40. الخريّف، أمل بنت ناصر، مفهوم النسوية، مركز باحثات لدراسات المرأة المملكة العربية السعودية، ط1، 1437ه-2017م، حماني، أحمد، صراع بين السنة والبدعة أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، ط1، 1405ه-1984م.
41. الخطيب، محب الدين، منهج الثقافة الإسلامية، نشرها: قصي محب الدين الخطيب، دار أم القرى للطباعة، القاهرة، د.ط، د.ت.
42. خليفة، حاجي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، د.ط، د.ت.
43. الدراقطني، العلل الواردة في الأحاديث النبوية، تحقيق وتخرّيج: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، دار طيبة، ط1، 1405ه-1985م.
44. دليو، فضيل، تاريخ الصحافة الجزائرية المطبوعة - موجز مسيرة قرن وثلثين سنة 1893-2023م، دار الفاييز للطباعة والنشر، الجزائر، ط2 (الالكترونية)، 1444ه-2023م.
45. الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ط1، 1401ه-1981م.
46. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، مؤسسة المختار للنشر

والتوزيع، القاهرة، ط1، 1428هـ-2007م.

47. رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، مطبعة المنار، مصر، ط1، 1921م.

48. الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الفتاح

الخلو، مطبعة حكومة الكويت، 1406هـ-1986م.

49. زررور، عدنان، دراسات في الفكر الإسلامي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1،

1407هـ-1986م.

50. الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1986م.

51. زكريا، مفدي، إلیاذاة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1987م.

52. الزمخشري، جار الله، أساس البلاغة، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط1،

1427/1426هـ-2006م.

53. ساحي، أحمد، أعلام من زاوية، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي

وزو-الجزائر، د.ط، 2015م.

54. سارتر، جون بول: عارنا في الجزائر، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، د.ط،

د.ت

55. السامرائي، نعمان عبد الرزاق، مباحث في الثقافة الإسلامية، مكتبة المعارف،

الرياض-السعودية، ط1، 1404هـ/1984م.

56. سعد الله، أبو القاسم، أبحاث وآراء، المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر، د.ط،

1981م.

57. =، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996م.

58. =، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 1998م.

59. =، الحركة الوطنية الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط4،

1992م.

60. سماتي، محفوظ، الأمة الجزائرية نشأتها وتطورها، ترجمة: محمد الصغير بناني وعبد

العزیز بوشعيب، منشورات دحلب، د. ط، د.ت.

61. شريط، عبد الله و الميللي، محمد، الجزائر في مرآة التاريخ، مكتبة البعث، الجزائر،

ط1، 1965م

62. شوقي، أحمد، الشوقيات، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة-مصر، د.ط، 2012 م.
63. شبان، عبد الرحمان، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، إصدار وزارة الثقافة، الجزائر، د.ط، 2007 م.
64. الصديق، محمد الصالح، الاجتهاد والتجديد في الإسلام، الأعمال الكاملة، المجلد 17، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014 م.
65. = ، أدباء التحصيل، الأعمال الكاملة، المجلد 21، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014 م.
66. = ، الإسلام مبادئ وسلوك، الأعمال الكاملة، المجلد 10، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014 م.
67. = ، الإسلام والحرية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، د.ط، 2023 م.
68. = ، أعلام من المغرب العربي، موفم للنشر، الجزائر، د.ط، 2000 م.
69. = ، أعلام من المغرب العربي، الأعمال الكاملة، المجلد 30، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014 م.
70. = ، أعلام من منطقة القبائل، الأعمال الكاملة، المجلد 33، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014 م.
71. = ، أضواء وظلال، الأعمال الكاملة، المجلد 19، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014 م.
72. = ، أضواء وظلمات، الأعمال الكاملة، المجلد 39، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014 م.
73. = ، أضواء كاشفة على محطات بارزة من حياة الأديب الأستاذ محمد الصالح الصديق، الجزائر، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 2007 م.
74. = ، الله أكبر.. من كان في حماه لا يبالي بخطر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، د.ط، 2023 م.
75. = ، أوراق في الدين والأدب والأخلاق، الأعمال الكاملة، المجلد 20، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014 م.

76. = ، البيان في علوم القراءان، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2005م.
77. = ، تذكرة لمن يخشى، الأعمال الكاملة، المجلد 49، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014م.
78. = ، توجيهات نبوية، الأعمال الكاملة، المجلد 06، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014م.
79. = ، الجزائر-ليبيا ورحلة لا تنسى، الأعمال الكاملة، المجلد 38، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014م.
80. = ، جوامع الكلم النبوية، الأعمال الكاملة، المجلد 08، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014م.
81. = ، الجواهر الكلامية، الأعمال الكاملة، المجلد 07، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014م.
82. = ، خواطر وذكريات، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، د.ط، 2023م.
83. = ، دور الشعب الليبي الشقيق في جهاد الجزائر، الأعمال الكاملة، المجلد 22، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014م.
84. = ، الرافضون عبر التاريخ، دار البعث، قسنطينة-الجزائر، ط1، 1404هـ-1983م.
85. = ، رحلة في أعماق الثورة، دار هومة، د.ط، 2002م.
86. = ، رحلة في حياة المرأة-بطلات في مواكب الشهداء، منشورات نسيب، الجزائر، د.ط، د.ت.
87. = ، رحلتي مع الزمان، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2010م.
88. = ، الزاوية اليلولية ودورها في خدمة الإسلام واللغة العربية، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، د.ط، 2018م.
89. = ، سبيل الرشاد، الأعمال الكاملة، المجلد 09، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014م.

90. = ، السراج المنير، الأعمال الكاملة، المجلد 07، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014م.
91. = ، سلسلة ما قل ودل، الجزء الأول، الأعمال الكاملة، المجلد 40، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014م.
92. = ، سلسلة ما قل ودل، الجزء الثاني، الأعمال الكاملة، المجلد 41، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014م.
93. = ، سلسلة ما قل ودل، الجزء الثالث، الأعمال الكاملة، المجلد 42، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014م.
94. = ، سلوكات، الأعمال الكاملة، المجلد 21، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014م.
95. = ، شخصيات فكرية وأدبية (الأعمال الكاملة، المجلد 34)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014م،
96. = ، شخصيات ومواقف، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1992م.
97. = ، الشهيد الشيخ محمد الطاهر حفيد الشيخ الشريف الإفليسي، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو-الجزائر، د.ط، 2017م.
98. = ، الشيخ الرزقي الشرفاوي - حياة وآثار، شهادات ومواقف، دار الأمة للطباعة والنشر، ط1، 1998م.
99. = ، صور من الحياة، الأعمال الكاملة، المجلد 20، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014م.
100. = ، العربية لغة العلم والحضارة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 2009م.
101. = ، عملية العصفور الأزرق، الأعمال الكاملة، المجلد 23، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014م.
102. = ، عملية العصفور الأزرق، مطبعة دحلب، الجزائر، ط1، 1990م.
103. = ، العقيد عميروش، الأعمال الكاملة، المجلد 32، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014م.

104. = ، في أرض النبوة، الأعمال الكاملة، المجلد 06، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014م.
105. = ، في شريط الذكريات أحداث وخواطر وذكريات، دار هومة، الجزائر، ط1، 2016م،
106. = ، في ضوء الفكر، الأعمال الكاملة، مرجع سابق، المجلد 50، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014م.
107. = ، في موكب الإيمان، دار البعث، قسنطينة-الجزائر، ط1، 1405هـ-1985م.
108. = ، مدارس لولاها ما كنت، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، د.ط، 2017م.
109. = ، مشاعل على الطريق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1983م.
110. = ، مع الله في الحرمين، موفم للنشر، د.ط، 2023م.
111. = ، مقاصد القرءان الأعمال الكاملة، المجلد 03، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014م.
112. = ، مقاصد القرءان، دار البعث، قسنطينة-الجزائر، ط2، 1403هـ-1982م.
113. = ، المناضل الليبي الهادي المشيرقي، الأعمال الكاملة، المجلد 37، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014م.
114. = ، من روائع الإعجاز، الأعمال الكاملة، المجلد 50، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014م.
115. = ، من قلب اللهيبة الأعمال الكاملة، المجلد 22، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014م.
116. = ، من مناهل النبوة، الأعمال الكاملة، المجلد 09، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014م.
117. = ، مواقف من حياة الرسول، الأعمال الكاملة، المجلد 09، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014م.
118. = ، نظام الأسرة في الإسلام، الأعمال الكاملة، المجلد 12، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014م.

119. = ، نفائس الكنوز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 2019 م.
120. = ، نور على نور، الأعمال الكاملة، المجلد 01، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014 م.
121. = ، هذا هو الإسلام، الأعمال الكاملة، المجلد 10، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014 م.
122. = ، ومضات من سورة الفاتحة، دار البعث، قسنطينة-الجزائر، ط1، 1405هـ-1984 م.
123. = ، وقفات ونبضات، الأعمال الكاملة، المجلد 19، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2014 م.
124. صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، د.ط، 1982 م.
125. طرايبيشي، جورج، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت-لبنان، ط3، 2006 م.
126. العامر، زياد بن حمد، المدخل إلى العقيدة الإسلامية، دار التحجير للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط3، 1441هـ-2020 م.
127. العراقي، عبد الرحيم زين الدين، تخرّيج أحاديث إحياء علوم الدين، استخراج: محمود الحداد، دار العاصمة، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط1، 1408هـ-1987 م.
128. العقاد، عباس محمود، رجال عرفتهم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، المملكة المتحدة، د.ط، 2014 م.
129. العميري، سلطان، فضاءات الحرية، المركز العربي للدراسات الإنسانية، القاهرة-مصر، ط2، 2013 م.
130. الغزالي، أبو حامد، المستصفى من علم الأصول، تحقيق: أحمد زكي حماد، دار الميكان للنشر والتوزيع، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط1، د.ت.
131. غلام الله، أبو عبد الله، العربية بالنصوص للسنة الأولى الثانوية من المرحلة الأولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1383هـ-1963 م.

132. فراد، محمد أرزقي، إضاءات في تاريخ الجزائر-معالم وأعلام-، دار الأمة، د.ط، 2014م.
133. = ، بلاد زواوة من خلال نصوص الحركة الإصلاحية (1925-1956م)، دار الأمة، د.ط، 2016م.
134. = ، الأفكار الإصلاحية في كتابات الشيخ أبي يعلى الزواوي، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، دار الأمل، ط2، 2014م.
135. فضلاء، محمد الطاهر، التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح، دار البعث، قسنطينة-الجزائر، ط1، 1402ه-1982م.
136. قادري، محمد الصديقي، عبد الرحمان شيبان رجل الدعوة والدولة، العقاد للنشر والإعلام، الجزائر، ط1، 1441ه-2020م.
137. القاري، علي بن سلطان، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1422ه-2001م.
138. القاسمي، ظافر، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، دار النفائس، عمان-الأردن، ط3، 1986م.
139. قداش، محفوظ، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ترجمة: محمد بن البار، الجزء الأول 1919-1939م
140. القرطبي، أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط1، 1427ه-2006م.
141. القزويني، ابن ماجه، السنن، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء الكتاب العربية، القاهرة-مصر، د.ط، د.ت.
142. القيرواني، ابن أبي زيد، متن الرسالة، بيت الحكمة، الجزائر، ط2، 2013م.
143. كوش، دنيس، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة: منير السعداني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت-لبنان، ط1، 2007م.
144. الكميت، ديوان الكميت بن زيد الأسدي، تحقيق: محمد نبيل طريفي، دار صادر، ط1، 2000م.
145. لعريبي، محمد سعيد، عزازقة عبر التاريخ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع،

- الجزائر، د. ط، 2017م.
146. الماوردي، أبو الحسن، أدب الدين والدين، دار المنهاج، المملكة العربية السعودية، ط1، 1434هـ-2013م.
147. المجلس الأعلى للغة العربية، المسار السياسي والمهني للدكتور محيي الدين عميمور، منشورات الجيب، الجزائر، د. ط، 2009م.
148. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 1425هـ-2004م
149. محفوظ، محمد، تراجم المؤلفين التونسيين دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1، 1404هـ-1984م
150. المدني، أحمد توفيق، حياة كفاح - الجزء الثالث: مع ركب الثورة التحريرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د. ط، 1982م.
151. مروة، أديب، تاريخ الصحافة العربية-نشأتها وتطورها، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، د. ط، د. ت.
152. النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، الجامع الصحيح، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط2، 1420هـ-2000م.
153. مسلم، مصطفى والزغبى، فتحي محمد، الثقافة الإسلامية - تعريفها مصادرها مجالاتها تحدياتها، إثراء للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 2007م
154. مشحود، رابح، مذكرات المجاهد والدبلوماسي الجزائري رابح مشحود، الصادر عن مؤسسة الأمة للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2018م.
155. المشيرقي، الهادي إبراهيم، قصتي مع ثورة المليون شهيد، دار الأمة، الجزائر، ط1، 2000م.
156. المعري، أبو العلاء، اللزوميات، تحقيق، أمين عبد العزيز الخانجي، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، د. ط، د. ت.
157. المعسكري، أبو راس، فتح الإله ومنتته في التحدث بفضل ربي ونعمته "حياة أبي راس الذاتية والعلمية"، تحقيق: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، د. ط، 1986م.

158. المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط2، 1391هـ-1971م.
159. مهساس، أحمد، الحقائق الاستعمارية والمقاومة، دار المعرفة، الجزائر، د.ط، 2007م.
160. ميرة، إسماعيل، الأستاذ محمد الصالح الصديق بين صرير الأقلام وقعقة السلاح، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2008م.
161. الميلاد، زكي، الفكر الإسلامي - قراءات ومراجعات، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت-لبنان، ط1، 2012م.
162. ناصر، محمد، الصحف العربية الجزائرية (1900-1939م)، ...
163. النجار، إبراهيم وآخرون: الثقافة الإسلامية وطرائق تدريسها، الشركة العربية المتحدة للتسويق والإيرادات-القاهرة، د.ط، 2009م
164. النجار، عبد المجيد، مقاربات في قراءة التراث، الدار المالكية للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1435هـ-2016م
165. نويهض، عادل، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت-لبنان، ط2، 1400هـ-1980م.
166. الهلال، الزواج ورجال العلم، مجلة الهلال، مصر، عدد: 01، 01 أكتوبر 1909م، السنة 18.
167. وزارة التربية الوطنية، النصوص المختارة للسنة الأولى ثانوي، 1383هـ-1963م.
168. وزارة التربية الوطنية، الأخلاق والتربية الوطنية للسنة الأولى ثانوي، 1383هـ-1963م
169. يسلي، مقران، الحركة الدينية في منطقة القبائل ، دار الأمل للنشر والتوزيع، تيزي وزو-الجزائر، د.ط، 2016م.
170. يوسف، محمد خير رمضان، تنمة الأعلام، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط2، 1422هـ-2002م.

رابعاً: الصحف والمجلات والدوريات

1. الآداب، العدد 10، أكتوبر، السنة 7، 1959م.
2. الأصالة، السنة الأولى، العدد 06، جانفي 1972م.

3. الأصاله، السنة التاسعة، العددان 87-88، نوفمبر-ديسمبر 1980م.
4. الأصاله، السنة الثامنة، العدد 75، ذو الحجة 1399هـ/ديسمبر 1979م.
5. الأصاله، السنة العاشرة، العددان 89-90، جانفي-فيفري 1981م.
6. البصائر، السنة الثانية، عدد 189، 12 ماي 1952م.
7. البصائر، السنة الثامنة، العدد 347، 1955-1956م.
8. البيان، السنة الثالثة عشرة، العدد 154، يناير (كانون الثاني) 1979م- صفر 1399هـ.
9. الثقافة، السنة الخامسة عشرة، العدد 87، شعبان-رمضان 1405هـ / مايو-يوليو 1985م.

10. الشهاب، العدد 108، 04 أوت 1927م.
11. الشهاب، المجلد 14، الجزء 3، ماي 1938م.
12. الشهاب، المجلد 7، الجزء 11، رجب 1350هـ / نوفمبر 1931م.
13. الفكر، العدد 2، السنة السابعة، نوفمبر 1961م.
14. المنار، العدد 2، 25 أفريل 1952م.
15. المنار، العدد 4، 21 ماي 1951م.
16. المنار، العدد 9، 15 أوت 1952م.
17. المنار العدد 10، 24 أكتوبر 1952م.
18. الهلال، العدد 01، 01 أكتوبر 1909م.
19. الهلال، الجزء الثلاثون، 01 ديسمبر 1923م.

خامساً: المقالات والبحوث والرسائل الجامعية

1. إبراهيم، السعيد شعبان الدسوقي، علم الثقافة الإسلامية المصطلح والنشأة والأسس المنهجية، كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، جامعة الأزهر - العدد الثامن والثلاثون، لعام 1440هـ - 2019م.
2. إبراهيم، عبد الباسط الشيخ، التدين المغشوش، موقع مجلة البيان، تاريخ التصفح: 2023/09/15م، على الساعة 26:23، الرابط:

<http://www.albayan.co.uk/MGZArticle2.aspx?ID=4838>

3. الزواوي، باعزيز بن عمر، الزوايا والزواوة وما هي الأرقى منها، الشهاب، المجلد

7، الجزء 11، ص 741-742.

4. بديدة، لزهرة، نشاط بعثات جبهة التحرير الوطني بالبلدان العربية ما بين 1957 و 1959م، من خلال وثائق مؤتمر طرابلس (1959-1960م) ودورها في الدعم العربي للثورة، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المجلد 05، العدد 01، جانفي 2023م.
5. بن عمر، أحمد، الحالة الاقتصادية في الجزائر، المنار، العدد 04، 21 ماي 1951م.
6. بودوخة، مسعود، جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن، بحث منشور على شبكة الأنترنت.

7. بورنان، سعيد، الشيخ الرزقي الشرفاوي الأزهري حياته وجهاده الفكري (1877-1944م)، رسالة دكتوراه، قسم العلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، 2018-2019

8. بوزينة، سعيد، وموشموش، محمد، "المساجد أثناء الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر بين الهدم والطمس والتحويل"، مجلة الإنسان والمجال، المجلد 7، العدد 1، جوان 2021م

9. بوزيدي، محمد، "سرد معالم الكتابة القصصية الجزائرية"، مجلة تاريخ العلوم، جامعة معسكر، العدد السابع، مارس 2017م.

10. بوطيبي، محمد، "نشاط الطلبة الزيتونيين الجزائريين في تونس خلال النصف الأول من القرن العشرين"، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد 22، العدد 1، السنة 2021م

11. بونقاب، جمال الدين، وقادري، محمد الصديق، "محمد الصالح الصديق وكتابه أعلام من المغرب العربي"، مجلة المنهل، جامعة الوادي، الجزائر، المجلد: 09، العدد: 01، 1444هـ-2023م.

12. جابري، محمد، "الاتجاهات المعاصرة في التفسير"، موقع ملتقى أهل التفسير، تاريخ الزيارة: 2023/08/04م، على الساعة 27:13. الرابط:

13. <https://mtafsir.net>

14. جعفر، فاطمة، مشروع المدرسة الفرنسية في منطقة القبائل الكبرى (المدارس الوزارية نموذجا 1881-1883م)، مجلة عصور الجديدة، المجلد 11، العدد 2، جوان 1442هـ-2021م.

15. حميدي، أبو بكر، الطلبة الجزائريون في الزيتونة ومساهماتهم في الثورة الجزائرية- الشيخ محمد الصالح الصديق أنموذجاً-، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد 04، العدد 02، 2020م.
16. خيري، نورة، محطات تاريخية من مسيرة الإذاعة الجزائرية إبان الاستقلال، مجلة الميدان للدراسات الرياضية والاجتماعية والإنساني، المجلد الثاني، العدد السابع، 2019م.
17. سعدي، مزيان، السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل وموقف السكان منها، رسالة دكتوراه في التاريخ، غير منشورة، جامعة الجزائر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، الجزائر، 2008-2009م.
18. الشارح تحت الصدمة.. جزائريات يتزوجن دون فاتحة ولا ولي! موقع الشروق اون لاين، تاريخ الزيارة: 2023/07/16م، على الساعة 13:19. الرابط:
19. <https://echoroukonline.com>
20. الصديق، محمد الصالح، إلى البطل القائد عمروش، مجلة الآداب، العدد 10، أكتوبر، السنة 7، 1959م.
21. = ، تحيا الجزائر، مجلة الفكر، العدد 2، السنة السابعة، نوفمبر 1961م.
22. = ، دمعة ووفاء.. أمير شعراء تونس خزنة دار، العدد 347، السنة الثامنة، 1955-1956م.
23. = ، نكبة الأدب في متني تونس الحمراء محمد بوشريية، المنار، عدد 9 السنة الثانية، بتاريخ 24 ذي القعدة 1371هـ - 15 أوت 1952م.
24. العاصمي، محمد، أعظم ناد بالجزائر، الشهاب، العدد 108، 04 أوت 1927م.
25. عبد العال، بشير، دين العجائز أو مذهب العجائز، ملتقى تفسير، تاريخ الزيارة: 2023/09/05م، على الساعة 00:29. الرابط:
26. <http://mtafsir.net/forum>
27. عطية، رجائي، "منهج العقاد في كتابة العبقريات والتراجم"، موقع الأستاذ رجائي عطية، تاريخ الزيارة: 2023/08/01م، على الساعة 12:22. الرابط:
28. <https://www.ragaiattia.com>
29. فراد، محند أرزقي، شارل روبير أجيرون مؤرخ تحدى الإيديولوجية الاستعمارية

(الحلقة الثانية)، موقع الشروق اليومي، تاريخ التصفح: 2023/07/31م، على الساعة 10:58. الرابط:

30. <https://echoroukonline.com>

31. الكبتي، سالم، الإذاعة الليبية ستون عاما، موقع ليبيا المستقبل، تاريخ الزيارة: 2023/01/02م، على الساعة 16:08، الرابط:

32. <https://www.libya-al-mostakbal.org>

33. اللولب، حبيب حسين، "الطلبة الجزائريون بجامعة الزيتونة وفروعه (1876-1962م) التحديات والرهنات"، مجلة البحوث والدراسات، تونس، عدد 26 مارس 2017م، السنة التاسعة.

34. مقلاتي، عبد الله، جبهة جيش التحرير الجزائري بالحدود الليبية ومعركة إيسين في أكتوبر 1957م، عنوان تضامن ليبي-جزائري، بحث منشور على شبكة الأنترنت.

35. = ، العقيد عمار أو عمران والثورة التحريرية-المسار والأدوار، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، العدد 05، 2017م.

36. يخلف، حاج عبد القادر، "المؤرخ أحمد توفيق المدني ومذكراته حياة كفاح"، مجلة عصور الجديدة، العدد 3-4، عدد خاص، 1432هـ-2011م/1433هـ-2012م.

سادساً: المواقع والبرمجيات:

<https://news.radioalgeri.dz>

موقع: الإذاعة الجزائرية

<https://www.afriqatnews.net>

موقع: بوابة إفريقيا الإخبارية

<https://www.aldiwan.net>

موقع: الديوان

<https://libyanstand.net>

موقع: الموقف الليبي

<https://tahrirtanwir.com>

موقع: شبكة تحرير وتنوير

المصادر والمراجع باللغة الأجنبية

1. **Ageron, Charles-Robert**, *De l'Algérie "française" à l'Algérie algérienne*, EDIF 2000, Algérie, 2010.
2. **Daumas, Eugène**, *Mœurs et coutumes de l'Algérie*, introduction de Abdelkader Djeghloul, Ed. ANEP, Rouiba-Algérie, 2012.
3. **Daumas, M. et Fabar**, *La Grande Kabylie - Etude historique*, livre numérisé en mode texte par Alain Spenatto.
4. **Meynier, Gilbert**, *L'Algérie Révélée (la guerre de 1914-1918 et le premier quart du XX^e siècle)*, Ed. el Maarifa, Algérie, 2010.
5. **Seddik, Mohamed Essedik**, *Opération Oiseau Bleu*, traduit par : Abdelaziz LAYOUNE , Dar El Oumma, Algérie, Ed. 2012.
6. *Les Kabyles dans la guerre d'Algérie*, entretien avec **Benjamin Stora**, les collections de l'histoire, N° 78, janvier-mars 2018.
7. **UNESCO**, *Conférence mondiale sur les politiques culturelles*, Mexico, 26 juillet – 06 aout 1982, Rapport final, CLT/MD/1, Paris, novembre 1982,

فهرس المحتويات

الصفحة	المحتوى
6	إهداء
5	تقديم
9	مقدمة
17	الفصل الأول/ الأستاذ محمد الصالح الصديق: عصره وحياته
19	المبحث الأول- عصره
19	المطلب الأول: الوضع السياسي
20	أولاً- فترات تاريخية حاسمة
25	ثانياً- المشروع القبائلي
27	المطلب الثاني: الوضع الاقتصادي والاجتماعي
28	أولاً- الفقر والبطالة
29	ثانياً- غياب الأمن
29	ثالثاً- انعدام الحقوق والواجبات
29	رابعاً- الهجرة
32	خامساً- الطبقة
32	المطلب الثالث: الوضع الديني والثقافي
32	أولاً- الوضع الثقافي قبل الاحتلال
33	ثانياً- الوضع الثقافي بعد الاحتلال
42	المبحث الثاني- حياته
42	المطلب الأول: أصله ونسبه

44	المطلب الثاني: اسمه
46	المطلب الثالث: مولده ونشأته
46	أولاً- ولادته
46	ثانياً- مسقط رأسه
47	ثالثاً- أسرته
51	رابعاً- زواجه
52	خامساً- أبنائه
52	المطلب الرابع: حياته العلمية
52	أولاً- تعلمه
53	ثانياً- فلسفة تربوية
56	ثالثاً- نبوغ مبكر
56	رابعاً- في زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي
71	خامساً- المرحلة الزيتونية
71	سادساً- ما بعد زاوية اليلولي
72	سابعاً- الطريق إلى تونس
73	ثامناً- في جامع الزيتونة
75	تاسعاً- شيوخه
80	عاشراً- تلاميذه
81	المطلب الخامس: إنتاجه العلمي
82	المطلب السادس: وظائفه ومسؤولياته
85	المطلب السابع: علاقاته ومراسلاته
85	أولاً- علاقاته السياسية

89	ثانياً- علاقاته الفكرية
92	ثالثاً- علاقاته الأدبية
95	المطلب الثامن: موارد ثقافته
95	أولاً- القرءان الكريم
95	ثانياً- كتب التفسير
95	ثالثاً- المجالات الشهيرة
96	رابعاً- الأعمال الأدبية والفكرية
96	خامساً- العلاقات والمراسلات
96	المطلب التاسع: ثناء النخب عليه
101	الفصل الثاني/ الأستاذ محمد الصالح معلماً وكاتباً وإعلامياً
103	المبحث الأول- نشاطه التعليمي أثناء الثورة
103	المطلب الأول: حركة التعليم في فترة الاحتلال
105	المطلب الثاني: الأستاذ مدرّساً في المعهد الليولي
106	أولاً- العلوم التي درّسها بالزاوية
107	ثانياً- هيئة التدريس بالزاوية
109	المطلب الثالث: تجديده في الزاوية الليولية
109	فرع/ ملامح تجديده
111	المبحث الثاني- نشاطه التعليمي بعد الاستقلال
111	المطلب الأول: دوافع توجهه لميدان التعليم
112	المطلب الثاني: تدريسه في التعليم الثانوي
113	المطلب الثالث: المواد التي درّسها بالتعليم الثانوي
115	المبحث الثالث- محمد الصالح الصديقي كاتباً

116	المطلب الأول: ظاهرة التأليف عند الأستاذ
117	المطلب الثاني: أسلوبه في الكتابة
118	أولاً- الموسوعية في البحث
118	ثانياً- مراعاة الغرض
119	ثالثاً- البساطة في العرض
119	رابعاً- القصد والوضوح والإيجاز
119	خامساً- النزوع إلى الإصلاح
120	سادساً- النظرة القراءانية
121	سابعاً- الإنصاف والحياد الإيجابي
122	ثامناً- استدعاء التاريخ
123	تاسعاً- التراجم
124	المطلب الثالث: مؤلفاته
124	أولاً- كتب مستقلة
124	ثانياً- شروحات
124	ثالثاً- تعليقات
125	رابعاً- اختصارات
159	خامساً- مجاميع
169	المبحث الرابع- التجربة الإعلامية والصحفية
169	المطلب الأول: بواكير الكتابة الصحفية
169	أولاً- في الصحف الزيتونية
170	ثانياً- في الصحف الإصلاحية والوطنية
173	المطلب الثاني: نشاطه الإذاعي في "صوت الجزائر"

176	المبحث الخامس - نشاطه الصحفي بعد الاستقلال
176	المطلب الأول: في الإعلام الوطني
176	أولاً- نشاطه الإذاعي
178	ثانياً- نشاطه التلفزيوني
179	المطلب الثاني: في الصحافة المكتوبة
183	المطلب الثالث: أسلوبه واهتماماته الصحافية
183	أولاً- أسلوبه الصحفي
184	ثانياً- محاور اهتماماته الصحفية
187	الفصل الثالث/ الأستاذ محمد الصالح الصديق ثائراً
189	المبحث الأول- الأستاذ مناظلاً
189	المطلب الأول: الدعاية الروحية لثورة التحرير
190	المطلب الثاني: التمويه في الزاوية
190	أولاً- جمع المال والسلاح
191	ثانياً- الإعلام الشفوي
193	المطلب الثالث: الأستاذ في التقارير السرية
195	المطلب الرابع: الدعاية الإعلامية والسياسية للثورة
195	أولاً- في إدارة البعثة الجزائرية في ليبيا
198	ثانياً- "صوت الجزائر" من ليبيا
203	المطلب الخامس: الثورة ورموزها في كتابات الأستاذ
210	المبحث الثاني- الأستاذ مجاهداً
210	المطلب الأول: المرابطة في صحراء فزان
214	فرع/ أسماء بعض الجنود المرابطين في صحراء فزان سنة 1957م

216	المبحث الثاني- الأستاذ دبلوماسياً
216	المطلب الأول: بين الإعلام والدبلوماسية
216	المطلب الثاني: موقفه من المؤتمر المشؤوم
219	المطلب الثالث: الأستاذ ممثلاً للجزائر
220	فرع/ الأستاذ في الاتحاد السوفياتي
223	الفصل الرابع/ الأستاذ محمد الصالح الصديق مفكراً
225	المبحث الأول- جهوده في مجال الدراسات الإسلامية
225	المطلب الأول: جهوده في مجال الدراسات القرآنية
225	أولاً- التجربة التفسيرية
228	ثانياً- علوم القرآن
230	ثالثاً- مقاصد القرآن
231	رابعاً/ إعجاز القرآن
232	المطلب الثاني: جهوده في مجال السنة النبوية
233	أولاً- الدعوة إلى التمسك بالسنة
233	ثانياً- التعريف بالسيرة النبوية
235	ثالثاً- شرح السنة النبوية
238	المطلب الثالث: جهوده في مجال العقيدة الإسلامية
243	المطلب الرابع: جهوده في خدمة التراث
243	أولاً- تراث الإمام عبد الحميد بن باديس
247	ثانياً- تراث العلامة الرزقي الشرفاوي
248	ثالثاً- تراث العلامة طاهر الجزائري
251	المطلب الخامس: جهوده في مجال الفكر الإسلامي

251	أولاً- بيان أصول الإسلام وخصائصه ومزاياه
261	ثانياً- الدعوة إلى التجديد
268	المطلب السادس: جهوده في مجال التراجم والسير ومنهجه فيها.
268	أولاً- الترجمة الذاتية
271	ثانياً- التراجم العامة
273	فرع/ عقائد الأدباء
277	المطلب السابع: جهوده في خدمة اللغة العربية وآدابها ومنهجه فيها
277	أولاً- اللغة روح الأمة وسرّ وجودها
279	ثانياً- رسالة الأديب
280	ثالثاً- النشر الفني عند الأستاذ
286	المبحث الثاني- جهوده في مجال القيم
287	المطلب الأول: قيمة الحرية
288	أولاً- كلمة في الحرية
289	ثانياً- حرية المرأة
290	ثالثاً- حرية في التعبير عن الرأي
291	المطلب الثاني: قيمة التدين
293	المطلب الثالث: قيمة الجمال
301	المبحث الثالث- رأيه حول الواقع الثقافي
301	المطلب الأول: الكتابة والتأليف
301	أولاً- الكاتب كائناً مبدعاً
303	ثانياً- الكاتب كائناً اجتماعياً
304	المطلب الثاني: الطباعة والنشر

306	المطلب الثالث: حول وسائل الإعلام
307	المطلب الرابع: مكانة العلماء والمثقفين ودورهم
309	المبحث الرابع: رأيه في قضايا المرأة والأسرة
309	المطلب الأول- مكانة المرأة
310	أولاً- عمل المرأة
313	ثانياً- ولاية المرأة
314	ثالثاً- الاختلاط بين الجنسين
315	رابعاً- الصداقة بين الجنسين
315	المطلب الثاني: قضايا الزواج والأسرة
315	أولاً- العزوبة
316	ثانياً- الزواج بالأجنبية
318	ثالثاً- أهمية الولي في الزواج
319	رابعاً- تعدد الزوجات
319	خامساً- تحديد النسل
320	سادساً- الرضاعة
323	الخاتمة والتائج والتوصيات
327	الملاحق
373	فهرس المصادر والمراجع
391	فهرس الموضوعات



في هذا الكتاب

لقد وجدت في نفسي رغبة ماحية في الكتابة عن الأستاذ محمد الصالح الصديق، إعجاباً بشخصه وكتابته الموسوعية وثرائه المعرفي المميز واتساع نطاق بحثه وكتابته وتفكيره واهتمامه؛ فهو أديب وصحفي ومهتم بالتاريخ الوطني ومناضل سياسي وكاتب فكري ومفسر للقراءان وصانع تراجم، ولا أدلّ على ذلك من مؤلفاته التي بأيدي الناس. واعترافاً بحمائه، ووفاءً بحقه كذلك اخترت الكتابة عن جهاده وجهوده، وتتبع مسار حياته وإنجازاته وإسهاماته، على نمط الترجمة العامة التي تعنى بالبحث والدراسة، وتنطوي على التحليل والتوجيه، وذلك باعتبار الأستاذ أحد أبرز النماذج الجزائرية المعاصرة، المثقفة ثقافة موسوعية وأصيلة ببعديها العربي والإسلامي.

ISBN: 978-9969-608-47-2



9 789969 608472

للطباعة
والنشر
والتوزيع

سَامِي